اليهود ونيابة القدس

من خلال وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي



دراسة وثائقية (١٣٧٥ ـ ١٥٨٩)

د. منال عمارة

اليهود ونيابة القدس

يرتكز كثير من الباحثين فى التاريخ على قاعدة تحكُم البحث التاريخي ألا وهي (إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ)، ذلك أن التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلّفتها لنا عقول السلف أو أيديهم، وعلى تلك القاعدة قامت هذه الدراسة، التى تحاول إلقاء الضوء على طائفة اليهود الذين عاشوا في نيابة القدس في العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني، وأنشطته المختلفة، وعناصرهم التي كونت العديد من الاتجاهات الفكرية وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال وثائق (الجنيزة)، ووثائق الحرم القدسي والمصادر المعاصرة.

وتبرز الدراسة موقف الأمة الإسلامية الإنساني والحضاري من الجماعات اليهودية؛ ذلك الموقف الذي يتسم بالتحضر والتسامح؛ مما أثّر على حياة تلك الجماعات وجعل بعض مؤرخي اليهود يصفون هذه الفترة في ظل هذه الأمة بأنها تُمثل فترة العصر الذهبي في التاريخ اليهودي فكريًا وثقافيًا واجتماعيًا.

غلاف: مصطفى نصار



الهيئة المصرية العامة للكتاب

اليهود ونيابة القدس

من خلال وثائق الجنيـزة ووثائق الحرم القدسي

عمارة، منال.
اليهود ونيابة القدس من خلال/
- وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي:
دراسة وثائقية (١٣٧٥م - ١٥٨٩م)/ منال
عمارة.- القاهرة : الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ٢٠١٦
٤١٦ ص؛ ١٧ X ٢٤ سم.
تدمك : ٣- ٤ - ٠٩٣ - ٩١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- اليهود - تاريخ.
أ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٥٠ / ٢٠١٦

I.S.B.N 978 - 977 - 91 - 093 - 4 - 3

ديوى ٩٥٦,٩٠٣

اليهود ونيابة القدس

من خلال وثائق الجنيزة
ووثائق الحرم القدسي

دراسة وثائقية (١٣٧٥م – ١٥٨٩م)

د. منال عمارة



٢٠١٦

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : اليهود ونيابة القدس
من خلال وثائق الجنيزة
ووثائق الحرم القدسي
دراسة وثائقية (١٣٧٥ م - ١٥٨٩م)
د. منال عمارة

الإخراج الفني : مصطفى نصار

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب ٢٣٥ الرقم البريدي ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email: info@gebo.gov.eg

الطبعة الأولى
- ٢٠١٦ -

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(البقرة، ٢٠١)

إهداء

إلى القِبْلة الأولى..

إلى مبدأ المعراج..

إلى ثالث الحرمين..

إلى أرض الميعاد..

أهدي هذا العمل

هذه الدراسة

تغطى هذه الدراسة تاريخ اليهود في نيابة القدس ابتداءً من سنة (٧٧٧هـ-١٣٧٥م)؛ أي في عهد السلطان المملوكي الأشرف ناصر الدين شعبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٦ م) أي في أواخر عصر المماليك البحرية، كما تغطى عصر المماليك البرجية أو الشراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)، وتغطى كذلك تاريخ اليهود في هذه النيابة في العصر العثماني حتى سنة (٩٩٨هـ - ١٥٨٩م) إبان حكم السلطان مراد الثالث.

وتتعدد جوانب هذه الدراسة؛ فهي ديمُغرافيا اجتماعية سياسية ثقافية، وهى في تقصّيها لهذه الجوانب كلها تعتمد اعتمادا أساسيا على وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي والمحكمة الشرعية بالقدس، وقد قارنت الباحثة منال عمارة في هذه الدراسة البديعة بين هذه الوثائق المختلفة واستخلصت نتائجها من هذه المقارنة الفاحصة، وهى في الوقت نفسه لم تغفل الاستعانة بالمصادر التي تغطى تاريخ تلك الفترة، كما لم تغفل الاستعانة بالمراجع الحديثة العربية والأجنبية التي كتبت حول هذا الموضوع، ونحن نلاحظ من قائمة مراجعها أنها استعانت بأحدثها، والكثير منها تأليف باحثين يهود.

والحق أن الباحثة بذلت قصارى جهدها في تحليل مصادرها، ولعل من أهم هذه المصادر وثائق الجنيزة وهى المتمثلة في العقود والوصايا والمراسلات الشخصية التي كتبها اليهود، وتُعَد منجما غنيا بالمعلومات الاجتماعية والثقافية والسياسية القانونية الخاصة باليهود في الفترة موضوع الدراسة.

وقد اهتم الباحثون الغربيون بصفة خاصة بدراسة هذه الوثائق دراسة مستفيضة، ومن أبرز هؤلاء Goitein في كتابه (A Mediterranean Society) أو مجتمع البحر الأبيض المتوسط، وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة ومن غيرها إلى حدٍ كبير، وناقشت المؤلفين مناقشة نقدية واعية في الكثير من آرائهم.

إننا- في دراستنا للتاريخ الإسلامي- في حاجة إلى أن نلقى الضوء على كثير من الجوانب المهمة التي لا يلتفت إليها الباحثون في العادة، بل يوجهون اهتمامهم إلى المطروق المستهلك من قضايانا التاريخية. ومن هنا فإننا نحمد لهذه الباحثة أنها اقتحمت هذا الموضوع الشائك وتناولته تناولا جديرا بالتقدير. وقد لاحظت أثناء إشرافي عليها حرصها البالغ على التماس العلم من مظانّه المختلفة، وكانت تجد مني كل تشجيع على ذلك. ولا يفوتني هنا أن أنوه بالعون المخلص الذى قدمه لها الأستاذ الدكتور السيد على في هذا الصدد، فله خالص التقدير.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أعبر عن أملي بأن تكون هذه الدراسة الجادة التي قدمتها منال عمارة فاتحة لأعمال أخرى قادمة لا تقل جدية وأهمية، ولعلها تواصل مشروعها في تعلم اللغة العبرية حتى تقدم لنا المزيد عن جوانب أخرى من تاريخ اليهود في العالم العربي والإسلامي.

أ. د. عبد الرحمن أحمد سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قصدنا في هذه الدراسة إلى الإشارة لطائفة اليهود التي تواجدت في نيابة القدس في الفترة من (٧٧٧هـ - ٩٩٨هـ/١٣٧٥م - ١٥٨٩م)، من خلال وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي. ولا يخفى علينا الأهمية المحورية للوثائق في الدراسات التاريخية؛ ذلك أنها تنطوي على أمور تشمل نواحي الحياة كافة وتسلط الأضواء على شتى مجالاتها سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم حضارية.

والأمم المتقدِّمة هي أكثرُ الأمم محافظةً على إرثها التاريخي؛ لأنَّ إرثَ أيّ أمَّةٍ هو جزءٌ أصيل من تراثها العام، ينقله الخَلَفُ عن السلفِ، وتتوارثه الأجيالُ المتعاقِبة، شاهدًا على ما حققتْه الأمَّةُ في ماضيها، وعبرةً يَستمدُّ منها الباحثون عناصرَ الحياة، والاطلاع على الوثائقِ يُضيف إضافاتٍ متميِّزةً للمهتمِّين بمختلف فروع المعرفة التاريخيَّة بوجه عام؛ لذا تعد وثائق أي فترة من فترات التاريخ هي المصدر الرئيسي والجوهري الذي يُمكِّن الباحثين من التأريخ لتلك الفترة، وذلك لقيمة تلك الوثائق بما تحويه من معلومات تقودنا إلي التعرف الدقيق علي الماضي بمختلف صوره.

هذا وقد حاولت بعض الجهات استغلال هذه الوثائق لتشويه الحقائق التاريخية، ففي عام ١٩٩٦ م احتفلت إسرائيل بمرور مائة عام علي اكتشاف وثائق الجنيزة في مصر التي يرون فيها إثباتا لوجودهم علي أرض فلسطين منذ بداية التاريخ الذي تعود إليه الوثائق، وقد طالب اليهود في المؤتمر الذى انعقد عام ٢٠٠٨ م

تحت عنوان المؤتمر الدولي الأول ليهود مصر، بالحصول علي كل وثائق الجنيزة التي تملكها الحكومة المصرية عبر دار الكتب والوثائق والمراكز البحثية بجمعيات مصر المختلفة ضمن ما طالبوا به من ممتلكات يهودية في مصر. وفى عام ٢٠١٣ م، ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية كتابٌ بعنوان:

(Scared Trash -The world that we have lost and found.)

أو "القمامة المقدسة - العالم الذى فقد ثم وجدناه" للمؤلفين أدينا هوفمان وروبرت كول، ويتم فيه تتبع الباحثين الذين تعاملوا مع وثائق الجنيزة بداية من سولومون شيختر وحتى الآن، وفيه يرجح المؤلفان أن تلك الوثائق التي عثر عليها ستؤكد ما يرويه يهود إسرائيل حول نهب ثرواتهم والإساءة إليهم خلال حياتهم في مصر وفلسطين. ويؤكد مؤلفا كتاب القمامة المقدسة في نهاية كتابهما أن هذه الوثائق هي جزء من التراث والتاريخ اليهودي القومي.

ولإماطة لثام الحقيقة جاءت أطروحة هذه الدراسة وهى بعنوان (اليهود في نيابة القدس من خلال وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي والمصادر المعاصرة: دراسة مقارنة في الفترة من [٧٧٧- ٩٩٨هـ /١٣٧٥- ١٥٨٩م]).

إنني عندما آثرت أن أتصدى للبحث في هذا الموضوع كان محرك بحثي:

أولا: القاعدة التي علمنيها أساتذتي، ألا وهى إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ.

ثانيا: ما أشارت إليه الدراسات التاريخية الحديثة من ضرورة الاعتماد على الوثائق حتى نصل إلى الحقائق.

وقد اخترت موضوعي الذى بنى على أصول وثائق الجنيزة ووثائق الحرم القدسي وبعض المصادر العربية التي تناولت فترة الدراسة؛ لبيان واقع الحياة في عصر المماليك في نيابة القدس وما اتصل بذلك من دعوى وجود اليهود في تلك

المنطقة في تلك الفترة. وقد أخذت على عاتقي بحث تلك الدعوى بقدر ما أتيح لي من مادة علمية باعتمادي على تلك الأصول التي اتفقت فيما بينها على حقيقة، مفادها أن الوجود اليهودي في تلك المنطقة كان محدودا في الفترة المملوكية، ثم ازداد بنسب متفاوتة في الفترة العثمانية، وإني لأثبت في هذه الدراسة أن الوجود اليهودي في تلك المنطقة كان على حذر وأن من تم حصر وجوده في تلك المنطقة في تلك الفترة إما أن يكون طارئا على المنطقة أو ممن ضاق به الحال في بلاده فأتاها مهاجرا ولكنه أصبح دخيلا على المنطقة فلفظته؛ فلم يجد بدا من أن يعيش على الكفاف وحقير المهن ويعاني ضيق الأحوال المادية.

وقد اعتمدت في ذلك على ما ورد في الوثائق المتاحة للدراسة. وللأمانة العلمية كان لا بد من الإشارة إلى أن عدد الوثائق العبرية المتوافرة للدراسة كانت قليلة ولم تغطِّ كل ما يخص اليهود من نشاطات وأحداث؛ لذا حاولت إكمال النقص بالرجوع إلى الوثائق المقدسية المعاصرة لفترة الدراسة وسجلات المحكمة الشرعية التي تغطي النقص في المعلومات، فإن لم تفِ لجأت للمصادر العربية؛ وإن كانت غالبية المصادر المتصلة بفترة الدراسة قد عَدَّت اليهود في منطقة الدراسة فئة هامشية فلم تركز عليهم وكانت المعلومات عنهم مجرد فتات. وللإنصاف، كنت أقوم بعقد مقارنة بين المصادر الثلاثة في المعلومات المشتركة بينها في أسلوب علمي بعيدٍ عن التحيز.

وقد لاحظت أن كثيرا من كُتَّاب اليهود رموا المماليك بزائف التهم، وادعوا أنهم قد أساءوا لأهل الذمة - ومنهم اليهود- وعاملوهم أسوأ معاملة؛ يشيرون بذلك إلى المراسيم التي كان المماليك يصدرونها ضدهم، ولكنهم لم يذكروا أسبابا لذلك وكأنهم يريدون تشويه صورة الحكم الإسلامي وأن يخلعوا عليه صفة العدوانية وعدم التسامح. وبالبحث استطعت الوصول لأسباب تلك الفرمانات التي كان

اعتداء اليهود وإثارتهم القلاقل، وبذلهم الرّشْوة لأخذ حقوق غير حقوقهم هو الدافع الأول الذى حدا بالمماليك لإصدارها.

كما أوضحت الدراسة أن النشاط الاقتصادي لليهود الذى شاع في كتابات مؤرخي اليهود، لم يكن بالتوسع المعروف عن تجار اليهود في مختلف المناطق التي عاشوا فيها بل كانوا على هامش ذلك النشاط، بالإضافة إلى أنهم وصلوا إلى حالة شديدة من الفقر فاضطروا للاستدانة من جيرانهم المسلمين، بل الأكثر من ذلك لم يستطيعوا دفع الجزية المقررة عليهم، وكثير منهم تهرب من دفعها أو تراكمت عليه مما دفع السلطة الحاكمة إلى تحصيلها جملة، بينما وجدنا تلك الطائفة نتيجة لعيشهم وسط المجتمع الإسلامي قد تأثروا اجتماعيا بأغلب مظاهر الحياة الاجتماعية الإسلامية.

لقد كانت القدس، منذ بداية الدولة المملوكية في بلاد الشام، ملحقة بنيابة دمشق إداريا. ويورد المؤرخ ابن حجر العسقلاني تاريخا لإنشاء نيابة القدس؛ ففي تناوله لأحداث سنة (٧٧٧ هـ/١٣٧٥-١٣٧٦م)، أيام سلطنة الأشرف شعبان بن حسين، وعند الإشارة إلى الهيكلية الإدارية في دولة هذا السلطان، نجده يقول: "وفيها استقر تمراز في نيابة القدس، وهو أول من ولي نيابتها" [١]، ويشاركه في الرأي مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي حيث يذكر في أحداث عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م-١٣٧٦م) أن الأمير تمراز تولى نيابة السلطنة في تلك السنة [٢].

إن هذه الرواية على أهميتها وتواترها في أكثر من مصدر، يجب أن ينظر إليها على أنها خطوة إدارية روتينية كان يمارسها السلاطين ضمن صلاحيتهم في تعيين الأمراء في النيابات. وفى محاولة لاستجلاء الأهداف التي توخاها السلاطين

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، دار الكتب العلمية بيروت ط٢، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٣١.
(٢) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، طبعة مكتبة دنديس، عمان، الأردن ١٩٩٩م، ج٢، ص ٣٩٧.

المماليك من وراء إنشاء هذه النيابة توصلت الدراسة لأسباب ذلك. وقد ضمت نيابة القدس كلا من بيت المقدس والرملة واللد والخليل وقاقون ونابلس وعسقلان وغزة (التي أصبحت بعد ذلك نيابة مستقلة)، ويافا وأريحا، وسبسطية[1].

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتني للمضي في هذه الدراسة أن معظم المشتغلين في ميدان وثائق الجنيزة من المستشرقين اليهود أمثال:

Ashtor Eliayhu, Shelomo Dov Goitein, Jacob Mann, David Baneth and Samuel Krauss.

أما غير اليهود فلا يتجاوز عدد المشتغلين في هذا الميدان أكثر من عدد أصابع اليد، نذكر منهم - على سبيل المثال - الدكتور على السيد على، والدكتور على أحمد محمد السيد، والدكتور قاسم عبده قاسم، والدكتور حسنين ربيع، والدكتور عطية القوصي، والدكتورة هويدا عبد العظيم رمضان، والدكتورة محاسن محمد، والدكتور عطا أبو رية، وإن كان على بعض تلك الأعمال بعض التحفظات البسيطة.

ولهذا السبب كانت الخطورة ظاهرة؛ فقد يستغل هؤلاء المستشرقون فرصة انشغالنا عن تلك الوثائق للقيام بنشرها وتحقيقها بطريقة تشوه تاريخنا، أو يعطون تفسيرات تاريخية خاطئة للحوادث التاريخية ويرسمون صورا مشوهة لمواقف مجيدة من تاريخنا في تلك الفترات التاريخية السابق ذكرها، مما يؤثر تأثيرا سلبيا فى ثقافة الأجيال المعاصرة والقادمة. فالباحث في مجال التاريخ الإسلامي يُعَدُّ حارسا أمينا على هذا التاريخ ومن واجبه الحفاظ عليه من التشويه أو المغالطة.

(١) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦ – ١٢٧.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة:

- فجاء الفصل الأول: بعنوان القدس والنواحي السياسية المتعلقة باليهود، تناولت فيه تأسيس نيابة القدس، ثم ناقشت قضية الوجود اليهودي بنيابة القدس، ثم دور اليهود في الحياة السياسية بالنيابة، وأنهيت الفصل بتسليط الضوء على الوظائف التي شغلها اليهود في نيابة القدس.
- وجاء الفصل الثاني: بعنوان الأوضاع الاقتصادية لليهود في نيابة القدس، ويشتمل على: الزراعة والصناعة والتجارة (داخلية – خارجية) والمعاملات المالية لليهود: من "بيع - شراء - إقراض - صيرفة" وناقشت قضية الملكية اليهودية بنيابة القدس.
- وجاء الفصل الثالث: ويوضح الأوضاع الاجتماعية لليهود في نيابة القدس، وقد تناولت فيه العناصر السكانية لليهود في نيابة القدس، وطوائف اليهود الدينية (القرَّاءُون- الربانيون - السامرة) وطبقات المجتمع اليهودي، ثم تحدثت عن عادات وتقاليد اليهود في المناسبات الاجتماعية المختلفة من (الزواج والطلاق - الوفاة – الملابس - الزينة والحلى - الطعام) وركزت على أعياد اليهود واحتفالاتهِم وخاصة (الأعياد الدينية) ورحلات الحج اليهودية إلى بيت المقدس، ولم أنسَ أن القى الضوء على وضع المرأة اليهودية.
- وجاء الفصل الرابع: بعنوان الأوضاع الثقافية لليهود، وقد تناولت فيه التعليم اليهودي والكَنِيس اليهودي والنهضة العلمية عند اليهود ومؤلفاتهم الدينية وعلماء اليهود وحركة التصوف اليهودي، ثم الاهتمام باللغة العبرية.
- وجاء الفصل الخامس: وأوضح فيه التأثير والتأثر بين اليهود وباقي سكان نيابة القدس وناقشت فيه أسباب تحول اليهود للإسلام وعلاقة اليهود بباقي طوائف

المجتمع ونفوذ اليهود لدى السلطات المملوكية: العلاقة بين اليهود والنصارى وعلاقة اليهود ببعضهم البعض ودار القضاء عند اليهود (بيت دين) أو اختتمت الفصل بالتأثير والتأثر بين اليهود والمسلمين.

- وقد توصل البحث إلى نتائج عدة: لعل من أهمها، أن الفكر الاستيطاني لليهود في القدس لم يكن فكرة حديثة وليدة الدعوة البلفورية أو تأكيدا لسياسات الكتاب الأبيض الأول والثاني والثالث الذى نُصَّ فيه على ضرورة حث اليهود على الهجرة إلى أرض الميعاد والاستيطان فيها، على اعتبار أن الوجود اليهودي في فلسطين عموما والقدس خصوصا هو حق وليس منة. فقد بدأت الدعوة إلي هذا الفكر منذ القرن الثامن الهجري؛ حيث دعا جميع رجال الدين اليهودي الذين زاروا القدس بغرض الحج أو التجارة إلى نزوح اليهود إلى أرض الميعاد والاستيطان فيها. وعلى الرغم من ذلك أثبتت الدراسة أنه لم يكن لليهود أثر اقتصادي يذكر؛ حيث ظل المستوطنون من اليهود عمالا بسطاء يعيشون على كفاف العيش وحقير المهن ولم يكن لهم نهضة علمية ملحوظة الأثر في التاريخ.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

د. منال عمارة

القاهرة في ٢٠١٣/٨/٢٦

نبذة عن وثائق الجنيزة
ووثائق الحرم القدسي

أولا : وثائق الجنيزة :

الجنيزة (Genizah) اسمٍ يدل على مجموعة من الوثائق المحفوظة الخاصة بجماعات اليهود الذين عاشوا في مصر والشام في العصر الوسيط، ويدل أيضا على المكان الذى اكتشفت فيه سواء أكان معبدا أم مقبرة يهودية. ومعناها بالمصطلح الآرامي كنوز المحفوظات، وبالعبرية تعني المستودع أو الكتابات المطروحة وهى مشتقة من "جَنَز" "גניז" بمعنى أخفى أو خبأ.

ولكلمة الجنيزة مفهوم الاقتناء والحفظ عند اليهود حيث إنهم حاكوا المسلمين في الاحتفاظ بالكتب الدينية البالية لحمايتها من الدنس ومن سوء التصرف في تناولها تقديرا لما احتوته من لفظ الجلالة أو ألفاظ مقدسة؛ لذا ظهرت فكرة دفن هذه الأوراق في غرفة مغلقة ومحصنة تمهيدا لنقلها إلى المدافن، كما في الوثائق التي اكتشفت في معبد ابن عزرا بالفسطاط.

محتويات وثائق الجنيزة وأنواعها :

- اشتملت وثائق الجنيزة على مجموعة متنوعة أسرية وغير أسرية؛ إذ احتوت على خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية وضرائبية متنوعة، وإيجارات دُور وحوانيت وأثمان سلع ومتاجر مختلفة وسجلات قضائية وإيصالات وعقود إيجارات وعقود بيع وشراء وزواج وطلاق ورهن وقرض ومقايضة ومشاركة واستبدال ووصايا ووثائق المحاكم، وهبات وتبرعات وعتق وفتاوى فقهية ودعوات لحضور احتفالات وأنشطة لجمعيات يهودية مختلفة وأنشطة ثقافية واجتماعية ودينية وشكاوى والتماسات ووصفات علاجية طبية وسحر وتعاويذ وشعوذة.

- وثـائق تتنـاول الأوضـاع السياسية ومشـاركات اليهود فـي النظـام الإدارى فـي نيابة القدس في العصر المملوكى.
- وثائق تتناول الأوضاع الاقتصادية لليهود في تلك الفترة وفي نفس المنطقة، وهو ما يتضح من خلال الخطابات المتبادلة بين التجار وأهلهم، وعقود البيع والشراء وغيرها.
- وثائق تتعلق بالأوضاع الثقافية لليهود في نيابة القدس في العصر المملوكي، ومن أهمها نسخ التوراة والتَّلْمُود، وإفتاءات النـجَداء، وغيرها.
- فى وثائق الجنيزة لا يوجد اختلاف كبير بين وثيقة تجارية ورسالة شخصية؛ ففى الرسالة نجد التهنئة والتعزية، كما توجد فقرات تتحدث عن أمور مالية أو أخبارعائلية أو نصائح أو تعليمات متنوعة.

ومما سبق يمكن القول إن وثائق الجنيزة تلقى الضوء على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لليهود في بعض بلاد العالم الإسلامى، في الفتْرة من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وحتى العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، ويرجع ذلك إلى أن حركة انتقال اليهود بين تلك البلدان كانت نشطة.

لغة وثائق الجنيزة:

- معظم وثائق الجينزة مكتوبة باللغة العبرية وبعضها مكتوبة باللغة العربية لكن بحروف عبرية. وهذا النمط من الكتابة هو ما كان يستخدمه اليهود في تلك البلاد في هذه الفترات التاريخية. وتشكل هذه المجموعة معظم وثائق الجنيزة، وقد نشر مركز دراسة وثائق الجنيزة بجامعة كمبريدج أغلبها.
- هناك مجموعة من وثائق الجنيزة مكتوبة بالفعل باللغة العربية، وهى تختص بمعاملات تجارية ومالية والتماسات إلى الخلفاء والحكام. واللغة العربية التي استخدمها اليهود آنذاك كانت واحدة من تجليات الحقيقة القائلة: إن اليهود كانوا جزءا عضويا في محيط الثقافة العربية الواسع؛ ومن ثَم فإنهم تخلوا عن اللغة الآرامية واللغة العبرية، واتخذوا اللغة العربية لغة للكتابة والإبداع الأدبي والفكري. ومن الواضح أن اللغة العربية كانت بالنسبة لهم لغة الحياة اليومية،

ولغة العلم والثقافة على حد سواء؛ ولذلك كان لا بد لمن يريد لكتابته الانتشار أن يكتب باللغة العربية، أما اللغة العبرية، فكانت مرتبطة بالتراث الديني اليهودي إلى حد بعيد.

أهمية وثائق الجنيزة في البحث التاريخي:

- وثائق الجنيزة تملأ الفراغ الذى خلفه المؤرخون المعاصرون الذين اكتفوا في حولياتهم بذكر تواريخ الخلفاء والسلاطين والأمراء والحكام، ولم يتعرضوا للحديث عن حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشكل مفصل إلا نادرا.
- معظم وثائق الجنيزة وثائق غير رسمية كتبها أغنياء وفقراء على حد سواء؛ ومن هنا فإن المعلومات المستفادة من هذه الوثائق صادقة إلى حد ما، كما أنها بعيدة كل البعد عن المبالغة المعروفة في الكتابات الأدبية.
- تمدنا الوثائق بمعلومات فريدة من نوعها عن أنواع المتاجر وأثمانها وأسعار الأراضي والمنازل وقيم الإيجارات ونفقات المعيشة، وأنواع المعاملات النقدية وأسعار الصرف بين الدينار الذهب والدرهم الفضة وغيرها من المعاملات؛ وهذا يفيد الباحثين في التاريخ الاقتصادي للمنطقة في هذه الفترة التاريخية.
- أيضا تمدنا وثائق الجنيزة بمعلومات فريدة عن الحياة الاجتماعية لليهود وما اشتملت عليه من مظاهر مختلفة.

والوثائق التي اعتمد عليها هذا البحث قد ألقت الضوء على جوانب اجتماعية واقتصادية في حياة اليهود في منطقة الدراسة، إلا أن هناك العديد من الوثائق التي ما زالت تحتاج للدراسة، وهى ميدان خصيب للوقوف على أحوال اليهود في بلدان مختلفة كالهند واليمن في الفترة المملوكية والعثمانية.

ثانيا: وثائق الحرم القدسي:

هي مجموعة من الوثائق عددها الإجمالي قرابة (٨٨٣ وثيقة)، اكتشفتها الأستاذة أمل أبو الحاج نائبة مديرِ المتحف الإسلامي الكائن في الجِهة الجنوبية الغربية من ساحة الحَرَم القدسي الشريف، عندما نجحتْ في فتْح أحد أدراج إحدى الخزائن لتجدَ فيه أكثر من ٣٥٤ ورقة محشورة بداخله، في التاسعَ عشرَ من أغسطس ١٩٧٤م، وبعدَ عامين؛ أي: في عام ١٩٧٦م فتحتْ دُرجًا آخرَ ليصل عدد الأوراق إلى ٨٨٣ ورقة، مُدوَّن عليها ما بين ١٣٠٠ و١٥٠٠وثيقة.

وبعد اكتشاف هذه الوثائق بوقت قصير زارت القدس لندا نورثرب Linda Northrob الباحثة في معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة ماكجل بكنداً فتعاونتا في ترتيب هذه الوثائق ودراستها، وتضمنت الدراسة فهرسا لخمسين وثيقة مشمولا بتاريخ الوثيقة وشكلها وموضوعها وذوى العلاقة بها سواء أكانوا من السلاطين أم الأمراء أم الأشخاص العاديين.

وتشتمل وثائق الحرم القدسي على:

أ- مراسيم سلطانية تتعلق بالحرم القدسي الشريف؛ منها مرسوم للسلطان بيبرس، ومرسوم للناصر محمد، وجميع هذه المراسيم تتعلق بأوقاف الحرم القدسي الشريف.

ب- مراسيم لأمراء المماليك وعددها عشرة ومعظمها يتعلق بشأن تعيين العلماء الصوفيين.

ج- استدعاءات رفعها مواطنون إلى رجال الحكم أو أرسلها موظفون إلى موظفين آخرين.

د- قوائم تركات أو حصر مخلفات مرضى في مرض الموت ويبلغ عددها (٣٧٨) وثيقة.

هـ- صكوك بيع وشراء، ووثائق وقف وحصر إرث حشري من قِبَل ديوان المواريث الحشرية، ووصايا، ومحاضر جلسات، وحصر بيع تركات، وإيصالات، بالإضافة إلى استبدال وقف أو بيع غراس، أو إذن ببناء أو فسخ لعقد، أو نقش.

وتلك الوثائق مكتوبة باللغة العربية بخط يعرف بخط السياقة، وهناك مجموعة من الوثائق مكتوبة باللغة الفارسية ويبلغ عددها (٢٧) وثيقة.

ومن هنا فإن وثائق الحرم القدسي جاءت لتسد فراغا ملموسا وحقيقيا في تاريخ القدس، وقد تم تصويرها على ميكروفيلم بوساطة معهد ماكجل بكندا.

وهذه الوثائق تُعنى بمجتمع بيت المقدس منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وحتى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فمنها وثائق تختص بالعصر المملوكي وأخرى تختص بالعصر العثماني، وقد نشر هذه الوثائق الدكتور كامل جميل العسلي في ثلاثة مجلدات تضم قرابة (٣٢٠ وثيقة) ما بين (عام١٩٨٣م و ١٩٨٩م) تحت عنوان وثائق مقدسية تاريخية، لكنه نوّه في مقدمة كتابه أنه نشرها ليستعين بها الباحثون كلٌّ في ميدانه ويتناولونها بالدراسة والتوضيح والشرح والتعليل بما يتوافق ونوعية الدراسة، سواء أكانت تاريخية أم قانونية.

يعود تاريخ أقدم وثيقة من وثائق الحرم القدسي الشريف إلى العام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) وهي مفقودة، ولكن هناك عدد من الوثائق المملوكية تم العثور عليها في القدس الشريف. وقد سبق أن تطرق إلى وجود الوثائق المملوكية في مدينة القدس المؤرخ الشهير مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م) الذي كتب (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) في أواخر العصر المملوكي، وقد أدى اطلاعه على مثل هذه الوثائق إلى ترجمة حياة عدد من مشاهير القدس الذين ذكرهم في كتابه.

أهمية وثائق الحرم القدسي في البحث التاريخي:

- ترجع أهمية وثائق الحرم القدسي الشريف إلى الفترة التي تغطيها من تاريخ القدس؛ فهي عبارة عن حجج شرعية ومراسيم سلطانية تفصيلية ودقيقة تحكي تاريخ سكان مدينة القدس جميعهم وحاراتها وعمائرها وأوقافها وأملاك أهلها. كما أن أهميتها العلمية والتاريخية لا تقل عن أوراق البردى التي نشرها المستشرق الفرنسي (Silvestre de Sassai) سلفستر دي ساسي، أو حتى

وثائق الجنيزة، ويصفها د/ كامل جميل العسلي قائلاً: "إن المرء يدرك للوهلة الأولى أنه بإزاء كنز من المعلومات التاريخية والقانونية والاقتصادية والإدارية لا يقدر بثمن، وما على المؤرخ إلا أن يخوض في لجة هذه الوثائق ليخرج بحصيلة ضخمة من المعلومات"[١].

- تقدم الوثائق مادة خصبة للمهتمين بالتاريخ الاجتماعى والاقتصادى؛ فوثائق الإرث الحشرى تبدأ بعبارة "حصل الوقوف على"..، "وأشهد على نفسه". وهذه الوثائق تسجل كل ما يملكه المُتَّوفى من ملابس وأدوات وأثاث مع الإشارة إلى مهنة المتوفى، وإذا كانت امرأة سجلت كل ما عندها من أدوات حتى أدوات الزينة والحلى والأثاث بالإضافة إلى المعلومات الديموغرافية عن السكان، وخاصة أن القدس كانت تنعم بكثرة الغرباء عنها فهى محط الرحال؛ وهذا يعطى صورة جيدة عن طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع بيت المقدس بجميع طوائفه.
- توضح الوثائق بقدر من التفصيل كل ما يتصل بالأماكن من دُور وزوايا وأسواق وخانقاوات ومساجد، فهى تحدد جهاتها الأربع، وتذكر الخط أو الحارة الواقعة فيه تلك الأماكن الجغرافية، مما يساعد في إعادة تشكيل الهيكل التنظيمى لمدينة بيت المقدس ومن ثم رسم خريطة شاملة للمدينة في العصر المملوكى.
- تعطى الوثائق صورة عن الحياة الثقافية في بيت المقدس في العصر المملوكى حيث يمكننا التعرف من خلالها على أسعار الكتب والملابس وأدوات الأثاث من خلال وثائق بيع التركات التي جاءت تحت عنوان "مخزومة" أو "ورقة مباركة" وكانت في معظمها تخص علماء المدينة.
- كما أن هذه الوثائق تتناول كل ما يتعلق بطوائف المجتمع المقدسى؛ ومنها طوائف اليهود مما يندر وجوده في المصادر الأخرى.

[١] كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص ب.

نبذة عن المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة:

أولاً : الوثائق العبرية:

أولى الوثائق التاريخية الخاصة بحياة اليهود تتمثل في مجموعة من الخطابات - أربعة خطابات طويلة - كتبها أحد اليهود الأشكيناز ويدعى الرابئ عوبيديا الذى قدم من إيطاليا واتخذ القدس وطنا بديلا له؛ فقد خرج من إحدى ضواحي بلدته برتينورو (Beartinouro) بمقاطعة فلورنسا، عازما على الهجرة إلى فلسطين في عام (٨٩١هـ/١٤٨٦م) وانتهت رحلته بوصوله للقدس في عام (٨٩٣هـ/١٤٨٨م) واستقر بها حتى توفى عام (٩١٦هـ/١٥١٠م). وهناك رواية تقول إنه توفى عام (٩٣٧هـ/١٥٣٠م)[1]. تلقى عوبيديا علوما دينية على يد أستاذه جوزيف سولمون كولون، الأمر الذى مكنه لأن يكون رابياً (حاخاماً) في بلدته (برتينورو) التي نسب إليها.

هذه الخطابات ترجمها إلى الإنجليزية المؤرخ اليهودي إلكان ناثان أدلر وأدرجها ضمن كتابه (Jewish Travellers) (رحلات اليهود) عام ١٩٣٠ دون إضافة أو توضيح أو شرح، ثم قام الباحث ديفيد ياكوف شولمان (David Yaakov Shulman) بنشرها عام ١٩٩٢م في القدس، وأضاف إلى النص الأصلي بعض العبارات الجمالية التي أخلت بمضمون النص الأصلي.

ولكن الباحثة عثرت على النص الأصلي للرحلة الكاملة باللغة العبرية وضمن النص وجدت الخطابات التي أرسلها عوبيديا إلى والده في إيطاليا. والكتاب يحمل عنوان: מאיטליה לירושלים وتنطق "Me-Italia li-Yerushalayim" وترجمته من العبرية إلى العربية: "من إيطاليا إلى أورشليم"، وقد طبع في القدس عام ١٩٩٧م.

---

(1) Ginzberg, Louise, Bertinoro, Obadiah (Yareh) Ben R. Abraham, An essay in Jewish Encyclopedia, vol.12, (ed) by: Friedenbeirg, A.M. Richard Golthid and others, New York,1901-1906, vol.2, P.108, Wigoder, Geoffrey (ed.), the New Standard Jewish Encylcopedia.7vols. 7th ed. New York, Oxford,1992.

وعند قراءة هذه الرحلة والخطابات تبين أنها مليئة بالمادة التاريخية والحضارية الأصلية والأصيلة، التي تمكننا من الوقوف على تجمعات اليهود في العقود الأخيرة من فترة حكم المماليك، كما أن الخطابات تعكس علاقات إنسانية اجتماعية خاصة مرسلة من مهاجر إلى والده وأخيه وصديقه عرضها صاحبها في صورة تقرير مطول متعدد الاتجاهات؛ فهو يبدؤها منذ تحركه من بلدته حتى وصوله إلى مدينة الله والموطن الأبدي الذى يجب أن يقضى فيها نحبه[1] كما يسميها، مرورا بعدد من المحطات البحرية وجزر البحر المتوسط عاقدا فيه مقارنة فيما يتعلق بأوضاع اليهود في المجتمعين الأوروبي المتوسطي والإسلامي المملوكي، دون إخفاء لنزعاته الواضحة بين السطور التي حاول فيها التجرد بصعوبة من أي شعور مضاد تجاه المجتمع الإسلامي، حرصا على الأمانة العلمية ووصولا إلى الموضوعية والحيدة اللازمة لنجاح الدراسات التاريخية.

ومع ذلك فإن للباحثة بعض التعليقات على بعض الأمور من خلال مقارنتها بمصادر البحث الأخرى (وثائق الحرم القدسى والمصادر العربية المعاصرة)؛ حيث تعكس هذه الخطابات الفكر الاستيطاني اليهودي في تلك الآونة وتؤكد أن خطابات الرابى عوبيديا لها ثقل في تغيير مسار يهود فلسطين اجتماعيا وعلميا وسياسيا. ومما يؤكد ذلك عدم عودة الرابى مرة أخرى إلى بلدته بإيطاليا بهدف إنجاز مهمة معينة في فلسطين. ونأخذ قوله في الخطابات دليلا على ذلك حيث يقول: "أرض الميعاد غدت مهيأة للسكنى وإعادة إعمارها". وفى موضع آخر يقول:

(1) Shulman, Yaakov, David: The Travel Letters of Rabbi Ovadiah of Beartinouro, written between (1488 -1490) during his journey to the Holy Land Pathway to Jerusalem, Jerusalem, 1992, p.11.

"وهى التي سوف يعاد بناؤها على يد المشياح[1]، والله أسأل أن نشهد هذه العودة، ولعل وعسى أن تأتى - يعنى والده- إلى صهيون في حبور وسعادة".

وتكتمل هذه المجموعة الرائعة للرابى عوبيديا بمجموعة أخرى يكتبها تلميذ الرابى عوبيديا ويدعى " ديفيد روبينى". والملاحظ أنه وصل إلى القدس بعد عوبيديا بخمس سنوات، وكان يرافقه أخوه ياكوسيل، وقدما أيضا من إيطاليا بهدف الدراسة. والمجموعة تسمى: " خطاب طالب " وتعد مادة مصدرية قائمة بذاتها تكمل وتضبط بعض الثغرات الظاهرة في خطابات عوبيديا. وقد نشر الخطاب عام ١٩٩٢م بترجمة إنجليزية تحت عنوان:

A Student's letter, (ed.) Marmorstein Rabbi Avraham, in: the Travel Letters of Rabbi Ovadiah of Beartinouro, written between (1488 -1490), pathway to Jerusalem, Jerusalem,1992.

وقد كتب الطالب هذه الخطابات عام (٩٠٠هـ /١٤٩٥م) وأرسلها لأهله، ويتضح فيها أيضا التركيز على الفكر الاستيطاني اليهودي وبعض مظاهر الحياة في القدس.

---

(١) المشياح – وفقا للمفهوم الإسلامي – لفظ يشير إلى تنبؤ التوراة بقدوم الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث عبر عنه القلقشندى في كتابه صبح الأعشى بأنه "الكوكب الذى تشرق الأرض بنوره". القلقشندى: صبح الأعشى، ج١٣، ص ٢٥٥– ٢٥٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب– سلسلة الذخائر رقم ١٢٣. أما المشياح في المفهوم اليهودي "فهي تعنى المسيح المخلِّص" حيث اشتقت من العبرية "مشح" أى مسح بالزيت المقدس رأس الملك والكاهن قبل التنصيب، وتشير اللفظة إلى شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله فيعيد بناء مملكة الله في الأرض ويجمع الاثنى عشر سبطا المشتتين فيها ويتجمعون في أرض أورشليم، وهناك ينصبونه ملكا على عرش داود وذلك لأن المشياح من نسل داود (عليه السلام)، وحينئذ تسود صهيون جميع الأمم، إلا أن تأخر وصول المشياح يرجع –كما في الفكر اليهودي– إلى الذنوب التي يرتكبها الشعب اليهودي؛ ولذا فإن عودتهم مرهونة بتوبتهم. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٢٩٤، ج٨، ص٢٩٧، دار الشروق، القاهرة، طبعة أولى ١٩٩٧م؛ على أحمد محمد السيد: اليهود في شرق البحر المتوسط، ص١٢.
Johnson, Paul: A History of the Jews, London,1988, p.266.

ثانياً: وثائق الحرم القدسي:

اعتمدت الدراسة على ست وثائق مقدسية تحتوى معلومات عن أعداد اليهود في منطقة الدراسة وخاصة المدينة المقدسة، وبالرجوع إليها تمت معرفة أماكن تمركز اليهود في النيابة وأعدادهم التي كانت تدفع الجزية المفروضة عليهم من قِبل السلطة الحاكمة، بالإضافة إلى وثيقتين لحصر إرث ليهوديين توفيا بالقدس، استفادت منهما الباحثة في معرفة الأصول التي انحدر منها هذان اليهوديان، ووثيقة إشهاد على يهود (تعهد) بعدم ذبح الذبائح للمسلمين استنتجت من خلالها العلاقة بين اليهود والسلطة المملوكية.

وكل من هذه الوثائق تحمل رقما تصنيفيا وضعه معهد ماكجل للدراسات الإسلامية في مونتريال بكندا. بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق العثمانية هى جزء من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس الشريف والتى فقد بعضها، وقد سمحت المحكمة الشرعية بالقدس بتصوير بعض هذه السجلات، ومن تلك السجلات المصورة سجلات يبدأ تاريخها بسنة (٩٣٦هـ/١٥٢٩م) وتنتهى بتاريخ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) وتحمل رقماً تصنيفياً أ ب ويبلغ عددها ٦١٦ سجلا محفوظا على لفائف ميكروفيلم، وهى تسجل العديد من حجج الوقف في مدينة القدس وإحصاءات للسكان في بعض مناطق الدراسة كالقدس والرملة وصفد، وقد نشر بعضها الدكتور كامل جميل العسلي دون دراسة أو تعليق في كتابه (سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ بتاريخ (٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م) المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول.

وقد قام بتحقيقه محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، الأردن، عمان (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، وبعض منها نشرها كل من الدكتور محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية في كتابهما ذي الأجزاء الثلاثة بعنوان: دفتر طابو لواء القدس الشريف، وحمل كل جزء من الكتاب وثائق عدة مكتوبة باللغة التركية قاما بترجمتها إلى العربية. ونشر الدكتور محمد هاشم غوشة بعضها في كتابه دفتر إجمال ألوية غزة وصفد والقدس، وتحتوى هذه الوثائق على معلومات قيمة أثرت الدراسة كثيرا.

ثالثاً: المصادر العربية:

من خلال الاطلاع على كثير من المصادر العربية (كتب التاريخ الحولي وتاريخ البلدان) المواكبة للفترة التاريخية محل البحث، وجدت هذه المصادر لا تُعنى بصورة أو بأخرى بذكر الكثير عن اليهود ولا عن أحداثهم في المناطق المختلفة، وتكتفي برصد المشكلات التي سببها اليهود واستوجبت عقوبات نتيجة لقيامهم بأعمال سببت خللا في النواحي السياسية.

فإذا جاء ذكر لليهود في المصدر عرضا تُحُدِث عن القضايا المتعلقة دينيا بهم، كأمر هدم المباني المعمارية المتمثلة في المعابد والأديرة أو بعض القضايا المتعلقة بالمواريث.

وانصب اهتمام معظم المؤرخين على ذكر الحوادث المتعلقة باليهود في القاهرة وما يتصل بهم من أحداث.

أيضا ركزت المصادر العربية على ذكر عقاب السلاطين لهم لتهربهم من دفع الجزية والتنكيل بهم وإهاناتهم (كما في كتاب ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر ج٣، وابن قاضى شهبة وكتابه : تاريخ ابن قاضى شهبة).

وبالنسبة للمصادر العربية التي أخذت على عاتقها ذكر المراسيم السلطانية الخاصة بعدم استعمال أهل الذمة في الدواوين، فقد كان أغلبها مقصورا على النصارى ولم يأتِ ذكر لليهود إلا في القليل النادر؛ وهذا دليل على عدم اعتلائهم مناصب حساسة إداريا في الدولة المملوكية بالقدس الشريف.

ومن هنا يمكن القول إن المصادر العربية لم تعالج أحوال اليهود بشكل واضح وصريح من خلال مشاهدات وكتابات المؤرخين بل اكتفت بالإشارة إليهم. وعلى الرغم من ذلك لا ننكر جهود المؤرخ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ) في تجميع كل ما يخص يهود مصر في مؤلف واحد تحت عنوان (تاريخ اليهود وآثارهم في مصر الإسلامية)، وقد قام بتحقيقه الدكتور عبد المجيد دياب. وهذا المصدر هو الوحيد المعنى بالتركيز على طائفة اليهود وقد أفاد البحث كثيرا خصوصا في التعريف بطوائف اليهود وانتماءاتهم الدينية

وصفات كل فرقة منهم. فإن هذا المصدر وحده لا يسد نهم الباحث في توثيق معلوماته.

ويأتي مُؤلَّف مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي العليمي (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) نبراسا ينير الطريق أمام البحث ليطلعنا على كل ما يتصل بالقدس والخليل خصوصا، ومدن فلسطين عموما في الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية، فهو بحق مثالٌ رائعٌ في التاريخ المحلي؛ حيث اعتمد فيه المؤلف على مشاهداته الشخصية باعتباره معاصرا للأحداث التاريخية التي تمت في منطقة الدراسة، فكان يرصدها وأحيانا يعلق عليها.

وتأتى أخباره عن اليهود في مؤلفه مقتضبة لكنها مهمة تفتح الطريق أمام الباحث ليبني عليها ما استنتجه من أحداث. ووصف المؤرخ لحادثة واقعة كنيس اليهود جاءت بكل التفاصيل التي لم تذكر في كتب المؤرخين المعاصرين له. وهذا ساعد البحث كثيرا في معرفة بعض ممارسات اليهود المنحرفة في الفترة المملوكية.

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث، والتي تختص بالفترة العثمانية مؤلف (لواء القدس الشريف) تحقيق وترجمة وشرح كل من الدكتور محمد عدنان البخيت والدكتور نوفان رجا السواريه، وهذا المصدر عبارة عن دفاتر طابو لواء القدس وهى دفاتر تُعْنَى بإحصاء وتسجيل ومسح المدن والقرى في فلسطين. بعد خضوع بلاد الشام للدولة العثمانية في عام (٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م)، وبه شرح مفصل للواء صفد وغزة والقدس الشريف في فترات منفصلة في التأليف متصلة في الفترة الزمنية التي تعالجها تبدأ من (٩٣٢-٩٣٥هـ/١٥٢٥-١٥٢٨م)، وحتى (٩٧٠-٩٧١هـ/١٥٦٢-١٥٦٣م). والكتاب مكون من ثلاثة أجزاء عبارة عن "دراسة" تشمل: الموقع والحدود، والإدارة والسكان، والحياة الاقتصادية في لواء القدس، المكاييل والأوزان، والمياه في القدس، ويضم الكتاب أيضا: "النص العثماني وترجمته". وهذا الدفتر هو من أقدم دفاتر تحرير سنجق (لواء) القدس، المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء، حيث إنّه أول "تحرير" أجرته الدولة العثمانية لألوية صفد وغزة والقدس الشريف، بعد فتحها لبلاد الشام بتسعة أعوام

تقريباً (١٥٢٥م/١٥٢٦م). ويضم معلومات عن: التشكيلات الإدارية، وأراضي السلطان، والزعامات، والتيمارات (الإقطاعات العسكرية)، والمقاطعات، والرعايا، والسكان، والمكلفين بدفع الضرائب، وأرباب الحِرَف، والقائمين على الوظائف الدينية، والإعفاءات الجمركية، والقلاع والعشائر وغير ذلك. بالإضافة إلى دفتر طابو صفد لعام (٩٦١هـ/١٥٥٣م).وقد ساعدنى هذا المصدر في تحديد موقع وحدود القدس، في تلك الفترة بصورة مركزة تقترب من الدقة. ففي القرن السادس عشر الميلادي كان لواء القدس الشريف يتألف من ثلاث نواحٍ؛ هي: ناحية القدس الشريف، وناحية خليل الرحمن، وناحية بني عمر (عامر) التي كانت تتشكل من ثماني قرى وثلاث مزارع بالإضافة إلى المحلات والحارات في ناحية القدس الشريف. كما استطعت تحديد المحلات التي تركز فيها اليهود بكل دقة. ومن تلك المحلات محلة الريشة: وتقع جنوب غربي حارة الشرف، ومن حاراتها: اليهود الجوانية، وهي جزء من حارة اليهود الرئيسة. ومحلة اليهود، وتقع غربي سور الحرم، بين حارتَي شرف وريشة، وكانت تعرف بالمحلة الوسطى ومن حاراتها: اليهود القراءون والمسلخ، بالإضافة إلى حصر هذا الدفتر لأعداد اليهود المسجلة داخله من خلال حصر من تجب عليه الجزية، وقد تم تسجيل هذه الأعداد على هيئة خانات تشير كل واحدة منها إلى عائلة يهودية، كما كان الوصف المتصل بتلك العائلات وأفرادها دقيقا؛ حيث ذكر الوصف من كان صاحب عاهة أو متزوج أو عزبًا أو قادمًا من مكان آخر.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

ومن المراجع الأجنبية التي أسهمت في إثراء الدراسة كتاب إلكان ناثان أدلر (Elkan Nathan Adler) وعنوانه (Jewish Travellers) نشره صاحبه عام (١٩٣٠م) وهو يتضمن مجموعة من النصوص التي كتبها الرحالة اليهود إلى الأرض المقدسة بهدف الحج أو التجارة، ويهمنا فيها مما يخدم الدراسة رحلة ميشلوم بن مناحم الفولتيرى الذى زار الأرض المقدسة في فترة تسبق عوبيديا، كما أنه تقابل مع الرابى عوبيديا في إحدى المحطات البحرية التي مرا عليها، ولكنه لم يتوجه ثانية إلى الأرض المقدسة بل أكمل مسيرته إلى خيوس ومنها إلى القسطنطينية وربما كانت له مهمة أخرى هناك؛ ورحلتا الرابى إسحق شلو والأب سوريانو[1] اللذين توجها إلى بيت المقدس أيضا بغرض الحج، ولكننا لمحنا في وصف الأب سوريانو بعض المبالغات، خاصة في حديثه عن العلاقات بين اليهود والمسلمين في بيت المقدس؛ إذ رأينا ادعاءات وافتراءات ناقشتها الباحثة خلال البحث وقدمت الأدلة على تفنيد تلك الادعاءات التي لا يظهر منها سوى تحامل الأب سوريانو على المسلمين ورشقهم بشتى التهم.

والكتاب في مضمونه يحمل آراء ووصف الرحالة لرحلتهم من بلادهم إلى أرض الميعاد مرورا بأسواقها وشوارعها؛ مما يعطى صورة واضحة عن حياة اليهود في الفترة التي قام فيها الرحالة بزيارة المنطقة، وقد كان لزاما على الباحثة أن تدقق في كل ما يرصده الرحالة وتقابله بغيره من المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

(١) الأب سوريانو: إيطالي الجنسية زار القدس أكثر من ست عشرة مرة وأقام فيها في الفترة من (١٤٨١م – ١٤٨٤م) والفترة من (١٤٩٣م – ١٥١٥م) وكان يزور القدس مع عمه صاحب المراكب التجارية التي تعمل بين إيطاليا والمشرق، وله كتاب عبارة عن أجوبة عن أسئلة الراهبات الإيطاليات في عام(١٤٨٤م) وقد كتب مسودته بالإيطالية، ثم ترجمها كل من (Theophilus Bellorini and Eugene Hoada) (ثيوفيلوس بللورينى وأيوجينى هوأدا) إلى الإنجليزية تحت عنوان(Treatise on the Holy Land) ونشرته وكالة الفرنسيسكان عام١٩٤٩م.

ومن المراجع التي أفادت البحث أيضا وخصوصا في الفترة العثمانية، كتاب أمنون كوهين (Amnon Cohen) : حياة اليهود في ظل الإسلام – القدس في القرن السادس عشر الميلادى.

(Jewish Life under Islam – Jerusalem in The Sixteenth entury)

وصاحب الكتاب باحث يهودى بالجامعة العبرية بالقدس بقسم الدراسات الإسلامية الشرق أوسطية. تعرض في كتابه إلى مكانة القدس عند اليهود والمسيحيين والمسلمين، معتمدا على الوثائق العثمانية. وفى مقدمة كتابه اعتذر أنه لن يدرس كل طوائف سكان المدينة وإنما- بوصفه يهوديا معنيا بتاريخ اليهود- سوف يركز على الطائفة اليهودية في القدس حتى العصر العثمانى وبالذات في القرن السادس عشر؛ وذلك لأن الوثائق التي توافرت لديه كانت في هذه الفترة.

فيقدم في كتابه تصنيفا لسكان القدس في القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى)، ويعترف أن أكثر سكانها كانوا عربا مسلمين يليهم المسيحيون ثم اليهود، ويقول: "إن أكبر تغير حدث في الشرق الأوسط في ذلك القرن هو استيلاء العثمانيين على فلسطين والشام وبعض أطراف شبه الجزيرة العربية، وظلت هذه المناطق أربعة قرون في حظيرة العثمانيين دون أى تغيير أو تطوير حتى قيام الحرب العالمية الأولى". ويعتبر كوهين أن عصر السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ/١٥١٢– ١٥٢٠م) وعصر سليمان خان المعروف بسليمان القانونى (٩٢٧-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م)، العصرَ الذهبى للقدس والدولة العثمانية. وخلال ذلك العصر كانت القدس يحكمها سنجق كغيرها من مدن الشام : كمثل صفد ونابلس وغزة وكلها تخضع لحاكم دمشق أو باشا دمشق العثمانى. وخلال الحكم العثمانى قام السلاطين بتطوير وتعمير القدس بعد الإهمال الذى لاقته في عصر سلاطين المماليك (ولا يخفى تحيز المؤرخ للعثمانيين لأنهم أصحاب فضل على اليهود؛ إذ سمحوا لهم بالإقامة في القدس بأعداد كبيرة في منتصف فترة الحكم العثمانى)، فبنوا حولها الأسوار ذات البوابات (التي تفتح صباحا وتغلق مساء) وأعيد ترميم الأسواق والحوانيت القديمة وأصلحت شبكات المياه وأوقفت

الأراضي والعقارات للإنفاق على المساجد والمعاهد الإسلامية، غير أن هذا الازدهار لم يدم؛ فعندما بدأت الدولة العثمانية في التدهور تدهورت معها القدس وأصبح الَهمُّ الأول للحكام الأتراك هو ملء جيوبهم بالمال دون الاهتمام بمصالح ومرافق المدينة، بل إن الحامية العثمانية التي كانت تعسكر في أورشليم بدأت تستغل الناس والتجار مستخدمين سلطتهم العسكرية؛ مما أدى إلى نزوح السكان وتضاؤل الحي اليهودى.ولهذا فضل المؤلف أن يتوقف عند القرن السادس عشر الميلادى العاشر الهجرى.

ثم انتقد المصادر بادئا بنقد كتابات المؤرخين والرحالة المسلمين بأنها خرافية وتصورية في أغلب الأحيان. أما كتابات اليهود والمسيحيين فهى متحيزة وغير محايدة تلوى فيها الحقائق؛ لكى تتماشى مع الأفكار الدينية المسبقة لمؤلفيها، كما أن هؤلاء الرحالة من غير العرب كتبوا بلغات متعددة وأصحابها ينتمون إلى جنسيات متعددة ولهم مصالح متعارِضة؛ بل إن أغلبهم ينقل عن رحالة سابقين نقلا حرفيا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الفحص والتدقيق والمراجعة أو دون أن يكلفوا أنفسهم أن يضيفوا شيئا من بنات أفكارهم.

وفى الكتاب عالج المؤلف علاقة اليهود بسلطة الحكم العثمانى من ناحية بوصفهم أهل ذمة تتحقق لهم حقوق المواطنة مقابل دفع الجزية، وكفاءة الشريعة الإسلامية في تحقيق الحماية والعدل والمساواة للطوائف غير الإسلامية كافة، ومن ناحية أخرى رسم صورة لمجتمع الطائفة اليهودية وأعدادهم وتوزيعهم سكانيا في القدس وضواحيها، ولجأ إلى سجلات الجزية لتحديد عدد اليهود وأثبت من واقع الكشوف تدنى الجزية وشرح ذلك بأن أغلب اليهود كانوا فقراء، ولكن أثبت في مكان آخر من الكتاب أن اليهود كانوا يلجئون إلى كل وسيلة من أجل التهرب من دفع الجزية.

ويؤكد الكاتب من واقع السجلات أن اليهود كانوا منسجمين مع المسلمين العرب؛ فهم يتكلمون لغة واحدة هى العربية ويسكنون متجاورين بل أحيانا في بيت واحد، ويتزاورون، كذلك كانوا يلبسون نفس الثياب مثل المسلمين ويسمون

بأسماء مشتركة مع المسلمين مثل: عبد الكريم، وعبد الله، وزكريا، ويحيى، ويوسف وسليمان. ويختم المؤلف كتابه بقوله: "كانت حياة اليهود مستقلة ومستقرة في القدس العثمانية تحت مظلة الشريعة الإسلامية بل منذ ظهور الإسلام، وإذا كان اليهود منغلقين على أنفسهم فإنهم كانوا منفتحين على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القدس العثمانية ولعبوا دورا حيويا. صحيح أنهم كانوا أهل ذمة، ونظريا أقل درجة من المسلمين، إلا أنهم حولوا هذه الصفة لتفادى أى توتر في علاقاتهم مع المسلمين وحققوا عن طريقها الاستقرار والوئام؛ مما ضمن لهم أن يعيشوا ويطوروا أنفسهم ويحققوا الرخاء والازدهار داخل المجتمع الإسلامى وتحت مظلة الإسلام وعدالة الشريعة الإسلامية".

شهادة مؤرخ معتدل نحن في أشد الحاجة إليها في وقت يتحكم فيه المتطرفون اليهود الأشكيناز في مصير القدس ويسومون العرب المسلمين والمسيحيين سوء العذاب، وهو يشهد بعروبة القدس في العصر الحديث وعدالة الشريعة الإسلامية التي لم تفرق بين سكان المدينة المقدسة أو تحابى أحدا على حساب أحد.



التعريف بنيابة القدس

ويشتمل على:

- أسماء نيابة القدس.
- جغرافية نيابة القدس (الموقع – السطح – المناخ).
- تخطيط النيابة: (أهم المناطق والأحياء – أهم الأبنية).
- أحوال اليهود في نيابة القدس قبل فترة الدراسة.

النيابة

(الاسم - جغرافية المنطقة)

الاسم:

حملت القدس أسماء متعددة عبر عصورها التاريخية، حيث ورد اسم القدس في عهودها الباكرة في نصوص اللغات المصرية (Excration text) التي تعود إلى القرنين التاسع والثامن عشر (ق.م.) باسم روشاليموم.

وفى نصوص تل العمارنة التي تعود إلى القرن الرابع عشر (ق.م.) وردت باسم يوروسالم[1]، كما وردت عند العبريين باسم يورشاليم (יְרוּשָׁלַיִם)، وقيل إن مدينة القدس سُميت يأنطاكية في إحدى فترات العصر الهيلينستى[2].

وعند المؤرخين والجغرافيين العرب عُرِفت باسم يروسالم، ويورشاليم، ويبوس، وصهيون، ومورِيا، وإيلياء، وبيت المقدس، والقدس الشريف[3]، كما وردت في العهد القديم باسم شاليم: فقد جاء ذكرها في سفر التكوين عند الحديث عن سيدنا إبراهيم العبرانى ودخوله إلى أرض كنعان عندما رحب به أحد ملوكها

---

(1) Stephen J. Binz: Jerusalem the Holy City, London 2005, p.11.
الموسوعة الفلسطينية، طبعة١٩٨٤، مج٣، ص١٦؛ طلفاح خير الله : القدس عبر عصورها التاريخية، بغداد، طبعة١٩٨١م، ص١٦.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، طبعة ١٩٩٩م، مج٤، ص٩٩؛ مصطفى الدباغ: في بيت المقدس، طبعة دار الطليعة، ص٢٤ ؛عارف العارف: تاريخ القدس، طبعة دار المعارف١٩٦١م، ص١٦٧ - ١٦٨.

(٣) ياقوت الحموى: المشترك وضعا والمفترق صقعا، عالم الكتب طبعة ثانية ١٩٨٦م، ص٣٤٠؛ الحميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت ١٩٨٠م، ص١١٠؛ إسحق موسى الحسينى: عروبة بيت المقدس، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ص٣١.

ويدعى: "مَلْكيصادق ملك شاليم اليبوسى"[١]، وورد الاسم نفسه في سفر يشوع[٢] أما في سفر القضاة فنجد اسمها "أورشليم"[٣].

وفى سفر صموئيل الثانى وردت باسم" مدينة داود"[٤]، وفى سفر أشعياء وردت باسم "أريئيل"[٥] ويعنى الاسم بالعبرية أسد الله أو مسكن الله[٦]،أما في العهد الإسلامي فقد عرفت المدينة في كتابات المؤرخين باسم بيت المقدس، والقدس الشريف والمدينة المقدسة وإيلياء[٧].

وقد ورد ذكر القدس في القرآن الكريم حيث أطلق الله - عز وجل - عليها "المسجد الأقصى" في قوله تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)[٨].

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٤، فقرة ١٨؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق بيروت، ١٩٨٩م، مج١، ص٨٨. وملكيصادق المقصود في الآية هو ملك أورشليم عظيم الكهنة بعد الجلاء ووريث الامتيازات الملكية ورئيس الكهنوت الذى يستوفى العشر من بنى إبراهيم، وهو يحمل صورة المشيح المخلص لليهود .

(٢) سفر يشوع: إصحاح ١٠، فقرة (١، ٣).

(٣) سفر القضاة : إصحاح ١، الفقرات(٧، ٨، ٢١) .

(٤) سفر صموئيل الثانى: إصحاح١٠، فقرة ٥ .

(٥) سفر أشعياء: إصحاح٢٩، الفقرات١، ٢، ٧ .

(٦) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، طبعة ١٩٩٩م، ص٩١.

(٧) ورد ذكرها عند أغلب المؤرخين ولكننا نكتفى بذكر المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، طبعة دار الكتب ١٩٧٣، ج١، ق٣، ص١٤٦؛ ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، تحقيق عدنان درويش، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٤.ج١، ص١١٢؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص٩١؛ القلقشندى: صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم١٣٣، لسنة ٢٠٠٤م، ج٤، ١٠٠، وذلك لأنهم من معاصرى فترة الدراسة.

(٨) سورة الإسراء، الآية(١).

ويقال إن القدس هي المذكورة في قوله تعالى: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(١) وَطُورِ سِينِينَ(٢))[1]، وقد نقل ابن عساكر عن ابن عباس "إن التين بلاد الشام والزيتون بلاد القدس وطور سينين الجبل الذى كلم الله - عز وجل - موسى عليه، والبلد الأمين مكة"[2]، أما عن النيابة ككل فقد شاع ورود اسمها في كتابات المؤرخين بنيابة بيت المقدس، ونيابة القدس، ونيابة الحرمين الشريفين[3].

جغرافية نيابة القدس:

الموقع:

من عادة الجغرافيين والمؤرخين أن يتحدثوا عن موقع مدن بعينها لا عن موقع نيابات كاملة تضم العديد من المدن، الأمر الذى يجعل من الصعب على الباحث أن يحدد الموقع المكانى لمنطقة الدراسة بشكل دقيق؛ حيث تتغير حدودها طبقا للأحوال السياسية، والإدارية، فنجد سلاطين المماليك قد يضيفون للنيابة مدنا أو يفصلون مدنا، ويحولونها لنيابات مستقلة. وهذا دأب المماليك مع المناطق الحيوية مثل: القاهرة، ودمشق، والقدس؛ لذا حاولت تحديد موقع نيابة القدس من خلال التركيز على مدن النيابة في مجملها. ولمزيد من التدقيق يكون الوصف لأشهر مدن النيابة ومنها المدينة المقدسة.

يقول عنها القلقشندى: "القدس لفظ غلب على مدينة بيت المقدس وهى مدينة من جند فلسطين، واقعة في الإقليم الثالث طولها ٣٠ دقيقة و٥٦ درجة، وعرضها ٥٠ دقيقة و٣١ درجة، مبنية على جبل مستدير، وهى مدينة وعرة المسالك،

(١) سورة التين، الآيتان ١، ٢.

(٢) عارف العارف: تاريخ القدس، ص ١٦٩.

(٣) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص١٤٦؛ ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، ج١، ص١١٢؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص٩١؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٠.

وبناؤها بالحجر والكلس، وغالب حجرها أسود[١]. ويصفها مجير الدين فيقول: "أما مدينة القدس فهي مدينة عظيمة محكمة البناء وهي بين جبال وأودية، وشوارع المدينة بعضها سَهْل، وبعضها وَعْر"[٢].

وتُعدُّ القدس من أهم مدن النيابة، فهي تقع على خط العرض ٣٢ درجة شمالاً وعلى خط طول ٣٥ درجة شرقا، كما تبعد قرابة ٥٥ كيلومترا شرقا من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقرابة ٣٠ كيلومترا غربا من نهر الأردن وبذلك كانت بعيدة عن طرق التجارة القديمة البرية المعروفة، فضلا عن بعدها عن البحر المتوسط والبحر الأحمر، وهذا لم يجعل من المدينة المقدسة أحد الموانى المهمة التي كان لها دور مهم في التجارة العالمية في فترة عصر المماليك[٣]، إلا أنها كانت مقصدا للحجاج المسيحيين واليهود، وقدسا للمسلمين لوجود المسجد الأقصى بها أولى القبلتين وثالث الحرمين.

كما أن المدينة المقدسة تقع على أربعة جبال؛ هي جبل موريا القائم عليه المسجد الأقصى، وجبل صهيون، وجبل أكرا حيث توجد كنيسة القيامة، وجبل طور زيتا، كما يحيط بالمدينة أربعة جبال؛ هي جبل أبو عمار، وجبل الزيتون، وجبل المشارف، وجبل المنظار. وأغلب هذه الجبال على ارتفاع من سطح البحر، وترتفع المدينة عن مستوى سطح البحر قرابة ٨٩٢ مترا وتحيط بها عدة مرتفعات هي عبارة عن تلال متوسطة الارتفاع، ويفصل ما بين تلك التلال والجبال المحيطة بها عدة أودية مثل: وادي جهنم، ووادى القدرون، ووادى زيتا، وغيرها[٤].

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٠، ١٠١. والدرجة قدر ما تقطعه الشمس في يوم وليلة من الفلك وفى مساحة الأرض، وتنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة ستين ثانية. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٢٢.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ١٠٢، ١٠٣؛ محمد محمد شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الاقصى، عمان ٢٠٠٣م، ج١، ص ١٧٣ .

(٣) عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، دار الكتب المصرية ١٩٧٤ م، ص ١٣.
Amiry (M.A.): Jerusalem, Arab Origin and heritage, London 1948,p.8.

(٤) عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ١٤ – ١٥.

وللمدينة المقدسة عشرة أبواب؛ هي باب المغاربة، وباب صهيون، وباب المحراب، وباب لد، وباب الساهرة، وباب العامود، وباب الرحبة، وباب الأسباط، وباب الداعية، وباب دير السرب[1]، وتضم المدينة أبنية كثيرة داخل وخارج السور.

التضاريس والمناخ:

يطالعنا الجغرافيون بوصف لتضاريس المدينة، وهو لا يختلف كثيرا عما سبق توضيحه من أن المدينة على أرض جبلية وعرة تحيط بها الجبال من كل جانب وتكثر بها الهضاب، ومناخها ينسب إلى مناخ إقليم البحر المتوسط[2] ويبلغ متوسط درجة الحرارة الشهرى في الشتاء ٩ درجات في شهر يناير، أما في فصل الصيف فمتوسط درجة الحرارة ٢٥ درجة في شهر أغسطس، والأمطار تهطل فوقها بما يقارب ٥٥١ ملليمترا سنويا وقد يسودها بعض فترات الجفاف، وأما الرياح التي تهب على القدس فهى شمالية غربية في فصل الصيف وغربية كثيرة الهبوب في فصل الشتاء[3].

أبنية المدينة:

وفى وصف لأبنية المدينة يقول مجير الدين: "إنها مدينة مشحونة البناء تقع مبانيها على علو وانخفاض"[4] وإيضاحا لهذا الوصف، تقع أبنية مدينة بيت

(١) مجير الدين: الأنس الجليل، ج٢، ص١١١، وقد تطلق أسماء أخرى على هذه الأبواب، فباب صهيون مثلا يطلق عليه باب حارة اليهود، وباب لد يطلق عليه باب داود الغربي، وباب المحراب يطلق عليه باب الخليل، المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن ١٨٧٧م، ص ١٤٠، ١٤٤، ١٦٧.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، عنى بتحقيقه وطبعه رينوه، وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، ص٢٣١ .

(٣) الموسوعة الفلسطينية: مج٣، ص٥١٠.

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٢؛ محمد محمد شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ج١، ص ١٧٣.

المقدس في وادٍ، وغالبيتها في الأماكن العالية وتشرف على ما هو دونها، وجميع الأبنية في غاية الإحكام والإتقان جميعها بالأحجار الفص النحيت، وسُقُفها معقودة وليس في بنائها لَبِن ولا في سقوفها خشب، ومثلها في ذلك بناء مدينة الخليل وبناء مدينة نابلس؛ وذلك لأن المدن الثلاث في الجبل وأحجاره كثيرة متيسرة[1]، وأبنية القدس كثيرة وقد عبر عنها مجير الدين بقوله :"إن البناء فيها مشحون" بحيث لو تفرق على غالب مملكة الإسلام لكان حجم المدينة ضعف ما هو الآن"[2].

ويرجع السبب في ذلك إلى سور المدينة الذى جُدِّد وحُصِّن في عهد الأيوبيين، فأعاد صلاح الدين بناء ما تهدم منه، وحفر الخنادق وبنى الأبراج على هذا السور، ثم قام السلطان المعظم عيسى بهدمه خوفا من خيانة أخيه الملك الكامل عام (٦١٦ هـ/١٢١٩م) إلا أنه لم يعمل على ترميمه[3] بعد ذلك، وظل السور على هذا الشكل حتى واصل المماليك ترميمه وتجديد ما تهدم منه، حتى جاء السلطان العثمانى سليمان خان - الذى عرف في كتابات المؤرخين بسليمان القانونى- في عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) فأعاد تحصين السور وجعله عظيم الأركان قوى البنيان، وبلغ طول السور الشمالى ٣٩٣٠ قدما، والشرقى٢٧٠٤ أقدام، والجنوبى٣٢٤٥ قدما، والغربى٢٠٨٦ قدما، أما ارتفاع السور فيتراوح بين ٣٨ قدما، و٤٠ قدما ويزيد عرضه على المترين في بعض الأماكن[4]، وللسور مجموعة من الأبواب؛ منها باب الساهرة، وباب الأسباط، وباب المغاربة، وباب العمود، وباب خان الزيت.

---

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٣؛محمد محمد شراب: المرجع السابق، ج١، ص١٧٣ – ١٧٤.
(٢) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص١٠٣.
(٣) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، القاهرة ١٩٧٢، ج٤، ص٣٢؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص١١٤.
(٤) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص٢٨؛ ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، تحقيق أحمد زكى باشا، ومحمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث التاريخى، ٢٠٠١م، ج١، ص١٧٥.

وهذا جعل المدينة تبدو وكأنها مدينتان(١)؛ حيث كانت هناك أبنية داخل السور؛ وبعد بنائه مرة أخرى ظهرت أبنية خارج السور، ومما يؤكد هذا الأمر أقوال الرحالة اليهود الذين زاروا المدينة في الفترة البينية لإعادة بناء السور؛ حيث ذكر الرابى ميشلوم بن مناحم (R. Meshullam Ben Menahem) الذى زار القدس عام (٨٨٦ هـ/١٤٨١م) : "ها هى القدس مدينة بلا أسوار ما عدا بعض البقايا حيث دخلت من هناك"(٢) - يقصد باب الخليل- ويطلعنا الرابى عوبيديا الذى زار المدينة في عام (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) على وصف للمدينة فيقول: "القدس مدينة خربة مهجورة وغنى عن القول أن لا أسوار تحيط بها"(٣)، إشارة إلى تهدم السور في الفترة التي زار عوبيديا فيها المدينة، هذه العبارات يمكن أن نخلص منها إلى أن المدينة غير محصنة البناء، فطبيعة المدينة ووقوعها على قمة جبل جعلها محصنة طبيعيا.

ونحتاج لوقفة مع وصف عوبيديا للمدينة المقدسة، إذ يتعارض وصفه للمدينة مع ما أكده مؤرخو المسلمين وخاصة معاصره المسلم مجير الدين من أنها مدينة محكمة البناء غاية في البهاء؛ بينما حرص عوبيديا على إظهارها في وصفه بأنها مدينة خربة شاحبة مهجورة، ويمكن عزو تلك المخالفة للواقع إلى أن للدين اليهودى دورا كبيرا في التأثير النفسى على كل من عوبيديا وميشلوم بن مناحم؛ فكلاهما مؤمن بفكرة أنه سيأتى يوم تتم فيه عمارة المدينة المقدسة على أيدى بنى إسرائيل، وهذا ما جعلهم يخالفون الواقع ويغضون الطرف عن إظهاره، وموافقة وصف مؤرخى المسلمين للمدينة.

وفى موضع آخر يظهر تناقض عوبيديا مع نفسه في وصفه للمدينة فنجده يصف أسواق المدينة قائلا:"يوجد في المدينة أربع أسواق طولية، من أجمل ما رأيت، وكأنى لم أر بهاءً يماثلها، وتضم بضائع من شتى الأنواع، وهى مقسمة

(١) أمنون كوهين: القدس دراسات في تاريخ المدينة، ترجمة سلمان مصالحة، نشر ياد يتسحاق بن تسفى، القدس ١٩٩٠م، ص١١٣.

(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, London, 1930, p.189.

(3) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.234.

إلى محلات بيع مختلفة حيث الدكاكين الخاصة بالتجار ودكاكين خاصة بالتوابل وأسواق بيع الخضار وفى إحدى هذه الأسواق كان الطعام يباع مطهيا، وكذلك يباع الخبز" [١]. فكيف تكون مدينة خربة مهجورة من سكانها وتكون أسواقها على هذه الحال من الازدهار والبهاء كما وصف عوبيديا ؟!.

كما أن معاصره ميشلوم بن مناحم وافقه في هذا الوصف حيث قال: "وأقاموا بها - يقصد الأسواق - محلات لكل أنواع التجارة"[٢]، وللإنصاف نجد أن كلاً من وصف ميشلوم وعوبيديا يتفق مع وصف المؤرخ مجير الدين الحنبلى للأسواق، بل الأكثر من ذلك كان وصف المؤرخ مجير الدين الحنبلى لأسواق المدينة أكثر وضوحا وتفصيلا حيث أكد على حسنها وإحكام بنائها وإيضاح أسمائها، فذكر سوق العطارين وسوق القطانين المجاورة لباب المسجد الأقصى من جهة الغرب وتليهما سوق الخضراوات في الوسط، ثم سوق القماش جهة الشرق[٣]. وتحتوى المدينة على عدد من المَحِلات (الأحياء) يضم كل واحد منها مجموعة من الحارات، مثل: حارة باب حطة، وحارة باب العمود، وحارة باب الساهرة، وحارتى الشرف والريشة اللتين سكنهما اليهود.

وتضم المدينة أيضا مجموعة من الأزقة منها النافذ مثل: زقاق المولوية، وغير النافذ والذى قد لا يتسع إلا لمرور شخص واحد مثل: زقاق أبى شامة، وابن نسيبة[٤].

ويخترق المدينة القديمة طريقان رئيسان، أولهما طريق يبدأ من الغرب ويتجه إلى الشرق يعرف بخط داود، وهو يبدأ من الساحة القريبة من القلعة حتى يصل إلى الأسواق ويلتوى قليلا إلى الجنوب، ثم يستمر شرقا إلى المنطقة التي تسمى

---

(1) Obadiah Berteanouro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, Puplished in Hotsa'at Proyekṭ Yerushalayim shel ha-C.G. Foundation, ha-Maḥlaḳah li-limude Erets-Yiśra'el, Universiṭat Bar-Ilan 1997,(in Hebrew), P.25, p.36.

(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.193.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٠.

(٤) كامل جميل العسلى: سجل أراضى لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ بتاريخ (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، الأردن، عمان١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٣٥.

بباب السلسلة، وعلى جانبي الطريق كان يوجد عدة أسواق منها سوق الحريرية، وسوق المبيضين، وسوق الطباخين، وعلى مقربة منه تقع منطقة درج العين التي يوجد بها سوق الصاغة[١]، ويعكس خطاب الرابى[٢] إسحاق بن مائير الذى زار القدس من عام (٨٨٦هـ/١٤٨٠م) إلى عام (٨٩١هـ/١٤٨٥م) جمال تلك الأسواق في القدس فيقول :"كل يوم يفتح في القدس سوق ومعرض في الأزقة الخمسة التي داخلها، لا يضر بها الشمس ولا الحر لأن القباب تعلوها كما يتسلل إليها الضوء عن طريق شبابيك ثبتت فوقها"[٣]، وهنا يشير إلى اهتمام المماليك بوضع أسقف لهذه الأسواق لحماية مرتاديها من الشمس، والطريق الثانى هو الذى يعرف بخط البندقيين الذى ربط بين باب العامود شمالا حتى باب النبى داود (دير صهيون) في الجنوب[٤]. وبه مجموعة من القناطر مثل: قنطرة الأقواس الستة وقنطرة الليمون. وبه القنوات التي تغذيها بالماء مثل: قناة السبيل[٥]، وتحتوى المدينة على عدد من المؤسسات الخدمية مثل: القاعات والطواحين والإصطبلات والأفران والمَعاصِر والخانات والحمامات والمصابن والمدابغ والبيمارستانات.

ولم تخلُ المدينة من المؤسسات الثقافية من مدارس وخانقاوات وزوايا وأربطة، وتتسم المدينة بالطابع الدينى وهذا يرجع إلى العديد من الأماكن المقدسة فيها، وأهمها المسجد الأقصى أولى القبلتين.

---

(١) ابن المبرد: نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق، مخطوط ٢٤٤٥ عام، مكتبة الأسد دمشق، ص٣.

(٢) الرابى : "Rabbi"كلمة عبرية (ترد في صيغة الجمع إلا أنها تدل على المفرد وذلك للتعظيم) معناها الحرفي "سيدي"، أو "أستاذي"، وهي من كلمة "راف" العبرية ومن الجذر السامي" رب" بمعنى" سيد"، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٥، ص١٨٣.

(3) Adler , Elkan Nathan: Jewish Travellers , p.192.

(٤) يوسف درورى: القدس في عصر المماليك، مقال ضمن دراسات في تاريخ مدينة القدس، ترجمة سلمان مصالحة مراجعة د. إسحاق حسون، نشر ياد يتسحاق بن تسفى، القدس ١٩٩٠، ص ١١٢؛ د. فتحى عثمان: مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة في القدس، بحث مقدم ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩، ص٣٦.

(٥) كامل جميل العسلى: سجل أراضى لواء القدس، ص٣٥.

أهم الأبنية فيها:

المسجد الأقصى:

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا[١].

ويصفه مجير الدين بقوله: "المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة، وتحت القبة المنبر والمحراب"[٢].

وللمسجد عشرة أبواب، يدخل منها إلى صحن المسجد، وقد اهتم به سلاطين المماليك اهتماما كبيرا وأوقفوا عليه وعلى الصخرة الشريفة عدة قرى ومدن، واهتموا أيضا بإيقاد القناديل فيه على الدوام ويقال إن عدد القناديل التي أضيئت فيه على عهد المماليك ألف ومائتان وأربعون قنديلا مما لا يوجد في مسجد من مساجد الدنيا[٣]، ورتبوا فيه المدرسين والمعيدين والخُدَّام والمؤذنين، والقراء[٤].

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٤٢. وصفه محمد محمد شراب في كتابه معجم بلدان فلسطين، ص٦٧٩ بقوله: "المسجد الأقصى يقع في المنطقة المحاطة بالسور المستطيل جنوب شرق مدينة القدس فوق هضبة موريا، ومساحة المسجد تبلغ سدس مساحة المدينة القديمة وهو على شكل مضلع غير منتظم طول ضلعه الغربي ٤٩١ م، والشرقي ٤٦٢ م، والشمالي ٣١٠م، والجنوبي ٢٨١م، وللمسجد أربع مآذن هي مئذنة باب المغاربة الواقعة في الجنوب الغربي، ومئذنة باب السلسلة الواقعة في الجهة الغربية قرب باب السلسلة، ومئذنة باب الغوانمة الواقعة في الشمال الغربي، ومئذنة باب الأسباط في الجهة الشمالية".

(٢) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٥ – ٧٦ وللاستزادة من وصف وهيئة بناء المسجد وأبوابه وملحقاته والأماكن المشرفة فيه كالصخرة الشريفة ومقام إبراهيم ومغارة الدم، وأثر قدم النبي وغيرها من الأوصاف يمكن الرجوع إلى الصفحات المذكورة سابقا.

(٣) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٤ – ٧٥ .

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٧٥.

المدرسة الجاولية:

تقع هذه المدرسة في الركن الشمالي الغربى من المسجد الأقصى قرب منارة الغوانمة مطلة على الحرم، ذكرها ابن فضل الله العمرى فقال : "وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة علم الدين سنجر الجاولي - رحمه الله - وليس لها استطراق إلى الحرم"(١)، بانيها وواقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولى(٢) (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) نائب غزة، وقد أصبحت المدرسة "سكنا لنواب القدس"(٣)، "وكان قديما ينزل نواب القدس في زاوية الدركاه".

البيمارستان:

البيمارستان الصلاحى بناه السلطان صلاح الدين الأيوبى عام (٥٨٨هـ/١١٩٢م) مكان الكنيسة المجاورة لدار الإسبتارية بقرب كنيسة القيامة، وزوده بكل ما يحتاج إليه من العقاقير والأدوية والأطباء، وأوقف عليه، وقد اهتم المماليك بهذا البيمارستان وقاية لأهل النيابة من الأوبئة والطواعين وأضافوا إليه، بل تعدت وظيفة البيمارستان التداوى، وأصبح من معاهد تدريس الطب، وكان يُعيَّن للبيمارستان ناظر خاص برتبة أمير كبير. وقد وصف القلقشندى هذه الوظيفة بقوله: "إنها من أجلّ الوظائف وأعلاها"(٤).

والوثيقة رقم ٢٠ من وثائق الحرم القدسى المؤرخة في ٥ صفر سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) تخبرنا أنَّ أحدَ تجَّار بيت المقدس أوقف دارًا على مصالِح البيمارستان الصلاحي بخطِّ باب العمود، أحد أبواب مدينة القدس إلى الشَّمال

---

(١) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، ج١، ص١٥٩.

(٢) الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الأمير الكبير الشافعى، ولد سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م)، أصبح نائبا للشام، ثم نائبا لغزة ووقف العديد من الأوقاف بالقدس الشريف وغزة، ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، ص٢٦٦؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ق٢، ص٦٧٤.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٨٢.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨.

منها، على أن يُنفق من رِيع هذه الدار لشراء أدوية للمرْضى، وأغذيتهم، وأغذية المجانين وأدويتهم، وسائر ما يحتاجون إليه[1].

وإذا كان صلاح الدِّين قد حَرَص على تشييد هذا البيمارستان؛ لكي يستفيدَ من خِدْماته أهلُ القدس مسلموهم وذميوهم، فإنَّ هذا التاجر قد شارَكَ بدَور فعَّال في المحافظة على ذلك البيمارستان، وعلى أن يستمرَّ في أداء رسالته بعدَ وفاة صلاح الدِّين بأكثرَ من سبعين ومائة سَنَة.

القلعة:

حصن عظيم البناء بظاهر بيت المقدس من جهة الغرب بجانب باب الخليل، وأعظم أبراجها برج داود[2]، وللقلعة نائب غير نائب القدس ويتم توليته بناء على مرسوم سلطانى شريف[3].

وتدق الطبلخانة[4] على بابه في كل ليلة بين المغرب والعشاء، إلا أن هذه العادة أبطلت في أواخر عهد المماليك مما جعل مجير الدين الحنبلى يتأسف على ذلك قائلا : "وكانت تدق فيه الطبلخانة في كل ليلة بين المغرب والعشاء على عادة

(١) محمد غيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ص٤٨.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٩؛ ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٨م، ص٩٥-٩٦؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج١٢، ص٣٢٤.

(٣) ابن فضل الله العمرى: المصدر نفسه والصفحة، القلقشندى: المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الطبلخانة: مرتبة حربية لأرباب السيوف وصاحبها أمير مائة ويدق الطبل على بابه كما يفعل السلاطين، ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٧٤، ابن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، دار العرب للبستانى، مصر١٩٨٨م، ص١١٣، ابن كنان: جداول الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت١٩٩١م، ص١٨٢. ويضيف مجير الدين أنه في فترة الدراسة أبطل هذا الأمر وأصبح نائب القلعة كواحد من الناس؛ وذلك لتردى الأحوال وعدم إقامة النظام. مجير الدين: الأنس الجليل، ج٢، ص١١٠.

القلاع بالبلاد، وقد تلاشت أحوالها في عصرنا وتشعثت وبطل معها دق الطبلخانة وصار نائبها كآحاد الناس لتلاشى الأحوال وعدم إقامة النظام "[١].

وكان نائب القلعة بمثابة عين على نائب السلطنة، وقد قام السلطان الناصر محمد ابن قلاوون بإعادة ترميم القلعة عام (٧١٤هـ/١٣١٤م) إلا أن هذا الترميم لم تكن له فائدة في زيادة التحصين والأمن للمدينة، مما جعل ابن فضل الله العمرى في عام (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) يذكر رأيه في هذا العمل قائلا:" إن وجود القلعة أو عدم وجودها لا يغير من أمر الأمن شيئا حيث لا فائدة ترجى منها كما أنها لا تشكل أى تحصين للمدينة"[٢]، وقد كان ولاة القدس ونوابها يقيمون في القلعة قبل أن تتحول القدس لنيابة مستقلة[٣]، ويوضع البريد (الحمام الزاجل) تحت تصرف نائب القلعة لإبلاغ السلطان بكل ما يستجد في النيابة وأعمالها.

وممن تولوا نيابة القلعة الأمير شرف الدين موسى الردادى[٤] (ت٧٩٩ه/١٣٩٦م)، وبدر الدين حسن بن حشيم (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)[٥]. وقد اهتم العثمانيون بترميم القلعة فقام السلطان سليمان الثانى عام (٩٣٨هـ/١٥٣١م) بترميم أجزاء منها وأثبت ذلك بنقش كتابى عليها[٦].

اهتمام سلاطين المماليك بالمدينة:

كان لمكانة المدينة الدينية وقدسية أرضها أهمية خاصة عند سلاطين المماليك؛ لذا أولوا المدينة عناية خاصة على عكس ما يروجه الرحالة اليهود، وظهر في خطاباتهم التي كانوا يرسلونها لأهليهم في المناطق المختلفة، فنجد أن سلاطين وأمراء المماليك كانوا دائبين في الاهتمام بالمدينة؛ فقد قام السلطان قلاوون في

(١) المصدر نفسه والصفحة.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥.
(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج١٢، ص٣٢٥.
(٥) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٨١.
(6) Berchem, Max Van: Courpus Inscirptionum, Jerusalem, 1982, p.147.

عام (٦٨٩هـ/١٢٩٠م) بإصلاح سقف المسجد الأقصى[١] من الجهة الجنوبية الغربية، ورمم ابنه الناصر محمد بن قلاوون السور الجنوبى للحرم على مقربة من محراب داود[٢] في عام (٧٤١هـ/١٣٤٠م)، كما غطى حائط قبلة المسجد الأقصى بالرخام[٣] وسبك الذهب من جديد في قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة[٤]، وبنى القناطر في الجزء المرتفع من الدَّرَج الشمالى الذى يوصل من المنطقة السفلى من الحرم إلى المنطقة المرتفعة التي تقوم عليها قبة الصخرة[٥]، وقام بإعمار قناة السبيل.

وقام الأشرف شعبان (ت٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م) ببناء مئذنة باب الأسباط[٦]، وأمر السلطان برسباى (ت 842هـ/ ١٤٣٨م) بإدخال نسخة فريدة من القرآن الكريم مزينة ومنقوشة من أجل حراستها في المسجد الأقصى فقرئ فيها قبل صلاة الجمعة والأعياد[٧]، وقد واصل ورثته هذا النهج فقام كلٌّ من السلطان الأشرف قايتباى (ت٩٠١هـ/١٤٩٥م) بتعمير المدرسة المعروفة باسم المدرسة الأشرفية[٨] الأشرفية[٨] وقام بإيصال مياه الشرب إلى المبنى الموجود به سبيل قايتباى الآن في الجهة الشرقية من رواق الأعمدة الغربى[٩]. وقام السلطان قنصوه الغورى

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٥٦-١٥٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٠٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤١١.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٩.
(٦) المصدر نفسه: ج٢، ص٦١.
(٧)محمد كرد على: خطط الشام، ج٦، ص٨٩، يوسف الدبس: تاريخ سورية، المطبعة العمومية، العمومية، بيروت١٩٠٢م، ج٢، ص٥٠٧.
(٨) النعيمى: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، طبعة دمشق١٩٤٨م، ج٢، ص ٢٤١، والمدرسة الأشرفية تقع داخل المسجد الأقصى بالقرب من باب السلسلة عمرها السلطان الأشرف قايتباى وبدئ بحفر أساسها في عام٨٨٥هـ، وكانت قبتها ثالث القباب المهمة في القدس، وقد تكامل بناؤها في عام ٨٨٧هـ. محمد كرد على: خطط الشام، ج٦، ص١١٧-١١٨.
(٩) محمد كرد على: خطط الشام، ج٢، ص١٢٢.

(ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) بتغطية قبة المسجد الأقصى وقاعدة قبة الصخرة مرة ثانية بالرصاص، كما مسح جدران المسجد ودهن أبواب المسجد الأقصى بالألوان الزيتية[١].

ومن الأمراء الذين اهتموا بتعمير القدس الأمير تنكز (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) حيث بنى فيها مدرسة عرفت باسمه ودار حديث وخانقاه ورباطا وحمامين وقيسارية وسوقا أوقفه على المسجد الأقصى، وساق الماء إلى المسجد الأقصى ومدينة القدس[٢]؛ والأمير أرغون الكاملي حيث بنى فيها المدرسة الأرغونية (٧٥٨هـ/١٣٥٦م) وعَمَّر بالقدس التربة الأرغونية؛ والأمير طشتمر (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) الذى بنى التربة الطشتمرية[٣]؛ والأمير طاز الذى بنى المدرسة الطازية عام (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)[٤]، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل سارع أمراء وسلاطين المماليك ببناء الخانات والأسواق والقيساريات[٥].

ولاية نَابُلُس

نابلس إحدى مدن النيابة، وتبعد عن القدس قرابة خمسة وسبعين كيلومترا غربا، وحولها بساتين وتكثر فيها المياه الجارية والحمامات والمدارس وأشهرها المدرسة الفخرية[٦]، وقد وصف ابن بطوطة نابلس بقوله: "إنها تشتهر بالأشجار

(١) ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك، سلسلة الألف كتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢، ص٦٨.

(٢) ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ج٢، ص١٧٨ -١٧٩، محمد أحمد دهمان: ولاة دمشق في عهد المماليك، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤ طبعة ثانية، ص١٦٦.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٤٧.

(٤) محمد كرد على: المرجع السابق، ج٦، ص١٢٢. تقع المدرسة بخط داود بالقرب من باب السلسلة، واقفها الأمير طاز المتوفى عام (٧٦٣هـ).

(٥) المصدر السابق: ج٢، ص ٥٢، ٥٣، ١٦٧، ٣٠٤.

(٦) المدرسة الفخرية بناها القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بالديار المصرية في عهد الناصر محمد بن قلاوون. مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٢م، ج٩، ص٢٤٥.

وخصوصا أشجار الزيتون، ومنه يستخرج الزيت ويُصَدَّر إلى دمشق والقاهرة وجزر البحر المتوسط ويصنعون منه الصابون الجيد"[١].

ولكثرة ما يخص السلطان المملوكي قايتباي (ت٩٠١هـ/١٤٩٥م) من زيت نابلس، فقد كان يفرض بيعه على أهالي وتجار الرملة والقدس والخليل وغزة بأسعار باهظة مما سبب تذمر واستياء أهالي المدينة[٢]، وكثرت في المدينة أماكن صنع الورق[٣]، وقد وجد المسلمون في مدينة نابلس عند فتحها عام (١٥هـ/٦٣٦م) البئر التي حفرها سيدنا يعقوب وأصبحت بعد ذلك مزارا دينيا يتبرك بها الناس ويشربون ماءها[٤]، وقد لعبت المدينة دورا مهمًا في أواخر دولة دولة المماليك حيث أصبحت مصدرا لجمع الرجال وتجنيدهم في حرب سلاطين المماليك ضد السلطان العثماني بايزيد[٥].

ويتولى ولاية نابلس أمير رتبته أمير طبلخانة من قِبل نائب السلطنة بالقدس، ويساعده مجموعة من الأجناد في حفظ النظام والأمن في الولاية[٦]، وإصلاح أمور العربان في جبال نابلس، وقد كانت نابلس مسكنا لليهود السامرة[٧]، وفي عام (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨-١٤٩٩م) عادت ولاية نابلس إلى تبعيتها الإدارية لنيابة دمشق[٨].

(١) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأقطار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٢ م طبعة ثانية، ج١، ص٥٦؛ عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر ٢٠٠٠م، ص٤٨٨، انظر خريطة شكل رقم(٤) وشكل رقم(٥) بالملاحق.

(٢) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٧٣، ٣٧٤.

(3) Berchem, Max Van: Courpus Inscriptionum, p.11.

(٤) عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص٤٨٨.

(٥) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٠.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩.

(٨) ابن طولون الصالحي: مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٦٩.

ولاية الرملة:

الرملة مدينة قديمة نالت اهتمام الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك فجدد بناءها عندما كان أميرا على فلسطين، واتخذها حاضرة جنده[1] وتبعد الرملة عن القدس مسافة ثمانية عشر كيلومترا، في منطقة خصبة تحيط بها المزارع والحقول، وبها فنادق كثيرة وشوارعها نظيفة ومساجدها متسعة وقد وصفها الجغرافيون العرب بأنها ذات تجارة رائجة، وأسواق مملوءة بالسلع والبضائع المختلفة[2]، وعندما زار ابن بطوطة المدينة وصفها بأنها "مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، حسنة الأسواق، وبها الجامع الأبيض الذى بناه الخليفة سليمان بن عبد الملك، وهو جامع كبير في غاية الحسن والجمال"[3].

وكان للمدينة سور يحيط بها، ولكنه هدم نتيجة استيلاء الفرنج عليها لمدة مائة عام[4] بعد أن حررها السلطان صلاح الدين (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)، وقد تلاشت أسوار مدينة الرملة وقلعتها في العصر المملوكى، ولكن بقيت أسواقها عامرة نظرا لاهتمام سلاطين المماليك بتلك الأسواق[5]، وقد كان يتولى الرملة أمير مائة مائة إلا أن السلطان برقوق رفع رتبة متوليها إلى كاشف أمير طبلخانة[6]، وقد حدث هذا في نفس الوقت الذى تحولت فيه القدس إلى نيابة مستقلة، وممن تولوا كاشف الرملة الأمير تغرى برمش عام (٨١١هـ/١٤٠٨م) والأمير جان بلاط عام (٩٠٠هـ/١٤٩٤-١٤٩٥م)[7].

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٣، تحقيق سامى الدهان، المعهد الفرنسى للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٦م، ص١٨٠ - ١٨١.

(2) الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (القسم الخاص ببلاد الشام)، ص٤؛ لى سترانج: فلسطين في العهد الإسلامى، ترجمة محمود عمايرة، عمان١٩٧٠من ص٢٥٣.

(3) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٥٦.

(4) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل. ج٢، ص١٢٦-١٢٧.

(5) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٨.

(6) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩.

(7) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٧٣، المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ق١، ص١٥٠، ص٤٤٦.

وفى عام (٨٢١هـ/١٤١٨م)، اشترك كاشف الرملة مع نائب القدس في نجدة أمير الكَرَك ضد قبائل بنى عقبة الثائرة هناك، وتحولت الرملة عام (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) إلى استادارية وأصبح متوليها برتبة استادار [١] في عهد السلطان جقمق وظلت تابعة لنيابة القدس؛ إذ كان المرسوم يصدر من القاهرة بأن يكون لنائب القدس حق الكشف (إدارة ومتابعة) على الرملة ونابلس، من ذلك ورود مرسوم عام (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) من السلطان الأشرف برسباى للأمير طوغان؛ ليكون نائبا لبيت المقدس ويتولى نظر الخليل وكشف الرملة ونابلس [٢].

ولاية الخليل:

تقع مدينة الخليل إلى الجنوب من القدس في وادٍ بين الجبال، وسميت بالخليل نسبة إلى سيدنا إبراهيم الخليل الذى دفن في مغارة تحت الأرض، وله مسجد هناك وزوار، وقد وُقِفت بلد الخليل مع قرى أخرى كثيرة على هذا المزار، ويطلق عليها اليهود مدينة حبرون [٣]، وتشتهر المدينة بالأشجار الكثيرة المتنوعة كالزيتون والتين والعنب والتفاح.

وفاكهتها لا مثيل لها ويُصدر قسم كبير منها إلى مصر والبلاد المجاورة [٤]، كما تجود فيها زراعة القمح والشعير [٥].ووصفها ابن بطوطة عندما زارها بأنها

---

(١) استادار: كلمة مكونة من أستاذ بمعنى رئيس، ودار بمعنى مكان. وهى رتبة لأصحاب السيوف يقوم متوليها بالإشراف على إقطاع الأمير أو السلطان، والإشراف على الفلاحين أيضا، تاج الدين السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار وآخران، مطبعة الخانجى، القاهرة ١٩٩٣م، ص٢٦ .

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ق٢، ص٦٧٥.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٧٣.

(4) Le Strange, Guy: Palestine Under The Moslems(A Description Of Syria And The Holy Land From 650 A.D. To 1500, Published by Cosimo Classics in 2010, P.257.

(٥) ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص٧٣.

"مدينة صغيرة المساحة، كبيرة المقدار، حسنة المنظر، في بطن وادٍ، ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل، ومن أسواقها سوق الزياتين، وسوق الغزل"[(١)].

وفى العصر المملوكى أصبحت الخليل إقطاعا خاصا لنائب الكرك عام (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، إلى أن جعلها السلطان محمد بن قلاوون ولاية تابعة للقدس وعين عليها واليا مستقلا، وأصبح نائب القدس يتولى نظر الحرمين الشريفين : القدس والخليل [(٢)]، وكانت مدينة الخليل في العصر المملوكي تحتوى على حارات عديدة منها حارة الأكراد، وحارة النصارى، وحارة اليهود، وحارة الزجاجين، وحارة الدارية التي تقع غربى المسجد الأقصى وهى أحسن الحارات؛ لأن بها معظم أسواق البلد [(٣)].

وقد اهتم السلاطين المماليك بالمدينة وأقاموا فيها العديد من المدارس، والزوايا والأربطة والمساجد، وبالمدينة البيمارستان المنصورى الذى بناه السلطان المنصور قلاوون عام (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) ووقف عليه الأوقاف العديدة، ورتب فيه الأطباء لخدمة سكان الخليل [(٤)] وعندما أصاب الضعف والانحدار الدولة المملوكية في نهايتها، ولم يقوَ المماليك على مواجهة العثمانيين ؛عمدوا إلى جلب الرجال وتجهيزهم للقتال في صفوف القوات المملوكية لمحاربة السلطان بايزيد الثانى [(٥)]، ولم تُشِر المصادر العربية المتاحة إلى وجود والٍ مستقلٌ لمدينة الخليل، الخليل، كما كان في الرملة ونابلس، وتفسير ذلك أن ولاية الخليل كانت تتبع نائب القدس مباشرة وناظر الحرمين فيهما واحد.

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٥١.
(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩.
(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٨.
(٤) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص٧٩.
(٥) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص٤٠١، ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق١، ص٦١، ابن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك، ص١٠٥.

أحوال اليهود في نيابة القدس قبل فترة الدراسة:

شكلت الجماعات اليهودية التي عاشت في نيابة القدس قبل فترة الدراسة فئة من فئات المجتمع، وكان تواجدهم فيها إما بسبب الهجرة من إسبانيا وشمال إفريقيا، وتوطنهم في تلك البقعة الشريفة رغبة في دفن جثثهم في الأرض المقدسة، إما لتلقى العلم على يد علماء اليهود القاطنين فيها، إما لتأدية مناسك الحج للأماكن المقدسة المتصلة بهم في تلك المدينة.

وقد ذكر الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى الذى زار فلسطين عام (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) أنه رأى مدن فلسطين تكاد تخلو من اليهود، فقال: " لم أجد سوى مائة يهودى من السامرة في نابلس، ومائتان [١] في بيت المقدس يسكنون في منطقة واحدة تعرف ببرج داود". أما أغلب سكان المدينة فمن اليعاقبة والفرنج والأرمن والكرج. وقد عرَّج بنيامين على مدينة بيت لحم فوجد فيها اثنى عشر يهوديا، وفى بيت جبريل وجد ثلاثة من اليهود، ومدينة الرملة بها ثلاثة من اليهود ولكنه لم يجد يهوديا واحدا في مدينة الخليل [٢].

ويؤكد لنا الرحالة بتاحيا اليهودى الذى زار فلسطين عام (٥٧٦هـ/١١٨٠م) قبل تحرير صلاح الدين للقدس من أيدى الصليبيين تلك الحقيقة، ويذكر أنه رأى يهوديا واحدا في القدس يعمل صباغا. ولعل ذلك راجع إلى اضطهاد الصليبيين لليهود وسماحهم لعدد قليل من اليهود بالتواجد بالمدينة؛ لارتباط مصالحهم التجارية بتلك الفئة اليهودية التي تعمل بالتجارة وتجلب لهم المواد الغذائية [٣].

وكثير من المؤرخين قد أجمع على أن الوجود اليهودى في القدس زاد بعد تحرير السلطان صلاح الدين الأيوبى للمدينة في عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ؛ والسبب في ذلك يعود إلى التسامح الدينى الذى نعمت به المدينة في عهد هذا

---

(١) كذا وردت في نص بنيامين والصواب مائتين.

(٢) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين التطيلى، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافى، أبو ظبى، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٢م، ص٨١ – ٨٤.

Wright , Thomas: Early Travels in Palestine ,London 1889,p.83-85.

(3) Wright, Thomas: op. cit.,p.88 , The Jewis Encyclopedia , vol. vii, Funk and Wagnalls company, new york and London, p.132 –Art.Jerusalem.

الفاتح العظيم فجعل اليهود يقبلون من كل حدب وصوب، ويؤكد ذلك الشاعر اليهودى الإسبانى يهودا الحريزى الذى زار فلسطين عام (٦١٣هـ/١٢١٦م) حيث قال:"إن فتح صلاح الدين الأيوبى لبيت المقدس أعقبته هجرة عدد كبير من اليهود، وإن صلاح الدين لم يمنعهم من الإقامة في المدينة نظرا لأن كثيرا من النصارى بها قد دانوا بالولاء للصليبيين"(١)، كما أن الملك العادل أخا صلاح الدين قد استقبل عددا كبيرا من اليهود الوافدين عام (٦٠٨هـ/١٢١١م) وسمح لهم ببناء مدارس ودُور عبادة يهودية، واشتهر كل من الرابى الفرنسى شمشمون بن إبراهيم الشنازى، والرابى يوناثان اللونلى بأنهما رأس اليهود(٢) (أى من كبراء اليهود). ونتيجة لهذا التسامح دخل عدد كبير من اليهود الإسلام.

---

(1) Ibid. ,P.131 –Art.Jerusalem .

يذكر آشتور أن صلاح الدين قد انتهج سياستين مغايرتين في معاملة اليهود في مصر وفى بيت المقدس حيث يقول: "إن صلاح الدين في بداية توليه أصدر مرسوما بصرف أهل الذمة في مصر (أى إبعادهم عنها) ومنع استخدامهم في الأعمال السلطانية ودواوين الدولة عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، بينما سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس وعاملهم بتسامح كامل رأفة منه لما حدث لهم على أيدى الصليبيين، وقد ذكرت ذلك المصادر العربية، ونستطيع تعليل ما فعله السلطان صلاح الدين بأنه أصدر ذلك المرسوم في بداية توليه بهدف إبعاد كل من كان مواليا للفاطميين، أو للفرنجة من أهل الذمة، خوفا من محاولة التآمر عليه لإخراجه من مصر وقد صدق حدس صلاح الدين، فيذكر ابن الأثير أن بعض المصريين النصارى تحالفوا مع الفرنجة لإخراجه وكاتبوهم وتولى أحد اليهود في مصر كتابة الرسائل للفرنجة لمعرفته بلغتهم. ولكن صلاح الدين عندما أجهض هذه المحاولة عاد للاستعانة باليهود في الدواوين وذلك لخبرتهم الطويلة بالمسائل الإدارية، وفى ظل التسامح والأمن الذى أضفاه صلاح الدين على سنوات حكمه وأسرته من بعده نعم اليهود بالأمن وزاد تدفقهم على بيت المقدس. المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ص٤٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر بيروت١٩٨٣م، ج١١، ص٣٤٥؛ سلام شافعى محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمى الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص٣٧.

Eliayhu , Ashtor: Saladin and The Jews, Hebrew Union College Annual, vxxvll, Jerusalem, 1956, p.308.

(٢) ابن العبرى(جريجوريوس الملطى ت١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، نشر الأب أنطون صالحانى اليسوعى، بيروت ١٩٥٨م، ص٢٤٠ .

وتشير بعض المراجع إلى تدفق أعداد من اليهود سواء من المدن التي جلا عنها الصليبيون، أو من مدن أوروبا حيث وفد عدد من اليهود من عسقلان، ووفد عدد من اليهود المغاربة عام (٥٨٥هـ/١١٨٩م)، وفى عام (٦٠٧هـ/١٢١٠م) وفد عدد من اليهود الفرنسيين بالإضافة إلى مجموعة منهم أتت من ألمانيا[١]، وفى عام (٦١٢هـ/١٢١٥ م) ذكر الرحالة صموئيل بن سيمون؛ وهو يهودى وفد إلى فلسطين؛ أن أكثر من ثلاثمائة يهودى من الربانيين جاءوا من جنوب إنجلترا وفرنسا ليسكنوا الأرض المقدسة[٢].

والواضح أن تلك الهجرات اليهودية لم تكن تمثل شيئا بالنسبة لتعداد السكان في المدينة في نهاية العصر الأيوبى وبداية عصر المماليك؛ فمهما تحدث الرحالة اليهود عن وجود عدد من اليهود في فلسطين عموما وبيت المقدس خصوصا فإن هذا الكلام لا بد من أن يؤخذ بشيء من الحذر، ويجعلنا نبحث عن شهادة منصفين لا يميلون عن الحق في هذه المسألة، فنجد الرحالة اليهودى موشى بن نحمان الذى زار بيت المقدس عام (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) قد وجد بها اثنين من اليهود أخوين كانا يعملان بالصياغة[٣]ويفسر بعض المؤرخين قلة عدد اليهود في منطقة الدراسة في بداية العهد المملوكى بأن بلاد الشام عموما قد تعرضت لعدد من غزوات المغول، بالإضافة إلى بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل والطواعين، ولكن هذا التفسير غير مقبول؛ وذلك لأن مدينة بيت المقدس لم تتعرض للغزو المغولى أصلا ونعمت بالاستقرار تحت الحكم المملوكى، ويمكننا أن نعود للسبب الذى ذكره بعض الرحالة وهو الأقرب للصواب، وهو التسامح الدينى الذى جعل عددا كبيرا منهم يدخل في الإسلام طواعية.

ومن الطبيعى أن يجرى المماليك على عادة سابقيهم من الأيوبيين في معاملة اليهود بالنيابة، فقد سمح المماليك لليهود بالإقامة في بيت المقدس، بالإضافة إلى أنهم سمحوا لرجال الدين منهم أن يقيموا الطقوس الدينية اليهودية بالنيابة؛ لدرجة أن موشى بن نحمان والمعروف باسم نحمانديس بنى كنيسا يحمل اسمه[٤].

---

(1) The Jews Encyclopedia, vol. vii,p.131, (Jerusalem).
(2) Ibid.
(3) Ibid., P.132 .
(4) Ibid, vol. vii,p.132, Art. (Jerusalem).

وفى عام (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) قَدِم الرابى عوبيديا من إيطاليا ورأس جماعة اليهود[١]، وفوق ذلك فقد استعمل المماليك بعض اليهود وقلدوهم وظائف مرموقة ومهمة مثل وظيفة كبير التراجمة بالبلاط المملوكى، وكثير منهم عمل بالصناعة والتجارة وكانت لهم حوانيت أنيقة كما يخبرنا مجير الدين وبعضهم عمل بالصيرفة وسك النقود، وقد زاد الوجود اليهودى في المنطقة محل الدراسة في العصر العثمانى.

وعن سبب توافد اليهود إلى منطقة النيابة وخاصة بيت المقدس، يذكر لنا الرابى عوبيديا أن اليهود مرتبطون بالمدينة المقدسة لأغراض دينية منها التعبد والدفن فيها، أو للحج إليها، أو هربا من الاضطهاد الدينى الذى لاقاه يهود إسبانيا.

وقد عاش اليهود في ظل السلطة المملوكية في نيابة القدس في حى خاص بهم أطلق عليه حى اليهود (حارة اليهود) ،وإليها نُسب أحد أبواب المدينة فقيل باب حارة اليهود، والشارع الرئيس في هذا الحى يسمى شارع اليهود يصطف على جانبيه منازل يسكنها اليهود، وهذا الشارع يصل ما بين شارع داود وهو أحد الشوارع الرئيسة بالمدينة، وبين سور المدينة وهو ليس ببعيد عن بوابة صهيون [٢]، ويذكر مجير الدين أن اليهود يتركزون في حارة الريشة وحارة الصلتيين وحارة صهيون الجوانية[٣]. وتشير كثير من المصادر العربية والعبرية إلى أن اليهود عاشوا في حيهم حياة فقيرة؛ فهذا فليكس فابرى يقول: " إننى وجدت عددا من اليهود في القدس وقد كانوا يعرفون من خلال فقرهم الظاهر للعيان"[٤].

=لابد أن نأخذ الكلام بحذر شديد في هذه الناحية؛ فلم نستطع رصد كنيس لليهود أثناء فترة الدراسة إلا ما كان موجودا في حارتهم ملاصقا لمسجد المسلمين، وقد ذكره عوبيديا في خطاباته ووصفه بأنه معتم لا يدخله الضوء إلا من الباب، وما قاله عوبيديا يتفق مع ما ذكره مجير الدين عن كنيس اليهود الواقع في حى اليهود وبسببه وقعت فتنة بين اليهود والمسلمين سيأتى تفاصيلها في الفصول القادمة بإذن الله.

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.243.

(2 Marmorasch: Old and New Places in Palestine, Syria, and Lebonon, Jerusalem 1946, p.72.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٠٣.

(4) Fabri , Felix: Jerusalem Journey Pilgrimage To The Holy Land In The Fifteenth Century . London .1954 , p.94.

وتخبرنا وثائق (الجنيزة) أن اليهود عاشوا على الصدقات التي كانت ترسل لهم من بلادهم الأصلية أو ما يعرف (بالحالوقاه)[1] (חלוקה)، على اعتبار أن مساعدتهم من قَبيل الواجب الدينى، حيث قامت جماعات اليهود في أوروبا بتكوين جمعية (الحالوقاة) في القرن الخامس عشر الميلادى لجمع التبرعات وتقديمها إلى اليهود الذين يجمع بينهم الانتماء لبلد واحد [2]، فكانت الصدقات والهبات تقدم لليهود ذوى الأصول الألمانية، ثم تطور الأمر وطُبق ذلك على اليهود ذوى الأصول الإسبانية أيضا.

أما في القرن التاسع الهجري السادس عشر الميلادي، فتكونت جمعيتان لجمع التبرعات من يهود أوروبا والعالم، وكان الغرض من ذلك إنفاق تلك التبرعات على الأكاديميتين الدينيتين الكبيرتين في كل من بغداد والقدس [3].

وتخبرنا الوثائق بتفاصيل كثيرة عن الجزية المفروضة على غير المسلمين (أهل الذمة)، فتورد لنا أوامر الحبس لمن لا يدفع الجزية المقررة، وكذا تخبرنا عن ضرورة توافر براءة كاملة موثقة لمن يدفعها ؛لأن هذه البراءة تُعدُّ بمثابة جواز مرور في المناطق التي يتوجه إليها اليهود من مكان إلى آخر، وإذا لم توجد هذه البراءة لايسمح لليهودى بالدخول إلى أى منطقة.

---

(١) الحالوقاه: كلمة عبرية تعني "نصيب . قسمة". والمقابل العربي لكلمة "حالوقاه" العبرية هو "الصدقة" و كانت تُدفع للعلماء اليهود المتفرغين للدراسة الدينية في المدن المقدَّسة الأربع: القدس، وحبرون (الخليل)، وصفد، وطبرية، وأصبحت كلمة حالوقاه تُطلَق على المساعدات المالية التي كان يرسلها يهود العالم لمساعدة اليهود الذين استوطنوا فلسطين، وخصوصًا في القدس، وكرَّسوا حياتهم للتعبد ودراسة التوراة، انظر الوثيقة شكل رقم(١) بالملاحق.
-Sidney, B. Hoenig: Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls.,p.120 – 124 , Journal of Biblical Literature, The Society of Biblical Literature, vol. 83, No. 2 (Jun., 1964), pp. 119-121.

عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٤، ص١٤٢.

(٢) وليم فهمى: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، منشورات جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م، ص١٨، ص١٩.

(٣) د/صابر دياب: دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٤ لسنة١٩٧٧، ص ٧٠.

هذا، وقد قسم اليهود الموجودون بمنطقة الدراسة لمجموعتين: (السفارديم)[1] (Sephardim) الذين هربوا من الاضطهاد الدينى في بلاد إسبانيا والمنحدرين من أصول عربية، و (الأشكينازيم)[2] (Ashkenazim) وهم يهود أوروبا، وخاصة من جاءوا من ألمانيا وبولندا، بالإضافة إلى يهود المغرب.

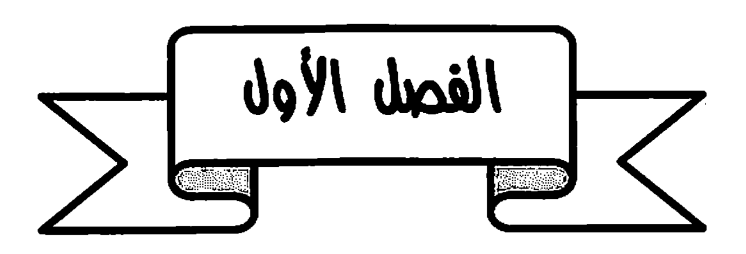
(١) اليهود السفارديم : هم يهود العرب، والمستعربة الذين عاشوا في كل من كردستان وطرسوس والعراق وفلسطين وبعضهم جاء من إسبانيا والبرتغال هربا من الاضطهاد الدينى هناك واستوطنوا النيابة في القرون السابقة على فترة الدراسة وبعضهم جاء إلى منطقة الدراسة هربا مما لاقوه من تعذيب على أيدى المسيحين، وهم ينتسبون في أصل أرومتهم إلى سام بن نوح وبالتالي هم يعدُون أنفسهم من سلالة إبراهيم عن طريق يعقوب بن إسحاق، وهذا الانتساب السلالى يشكل شرطا جوهريا في المعتقدات اليهودية، إذ إنهم يعتقدون أنهم أخذوا وعدا من الإله يهوه عندما أتى لإبراهيم في المنام بأن هذه السلالة ستكون شعب الله المختار بشرط أن يختتن وتختتن سلالته من بعده. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٢، ص١١٨؛ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، ١٩٨٩م، ج٣، ص٢١.

(٢) اليهود الأشكينازيم: هم طائفة يهودية عرفت باسم أشكيناز ظهرت في ألمانيا بكثافة في شمالي غرب أوروبا على ضفاف نهر الراين في القرن الحادى عشر الميلادى، لم يلتزموا بتعاليم الأحبار التلمودية، واقتبسوا العديد من العادات الاجتماعية من المجتمعات المسيحية التى عاشوا فيها، وهم ينتسبون إلى قبائل الخزر القوقازية التى عاشت في روسيا واعتنقت اليهودية في القرن العاشر الميلادى، ويتحدثون اللغة اليديشية وهى خليط من العبرية والألمانية، وهم يعدون أنفسهم شعب الله المختار برغم عدم انتسابهم إلى بنى إسرائيل، لذلك عمد الباحثون اليهود إلى تزييف الحقيقة والاعتماد على الأسطورة ونسبوا قبائل الخزر إلى بنى إسرائيل، فأطلقوا عليهم "القبائل العشر الضائعة" التى أبعدها الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد، ولكن الأساطير ما تلبث أن تنكشف فقد وجدت وثيقة جنيزة عبارة عن خطاب أرسله يوسف ملك الخزر إلى حسداى بن شبروت مستشار الخليفة الأموى في الأندلس عبدالرحمن الثالث في القرن العاشر الميلادى يحكى فيه كيفية اعتناق قبائل الخزر الديانة اليهودية، "وأنهم ينتسبون في أصل أرومتهم إلى يافث بن نوح عن طريق حفيده جومر جد القبائل التركية." القلقشندى: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص١٥، ويؤكد ذلك ما ورد في سفر التكوين عن توزيع شعوب العالم أن أشكيناز انحدروا من جومر بن يافث بن نوح، وعليه فأشكيناز تعنى يهود الخزر؛ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ص٢٥، سفر التكوين، إصحاح ١٢، فقرة ٨، ٩.
Feldman, Rabbi Irwin: Do Ashkenazi Jews have a Higher than expected Cancer Burden, Israel Medical Association Journal, vol. 3, 2001, P.341

وعن التقسيم الديني لليهود في منطقة الدراسة أشارت الوثائق العبرية والمصادر العربية إلى وجود ثلاث طوائف من اليهود؛ هم (الربّانيون، والقرّاءون، والسامرة) وسوف يأتي الحديث عنهم تفصيلا خلال فصول الدراسة.

أما عن النشاط الاقتصادي المحدود الذى قام به اليهود في العصر المملوكي في منطقة الدراسة، فلم تنسَ الوثائق أن تخبرنا به حيث تذكر حجم التجارة والأماكن التي يرتادها التجار والحرف الصناعية؛ وخاصة عصر الزيت والدباغة وغيرها من المهن الفقيرة التي عمل فيها اليهود.

وعن الحياة الاجتماعية لليهود لم تغفل الوثائق ذكر هذه الأمور، مع توضيح لأهم العادات والاحتفالات الاجتماعية التي تخص المجتمع اليهودي؛ ولعل ذلك يبرز في الخطابات العائلية المتبادلة، أو عقود الزواج، أو جلسات المحاكم اليهودية التي تعكس صورة حية لعلاقة اليهود مع المجتمع الذى يعيشون فيه.



القدس

والنواحى السياسية المتعلقة باليهود

- تاسيس نيابة القدس
- الوجود اليهودى بنيابة القدس
- اليهود والحياة السياسية بنيابة القدس
- الوظائف التي شغلها اليهود فى القدس

تأسيس نيابة القدس:

جرى المماليك على عادة سابقيهم من الأيوبيين فى تقسيم بلاد الشام إلى ست نيابات؛ هى: نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة الكَرَك، ونيابة صفد، ونيابة حماة، ونيابة عجلون. وكانت بعض هذه النيابات ثابتة لا يضاف إليها ولا يُنَقص منها والبعض الآخر ليست كذلك، وكل نيابة من هذه النيابات الكبرى انقسمت بدورها إلى أقسام إدارية صغيرة أطلق عليها القلقشندى اسم "ولايات" أو "نيابات صغار"(١).

وقد كانت القدس ولاية صغيرة، مثلها مثل: الخليل(٢) ونابلس(٣) وبيسان وبانياس وعجلون والصلت، تتبع نيابة دمشق من الناحية الإدارية، وكان نواب دمشق يهتمون بالمدينة فبادروا بإقامة المبانى العامة والأسواق واهتموا بتزويد المدينة بالمياه بشكل منتظم وعينوا القضاة لإدارة الأوقاف. ومن المرجح أنها استمرت كذلك فى أوائل العهد المملوكي(٤)، كما كان لقلعتها نائب يعينه " نائب دمشق "(٥).

ومن المعروف أن المماليك كانوا يضيفون ولايات صغيرة إلى بعض النيابات، أو يفصلون ولايات صغيرة أخرى ويحولونها إلى نيابات مستقلة تناط بعهدة أمير من أمراء السلطان وكان يطلق عليه "والٍ"(٦)، من ذلك ما قام به السلطان محمد بن قلاوون الصالحى (ت٧٤١هـ/١٣٤٢م) من فصل مدينة غزة وجعلها نيابة

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٩٩.

(٢) الخليل: يقال لها بيت حبرون وهى بلدة من جند فلسطين بها قبور سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) ونسائهم، القلقشندى: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٢.

(٣) نابلس: مدينة من جند الأردن يسكنها اليهود السامرة وبها آبار مياه كثيرة ويجرى الماء فى أرضها وبها جبل جرزيم الذى يحج إليه اليهود السامرة، وهى تقابل بيت المقدس من جهة الشمال تبعد عنها مسيرة يومين كثيرة الأشجار ويكثر بضواحيها زراعة الزيتون، القلقشندى: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٣؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٣٧.

(٤) انظر خريطة شكل رقم (٣)

(٥) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٤١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جدي دة على مدينة القدس، بحث مقدم للمؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام، إبريل ١٩٨٠م، ص٣٢.

(٦) القلقشندى: صبح الاعشى، ج٤، ص٢٤، مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٦٠٤- ٦٠٥.

مستقلة عام (٧١١هـ/١٣١١م -١٣١٢م)، وأكدت ذلك المصادر العربية؛ فهذا ابن تغرى بردى يقول: "حتى إن مدينة غزة هو الذى مصَّرها وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل كآحاد البلاد الشامية"[١].

ويذكر ابن حبيب العبارة نفسها ويزيد عليها قوله: "وجعل لها نائبا[٢] وسمى بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة"[٣]، ثم أضاف السلطان إلى نيابة غزة ولاية القدس[٤] والخليل ونَابُلس، وقاقون[٥] ولُدّ[٦] والرملة، والرملة، ونظر الجرمين الشريفين[٧]، وعهد إلي علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولى (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) بمهمة توصيل الماء من الخليل إلى القدس، والقيام ببعض المنشآت فى القدس، ثم ندبه فى عام (٧١٣هـ/ ١٣١٣م) لعَمل الروك بالشام[٨]، بالشام[٨]، وكانت القدس قبل أن يتولاها علم الدين سنجر نيابة صغيرة تابعة لدمشق لدمشق والمسئول عنها هو نائب دمشق. وممن تولى نيابة القدس من المماليك -

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٣٦ .

(٢) ابن حبيب (الحسن بن عمر بن حبيب الحلبى ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): المنتقى من درة الأسلاك فى دولة ملك الأتراك فى تاريخ حلب الشهباء، تحقيق عبد الجبار زكار، وتقديم سهيل زكار، دار الملاح سوريا ١٩٩٩م، ص٩٨ .

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٩٣، الرملة: مدينة من جند الأردن بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه وسميت بذلك لغلبة الرمل عليها، بينها وبين القدس مسيرة يوم، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٩٩.

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٣٧.

(٥) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل قاقون من عمل قيسارية من ساحل الشام . ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٩ والمقصود فى العبارة أنها مدينة من فلسطين ذكر عنها القلقشندى أنها مدينة لطيفة غير مسورة بها جامع وحمام وشربها من ماء الآبار، بينها وبين لد مسيرة يوم. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٠.

(٦) لد: بلدة من جند فلسطين، تبعد عن الرملة بقراية ثلاثة فراسخ، القلقشندى: المصدر السابق السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٧) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٢٧٢، ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٩٢.

(٨) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٦، والروك: كلمة قبطية تعنى قياس الأرض وحصرها فى سجلات وتثمينها، أى تقدير درجة خصوبتها لتقدير الخراج عليها، ابن تغرى بردى : المصدر نفسه، ج٩، ص٤٢، حاشية ٩.

ممثلا لنائب دمشق فيها - الأمير كراى المنصورى عام (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، فى عهد السلطان بيبرس الجاشنكير (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)[١].

وفى عام (٧١٤هـ/١٣١٤م)، ربط السلطان محمد بن قلاوون القدس بنيابة غزة وبالتالى أصبح نائب غزة هو نائب القدس بالإضافة إلى نظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل)، ولكن هذا الإجراء الإدارى قُيِّد بأن تكون المكاتبات كلها إلى نائب غزة والقدس صادرة عن نائب دمشق، وذلك يشير إلى أنهما ما زالتا تابعتين لنيابة دمشق إداريا، مما أثقل على النائب علم الدين سنجر فرفض هذا الأمر فانتزع منه السلطان محمد بن قلاوون نيابة القدس وسجنه فى الإسكندرية عام (٧٢٠هـ /١٣٢٠م)، ثم عفا عنه فى عام (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) وجعله فى أمر المشورة"[٢].

وهكذا ظلت نيابة القدس تتبع نيابة دمشق، والدليل على ذلك أنه عندما زار السلطان محمد بن قلاوون القدس عام (٧١٧هـ/١٣١٧م) طلب من نائب دمشق تنكز الناصرى (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م) أن يلقاه بإقامة الزينات ويكون فى استقباله هناك[٣]، وكانت تولية الوظائف المختلفة فى نيابة القدس تتم من قبل نائب دمشق[٤].

أضف إلى ذلك أن القدس كانت ذات أهمية سياسية بالنسبة لسلاطين المماليك، وعلى الرغم من ذلك لم يهتموا بعمل خط بريد مباشر بينها وبين مركز السلطة المملوكية فى القاهرة؛ فعندما أنشأ السلطان بيبرس (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) خطوط البريد بين أنحاء الدولة المملوكية، قام بشق شبكة طرق وبنى محطات بريد وجسورا بهدف الاتصال السريع بين مدن النيابات المختلفة وبين قلعة الجبل بالقاهرة، وهذه الشبكة من الطرق لم تمر عبر مدينة القدس، وقد سار على نهجه بقية سلاطين المماليك، ولم يوجد سوى طريق واحد قائم بين القدس والرملة بهدف

(١) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج٩، ص٩٠.
(٢) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، ج٢، ٢٦٧؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج٩، ص٩٠.
(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٥٥.
(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٩٩.

خدمة الحجاج المسيحيين واليهود الذين يؤمون المدينة المقدسة بغرض الحج [1].

وهنا تبرز عدة أسئلة :

- متى أصبحت القدس نيابة [2] مستقلة عن نيابة دمشق [3] ؟
- ما الأسباب التى دعت سلاطين المماليك إلى أن يجعلوا القدس نيابة مستقلة؟
- هل ظلت القدس حتى أواخر عهد المماليك نيابة مستقلة؟
- ما مصير نيابة القدس فى عهد العثمانيين؟

عند استعراض المصادر العربية التى تحدثت عن تحديد تاريخ انفصال القدس عن نيابة دمشق وتحويلها إلى نيابة مستقلة تحديدا دقيقا نجد اختلافا بين المؤرخين، فابن تغرى بردى يذكر تولى الأمير كراى المنصورى نائبا للقدس عام (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، وابن حبيب ومجير الدين الحنبلى، وابن تغرى بردى أيضا - فى موضع آخر من كتابه - يذكرون تولية علم الدين سنجر الجاولى نيابة غزة؛ مضافا إليها نيابة القدس الشريف وبلد الخليل (عليه السلام) فى عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) [4].

وفى موضع آخر يذكر مجير الدين نفسه أن الأمير تمراز المؤيدى تولى نيابة القدس فى عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) [5]، ويوافقه فى ذلك مؤرخ الشام ابن قاضى شهبة عند حديثه عن أحداث عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، فيقول: "وأعطى تمراز نيابة

---

(1) Drory, J: Jerusalem During the Mamluk; Period, an essay in Muslim Literature in the Praise of Jerusalem, Jeruslaem, 1981,p.105.

(٢) النيابة فى العرف المملوكى تعنى المملكة، ويليها أمير من أمراء المئات أو مقدمى الألوف، الموسوعة الفلسطينية، بيروت ١٩٩٠م، مج٢، ص٥٦٢.

(٣) كان يطلق على نيابة دمشق فى العصر المملوكى نيابة الشام وكثر هذا فى المصادر التاريخية العربية .

(٤) ابن حبيب: المنتقى من درة الأسلاك فى دولة ملك الأتراك فى تاريخ حلب الشهباء، ص٩٨، ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ج٢، ص ٩٢، مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٢٧٢ .

(٥) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٨٨ .

القدس ونظر الحرمين"[١]، ويذكر القلقشندى أن نيابة القدس قد استُحدثت فى عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) "ونيابتها إمرة طبلخانة"[٢].

وجرت العادة أن يضاف إليها "نظر القدس والخليل"[٣]، أما الخالدى فيذكر أن نيابة القدس قد استحدثت فى عام (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) "وأصبحت طبلخانة[٤] وصار متوليها من الأبواب الشريفة السلطانية (أى بأمر من السلطان المملوكى) فى القاهرة ويضاف إليها الرملة ونابلس"[٥].

ويقول المقريزى فى إشارة صريحة لاستقلال القدس بوصفها نيابة وتعيين نائبها مباشرة بقرار من القاهرة وكان قبلا يصدر من نائب دمشق:"فعين السلطان برقوق (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) الأمير قردم الحسينى، وهو فى غزة أثناء توجهه لمحاربة التتار بزعامة تيمورلنك وذلك فى أحداث عام (٧٩٦هـ/١٣٩٣م) "[٦] مشيرا إلى سبب ذلك، وهو "الخطر التترى الذى أخذ يهدد الدولة المملوكية وبلاد الشام ويضغط عليها بشدة، لذلك خاف السلطان الظاهر برقوق على المدينة

---

(١) ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، مج٣، ص٤٨١. وفى الموضع نفسه يذكر ابن قاضى شهبة نقلا عن ابن حجى أن تمراز هو أول من ولى نيابة القدس.

(٢) أمير طبلخانة: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف فى الدولة المملوكية وصاحبها يلى أمير مائة، وهو الأمير الذى يكون بخدمته أربعون مملوكا وتدق ببابه بعد صلاة المغرب كل يوم ثلاثة أحمال طبلخانة ونفيران وتوقد المشاعل، كما يُدَق الطبل على بابه كما يفعل السلاطين والطبلخانة تعنى الفرقة الموسيقية السلطانية، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩، ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأسفار وعجائب الأقطار، ج١، ص٣٧، ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٧٤، ابن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص١١٣، ابن كنان: جداول الياسمين فى ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، ص١٨٢، ويضيف مجير الدين أنه فى فترة الدراسة أبطل هذا الأمر، وأصبح نائب القلعة كواحد من الناس وذلك لتردى الأحوال وعدم إقامة النظام. مجير الدين: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٩ – ١١٠.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩.

(٤) يعنى هذا الأمر أن متولى القدس تكون رتبته أمير طبلخانة، وقد سبق توضيح ذلك.

(٥) الخالدى: المقصد الرفيع المنشا فى صناعة فن الإنشا، مخطوط، ص١٤٧.

(٦) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص ١١٢.

المقدسة مما دفعه لاستحداث نيابة مستقلة كي تستطيع الوقوف في وجه ذلك الخطر من ناحية، ومحاولات الصليبيين المستميتة في تحقيق حلم السيطرة على القدس من ناحية أخرى"[١].

ويضيف المقريزي سببا آخر هو احتذاء السلطان برقوق بما فعله السلطان الأشرف شعبان (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، في تحويله للإسكندرية إلى نيابة مستقلة بعد غزو بطرس لوزجنان (Pierre de Lusignan) لها عام (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، وتزويدها بالعتاد والرجال لحماية السواحل المصرية والشامية من الخطر الصليبي[٢].

ولعل كل الإشارات السابقة توضح تضارب آراء المؤرخين في تحديد التاريخ الذي تحولت فيه القدس إلى نيابة مستقلة، لكن بعضها يؤدي إلى نتيجة ظاهرية ألا وهي أن نيابة القدس لم تستقل استقلالا كاملا عن نيابة الشام (دمشق)، إلا أن المؤرخ ابن حجر العسقلاني في حديثه عن أحداث سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) يقول: "وفيها استقر تمراز[٣] في نيابة القدس وهو أول من ولي نيابتها، وكان قبل ذلك

(١) قام الفرنج في عام (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) بالهجوم على طرابلس الشام ونهبوا الأسواق، وحملوا معهم بعض الأسرى وقتلوا آخرين، ثم قام لوزجنان ويطلق عليه أيضا بطرس الأول وهو ملك قبرص، بحملة صليبية على الإسكندرية عام (٧٦٧هـ/١٣٧٦م) بغرض الوصول إلى بيت المقدس عن طريق القاهرة، لذلك أقام السلطان الأشرف شعبان خطا دفاعيا قويا على الحدود الشرقية لدولته وأحكمه بشبكة اتصال قوية تربطه بالقاهرة؛ كي يقف في وجه ذلك الخطر؛ خاصة وأن الخطر الثاني من قبل التتار أخذ يهدد المنطقة في عام (٦٩٩هـ، وعام ٨٠٣هـ) بحملات وجهت ضد تلك المنطقة بقيادة غازان وتيمورلنك .المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ص٢٨٤-٢٨٥، ص٣١١، ابن حجي: تاريخ ابن حجي، مج١، ص٥٠٩- ٥١٠، يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ١٩٨٢م، ص١٧.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ق١، ص١٤٩.

(٣) تمراز: سيف الدين تمراز بن عبد الله الناصري الظاهري، أحد مماليك الظاهر برقوق، رقاه لإمرة طبلخانة وولاه القدس، ثم عزل عنها وتولى نائب السلطنة بمصر، توفي عام(٨١٤هـ/١٤١٢م) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١، ص٣٥٠.

يكون فيها والٍ من جهة والى الولاة بدمشق"[1]، ويؤكد القلقشندى – وهو رجل يمثل نموذج الإدارى المؤرخ والعليم بالشئون الإدارية بحكم عمله فى ديوان الإنشاء– تلك الحقيقة فى معرض حديثه عن تمراز بقوله:" نائب القدس الشريف وهو ممن استُحدثت نيابته فى الدولة الأشرفية فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وكانت قبل ذلك ولاية صغيرة يليها طبلخانة "[2].

ويقول فى موضع آخر من كتابه :" إنها (أى نيابة القدس) كانت فى الزمان المتقدم ولاية صغيرة يليها جندى، ثم استقر فيها أمير طبلخانة فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة "[3]، وعلى هذا يمكننا تأكيد تحويل نيابة القدس من ولاية تابعة إلى نيابة مستقلة فى عام (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)؛ اعتمادا على قول المؤرخين ابن حجر والقلقشندى لقربهما الزمنى من تلك الأحداث بما لا يدع مجالا للشك[4].

ونصل إلى التساؤل الثانى الذى يدور حول تعليل ما فعله المماليك من تحويل القدس من ولاية صغيرة تابعة لنائب دمشق إلى نيابة مستقلة إداريا؛ فقد يكون السبب فى ذلك النظرية السياسية التى قام عليها الحكم المملوكى؛ وهى تتلخص فى أن أمراء المماليك اعتقدوا أن عرش البلاد حق لهم جميعا يفوز به أقواهم وأقدرهم على الإيقاع بالآخرين. وقد أدى ذلك إلى اعتماد المماليك على قوة ذات جناحين: أحدهما يتمثل فى القوة العسكرية للسلطان، تلك القوة التى يجسدها كثرة عدد مماليكه فاهتموا بالتقرب إلى الأمراء بتوزيع الإقطاعات واستحداث مناصب جديدة كإمرة الطبلخانة؛ والآخر يتمثل فى الواجهة الدينية التى حرص المماليك على التستر وراءها طوال فترة حكمهم فاهتموا بإعمار المدينة، والأماكن المقدسة فيها، وتعهدوها بالرعاية الدائمة[5].

ويظهر الاهتمام الدينى بالمدينة جليا فى وجوب حمايتها من الخطر الصليبى المتربص بها، ويتضح هذا الأمر من أقوال حجاج بيت المقدس من المسيحيين

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج١، تحقيق حسن حبشى، طبعة القاهرة عام١٩٦٩–١٩٧١م، ص١٠٧.
(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠١.
(٣) المصدر السابق، ص١٩٩.
(٤) على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٤ .

الغربيين؛ من ذلك ما قاله "سير جون مانديفيل" (Sir John Mandeville) الذى زار القدس عام (٧٢٢هـ/١٣٢٢م): "إن الرب لن يدع بيت المقدس تظل طويلا تحت حكم الخطاة و المذنبين"[١]، ويروى المقريزى خبر السفارة الموفدة من قبل ملك فرنسا فيليب السادس دى فالو (Philipp de Vallo) عام (٧٣٠هـ/١٣٢٩م): "فى طلب القدس وبلاد الساحل، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم"[٢].

وفى هذا الصدد يذكر ابن فضل الله العمرى حديثا دار فى حضوره بين أحد السفراء الفرنسيين وبين السلطان الناصر محمد بن قلاوون بخصوص طلبهم للقدس، ورد عليهم السلطان بقوله:" وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال التتار ونحن اليوم بحمد الله صُلْح، نحن والقدس من جنس واحد، ما يتخلى بعض عن بعض"[٣].

ويمكن إضافة سبب آخر لاستقلال النيابة هو شعور السلطان الأشرف شعبان بمدى قوة المدينة نظرا لوجود عدد كبير من أمراء المماليك الذين فضلوا الإقامة فيها بعيدا عن الفتن والقلاقل السياسية، أو الذين نفوا إليها تأديبا؛ مثال ذلك نفى الأمير بكُلُمُش العلائى أمير سلاح عام (٧٧٢هـ/١٣٦٩م) الذى" كان معتقلا بالإسكندرية مدة ثم أفرج عنه ورُسِم[٤] له بالإقامة بالقدس بطالا"[٥]. ويسوق ابن

(1) Wright, Thomas: Early Travels In Palestine, p. 165

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق٢، ص٢٩٩.

(٣) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٦٤؛ نظير حسان السعداوى: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى، القاهرة ١٩٦١م، ص١٥٣.

(٤) الرسم: من الترسيم وهو مصطلح مملوكى يعنى تعويق المتهم بمكان من الأماكن (تحديد إقامته) ويعين عليه حارس . وأيضا الترسيم حجز مؤقت لسداد غرامة ما، ووضع المتهم تحت المراقبة أو اعتقاله، ويقابله حديثا الحبس الاحتياطى، أو الحبس على ذمة التحقيق. المقريزى: المواعظ والاعتبار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٢م ج٢، ص٢٠٤، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٠، علاء طه رزق: السجن والعقوبات فى عصر المماليك، طبعة القاهرة ١٩٩٦م، ص٥٣، أبو سريع محمد: فقه السجون والمعتقلات، طبعة القاهرة ١٩٩٣ م، ص١٨؛ نظير حسان سعداوى: صور ومظالم عصر المماليك، القاهرة ١٩٦٦م، ص٤٧.

(٥) ابن الصيرفى: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٧١، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشى، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م، ج٢، ص٢٤.

قاضـى شـهبة مثـالا آخـر؛ حيـث نفـى السـلطان الظـاهر برقـوق عـام (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م): "الأمير قبقباى رأس نوبة إلى القدس وأعطى له خبزا (أى خصص له إقطاعا) يعمل فى السنة عشرين ألف درهم"(١). وذكر ابن حجر فى أحداث عام (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) : "وفيها أُمِر بنفى الأمير بيدمر من صفد إلى طرابلس، ثم شفع فيه فأقام بالقدس بطالا"(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطان لا يسمح بنفى أمير إلـى القدس إلا إذا كـان لا يُخشى منه خطر شديد مباشر، وهذا يوفر للمدينـة قوة عسكرية يمكن الركـون إليهـا لحمايتهـا إذا مـا تعرضـت لخطـر خـارجى حتـى تصلهـا النجـدة مـن القـاهرة ودمشق.

على أية حال، ظلت نيابـة القدس نيابـة مستقلة مثل بـاقى النيابـات حتـى نهايـة العصر المملوكى.وهذا يجيب **عن تسـاؤلنا الثالث**؛ إذ ظلت المكاتبـات السلطانية تخـرج مـن القـاهرة للقدس مباشـرة ومـا يتبعهـا مـن أعمـال. لذا نستطيع القول إن حدود نيابة القدس فى عصـر المماليك كانـت لا تـزال تضـم القدس وولايـة الرملـة ونـابلس والخليل واللد، وقاقون، حيث ذكـر الخـالدى أن متولى نيابـة بيت المقدس يكون من الأبواب الشريفة بالقاهرة -أى بأمر من السلطان فـى القـاهرة - ويضـاف إليها نظر القدس والخليل وربما أضيفت إليها الرملة ونابلس(٣)، وهى مدينة جميلة تبعد عن القدس مسـافة ٧٥كـم وتكثـر فيهـا الميـاه الجاريـة والحمامـات والمدارس وتشتهر بكثرة أشجار الزيتون ويكثر فيها أماكن صناعة الورق(٤).

ونقف عند نص تاريخى لأحد اليهود الذين زاروا القدس واستوطنوها فى نهاية عصر المماليك من خلال خطاب أرسله لوالده يقول فيه:

---

(١) ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، ج٢، ص٥٠٢، ويراد بالخبز الإقطاع.
(٢) ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج١، ص١٥٣.
(٣) الخالدى: المقصد الرفيع المنشا، مخطوط، ص ١٤٧.
(4) Berchem, Max Van: courpus inscriptionum, p.214.

"إن جميع أهل الجليل[١] يقولون إن حدود الأرض المقدسة شديدة القرب من دمشق، ويحتمل أن تكون صفد[٢] وبانوَرْسَا وتافاس ومَيذَريب كبرى مدن الجليل قريبة من دمشق وحدودها تمتد لتلامس حدود دمشق"[٣]. وهذا النص يتفق إلى حد ما مع الوصف الذى قدمه مجير الدين ليوضح حدود النيابة؛ مما يجعلنا نجزم بأن القدس وما تبعها من مناطق لم تكن ضمن حدود نيابة دمشق التى كان يطلق عليها نيابة الشام فى فترة حكم المماليك، بل كانت نيابة مستقلة عنها.

وأخيرا عندما حلَّ العثمانيون محلَّ المماليك أبقوا على نظام تقسيم النيابات كما كان على عهد المماليك، إلا أنهم أطلقوا مسمى آخر على النيابة وهو "لواء" أو "سنجق". وكان لواء القدس يتشكل من ثلاث نواحٍ، منها ناحيتان واسعتان هما ناحية القدس الشريف، وناحية خليل الرحمن؛ والناحية الثالثة ناحية صغيرة هى ناحية بنى عمر[٤] وتضم مجموعة من القرى والمزارع، لكن هذا التقسيم الإدارى تم تعديله بعد ذلك، فقد ذكر الحصر الإدارى للواء القدس عام (٩٣٨هـ/١٥٣١م)

---

(١) الجليل: تتألف هذه المنطقة من مساحات سهلية وتلية وهضبية وجبلية يحدها البحر المتوسط غربا وحدود فلسطين مع لبنان شمالا والحدود السورية والأردنية مع فلسطين شرقا، أما جنوبا فيرسم خط المنخفضات المتتالية عبر نهر جالود وسهول مرج بنى عامر ووادى نهر المقطع حدودها وهى مدينة خالدة عند المسيحيين؛ لأن السيد المسيح نشأ وتربى فيها، وجبال الجليل أكثرها مزروع بالعنب والتين والزيتون واللوز؛ حيث تنزل الأمطار بكميات وافرة، ومن أشهر مناطق الجليل صفد والناصرة، محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من أقدم مدن فلسطين التاريخية تقع فى الجليل الأعلى شمالا من مدينة القدس على بعد ١٣٤كم، وتطل المدينة على بحيرة طبرية ومرج بيسان، وكانت قديما تمثل مجرد قرية صغيرة وعندما زارها بنيامين التطيلى فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى لم يجد فيها يهوديا لكن بعض اليهود المهاجرين من إسبانيا استوطنوها فى القرن الخامس عشر، وفى القرن السادس عشر غدت مركزا دينيا يهوديا. ياقوت الحموى: معجم البلدان: ج٤، ٦٤٧.محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص١٨٥.

(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, London, 1930, P.249-250,Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, P.243.

(٤) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D. 427)، دراسة تحليلية للنص العثمانى، طبع عمان، ٢٠٠٥م، ج١، ص١٩. واللواء يُعدُّ وحدة إدارية ضمن الولاية.

أن الناحية الثالثة هى ناحية بنى زيد، وهذا يشير إلى عدم استقرار الوضع الإدارى بعض الشيء بسبب المرحلة الانتقالية من العهد المملوكى إلى العهد العثمانى.

كما أن التقسيم الإدارى عموما فى العهد العثمانى اتخذ شكل الوحدات الإدارية المنفصلة، التى هدفت إلى تحسين الأوضاع فى تلك الإدارات وتنفيذ سياسة السلطة الجديدة بشكل أفضل فى مواجهة هجمات البدو التى جعلت بعض أهالى تلك المناطق يهجرونها. وقد اتخذت السلطة العثمانية عدة خطوات لصد هجمات البدو وإخضاعهم وهو ما ساعد على استتباب الأمن بعض الشيء، وأدى إلى تطوير الزراعة والصناعة والحرف بالإضافة إلى تطوير طرق المواصلات والتجارة؛ وهذا بلا شك هو الذى جعل أعدادا من المهاجرين اليهود يجدون فى سنجق القدس وما حوله من قرى وضِياع مكانا للاستقرار؛ وصولا إلى الاستيطان فيها(١).

ويُطلعنا مجير الدين الحنبلى على حدود لواء القدس استنادا إلى أنه عاصر نهاية العصر المملوكى ومطلع العصر العثمانى مقسما إياها إلى قسمين: قسم يخص حدود مدينة بيت المقدس وما حولها من أعمال، والآخر يخص حدود بلد سيدنا الخليل وما حولها من أعمال، فيقول: "وأما الحدود المنسوبة لبيت المقدس غربا مما يلى القبلة فيطلق عليها عمل القدس الشريف ويسوغ لقضاة القدس الحكم فيه، فمن القبلة عمل بلدنا سيدنا الخليل (عليه الصلاة والسلام) يفصل بينهما قرية سيعير(٢)، وما حاذاها وهى من عمل القدس، ومن الشرق نهر الأردن وهو المسمى بنهر الشريعة، ومن الشمال عمل مدينة نابلس يفصل بينهما قرية سنجل(٣)

---

(١) أمنون كوهين: المشاريع التطويرية فى القدس فى مستهل الحكم العثمانى، ص١٢٨.

(٢) سيعير: قرية فلسطينية من أعمال محافظة الخليل تقع إلى الشمال الشرقي منها على مسافة ٨ كم، وترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٩٠٠ م، بها قبر العيص أخى سيدنا يعقوب (عليه السلام). مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، بيروت ١٩٧٢م، ج٥، ق٢، ص ١٨٢– ١٨٣؛ محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م، ص٤٤٨. ذكرها ياقوت فى معجم البلدان باسم صيعير، ج٣، ص٤٨٣.

(٣) سنجل: قرية فلسطينية تقع على الطريق الواصل بين نابلس ورام الله، وهى شمال رام الله وتبعد عنها ١٢ كم، وترتفع عن مستوى سطح البحر ٨٠٠ م؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت١٩٥٧م، ج٣، ص٣٠٠؛ محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٤٥٧، مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص٢٧٩ – ٢٨٢.

وعزون[1] وهما من أعمال القدس، وتتمة الحد رأس وادى بنى زيد وهو من أعمال الرملة، ومن الغرب مما يلى رملة فلسطين قرية بيت نويا[2] وهى من أعمال القدس، ومما يلى مدينة غزة قرية عجور[3] وهى من أعمال غزة"[4].

أما الحدود المنسوبة لبلد سيدنا الخليل (عليه الصلاة والسلام)، "فمن القبلة منزلة الملح[5] على درب الحجاز الشريف وقباب الساوية[6].

ومن الشرق قرية عين جدى[7] من عمل بلد سيدنا الخليل وبحيرة لوط، وهذا هو الحد الفاصل بين عمل سيدنا الخليل وعمل مدينة الكرك، ومن الشمال القدس الشريف يفصل بينهما قرية سيعبير وما حاذاها، ومن الغرب من الجهة المحاذية

---

(١) عزون: قرية فلسطينية من أعمال قلقيلية، وتقع على بعد ٢٤كم جنوب شرق طولكرم، ترتفع عن مستوى سطح البحر ما بين ٢٥٠–٢٧٥م. مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج١، ق٢، ص٦١٧؛ محمد محمد شراب: المرجع السابق، ص٥٣٢، الموسوعة الفلسطينية، ج٣، "مادة عزون"، ص٢٣٢.

(٢) بيت نويا: قرية فلسطينية من أعمال الخليل إلى الشمال الغربى على بعد ٧ أميال، وتقع جنوب شرق الرملة، تُعد الآن من قرى رام الله تشرف على طريق القدس. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص٧٨١؛ البغدادى: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م، ج١، ص١٨٦؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٣، ص٢٠٦.

(٣) عجور: تقع شمال غرب مدينة الخليل فى نهاية السفوح الغربية لسلسلة جبال الخليل، ترتفع عن مستوى سطح البحر ٢٥٠م، وهى مأهولة بالسكان منذ القدم لكثرة المناطق الأثرية فيها، وقد احتلت عام ١٩٤٨م. مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج٥، ق٢، ص٢٦٩ – ٢٧٤؛ محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٥٢٠.

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٤٨؛ محمد عدنان البخيت؛ ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج١، ص ١٨؛ صالح بن أحمد التمرتاشى: الخبر التام فى ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضى الشام، دراسة وتحقيق أحمد إبراهيم محمد الترك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ١٩٩٨م، ص٩٠.

(٥) منزلة الملح: هى تل الملح تقع على الطريق إلى الحجاز، شرق بلدة بئر السبع، على بعد ٢٤كم، مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٥، ق٢، ص١٠.

(٦) قباب الساوية: تنسب لبنى ساوة أمراء عرب جرم. مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٨٣ –٨٤؛ صالح بن أحمد التمرتاشى: الخبر التام فى ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضى الشام، ص٩١؛ مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج٥، ق٢، ص ١٠.

(٧) عين جدى: هى عين وبلدة معًا سُميت بذلك لكثرة جداء الوعول، وقد اشتهرت قديما بعينها ونخيلها وتبعد عن القدس ٥٣ ميلا. محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٥٥٧.

لرملة فلسطين قرية زكريا[١] وهى من أعمال الخليل، ومن الجهة المحاذية لمدينة غزة قرية سيمح[٢] المجاورة لقرية السكرية[٣] وبلاد بنى عبد وهى من أعمال الخليل"[٤].

وبناء على ما تقدم، نستطيع أن نقول إن حدود لواء القدس فى العصر العثمانى فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) على النحو الآتى: من الشمال حدود قريتَىْ سنجل وعزون وهما من عمل القدس، ورأس وادى بنى زيد من جهة الرملة، ومن الجنوب منزلة الملح على درب الحاج الشريف، وقباب الساوية، ومن الغرب رأس وادى بنى زيد الذى يفصل القدس عن الرملة، وبيت نويا (من عمل القدس)، وقرية عجور (من عمل غزة)، وقرية زكريا (من عمل الخليل)، وقرية سيمح و بلاد بنى عبد (من عمل الخليل)، ومن الشرق نهر الأردن وبحيرة لوط (البحر الميت) وقرية عين جدى[٥].

وهناك أمر مهم نستنبطه من السجلات العثمانية بالنسبة للوضع الإدارى للواء القدس؛ ففى عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) قسمت السلطة العثمانية فلسطين إلى ثلاثة ألوية؛ هى: لواء القدس وغزة، ولواء نابلس وصفد، ولواء السلط واللجون وهذه الألوية الثلاثة كانت تتبع ولاية الشام إداريا، بينما أظهر سجل تحرير عام

---

(١) قرية زكريا: تقع شمال غرب مدينة الخليل على الطريق إلى بيت جبرين، ترتفع عن مستوى سطح البحر ما بين٢٥٠- ٣٠٠م، مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، ج٥، ق٢، ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٢) قرية سيمح: يقال لها سمخ، قرية على الشاطئ الجنوبى لبحيرة طبرية إلى الشرق قليلا من مخرج نهر الأردن واسمها قديم ويعنى النور والضياء، وقد أقيم بدلا منها الآن مستعمرة تسيمح .محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٤٥٣ .

(٣) السكرية: هى خربة سكرير اليوم، وهى على الطريق بين الخليل وغزة، وهى من محطات البريد بين غزة والكرك، مر بها السلطان الأشرف برسباى فى زيارته للشام عام(٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م). مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٥، ق٢، ص ١٢، ٩٢.

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ١٤٨- ١٤٩؛ أمين مسعود أبو بكر: قضاء قضاء الخليل، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٤م، ص١١- ١٣.

(5) Hutteroth , Wolf-Dieter and Kamal Abdul Fattah: Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late Sixteenth Century, Erlangen ,1977, p. 279.

(١٥٦٨م -١٥٧٤م) أن السلطة العثمانية قامت بتقسيم فلسطين إلى خمسة ألوية؛ هي: صفد، والقدس، وغزة، ونابلس، واللجون، وكلها تتبع ولاية الشام إداريا [١]، وهكذا نرى أن العثمانيين قد ساروا على عادة سابقيهم من المماليك من إضافة أعمال أو مناطق للواء القدس، أو فصل مناطق عن اللواء، بينما أعادوا لواء القدس إلى تبعية ولاية الشام إداريا، فتخرج كل المراسيم الخاصة باللواء من نائب الشام ومن ثَم تتبع حاكم الشام. ويطلعنا دفتر تحرير (٥٢٢ mn) على حقيقة مقتضاها اعتبار السلطة العثمانية الألوية الخمسة السابقة وحدة واحدة، حيث كان كاتب الولاية ويطلق عليه (محرر الممالك) يسجل كل شيء يخص الألوية الخمسة في دفتر واحد [٢].

وفي سابقة لافتة للنظر نجد أن السجلات ودفاتر إحصاء السكان في لواء القدس في بدايات العصر العثماني، قد أوضحت أن كثيرا من قرى لواء القدس في نواحي القدس وبني عمر والخليل خالية من الأهالي، واكتفى الدفتر بالإشارة إلى أن أهلها تركوها [٣]، وقد يعود ذلك إلى أسباب أمنية خوفا من هجمات البدو، أو بسبب كثرة المغارم وجمعها بشكل جماعي، أو لأن أهل تلك المناطق كان ولاؤهم للمماليك فخافوا أن يتخلص منهم العثمانيون فهجروا تلك القرى. إلا أن هذا الأمر لا بد من أن يوضع في الاعتبار إذ إن خلو هذه المناطق قد يؤثر في العدد الكلي للسكان؛ مما ينعكس على تعداد اليهود في بعض المناطق التي عاشوا فيها من لواء القدس خلال الفترة العثمانية، واتخذوها مكانا للسكنى.

وقد بات اهتمام العثمانيين بالقدس ملحوظا؛ حيث قاموا بتعمير المنشآت وإصلاحها وخاصة المنشآت الدينية، وقد ظهر هذا واضحا من إعادة بناء السلطان

---

(١) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D.427)، ج١، ص ٢٧.

(٢) كامل جميل العسلي: سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ بتاريخ (٩٧٠هـ/١٥٦٢) المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، الأردن، عمان ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٣٩ .

(٣) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير(T.D.427)، ج١، ص٢٨ .

سليمان القانونى (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م) للسور المتهدم الذى يحيط بالمدينة مما أدى إلى إعمارها وظهور أحياء وحارات جديدة [١]، وقد ترتب على ذلك تقسيم المدينة إلى قسمين داخل وخارج السور.

وكما ذكر من قبل أن لكل نيابة نائبا عن السلطان فيها، ولا بد له من مقر يمارس فيه مهام وظيفته؛ لذا كان النواب ينزلون فى زاوية الدركاه [٢] قرب البيمارستان الصلاحى وظل الأمر كذلك مدة ثم أصبح نائب القدس يقيم فى دار النيابة المخصصة لذلك. وهذه الدار هى المدرسة الجاولية التى بناها علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة فى عام (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)؛ وقد اتخذت هذه المدرسة دارا للنواب فى قرابة عام (٧٩٦هـ/١٣٩٣ م) ويذكر مجير الدين أنها ظلت كذلك فيقول: "وقد صارت فى عصرنا مسكنا للنواب بالقدس الشريف" [٣].

وقد اهتم النواب المماليك بهذه الدار وإعادة إعمارها وأضافوا إليها؛ ففى عهد النائب خضر بك (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م) أضاف إليها مقعدا ملاصقا لإيوان الحكم من جهة الشمال وسقَّفه بالخشب المدهون وجعله على هيئة مجالس الحكم بالديار المصرية، فصار النائب وأعوانه يجلسون فيه. وقد أشارت إلى هذا المجلس إحدى

---

(١) المصدر السابق، ج١ ، ص ٣١ .

(٢) زاوية الدركاه: بنتها هيلانة أم قسطنطين التى عمرت كنيسة قمامة(القيامة) وبنت عليها منارة تهدم بعضها، ثم أوقفها الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن السلطان الملك العادل عام(٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، وسجل هذا فى نقش كتابى على مدخلها، ووصفت هذه الزاوية بالمدرسة أيضا. فقيل مدرسة الدركاه، وتقع هذه الزاوية بجوار البيمارستان الصلاحي وقد درس موقعها الآن. اليونينى: ذيل مرآة الزمان، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٠م، ج٢، ص٢٧٠ . وذكر مجير الدين الحنبلي أنها كانت في زمن الإفرنج دار الفرسان الاسبيتارية، وكان نواب القدس الشريف قديما ينزلون بها. مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٩٨.

(٣) مجير الدين الحنبلى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧٢.

وثائق المتحف الإسلامى بالقدس الشريف[1]، وقد اشتهر كثير من نواب القدس بالعدل وأحبهم سكان النيابة؛ إلا أنه فى نهاية القرن التاسع الهجرى تولى نيابة القدس نواب اشتهروا بالظلم والقسوة وأساءوا للنيابة وسكانها ومنهم من تولى النيابة ببذل مال للسلطة المملوكية فى مصر؛ ففى عام (٨٩٢هـ/١٤٨٧م) بذل الأمير دقماق "عشرة آلاف دينار للخزائن الشريفة غيرما تكلفه لأركان الدولة"[2].

(١) وثائق متحف الفن الإسلامى بالقدس: الوثيقة رقم ١٣٨، وقد أشار الدكتور يوسف غوانمة إلى هذه الوثيقة ورصد التجديدات التى قام بها النواب لدار النيابة. انظر يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس، ص٢٥ وما بعدها .

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٤٢.

الوجود اليهودى فى نيابة القدس [1]:

يدَّعى اليهود أحقيتهم فى أراضى القدس استنادا للفترة الوجيزة التى كانت لهم فيها مملكة هناك من عهد سيدنا داود وحتى العهد الآشورى والبابلى، وهذا الأمر عارٍ عن الدقة، فحسب ما ورد فى التوراة لم يكن لليهود مملكة فى القدس إلا فى عهد شاؤول وداود وسليمان ثم انقسمت من بعدهم، وذلك ما يؤكده رأى ابن خلدون الذى يقول: "ولو كان لليهود ملك كبير فى بيت المقدس لما غلبهم بختنَصَّر والتهم بلادهم واستولى على أمرهم وخرب لهم بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم" [2].

والدراسات التى تناولت الوجود العربى فى فلسطين أثبتت أنه يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد؛ فقد وفد إليها العرب من قلب الجزيرة متمثلين فى قبائل العموريين والكنعانيين ومعهم اليبوسيون، حيث أشير فى سِفْر القضاة إلى هوية من استوطن وعاش على تلك الأرض وليس منهم أحد من بنى إسرائيل. يقول النص: "فيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدا، قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بنى إسرائيل هنا"[3].

---

(١) الباحثة هنا بصدد الحديث عن تحديد أعداد اليهود التى أقامت فى المنطقة الخاضعة للدراسة (نيابة القدس) خلال البحث، وليس ككل كتابات الباحثين السابقين فى تعرضهم لتلك القضية؛ حيث يقصرون بحثهم على ذكر أعداد اليهود فى مدينة القدس فقط وذلك لمكانتها الدينية وعروبتها التى لا شك فيها أيضا، وإزاء هذا الأمر نجد المصادر التى اعتمد عليها البحث (وثائق الجنيزة – وثائق الحرم القدسى – المصادر العربية) لا تمدنا بمعلومات عنمجمل منطقة الدراسة(نيابة القدس) وإنما ما تقدمه قد يخص مدينة أو ولاية تابعة للنيابة؛ وعليه فتقدير أعداد اليهود فى منطقة الدراسة ككل قد يكون أمراً صعب الجزم به، ولكننا سنتحدث عنه فى حدود المتاح من المعلومات التى استخلصت من مصادر البحث.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافى، مكتبة الأسرة سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٢.

(٣) سفر القضاة : الإصحاح ١٩ / الفقرة من ١٢ – ١٤.

فهذا النص من سفر القضاة يوضح سبق سكن اليبوسيين فى أرض القدس (أورشليم) قبل اليهود؛ أى فى الفترة التى تبدأ بخروج سيدنا موسى من مصر أمام جيش فرعون عام (١٢٧٥ ق.م.)[١] ووصوله إلى سيناء. ثم يأتي بعد ذلك الزحف العبراني إلى كنعان (١٢٥٠ - ١٢٠٠ ق.م.) تحت قيادة يوشع بن نون ومحاولة الاستيطان فيها؛ فقد ورد فى سفر يوشع:" أما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم"[٢]. وهذا النص يشير إلى الوجود اليهودى أيام حكم سيدنا داود (عليه السلام)؛ وعليه فإن الوجود العربى كان أسبق. ونستدل من هذا النص على أن أورشليم ظلت فى أيدى اليبوسيين العرب حتى السنة الثامنة من حكم داود[٣] (عليه (عليه السلام)، كما أن التوراة وصفتها بأنها مدينة اليبوسيين، فأساطير الوجود اليهودى بكثرة فى فلسطين تخلو من يقين الدين، حيث أكدت التوراة على الوجود العربى وليس اليهودى.

وكان لاستمرار حكم سيدنا داود وأولاده من بعده فترة طويلة أثر لم يُحِدث تطوراً لليهود فى وجودهم على أرض فلسطين، حتى كان العصر الرومانى الذى

---

(١) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٥١، وقد خلف يوشع سيدنا موسى فى قيادة بنى إسرائيل، وحينما طلب موسى من اليهود أن يدخلوا أريحا مدينة الجبارين رفضوا ذلك، وقد ورد هذا الأمر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ(٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ (المائدة: الآيات من ٢٢ – ٢٤) .

(٢) سفر يوشع : الإصحاح ١٥ /فقرة ٦٣.

(٣) سفر يوشع: الإصحاح ١٧/ فقرة ١٤ –١٨؛ د/ زبيدة عطا: عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية ١٩٩٩م، ص٩ –١٠.

سمح للأسرة الحشمونية[1] اليهودية بحكم فلسطين تحت رعايتها في عام (٦٧ ق.م.). وقد انتهت أشكال الإدارة الذاتية بعد أن تمرد اليهود كعادتهم على الرومان فسارع الرومان إلى إخماد التمرد اليهودي ضدهم وهُدِم الهيكل عام (٧٠م) [2] على يد تيتوس (طيطش)، وأيا ما كان الأمر فلا حاجة بنا إلى الاسترسال فى سرد الأحداث التاريخية المتصلة باليهود فى هذه الأثناء، فقد تناولها الكثيرون باستفاضة فلا داعى للتكرار [3].

ونأتى للفتح الإسلامى لهذه المنطقة؛ وقد تناوله المؤرخون بأشهر الأحداث فيه وذكروا الشروط العمرية[4] -عهد الأمان الذى أعطاه سيدنا عمر بن الخطاب لأهل القدس- ونُصّ فيها على ألا يسكنها يهودى. والحقيقة أن الوجود اليهودى فى المنطقة فى بداية العهد الإسلامى قد أشار إلى حقيقته كل من ابن خرداذبة وابن خلدون؛ فيطلعنا "ابن خرداذبة" على الوجود اليهودى الحذر فيشير إلى إقامة

---

(١) الأسرة الحشمونية: أسسها شمعون الحشمونى عام١٦٤ق.م. ، وكان كاهنًا أعظم وقائدًا أعلى، أصبح رئيسًا للدولة وقائد القوات والكاهن الأعظم في آن واحد، وقد استولت هذه الأسرة على حكم فلسطين زمن الإمبراطورية الرومانية وقد سمحت لهم الإمبراطورية بهذا الحكم تحت رعايتها حتى عام ٦٧ ق.م، وكانت الأسرة الحشمونية أسرة من الملوك الكهنة إذ كان الملك هو نفسه كبير الكهنة. فقد انتخب يوناثان شقيق يهودا المكابي قائداً وكاهناً أعظم (١٦٠ – ١٤٢ ق.م.)، وتُعد الفترة الزمنية التى حكم فيها الحشمونيون قمة ازدهار المؤسسة الكهنوتية اليهودية؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٤، ص ١٣٩، ص١٤٠، ص١٤٢.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص ٥١ – ٥٢(للاستزادة انظر الموسوعة مج ٤، مج ٥).

(٣) يمكن الرجوع إلى : المقريزى: تاريخ اليهود؛ د/أحمد شلبى: اليهودية. سلسلة مقارنة الأديان، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٢م؛ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ٣ أجزاء، مكتبة الشروق، القاهرة١٩٩٤م؛ د/على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود. بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى، مكتبة نهضة مصر للنشر والتوزيع بدون تاريخ؛ د/ هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبى، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م.

(٤) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ص٧٩.

اليهود فى الرملة ونابلس" (١) بعدد محدود لم يذكره، ويؤكد ابن خلدون ذلك؛ فقد ذكر أماكن تمركز اليهود الأوائل محددا نسبة وجودهم القليلة، مرجعا السبب فى ذلك إلى "أن العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها؛ والقوم (يقصد اليهود) لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام ويثرب وبلاد خيبر الحجازية على ما هو معروف" (٢).

ويتفق جوايتين مع المؤرخين السابقين فى هذه النقطة فيقول :"إن الوجود اليهودى فى القدس فى القرون الثلاثة الأولى الهجرية كان غامضًا لا يمكن تحديده، وإن ظهورهم الأساسى بدأ مع الفاطميين حيث كان هناك تواجد مسيحى وندرة يهودية" (٣). وفى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) قام عدد كبير من اليهود بمغادرة إسبانيا هربا من الاضطهاد فيها حيث هربوا من الموت الأسود (٤) (بتعبيرهم) وبعضهم جاء من فرنسا واستوطنوا فى بلاد العرب ومنها فلسطين (٥)، إلا أنه فى أواخر العصر المملوكى تناقص عدد اليهود بشكل كبير لأسباب سيأتى توضيحها.

ولكننا وجدنا الرحالة إسحق شلو (Isaac Chelo) الذى زار القدس فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يشهد بأن الجالية اليهودية فى بيت المقدس كبيرة وتتمتع بالسعادة والاطمئنان؛ لأن السلطة الحاكمة عادلة وعظيمة مما أدى لزيادة عدد أفرادها عما كانوا من قبل (٦). وهذه الشهادة إن كانت فى ظاهرها تحاول إثبات أن الوجود اليهودى كان كبيرا (من وجهة نظر الرحالة) فإنها تثبت فى الجملة الأخيرة ما تم تناوله من قبل، وشهد الحاج اليهودى شغيطالى الشهادة

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ، ص ٧٨ -٧٩، د/ زبيدة عطا: المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص٢٩٣.

(3) Goitein S.D. : A Mediterranean Socity, New York 1967,vol.3 .p.57

(4) The Jewish Encyclopedia , vol . IV, p. 450 .

(5) Mendlessohn: Jews of Asia ,London 1995, P.75

(6) Adler , Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.235 , Li Qou: Early Mamluk Syrian Historiography.Vol.2, Brill,Boston,1998 ,p.253.

د. فتحى عثمان إسماعيل: مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة فى القدس الشريف فيما بين القرن(٥- ١٣ هـ)، ص٢٩ .

نفسها عام (٨٣٦هـ/١٤٣١م) وأخبرنا بوجود تجمع عمرانى بشرى يهودى كبير فى القدس حيث يعيشون فى حى خاص بهم يقع فى الجانب الغربى من المدينة[١]، فى حين ذكر ميشلوم بن مناحم (Meshullam Ben R. Menahem) الذى زار القدس فى عام (٨٨٦هـ/١٤٨١م) أن عدد الأسر اليهودية قرابة ٢٥٠ أسرة من الفئات الفقيرة، وأن غالبيتهم من الأرامل وكبار السن وأكثرهم من ألمانيا والبرتغال ومنهم من فرنسا[٢]، والأقاليم الأخرى، وأكثرهم ربانيون وأقلية منهم سامرة[٣].

ويشير سيدنى مندلسون إلى القضية نفسها فيذكر أن يهود القدس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كانت أعدادهم محدودة لم تزد بقدر ملحوظ برغم أن هناك يهودا هاجروا من شمال ووسط أوروبا واليونان والبرتغال وإسبانيا. فبعد تحرير المدينة من الفرنج وجدنا اليهود يتسللون إلى المدينة وزاد عددهم بصورة بسيطة فى العصر المملوكى وما بعده، "وامتهنوا التجارة والصياغة والدباغة كعادتهم"[٤]. ويُرجع مندلسون تلك الزيادة غير الملحوظة فى الأعداد إلى معاملة السلطان سليم الأول الممتازة لليهود؛ نافيا زعم الكثير من أن اليهود كان لهم دور فى إنجاح حملة سليم الأول على سوريا فى عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، بالإضافة إلى ذكره أن إسحاق كوهين شولال نجيد[٥] اليهود فى القدس طُلِب منه أن يبقى فى القدس لزيادة الوازع الدينى لديهم نظرا "لأنهم مهاجرون جدد"[٦].

---

(١) هاملتون جب وهارولد بوين: المجتمع الإسلامى والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سلسلة تاريخ المصريين ١٩٩٠م، ص٣٩٦.

(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers,P.133.

د. زبيدة عطا: عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ص٥٥.

(3) Adler, Elkan Nathan: o.p. cit., P.189. د. زبيدة عطا: المرجع نفسه والصفحة نفسها

(4) Mendlessohn: Jews of Asia , P. 77.

(٥) نجيد اليهود: هو رئيس الجالية اليهودية وسيتم التعريف به مفصلا فى الصفحات التالية.

(6) Mendlessohn, Sidney: Jews of Asia, , p.55.

كما أننا نجد الرحالة يركزون على ذكر الوجود اليهودى فى القدس فقط دون ذكر باقى مناطق النيابة، بعكس بنيامين التطيلى الذى أعطى تصورا عن عدد اليهود فى مناطق كثيرة فى فلسطين حيث ذكر الوجود اليهودى فى القدس والخليل ويافا ونابلس وعسقلان، وقدر أعدادهم، ولا يخفى علينا مغزى هذا الأمر إذ إن تركيز الرحالة اليهود على المدينة المقدسة، لهو دعم للفكر الاستيطانى لديهم حيث تمثل المدينة لديهم أرض الميعاد.

وفى محاولة من اليهود لإثبات فكرة الاستيطان اليهودى وتزييف أعداد اليهود فى منطقة الدراسة نجد الرحالة الإسبانى ستيفان يراسيموس (Stephan Yerasimos) يذكر أن أعداد اليهود فى عام (٩٦١هـ/١٥٥٣م) فى صفد التابعة للواء القدس آنذاك تُقَدَّر بثمانية آلاف إلى عشرة آلاف من أصول إسبانية وبرتغالية[١]؛ معتمدا فى ذلك على تقدير رفيقين إسبانيين مجهولين زارا القدس فى رحلة للحج لأعداد اليهود فى ذلك التاريخ، وذِكْر هذا العدد الهائل لا بد وأن نتوقف أمامه ؛لأن ذلك يثير تساؤلا مهمًا هو: ما مدى دقة تسجيل الرحالة لأعداد اليهود فى هذه المنطقة بالذات؟

ويجيبنا عن هذا التساؤل دفاتر إحصاء عدد السكان العثمانية فى دفتر طابو صفد لعام (٩٦١هـ/١٥٥٣م) حيث يذكر وجود ٧١٦ خانة من اليهود؛ أى ما يعادل (٣٥٨٠يهوديا)[٢] يضاف إليهم ٥٦ من المجردين (العازبين) فيصبح المجموع (٣٦٣٦ يهوديا)، وفى عام (٩٦٣هـ/١٥٥٥م) نجد دفتر طابو صفد رقم ٣٠٠ يشير إلى أن عدد خانات اليهود قد وصل إلى (١١٥٧خانة)؛ أى ما يعادل (٥٨٧٥ يهوديا) يتوزعون على عدد من الطوائف بحسب البلاد التى قدموا منها ومعظمهم من الأندلس[٣]، وقد يدل هذا على أن صفد وحدها شهدت هجرة من اليهود السفارديم القادمين من إسبانيا والبرتغال فى تلك السنة. ويذكر يراسيموس

(1) Yerasimos ,Stephan : Voyageurs Curope´ensen Palestine Ottomane au xvle sie´cle (1517-1600), Revued'Etudes Palestiniennes, No.11, Printenps, 1984, pp.77-104.

(٢) سوف يأتى توضيح معنى تسجيل اليهود فى دفاتر طابو القدس وغيرها على هيئة خانات أو مجردين بالتفصيل لاحقا.

(3) Cohen ,Amnon and Lewis ,Bernard: Population and Revenue in the Towens of Palestine in the Sixteenth Century ,Princeton Universty Prees ,1978, pp. 157-158.

أن اليهودى الألمانى (لودفيج فون راويتر) (LudwigVon Rauter) الذى زار صفد عام (٩٧٦هـ/١٥٦٨م) رأى فيها قرابة ألفين من اليهود ولهم ثمانية معابد[1]، وبمقارنة أعداد اليهود التى ذكرها لودفيج بأعداد اليهود فى دفتر طابو صفد لعام (٩٦١هـ/١٥٥٣م) نجد أنها أرقام متواضعة خاصة وإذا عرفنا أن صفد شهدت انفصالا عن لواء القدس وأصبحت لواءً بذاتها؛ فيكشف ذلك عن زيف الأعداد التى ذُكِرَت آنفا.

وكذلك نجد الرحالة البرتغالى بانتاليو دافيرو (Pantaleao d'Aveiro) يساهم فى تقدير عدد اليهود فى القدس فى الفترة التى زار فيها المدينة بين عامى (٩٧١هـ/١٥٦٣م، ٩٧٢هـ/١٥٦٤م)، فيقدرهم بقرابة ٦٠٠ يهودى فقط ويعلل ذلك بالخراب الذى ساد القدس نتيجة لهجمات البدو[2]، وبمقارنة ذلك بدفتر طابو القدس رقم٥١٦ لسنة (٩٧٠هـ/١٥٦٢م - ٩٧١هـ/١٥٦٣م)[3] نجد أن خانات اليهود فيه ٢٣٧ خانة؛ أى ما يعادل ١١٨٥ يهوديا يضاف إليهم ١٢ فردا مجردا فيكون المجموع (١١٩٧ يهوديا)؛ وبالتالى فإن أعداد دافيرو تنقص عدد اليهود إلى ما دون النصف.

على أية حال، يمكن القول إن قضية تقدير أعداد اليهود فى فترة الدراسة تتباين فيها الأرقام بين تقديرات الرحالة والإحصاءات الرسمية، بل إن الإحصاءات الرسمية نفسها تتباين فيما بينها بشكل كبير خاصة فيما يتعلق بأعداد اليهود، ويبقى الفصل فى هذه القضية إلى الاحتكام إلى المصادر العربية دون كلام الرحالة خاصة وأن أكثرهم يهود فيهم منْ ينتصف لبنى جلدته وفيهم من لا ينتصف فلا نستطيع الجزم بآرائهم وتقديراتهم.

وعند استعراض كتابات المؤرخين العرب ومنهم "مجير الدين" - وهو مؤرخ معاصر لجزء من فترة الدراسة (المملوكية والعثمانية) - نجده يذكر عكس ما ذكره الرحالة اليهود؛ فتواجدهم بالقدس على زمنه "كان محدودا وكانوا يتمركزون

(1) Yerasimos, Stephan: Voyageurs Curope´ensen Palestine Ottomane au xvIe sie´cle(1517-1600), Revued'Etudes Palestiniennes, No.11, Printenps ,p. 93.
(2) Cohen and Leawis: Population and Revenue in the Towens of Palestine in the Sixteenth Century, p.94
(٣) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج٣، ص٨١.

فى حارات معينة مثل حارة الشرف وحارة الريشة وحارة صهيون، وكان لهم حارة أخرى بجوار حارة السلطيين من جهة الغرب"[١]، ولذا يمكن القول بأن اليهود كانوا موجودين فى كل من القدس والخليل والرملة ونابلس بصورة محدودة، وإن لم يعطِ مجير الدين تقديرا عدديا لهم.

أما السبب فى قلة عدد اليهود فإن ذلك قد يرجع إلى الكوارث الطبيعية التى حلت على المنطقة فى سنوات مختلفة ذكرتها المصادر العربية؛ فقد ضربت مدينة القدس هزةٌ عام (٧٩٥هـ/١٣٧٦م) أدت إلى تهدم بيوت وهذا ما ذكرته إحدى وثائق الحرم القدسى رقم٤٦٧ مؤرخة بتاريخ (٧٩٥هـ/١٣٧٦م) ؛ فهى تشير إلى وفاة شخص يهودى هَرِم فى السابع والعشرين من شهر صفر نتيجة لانهدام بيت عليه، وكل ما وجد عليه حال حصر تركته التى آلت إلى ديوان المواريث الحشرية نظرا لعدم التعرف على ورثته، "هدمة عتيقة ولباس عتيق وقُبع هدمى"[٢] واعتبارنا لهذا الشخص أنه يهودى فقير مبنى على أن الوثيقة مبدوءة بالحمد لله وليست البسملة – كما هو متواتر فى وثائق حصر إرث المسلمين- كما فى وثيقة حصر الإرث ليهودى آخر يدعى إسحق بن شمويل وعلى عادة الوثائق التى تتحدث عن اليهود.

واهتمت المصادر العربية برصد تلك الكوارث الطبيعية؛ فهذا عبد الرشيد الباكوى يقول: "وقعت هزة أدت إلى انهدام أماكن منها (يقصد القدس) وقتل جماعة"[٣]، وذلك فى عام (٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، وفي عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) يرصد

---

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٥. ورد اسم هذه الحارة عند مجير الدين ولم أعثر على تفسير لهذا الاسم فى المصادر التى اطلعت عليها.

(٢) كامل جميل العسلى: وثائق تاريخية مقدسية، وثيقة رقم ٤٦٧، ج٢، ص ٤٠. والقبع غطاء للرأس يرتديه الفقراء من الناس وقوله هدمى نسبة لهدمة وهى الثوب على اعتبار أن القبع جزء من الهدمة . رينهارت دوزى: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، ص ٨٣.

(٣) عبد الرشيد بن صالح بن نورى الباكوى: تلخيص الآثار فى عجائب الأقطار، مخطوط رقم٢٠٤٤ (عام)، دار الكتب المصرية، ص ٨٠، عبد الله يوسف الغنيم : أحداث الزلازل وآثارها فى المصادر العربية، الكويت، ٢٠٠٢م، ص٢٢٣– ٢٢٤.

مجير الدين تعرض القدس لوباء الطاعون ويذكر أثر ذلك قائلا:" ورافق ذلك جدب شديد، وغلاء وفتن"[١]، وفى عام (٨٨١هـ/١٤٧٦م) تعرضت المدينة مرة أخرى لوباء الطاعون " الذى أفنى خلقا كثيرا من أهل المدينة المسلمين وأهل الذمة، وبادت مدن بأكملها مثل اللد والرملة وجنين"[٢]، ويجب وضع هذا النص فى الاعتبار، خاصة أن اليهود من أهل الذمة فبالضرورة سوف يؤثر ذلك على وجودهم وتعدادهم.

وفى عام (٨٩٧هـ/١٤٩١م)، ضرب المدينةَ المقدسة وباءُ الطاعون مرة أخرى واستمر أربعة أشهر وعشرة أيام، وفى هذه المرة كان عدد الموتى كثيرا حتى إن خشب نقل الموتى قد نفد ولم يجد الناس ما ينقلون فيه الموتى، وقُدر عدد الموتى بنحو ثلث[٣] سكان المدينة المقدسة. وهنا يجب أن نذكر وصف عوبيديا لأثر مجاعة ضربت القدس فى نفس الفترة وبالتحديد فى عام (٨٩٢هـ/١٤٨٧م) على اليهود، فيقول:" إن عديدا من اليهود ماتوا جوعا، إذ شوهدوا آخر مرة قبل يوم أو يومين من حتفهم يلتمسون الخبز الذى لم يكن فى وسعهم أن يجدوه، وفى اليوم التالى تم العثور عليهم موتى داخل بيوتهم، وعاش كثير منهم على أكل العشب وكانوا يخرجون كالبهائم الهائمة على وجوهها إلى مسافات بعيدة."[٤]؛ ولعل ما ذكره عوبيديا يبين لنا أحوال اليهود فى حالات الأوبئة والطواعين والمجاعات التى كانت تضرب المدينة المقدسة، وما يترتب عليها من نقص فى أعداد اليهود الموجودين فيها.

وفى عام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، تعرض بيت المقدس والخليل وغزة والرملة والكرك والصلت ونابلس ودمشق لزلزلة عظيمة "استمرت يسيرا وسكنت ومع ذلك لم تترك فى الغالب بيتا علويا (متعدد الطوابق) فى مدينة القدس إلا هدمته أو

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٨٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٨، ص٣٢٤ -٣٢٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٧ -٤٨٩.
(4) Adler , Elkan Nathan: Jewish Travellers , p. 237.

شقته وكذلك في الخليل"(١)، وأعقبها في عام (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وقوع زلزلة أخرى لها نفس القوة ونفس الأثر.

وقد كانت هناك أسباب أخرى لقلة اليهود في المنطقة محل الدراسة فضلا عن الأسباب المشار إليها؛ فقد ذكرت المصادر تعرض المنطقة لهجوم من العربان عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) وعام (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) "فأرهق الناس وأغلقت الأسواق والمنازل وكانت فتنة فاحشة"(٢)، ولما كان بعض اليهود يقومون بالتجارة في تلك الأسواق المنتشرة في المنطقة؛ فقد كان من الضروري أن يقل عددهم لتضارب ذلك مع مصالحهم كتجار فآثروا الهروب من المنطقة ومغادرة البلاد(٣).

ويقودنا ذلك إلى محاولة الفصل في تقدير أعداد اليهود في نيابة القدس، خاصة أن وثائق الجنيزا التي بين أيدينا لم تُشِرْ إلى أعداد اليهود بصورة واضحة، وذلك لعدم وجود إحصاء دقيق وشامل لتلك الأعداد في مختلف مناطق النيابة، حتى إن مؤرخي اليهود أنفسهم اختلفت تقديراتهم؛ فنجد بنيامين التطيلي يحصر عدد اليهود الموجودين في فلسطين أثناء رحلته في منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ويقدم إحصاءً ديموجرافيًا لليهود في فلسطين فيقول:" فوجد في

(1) Buetin D.: Etudes Orientales ,Damas ,Tomes xxxii- xxxiii ,1980 -1981, 1982, pp. 257-264.

محمود مطيع الحافظ: نصوص غير منشورة عن الزلازل من سنة (٩١٤ هـ وحتى ١١٢٤هـ/١٥٠٨م-١٧١٢م) الكويت ١٩٨٢، ص١١٢؛ يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٠م، ص٢٢٩؛ عبد الله يوسف الغنيم: أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية، ص٢٢٩.

(٢) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٤٩ -٤٥١، ابن طولون الصالحي: مفاكهة الخلان، ق١، ص٩٧، ص١٥٤. وقد ورد ذكر لهجوم العربان على مناطق النيابة في فتنة آقبردي الداوادار وتمرده على السلطان عام(٩٠٣هـ) وما نتج عن ذلك من دمار. لدى ابن طولون أيضا في ق١، ص١٨٤، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، محمد كرد علي: خطط الشام، ج٢، ص٢١٧، وقد ورد ذكر لهجوم عرب بني زيد على مناطق النيابة في نفس التاريخ لدى كامل جميل العسلي، ولكني لم أعثر على هذه القبيلة التي تم ذكرها واعتقد أنه كان يقصد هجوم عربان جبل نابلس، كامل جميل العسلي : وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤٠.

(3) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam , Cambridge,1984,p.24.

بيت جبريل ثلاثة يهود، وفى بيت لحم اثنا عشر يهوديا، وفى الرملة ثلاثة يهود، وفى يافا يهودى واحد، وفى عسقلان مائتا يهودى، وفى طبرية خمسون يهوديا، أما فى القدس فوجد مائتين[1] من اليهود يعيشون فى مكان واحد فى أحد أركان المدينة يعرف ببرج داود، وفى نابلس وجد مائة يهودي من السامرة"[2].

ومن مؤرخى اليهود من قدم تصورا شاملا مُبَالَغا فيه لعدد اليهود الكلى فى فلسطين مثل مارك كوهين الذى قدر هذا العدد بنحو ٠,٥ % إلى ١,٥ %[3] من إجمالى عدد سكان البلاد الأصليين، فى حين أشار جوايتين إلى أن عدد اليهود كان يصل إلى قرابة ١% من إجمالى سكان العالم كله فى فترة العصور الوسطى[4].

ويمكننا حسم قضية الوجود اليهودى فى المنطقة محل الدارسة زمن العثمانيين قلة أو كثرة، من خلال تفريغ محتويات دفاتر طابو القدس الشريف (دفاتر إحصاء السكان فى محلات ومناطق النيابة كما أنها تسجل المُطَالَبِين بدفع الجزية من أهل الذمة وتسجيل الأراضى والقرى) فى سنوات (٩٣٢هـ / ١٥٢٥ م، ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م، ٩٦١ هـ /١٥٥٢م، ٩٧٠هـ/١٥٦٢م)، (ودفتر طابو صنفد) فى سنوات (٩٦١هـ/١٥٥٢م، ٩٧٥هـ/١٥٦٧م) ومن خلال الرجوع أيضا إلى أربع وثائق من وثائق الحرم القدسى المؤرخة بتواريخ (٩٤٥هـ، ٩٨٠هـ، ١٠٠٩هـ، ١٠١٥هـ) وهى ترصد الوجود اليهودى بدقة حتى أنها تحدد أماكن تواجد اليهود فى المحلات المختلفة بالقدس وأيضا ترصد حالتهم الاجتماعية ما بين متزوج وأعزب وحالتهم الصحية ما بين صحيح ومريض أو من ذوى الاحتياجات الخاصة، كما أنها أيضا ترصد وضعهم الإدارى فى النيابة، حتى قيمة الجزية

---

(١) كذا فى الأصل وصحتها مائتان .

(٢) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين التطيلى، ص٨١ – ٨٤ .

(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, P.16.

(4) Goitein S.D. : A Mediterranean Socity, New York 1967, vo l.2. p.57.

د. زبيدة عطا: عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ص٥٤ .

المفروضة عليهم لم تنس أن تسجلها، كما هو موضح فى الجدول الآتى[١]:

المحلة (المكان)	رقم الدفتر	تاريخ الدفتر	خانة (متزوج)	مجرد (أعزب)	ذوو احتياجات خاصة	ملاحظات
دون تحديد	٤٢٧	٩٣٢هـ	١٩٩	٠	-	(الجزية ١٩٩ نفراً × ٦٠ = ١١٩٤٠ أقجة[٢])
جماعة اليهود فى القدس	٢٨٩	٩٦١هـ	١٠٤	٣	٣ (أعمى)	
جماعة اليهود فى محلة شرف	١٠١٥	٩٤٥هـ	٨٥	٩	-	٩٤ نفرًا
	٥١٦	٩٧٠هـ	١٤٦	١	-	
جماعة اليهود فى محلة المسلخ	١٠١٥	٩٤٥هـ	٤٣	٤	-	٤٧ نفراً منهم (١ بواب، ١نجار، ١ خادم)، ٥ منهم مسجل "أشكنازى"
	٢٨٩	٩٦١هـ	٧٩	٣	-	
جماعة اليهود فى محلة (الوسطى) المسلخ	٥١٦	٩٧٠هـ	٤٠	٦	-	
جماعة اليهود فى محلة الريشة[٣]	١٠١٥	٩٤٥هـ	٩٦	٦	-	١٠٢ نفر منهم ولد شيخ اليهود ١ يحمل لقب كتخدا اليهود (شيخ اليهود)
	٢٨٩	٩٦١هـ	١٣٨	٧	-	
	٥١٦	٩٧٠ه	٥١	٥	-	
جماعة اليهود فى صفد	٢٩٠	٩٦١هـ	٧١٦	٥٦	-	-
جماعة اليهود فى صفد	٣٠٠	٩٦٣هـ	١١٧٥	-	-	-

(١) قامت الباحثة بتفريغ البيانات الخاصة باليهود وأعدادهم فى هذا الجدول وقامت أيضا بتحليل هذه البيانات والوصول للرسم البيانى الموضح لأعداد اليهود وما اتصل بها من زيادة أو نقصان، وذلك من خلال دفتر طابو لواء القدس، ج١، ج٢، ج٣، ودفتر طابو صفد ووثائق الحرم القدسى.

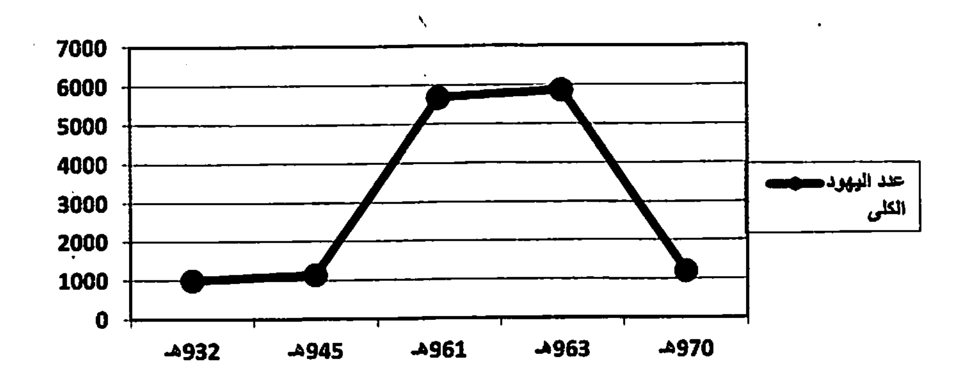
(٢) الآقجة: كانت الآقجة وحدة التعامل الفضيّة في الدولة العُثمانيّة، وكانت تُسمى: العُثمانيّة والأسديّة والشاهيّة، وذلك منذ القرن السادس عشر. وكانت تساوي ثلث بارة، وكل ثلاث بارات آقجة، وكل أربعين بارة تساوي قرشًا صاغًا. وأول من استعمل الآقجة السلطان بايزيد الأول سنة 1390م.محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج١، ص١٩.

(٣) ذكرت هذه المحلة بنفس الاسم ويقرن بها محلة صهيون فى الفترة من ٩٤٥هـ وحتى ٩٦١هـ، أما فى عام ٩٧٠هـ فقد ذكرت محلة صهيون على اعتبارها حارة صهيون الجوانية باعتبارها من حارات محلة الريشة وأضافوا إليها حارة التبانة وحارة الضوية. محمد عيسى صالحية: سجل أراضى لواء القدس، ص٣١.

وفـى محاولـة لتبسـيط الجـدول السـابق رأينـا أن نوضـحه فـى الجـدول الآتـى للوصول إلى تصور لعدد اليهود فى مختلف مناطق اللواء كما فى الجدول الآتى:

م	السنة	عدد الخانات (العائلات) فى مناطق اللواء	عدد المجردين فى مناطق اللواء	إجمالى عدد اليهود (العائلة×٥ +المجرد)	الإجمالى الكلى
١	٩٣٢هـ	١٩٩	-	١٩٩×٥ + (-)	٩٩٥
٢	٩٤٥هـ	٢٢٤	١٩	٢٢٤×٥+ ١٩	١١٣٩
٣	٩٦١هـ	٣٢١ +٧١٦	١٧+٥٦	١٠٣٧×٥ +١٧ +٥٦	٥٧٥٨
٤	٩٦٣هـ	١١٧٥	-	١١٧٥×٥	٥٨٧٥
٥	٩٧٠هـ	٢٣٧	١٢.	٢٣٧ ×٥ +١٢	١١٩٧

ويمكن توضيح التغير الواضح فى أعداد اليهود خلال الفترات التى أوضحها السجل عن طريق الرسم البيانى التالى:



وعند تحليل الجدول والوثائق للوصول إلى تحديد دقيق لأعداد اليهود حتى عام (٩٩٨هـ/١٥٨٩م)، يجب أن نضع فى الاعتبار أن العثمانيين أجروا مسألة حصر التعداد على هيئة خانات فى دفاتر الإحصاء فتشير كل (خانة) إلى أسرة مكونة تقريبا من خمسة أفراد[١]، وأن الجزية تفرض على القادرين منهم ويعبر عنهم بكلمة (نفر)، بينما تشير كلمة مجرد داخل السجلات إلى الفرد الواحد وليس له عائلة، وهو ممن يلزمه دفع الجزية أيضا؛ ففى عام (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م) نجد دفتر إحصاء هذا العام يشير إلى أن تعداد المنطقة ازداد بعض الشيء، ولكنه ليس بالازدياد الشديد مع العلم بأنه لم يكن فيه ذكر للتعداد السابق، ويخبرنا إحصاء عدد اليهود فى عام (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) أن عدد خاناتهم فى التعداد قرابة ٢٢٤ خانة من مجموع خانات اللواء (السنجق) بخلاف الأرامل من النساء والعجائز والأطفال؛ حيث إن التعداد الذى اتخذه العثمانيون كان يشير إلى من يجب فرض

---

(١) استندت فى هذا الفرض على كتابات الرابى موسى بن ميمون وابنه إبراهام فى خطاباتهما الدينية التى نشرها هارفى جولدبرج، وقد أوضحا فيها أن يهود العصور الإسلامية لا يميلون إلى الإنجاب بكثرة فغالبا تنجب الأسرة الواحدة طفلين أو ثلاثة على الأكثر ومعدل المواليد هذا لم يكن كافيا لزيادة أعداد اليهود خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين؛ خاصة وأن تلك الفترة قد شهدت معدلات عالية من الوفيات بسبب الكوارث الطبيعية التى اجتاحت المنطقة من زلازل وطواعين وجفاف بالإضافة لهجمات البدو، إلا أن أمنون كوهين اعتمد فى تقدير أعداد اليهود فى القدس على عدد الأسرة المكون من ستة أفراد، حيث أشار إلى أن أعداد العائلة اليهودية فى فترة الدراسة كانت تتراوح بين أربعة أفراد وسبعة أفراد فاختار العدد ستة أفراد ليكون وسطا بين هذا وذاك، ولا يخفى علينا أن هذه محاولة من الكاتب إثبات عدد أكبر لليهود فى المنطقة، بدليل اختلاف الأرقام التى أوردتها الباحثة من خلال وثائق الحرم القدسى ودفتر طابو القدس الشريف ودفتر طابو صفد والأرقام التى أوردها كوهين فى كتابه حياة اليهود فى ظل الإسلام فى صفحات١٦، ١٩، وأعتقد أن الأرقام التى أوردتها الباحثة هى الأرقام الصحيحة وليست أرقام كوهين.

Goldberg, Harveye.: Anthropology and the Study of Traditional Jewish Societies, (A.J.S.) Review(Cambridge University Press and Association for Jewish Studies), vol. 15, No. 1 (Spring, 1990), pp. 7-8, Goaitien: A Mediterranean Society, vol.2, p.174, Cohen.Amnon: Jewish Life under Islam, P.16,19.

الجزية عليه، أما بقية الجالية اليهودية من النساء والأطفال والعجائز فهم مُعْفَوْن منها ولا يؤدونها. وهم يتركزون فى محلة اليهود والحارة الوسطى(١).

وفى تحليل للنص نقول لو أن الخانة تشير إلى العائلات اليهودية فسيكون تعداد اليهود فى تلك الفترة قرابة ألف ومائة وتسعة وثلاثين يهوديا بالإضافة إلى تسعة عشر يهوديا مجردا على اعتبار أن متوسط عدد الأسرة اليهودية خمسة أفراد. هذا العدد بالنسبة لتعداد المدينة المقدسة فقط لا يمثل شيئا إذا عرفنا أن تعداد السكان فيها كان قرابة ٨٤٣١ نسمة وتعداد سكان اللواء جميعا قرابة ٤٢١٥٥ نسمة (حسب إحصاء دفاتر طابو القدس) وباللواء قرابة ١٦٨ قرية.

وأعتقد أنه ليس من الإنصاف أن نعدَّ دفاتر إحصاء السكان التى اعتمد عليها العثمانيون فى حصر أعداد أهل الذمة دقيقة للغاية، حيث إنها ربطت بين عدد اليهود والجزية المستحقة عليهم، وأعتقد أنها أغفلت المتهربين من دفع الجزية، والمؤدين لها فى أوطانهم قبل القدوم لمناطق النيابة (فلم تذكر - مثلا - أن فلانًا اليهودى القادم من بلدة كذا قد أدى الجزية)، وخصوصا من يأتون للحج والزيارة، أو للتجارة؛ فإن هذه النوعيات من اليهود تؤثر بصورة أو بأخرى فى التعداد الكلى لليهود وتجعله عددا غير ثابت قابلاً للزيادة أو النقصان.

ويدعم هذه الافتراض أن مدينة القدس شهدت انتقال عناصر يهودية من الداخل ومن الخارج للإقامة فيها، وأظهر ذلك بالفعل أحد دفاتر الإحصاء السكانى- دفتر طابو القدس-؛ حيث يُسَجّل فيه الطارئون من أهل الذمة سواء أكانوا نصارى أم يهودًا، ويطلق على النفر منهم مسمى "غريب"، وقد أوضح الدفتر الأماكن التى جاء منها يهود الداخل "من طرابلس وطرسوس وكردستان، أما يهود الخارج فجاءوا من أوروبا ومن الأندلس ومالطة"(٢)، وهؤلاء يطلق عليهم "الأشكناز"

(١) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير(T.D.1015)، عمان الأردن٢٠٠٧م، ج٣، ص٥٣، كامل جميل العسلى: سجل أراضى لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ بتاريخ(٩٧٠هـ/١٥٦٢م)، ص٢٩ -٣٠.

(٢) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D.1015)، ج٣، ص١١.

كما سبق تعريفهم فى تمهيد الدراسة، ولكن لم يذكر أمامهم إن كانوا مستحقين لدفع الجزية أو أنهم أدوها، وعليه ترى الباحثة إمكان قبول زيادة عدد اليهود فى لواء القدس الشريف بناء على ما تقدم باحتراس شديد.

أما فى عام (٩٦١هـ/١٥٥٣م)، فقد وصل تعداد اليهود فى جميع مناطق اللواء ٣٢١ خانة و١٣ مجردا بالإضافة إلى ٤ من ذوى الاحتياجات الخاصة؛ وعليه يمكن تحديد عدد اليهود بألف وستمائة واثنين وعشرين يهوديا، بخلاف تعداد مدينة صفد الذى وضح أن هناك ٧١٦ خانة بالإضافة إلى ٥٦ مجرد.

وفى عام (٩٧٠هـ/١٥٦٢م)، نجد تعداد اليهود فى مجمل مناطق اللواء مائتين وسبعا وثلاثين خانة بالإضافة إلى اثنى عشر يهوديا مجردا ويهودى واحد من ذوي الاحتياجات الخاصة، وعليه يكون عدد اليهود ألفًا ومائة وسبعة وتسعين يهوديا، (نلاحظ أن عدد اليهود يتناقص)، وبحساب نسبة الوجود اليهودى إلى عدد السكان الكلى (من المسلمين والنصارى) نجده قرابة ٢.٩% فقط.

وعند قراءة وثائق الحرم القدسى نجد الوثيقة الأولى المؤرخة بتاريخ (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)(١) ورقمها (٩٨/ع/٣٧) تشير إلى أن عدد اليهود المستحقين لدفع الجزية هم ٢٢٤ نفرا؛ أى مطابقة لدفتر الإحصاء العثمانى المؤرخ بالتاريخ نفسه.

ونصل للوثيقة الثانية المؤرخة بتاريخ (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م)(٢) بالسجل رقم ٥٥، فالمنطق يقول إنه ما دامت السياسة العثمانية قد ساعدت على زيادة عدد اليهود نظرا لتشجيعها استقبال المهاجرين فإن وثيقة التعداد سوف تشير لزيادة العدد، ولكن المفاجأة تُظهِر أن تعداد اليهود هو مائة وخمسة عشر نفرا (خانة) من دافعى الجزية؛ حيث قام أمين الخراج بتحصيل الجزية، وأوضح فيه أن الجزية التى كانت تُجبى عن ستين نفرا منهم فقط كانت تذهب للخاص السلطانى، والجزية التى كانت تجبى من خمسة وخمسين منهم كانت تذهب لمصلحة أوقاف الحرم

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٢٨٣ .

(٢) كامل جميل العسلى: السابق، ج٣، ص٢٨٥، انظر وثيقة حرم قدسى شكل رقم (١) بالملاحق.

الشريف[1]. وعليه يكون تعداد اليهود فى ذلك العام هو مائة وخمس عشرة خانة أى خمسمائة وخمسة وسبعون نفرا[2]؛ ويؤكد هذا الكلام الحجة رقم (١) بالسجل الشرعى، التى توضح أماكن وجود اليهود فى محلة اليهود وتقع غرب سور الحرم بين حارتَى الشرف والريشة وكانت أحيانا تعرف بالمحلةِ الوسطى وهى تضم حارة اليهود القرائين وحارة المسلخ[3]. وتذكر الوثيقة أن تعدادهم كان أكثر من ذلك لكن الكثير منهم عادوا إلى أوطانهم[4].

وتذكر كارين أرمسترونج تحليلا لقلة عدد اليهود فى القدس بقولها:" إن أكثر اليهود كانوا يفضلون الإقامة فى صفد وطبرية، وإن اليهود فى عهد سليمان القانونى لم يعودوا يشعرون بالأمن فى قدس العثمانيين؛ فبدأوا فى مغادرة المدينة فى نهاية عصر سليمان القانونى فهجروا حى الريشة وحى المسلخ وتجمعوا فى

(١) كانت الأراضى والضرائب فى فلسطين فى العصر العثمانى تقسم على خمسة أقسام: خاص شاهى أو خاص السلطان وكانت تتبعه قرى بأكملها وعوائد ضريبية من المدن والقرى، وخاص ميرلوا أى حاكم اللواء الذى كان يقطع أراضى وقرى وعوائد ضريبية من مدن وقرى، وأراضى إقطاعيات من زعامة وتيمار وهى أراضٍ تُقطعها الدولة للإقطاعيين ويتقاضون منها عوائد وضرائب، والملك فى المدن وضواحيها، وأخيرا الوقف كان يتألف من عقارات وضرائب تجبى لمصلحته . ومن أهم الأوقاف تلك الموقوفة على الحرم الشريف . كامل جميل العسلى: وثائق تاريخية مقدسية، وثيقة رقم ٩٨ /ع/٣٧، دفتر تحرير سنة ٩٧٠هـ، ج٢، ص٢٨٤.

(٢) بما أن الدارسين لدفاتر الحصر العثمانى التى رجعت إليها الباحثة فى هذه الدراسة أمثال محمد عيسى صالحية، ومحمد عدنان البخيت ومحمد هاشم غوشة فرضوا أن متوسط عدد أفراد الأسرة اليهودية الواحدة التى تمثل الخانة فى الدفتر خمسة أفراد فيما عدا أمنون كوهين الذى فرض عدد الأسرة اليهودية بستة أفراد، واعتمدت الباحثة العدد ٥ كمتوسط لعدد الأسرة اليهودية الواحدة، بعملية حسابية بسيطة يمكن ضرب عدد الخانات فى عدد أفراد الأسرة الواحدة فتكون بهذا الشكل(٦٠ + ٥٥ × ٥= ٥٧٥ يهوديا).

(٣) السجل الشرعى رقم(٥٥)، حجة رقم(١، ٢)، ص٢٠٧، مؤرخة بتاريخ(٢٨جمادى الأولى٩٨٠هـ/٦/١/١٥٧٢م) نقلا عن محمد عدنان البخيت: لواء القدس الشريف، ج٣، ص٢٣.

(٤) كامل جميل العسلى: وثائق تاريخية مقدسية، وثيقة رقم (٩٨ / ع / ٣٧) دفتر تحرير سنة ٩٧٠هـ، ج٢، ص ٢٨٥ وتضم هذه الوثيقة أسماء اليهود المائة والخمسة عشر .

جيتو يهودى صغير فى حى الشرف"[1]. وطبقا لهذا الكلام يتبين لنا أن الوجود اليهودى فى القدس فى بدايات العصر العثمانى كان حذرا ولم يكن بالأعداد الكثيرة، كما تشير الكتابات اليهودية المختلفة[2].

والوثيقة الثالثة حجة من سجلات المحكمة الشرعية لسنة (١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)، وهى تالية لتاريخ فترة الدراسة تشير إلى أن عدد اليهود فى سنجق القدس "أربعة وثمانون نفرا"[3] ولم يرد ذكر لوجود اليهود فى بلد الخليل على الرغم من إشارة مجير الدين الحنبلى إلى وجود محلة لليهود بمدينة الخليل[4]، وتحليلا لذلك قد يكون اليهود هجروا الخليل وذهبوا لمكان آخر ينعمون فيه بالأمن من هجمات البدو.

والوثيقة الرابعة وثيقة مقدسية تفتح باب التساؤلات فهى مؤرخة بتاريخ (١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)[5]، وهى تالية لتاريخ فترة الدراسة أيضا وتطلعنا على تعداد

---

(١) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر، ومحمد عنانى، القاهرة ١٩٩٨ م، ص٥٣٤.ذكرت الكاتبة أن اليهود تجمعوا فى جيتو يهودى صغير فى حى الشرف؛ بينما ذكرت دفاتر الطابو وجودًا لليهود فى حى الريشة وحى المسلخ وحى الشرف كما سبق توضيحه فى جداول تفريغ أعداد اليهود فى هذا الفصل .وذكر كوهين وهو من مؤرخى اليهود أنفسهم فى كتابه اليهود فى ظل الإسلام صفحة ١٠٠، أن اليهود تأثروا اجتماعيا بمن جاوروهم من المسلمين وهذا ينفى كونهم انغلقوا على أنفسهم فى جيتو مغلق؛ حيث ينطبق ذلك الكلام على يهود أوروبا ولا ينطبق على يهود منطقة الدراسة.

(٢) يمكن الرجوع إلى الكتابات التى تحدثت عن أعداد اليهود عند كل من براسيموس، ودافيرو، ولودفيج.

(٣) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، لواء القدس الشريف، ج١، ص ٢٩، ١٠٣، سجل رقم ٨٢، حجة رقم ٣، ص٨٢ بتاريخ ١٦٠٠/٨/٢٦م. وقد نصت الحجة على الآتى: "أقر قدوة الأكابر والأعيان عبد الباقى جلبى الناظر على وقف الصخرة الشريفة وحرم سيدنا الخليل إقرارا شرعيا أنه قبض وتسلم من يد مائير إبراهام ويعقوب بن باروخ وسلمون الحامى والجميع رؤساء طائفة اليهود القاطنين فى القدس بطريق الوكالة عن جماعتهم اليهود وجزيتهم وعدتهم أربعة وثمانون نفرا الجارية جزيتهم فى وقف الصخرة الشريفة".

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٤١ .

(٥) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٣، ص١٥٤.

اليهود وتقدره بستين نفرا من دافعي الجزية[1] أي ما يعادل ثلاثمائة يهودى، حيث تكشف لنا الوثيقة أن السلطات العثمانية ألزمت اليهود بدفع الجزية عن الأعوام الثلاثة السابقة لتاريخ الوثيقة ومقدارها مائة عثمانى لكل نفر، وألزمت برناس اليهود (النجيد) هارون بن موسى الصائغ اليهودى بتسديد تلك القيمة[2]. وعند فحص الوثيقة نجدها تكشف عن أمرين مهمين:

١- تدنى أحوال اليهود المادية فى تلك الفترة مما جعلهم عاجزين عن دفع الجزية ثلاث سنوات متتالية.

٢- تناقص أعداد اليهود بصورة ملحوظة خلال خمسة وثلاثين عاما من سنة (٩٨٠هـ وحتى١٠١٥هـ).

ويبرز هنا سؤال مهم : لماذا تدنى تعداد اليهود فى الفترة البينية من (٩٤٥هـ) وحتى (١٠١٥هـ) ؟ وكان من المفترض أن يزيد مع سياسة الترحيب من الدولة العثمانية باليهود وزيادة الهجرات اليهودية من بلاد الأندلس والبرتغال وغيرها من المناطق كما أشارت كتابات اليهود؛ فيسهم ذلك فى زيادة التعداد وليس نقصانه! حيث سكتت المصادر عن توضيح أسباب ذلك، وأيضا وثائق الجنيزة لم تُشِرْ من قريب أو بعيد إلى تعداد اليهود خلال فترة الدراسة.

إلا أن كارين أرمسترونج قد فسرت هذا الأمر بربط النقص فى أعداد الذميين فى الفترة من (٩٧٩هـ -٩٩٢هـ/١٥٧١م - ١٥٨٤م) بهزيمة العثمانيين فى موقعة ليبانتو (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م)[3] وفقدانها هيبتها العسكرية؛ فكان من نتيجة ذلك تدهور فى الأمن العام داخل سناجق الدولة ومنها سنجق القدس مما شجع البدو على إعادة هجماتهم، وأصبحت الطرق المؤدية للسنجق خاضعة لهم؛ فهاجموا الحجاج إلى

---

(١) سجل المحاكم الشرعية: سجل رقم٨٧، وثيقة رقم١١٥، ص١٠٢، كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية، ج٣، ص١٥٤ –١٥٥ .

(٢) كامل جميل العسلى : وثائق مقدسية، ج٣، ص١٥٤ – ١٥٥.

(٣) معركة ليبانتو: معركة بحرية وقعت فى أكتوبر عام (٩٧٩هـ/١٥٧١م) بين العثمانيين وتحالف أوروبى صليبى يضم قبرص وإسبانيا واليونان وإيطاليا وانتهت بهزيمة العثمانيين. عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون(١٥١٦م – ١٩١٦م)، دمشق ١٩٧٤ م، ص٢٠١.

مدينة الخليل وقبر النبى موسى فبدأ اليهود فى مغادرة المدينة بدءا من عام (٩٨٣هـ - ٩٩٢هـ/ ١٥٧٥م - ١٥٨٤م)، هذا بالإضافة إلى تدنى نوعية الموظفين العثمانيين فى القدس وممارستهم الاضطهاد ضد المسلمين والذميين على السواء مما شجع اليهود على هجر المنطقة ومغادرة المناطق التى كانوا يعيشون فيها باللواء [١]؛ وقد يكون هذا تفسيرا مقبولا من الكاتبة إذ إنه يعكس واقع تدنى أعداد اليهود بالمنطقة محل الدراسة، وأن زيادة أعداد اليهود المهاجرين إلى منطقة الدراسة لم تظهر إلا فى فترة متأخرة من الحكم العثمانى.

وملاحظة أخرى جديرة بالذكر، وهى أن دفاتر طابو لواء القدس الشريف لم تذكر وجود يهود فى مدينة خليل الرحمن فى حين ذكر مجير الدين وجود محلة لليهود فى مدينة خليل الرحمن[٢]، ولتفسير هذا الأمر يجدر بنا الرجوع إلى الوثائق العبرية وكتابات الرحالة اليهود كى نرى هل تتوافق مع ما ذكره مجير الدين أم لا، واختصارا لهذا الأمر نجد عوبيديا يخرج علينا بقوله إنه أثناء وجوده فى مدينة خليل الرحمن وجد عشرين أسرة يهودية كلهم من الربانيين، ونصفهم كان من سلالة يهود المارانو الإسبان الذين أجبروا على الارتداد عن دينهم اليهودى واعتناق المسيحية، فلما جاءوا إلى مدينة خليل الرحمن عادوا إلى دينهم مرة أخرى[٣]. ومن الواضح أن عدد هذه الأسر ظل ثابتا حتى مع وصول عوبيديا إلى مدينة خليل الرحمن أثناء رحلته، كما أن عوبيديا ذكر رأيه فى يهود الخليل قائلا:" إن إقامتى فى هذه البلدة محببة إلى قلبى أكثر من إقامتى فى القدس، إذ إن أعداد اليهود فى الخليل قليلة كما أنهم طيبون، وهم ليسوا سيئين مثل أولئك الذين بالقدس، ويوجد هناك قرابة عشرين أسرة يهودية يقيمون جميعا فى فناء مقصور عليهم ولا يندس فيما بينهم مسلم أو أى من حثالة الناس"[٤].

---

(١) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص٥٣٧.
(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص ١٤١.
(3) Obadiah Berteanuoro : Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, p.42
(4) Ibid., p.45.

وعبارة عوبيديا يجب الوقوف عندها لتحليلها، فإن وجود اليهود فى مدينة خليل الرحمن تحت السلطة المملوكية جعلهم يشعرون بالأمن ويمارسون حريتهم الدينية والاجتماعية بعد زوال السبب الذى جعلهم يرتدُّون عن دينهم، كما أن انتماءهم إلى طائفة واحدة من اليهود وهى طائفة الربانيين جعلهم مجتمعا متجانسا لا يوجد بينهم اختلافات وهذا ما جعلهم يحظون بحب وتقدير الرابى عوبيديا باعتباره ربانيا وتفضيله إياهم على يهود القدس، إلا أن هذا العدد المحدود من الأسر اليهودية على مر الزمن إما تناقص وإما أن أهله من اليهود قد تركوا منطقة خليل الرحمن؛ مما جعل القائمين على حصر السكان فى دفاتر الطابو لا يسجلون وجود يهود فى تلك المنطقة.

على أية حال، يجب التفريق بين نوعين من اليهود فى منطقة الدراسة : أولهما اليهود المقيمون (وهم قليل) ؛ وثانيهما اليهود الطارئون (لأغراض كالتجارة مثلا أو الدراسة أو الحج). فهؤلاء يؤثرون فى تعداد اليهود بصورة استثنائية دائمة. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المبالغات اليهودية المعتادة منهم فى تقدير أعدادهم.

وأخيرا تبقى عملية حصر عدد اليهود المقيمين فى منطقة الدراسة بصورة قاطعة ودقيقة مسألة صعبة؛ وذلك لعدة أسباب:

١- عدم وجود دفاتر إحصاء كاملة لجميع مناطق النيابة بين أيدى البحث وعدم وجود وثائق للجنيزة تخبرنا بعدد اليهود فيما أعلم.

٢- إهمال المصادر العربية لشأن اليهود وعدم ذِكر تعدادهم والتركيز فقط على حوادث الفتن والقلاقل التى كان يعمد اليهود إلى إثارتها؛ وبالتالى استوجب معها سن المراسيم والتضييق على اليهود الذين شكلوا نسبة ضئيلة من عدد السكان وامتهنوا حرفا صناعية بسيطة تدر عليهم ربحا قليلا لا يتناسب مع مقدار الجزية التى فرضت عليهم فتهربوا من أدائها.

٣- بمجرد سقوط الدولة المملوكية واعتلاء العثمانيين سدة الحكم ظهرت فكرة تسامح العثمانيين مع اليهود، وإتاحة الفرصة لليهود للعودة إلى مناطق النيابة واستقبال هجرات اليهود من إسبانيا والبرتغال، فى حين أننا نجد أن

الدراسات التى قامت على تفريغ معلومات الإحصاء لدفاتر الطابو أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن هناك اختلافا فى تسجيل المعلومات عن الإحصاء السكانى، يعود منشؤه إلى أحد أمرين، أولهما: اختلاف الباحثين فى قراءة الأرقام، ثانيهما: تضارب الأرقام داخل صفحات السجل الواحد.

٤- دفاتر الطابو التى خضعت لدراسة بعض الباحثين لم تشمل كل المناطق الواقعة داخل نطاق الدراسة؛ فما أتيح للبحث هى دفاتر طابو القدس ودفترا طابو صفد، أما بقية مناطق النيابة فلم تتوصل الباحثة لدفاتر الطابو الخاصة بها، ولا نعلم إن كان داخل هذه المناطق كان يعيش يهود أم لا.

وعند استطلاع كتابات اليهود بهذا الشأن نرى الكثير منهم يزيفون الحقائق ويشيعون أن العرب لم يشعروا بأهمية القدس إلا حديثا؛ ومن هؤلاء المدعين "موشيه معوز" حيث ذكر فى كتاباته أن عدد السكان من اليهود فى القدس فى القرن التاسع عشر وصل لسبعة آلاف يهودى وعدد المسلمين خمسة آلاف والباقى من النصارى؛ فى حين أن الكاتب نفسه يذكر فى موضع آخر من كتابه أن غير المسلمين "كانوا أقلية وليسوا أغلبية"[١].

(١) موشيه معوز: القدس فى الحقبة التاريخية الحديثة : التغيرات السياسية والاجتماعية، ص١٧٩ -١٨٥؛ أمنون كوهين: القدس: دراسات فى تاريخ المدينة، ص ١٧٩.

اليهود و الحياة السياسية بنيابة القدس:

علاقة السلطة المملوكية باليهود:

تجدر الإشارة إلى أن اليهود أتباع ديانة سماوية شأنهم فى ذلك شأن أتباع الديانات الأخرى، أى أنهم ليسوا قومية أو جماعة عرقية؛ لذا تعامل معهم المسلمون باعتبارهم أهل ذمة، وينضوى موقف المسلمين منهم تحت الموقف الإسلامى العام من (أهل الكتاب). ولقد حددت الشريعة الإسلامية الوضع القانونى لأهل الذمة، وبينت حقوقهم وواجباتهم على أساس ما جاء فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[1].

وقد كانت الجزية[2] فى رأى الفقهاء شرطا أساسيا لبقاء أهل الذمة فى دار الإسلام، ولما كانت السلطة المملوكية هى الممثلة للسلطة الإسلامية فى نيابة القدس؛ فلم تتوانَ عن تحصيل الجزية من اليهود المقيمين فى النيابة فى مقابل تأمينهم والدفاع عنهم وعن أموالهم وأولادهم ضد الأخطار الداخلية والخارجية.

---

(١) (سورة التوبة الآية ٢٩).

(٢) عالج العديد من الفقهاء موضوع الجزية على أهل الذمة ومن يعفى منها . انظر أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم) كتاب الخراج، دار المعرفة بيروت ١٩٧٩، ص١٢٢ – ١٢٣؛ كما أنه هناك كلام كثير يقوله المفكرون الإسلاميون المعاصرون عن مراد هذه الآية، وملخصه: أن الأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ليس عاما فى كل أهل الكتاب، بل فى مجموعة منهم كانت تهدد أمن المسلمين فى عصر الرسول ﷺ . عبد العزيز الدورى: الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامى، عمان ٢٠٠٢ –٢٠٠٣م، مج٣، ص ٣٦٩ – ٥٥٦.(وللاستزادة من هذا الأمر يمكن الرجوع إلى كتابات الشيخ يوسف القرضاوى، والشيخ محمد الغزالى، والأستاذ فهمى هويدى، والدكتور محمد سليم العوا فى هذا الشأن).

وكان يُطْلَق عليها "ضريبة الرءوس"، وكانت تُجبى منهم على النحو الذى ورد فى شروط العهدة العمرية، وعرفت فى نهايات العصر المملوكي باسم ضريبة (الجوالى)[١]، وكانت تفرض على كل شخص بالغ عاقل حر، وأعفى منها الصبى والمرأة والمجنون والخنثى المشكل، فإن زال إشكاله وبان أخذت الجزية منه، وكان يعفى منها من ليس أهلا للقتال كالشيخ الكبير أو يعجز عن أدائها. ويجوز تأجيل الجزية على الفقير المعسر حتى يصبح قادرا على أدائها[٢].

وأما أصحاب العاهات (كفاقدى البصر وكبار السن وغير القادرين على العمل)، فقد ألزمهم المذهب الشافعى بدفع الجزية وأعفاهم المذهب الحنفى[٣]، ويرى بعض الفقهاء أنه لو تبدل الوضع الاقتصادى للفقراء "فهم ملزمون بدفع الجزية إذا أيسروا"[٤].

وكان مباشر الجوالى مسئولا عن جباية أموال الجزية، فكان يعد ثبتا بأسماء اليهود الربانيين والقرائين، ثم يثنّى بالسامرة ويثلث بالنصارى، فى ترتيب أبجدى لتسهل مهمته، وكان يشير إليهم فى تلك السجلات باسم فلان بن فلان اليهودى، إن كان مقيما فى النيابة، وإن كان ممن يخرجون للتجارة يشير إليهم بفلان بن فلان

---

(١) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ص٣٨٤؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٢. والجوالى جمع جالية وهو لفظ يطلق على أهل الذمة وقد قيل لهم ذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب ثم لزم هذا الاسم كل من يدفع الجزية وإن لم يجلوا عن أرض العرب. البيومى إسماعيل: النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم(١١٨)عام ١٩٩٨م، ص٣٩٢.

(٢) الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابى القاهرة ١٩٦٠م، ص١٤٢ -١٤٤؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٨، تحقيق مفيد قمحية وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٤م، ص٢٣٦، ج١٣، ص٣٥٦؛ ابن مماتى: قوانين الدواوين، مكتبة مدبولى، ١٩٩١م، ص٣١٧ – ٣١٨؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين، ص٤٤؛ محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية من خلال وثائق الجنيزة، رسالة دكتوراه آداب عين شمس، ص٤١ .

(٣) النووى: منهاج الطالبين وعمدة المفتين فى الفقه، طبعة بولاق ١٣١٤هـ، ص١٢٢، ص٢١٨.

(٤) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص٣١٨.

اليهودى الذى ما زال فى القدس[١]، وقد ألزم موظفو الديوان رئيس اليهود بتقديم معلومات مفصلة عن الأطفال حتى يتسنى لهم جباية الجزية منهم عندما يصلون إلى السن القانونية التى تلزمهم بدفع الجزية، بالإضافة إلى بيان كامل عن المواليد والوفيات[٢].

وإذا أخذ الجزية من أحدهم كتب له إيصالا وشطب اسمه من سجلات ذلك العام، فإذا عاد أحد النازحين من اليهود إلى بلده دون أن يدفع الجزية، كان عليه أن يدفعها، وإن كان سددها فى مكان آخر خارج بلدته ومعه إيصال بذلك نقل المبلغ إلى حساب بلدته الأصلية وكان على اليهودى أن يحمل معه إيصال تسديده للجزية عن نفس السنة، إذا ما رحل عن محل إقامته ولو لفترة قصيرة[٣]، وقد حدث ذلك الأمر مع الطالب اليهودى ديفيد روبينى (David Reubeni) الذى أتى إلى القدس للدراسة وكان قد سدد الجزية فى صفد وحصل على إيصال قدمه إلى مباشرى الديوان المختصين فى القدس حالما طالبوه بإظهاره[٤]، ولم يكن خروج اليهودى من بلدته أمرا يسيرا فكان لزاما عليه أن يحصل على إذن السلطان المملوكى[٥].

ولم تذكر لنا المصادر العربية المملوكية المتاحة أمامنا قيمة الجزية إلا فى القليل النادر؛ حيث ذكر ابن حجر أنه فى عام (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) وضعت الدولة المملوكية بعض الضوابط لتحصيل الجزية حتى تستطيع الاستفادة منها لمواجهة الأزمات الداخلية، فكانت السلطة تفرض على الذمى الغنى أربعة دنانير، وعلى الوسط دينارين، وعلى الفقير دينارا واحدا[٦]، وقد ذكر ابن طولون أن الجزية التى كانت تُجبى من أهل الذمة سنويا كانت فى تناقص مستمر وذلك إما بسبب تنقلهم الدائم من إقطاع لآخر، أو بسبب إسلام الكثير منهم بحيث أصبح كثير من

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 2.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٤٢ ؛القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) النويرى: نفس المصدر والصفحة، المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص١٠٢ – ١٠٣.

(4) Obadiah: A Student's Letter , p78 , p. 250.

(5) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers. p.163.

(٦) ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج٢، ص ٥١٨.

العلماء والفقهاء ينادون بموجب تحصيلها شهريا[1]. وفى عهد السلطان المؤيد شيخ (ت ٨٢٤هـ/١٤٢١م) قام مباشر الجوالى بجمع الجزية مرتين فى العام[2] بناء على تصريحات السلطان، ولم يكن السلطان المؤيد شيخ هو أول من ابتدع تحصيل الجزية مرتين فى العام الواحد، بل سبقه إلى ذلك السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٣٩م)[3].

وقد أشارت وثائق الجنيزة إلى قيمة الجزية كما وردت فى خطابات الرابى عوبيديا؛ حيث ذكر أن مجمل الضرائب التى يدفعها اليهود كل عام هو اثنتان وثلاثون قطعة فضة أى بما يعادل دوكة[4] بندقية واحدة ونصفا، وأقر هذا الأمر أيضا الطالب اليهودى الذى جاء للدراسة فى القدس فى أواخر القرن الخامس عشر[5]، وتحدد إحدى وثائق الجنيزة التى يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الهجرى قيمة الجزية بمقدار خمسة وعشرين درهما فى بدايته وصولا إلى عشرة

(١) ابن طولون: إعلام الورى بمن ولى نائبا بدمشق الشام الكبرى، تحقيق عبد العظيم حامد، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٣م، ص٢٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثانية ١٩٨٤م، ج٢، ص٥؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، ج١، ص١٠٧.

(٣) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق٣، ص٩٦٠.

(٤) الدوكة: دينار يضرب فى البندقية نسبة إلى الدوك أو الدوق جيوفانى دندولو الذى أمر بضربها عام (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ووزنها يتراوح بين ٣,٤٥ و ٣,٥٦ جرام من الذهب وكانت منتشرة بمصر ويتعامل بها، وعرفت فى فلسطين والشام باسم بندقى أو إفرنتى وأطلق عليها المؤرخون العرب الدنانير المشخصة بسبب ما كان على وجهها من صور، وهى تساوى قرابة خمسة وعشرين قطعة فضية.؛ سليم عرفات المبيض: النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م، ص ٢٠٧؛ البيومى إسماعيل: النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك، ص٤٣٦؛ رأفت محمد محمد النبراوى: الدوكات البندقية المحفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية، مقال بمجلة الدارة، العدد٤، السنة ١٧، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٠٤؛ جوزيف نسيم يوسف: علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى (بحث مقدم فى الندوة التى أعدت عن أبى العباس القلقشندى)، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٩٥ -١٩٦ .

(5) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p. 242, Obadiah: A Student' s Letter, pp. 78,90.

دراهم فى نهايته[1]، مما يدل على تدنى أحوال اليهود المالية وفقرهم الشديد مما جعل السلطة المملوكية تخفض قيمة الجزية.

ويذكر الرابى عوبيديا والطالب اليهودى أن السلطات المملوكية لم تكن تراعى التدرج فى دفع الجزية وفقا لمستويات اليهود المعيشية فى عهد السلطان قايتباى[2] بينما كانت تراعيها فى الفترات التاريخية السابقة؛ حيث توضح إحدى الوثائق التى يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجرى (العاشر الميلادى) أن الجزية كانت تؤخذ عن مجمل اليهود وتُحصل من الثرى اليهودى بمقدار أربعة دنانير ذهبية ونصف، ومن متوسطى الثراء ثلاثة دنانير، ومن فقراء اليهود بمقدار دينار ذهبى ونصف كل عام، مخالفا بذلك ما ورد فى المصادر العربية. بل أشارت الوثيقة فوق ذلك إلى أنه فى حالة وفاة أحد اليهود دون أن يدفع المقرر عليه كان على أهله وذويه تسديده للإفراج عن جثة المتوفى لدفنها، وإن لم يتم ذلك تقوم السلطات الحاكمة بإحراق جثث اليهود المتخلفين عن دفع الجزية[3].

(1) Eliyahu, Ashtor: Toldot ha-Yehudim be-Mitsrayim ve-Suryah taḥat shilṭon ha-Mamlukim me-et E. Shṭraus,.Yerushalayim, "Mosad ha-Rav Ḳoḳ", 1970.
תולדות היהודים במצרים וסוריה תחת שלטון הממלוכים / מאת א. שטראוס.
ירושלים: מוסד הרב קוק, [1970-1944] 730-70 .
القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٢ – ٤٦٣، وقد ذكر المقريزى فى أحداث عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) أن قيمة الجزية على أهل الذمة اختلفت نظرا لتفاوت ما كانوا يقومون به فيما مضى من الجزية. المقريزى: السلوك: ج٦، ص٣٦٧.

(2) Obadiah : The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro,P. 242, Obadiah: A Student's Letter , p. 84.

(3) Scheiber , Alexander: Genizah Studies, Collection XVII, New York, 1981, p.55.
هذه الوثيقة؛ إن صح ما فيها فى مجملها تصف السلطة المملوكية بالتعسف مع اليهود فى جمع الجزية وأظن أن كاتب الوثيقة – وإن كان غير معلوم- غير منصف، فمن خلال استطلاع المصادر العربية لم نجد حالة حرق واحدة لجثة يهودى لم يدفع الجزية من قبل السلطات المملوكية، وإن كنت لا أرى فى ذلك عيبا على السلطة لو فعلته فحسب ما تشير إليه تقاليد اليهود القديمة أنهم اعتادوا حرق جثث موتاهم تأسيا بحرق جثث الملك شاؤول وأولاده. زكى شنودة : المجتمع اليهودى، ص٥١٨.كما أن الوثيقة التى تليها فى الفقرة الثانية تذكر عكس ما قيل حيث أثبتت أن من يتهرب من دفع الجزية يدفع غرامة وأظن أنه يستوى فى ذلك المتهرب حيا أو ميتا، فإن كان ميتا سوف تفرض الغرامة على أهله وذويه.

وتذكر لنا المصادر العربية أن من يتهربون من دفع الجزية يُقابلون بعقاب شديد(١) وسكتت المصادر العربية عن بيان نوع العقاب. ولكن إحدى وثائق الجنيزة التى تعود إلى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) - وكان قد أرسلها رئيس الطائفة اليهودية إلى أحد أثرياء اليهود - تخبرنا بأن من يتخلف عن دفع الجزية تفرض عليه غرامة لتأخيره عن السداد ولكن لم تذكر الوثيقة قيمة الغرامة، لذا نجد رئيس الطائفة يستحث أثرياء اليهود على القيام بسداد العجز فى الجزية التى يتخلف فقراء اليهود عن سدادها تفاديا لدفع غرامات(٢).

وفى خطابات عوبيديا لأخيه يذكر أنه فى حالة رفض أحد اليهود دفع الجزية يتعرض للضرب بحكم قضائى من شخص غير يهودى (يقصد قاضى المسلمين)، إلى أن يمتثل للدفع وذلك فى وجود النجيد ونائبه فى القضاء ويدعى "الديَّان"(٣). ويخبرنا عوبيديا أيضا أنه فى نهاية القرن الخامس عشر لجأت السلطة المملوكية إلى نجيد (رئيس) اليهود عدة مرات لإعانتها فى جمع الأموال من اليهود، وألزمته بسداد مبلغ محدد لها يقدر بخمسة وسبعين قطعة ذهبية فضلا عن جمعه للجزية ولغرامة أسبوعية إضافية(٤)؛ تأديبا لمن يتأخر فى سداد الجزية.

ونظرا لسكوت المصادر عن هذه الأمور فلا بد أن نأخذ كلام عوبيديا ببعض الحذر، لكن كلامه قد يتفق وسياسة السلطة المملوكية فى أواخر عهدها حيث عانت التدهورَ ولجأ السلاطين إلى فرض كثير من الضرائب والمكوس(٥)، من ذلك ما ذكره لنا عوبيديا فى خطابه عام (٨٩٢هـ/١٤٨٧م) أن السلطان قايتباى أراد أن يجمع أموالا بغرض تقديمها إلى قادة جيشه الذين كان عليهم الخروج

(١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٢، القلقشندى: صبح الأعشى، ج١٣، ص٢٦٢.
(2) Eliyahu Ashtor: O.p.cit, p.74.
(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers ,p.242.
(4) Ibid., p. 224.
(٥) من ذلك ما فرضه المماليك من ضرائب على أصحاب المهن المختلفة فى الأسواق مثل عمال الحرير فى عام (٨٩٧هـ/١٤٩١م)، ابن علوان (على بن عطية بن علوان الحموى ت ٩٢٠هـ/١٤١٥م): النصائح المهمة، مخطوط رقم ٢١٥٨ ب أدب، مكتبة الأسد، نسخة مصورة عن الأصل، ورقة ٧٥.

للقتال ضد السلطان العثمانى فى حلب؛ ولذلك قام السلطان بفرض ضرائب باهظة شملت جميع الطوائف يهودًا ونصارى ومسلمين.

وقُدر ما جمعه السلطان من يهود القاهرة فقط بنحو خمسة وسبعين ألف دينار، أما يهود القدس فلم تُذْكَر قيمة ما جمعه السلطان من اليهود المقيمين فيها. كما أظهر عوبيديا سببا آخر بالإضافة للسبب السابق وهو تعلل شيوخ اليهود فى القدس بوجود عجز فى ميزانيتهم؛ مما جعلهم يفرضون ضرائب كل أسبوع على كل يهودى ويجمعونها بالإجبار(١). وعند تحليل النص الذى أورده عوبيديا تاريخيا يَثْبُت من المصادر العربية وجود نزاع بين السلطة العثمانية فى القسطنطينية وبين السلطة المملوكية فى مصر على إمارة الإبْلِسْتين(٢) التركمانية التى تمتد على الفرات الأعلى بين مرعش وملطية؛ مما أدى إلى تأزم العلاقات العثمانية المملوكية، وقد استوجب هذا تجهيز السلطان المملوكى جيشا لمواجهة العثمانيين(٣)، وهذا دعاه إلى جمع الأموال ومصادرة الممتلكات بشتى الصور؛ فقد حدد أحد الباحثين مصاريف السطان قايتباى على حملاته الخارجية والدفاعية فى الفترة من (٨٧١هـ - ٨٩٤هـ/١٤٦٧م - ١٤٨٩م) بنحو سبعة ملايين ومائة وخمسة وستين ألف دينار(٤).

---

(١) Adler ,Elkan Nathan: Jewish Travellers , pp. 229, 230 ,242 ,247 ,248.

(٢) الإبلستين: مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبسيس مدينة أصحاب الكهف، ثم تحولت إلى إمارة تركمانية حينما خرج سليمان بن دلغادر التركمانى عن طاعة السلطان خشقدم (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) وأصبح نائبا عليها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٥٩ .

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج٢، ص٢٤٩، ص٣٠٢، عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، ص٥٩. وقد ذكر أن السلطان الأشرف قايتباى قد أنفق أكثر من سبعين ألف دينار على الحملة الموجهة ضد التركمان عام(٨٨٨هـ/١٤٨٣م)، كما أنفق نحو ألف ألف دينار على الحملة الموجهة ضد العثمانيين عام(٨٩٢هـ/١٤٨٧م)؛ د/عثمان على عطا: الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٣٢.

(٤) محمد مصطفى زيادة: نهاية المماليك فى مصر، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة عدد ١٩٥١م، ج٤، ص٢٠٧.

كما لجأ لسياسة الطرح[١] والرمى[٢]، الأمر الذى عانى منه جميع فئات المجتمع؛ وهذا ما أثبته جانب من شهود العيان من اليهود أنفسهم وذكرته بعض المصادر، وكل هذه مظاهر قد تجعلنا لا نستطيع التجاهل التام لكلام عوبيديا عن موضوع الضريبة الأسبوعية أو تضعيف الجزية لمن لا يؤديها فى وقتها أو يتهرب من تأديتها، خصوصا وقد أوضح لنا مدى تسلط شيوخ اليهود فى جباية تلك الأموال وابتداع أسباب واهية لزيادة قيمة الضرائب.

ولم يُشِرْ عوبيديا فى خطاباته إلى طريقة جباية الجزية من جماعة اليهود بالتفصيل؛ ولكنه اكتفى بذكر ملاحظته نحو التعسف الذى كان يمارسه شيوخ اليهود فى جمع تلك الجزية، وشدة العقوبة التى يتعرض لها المتخلف عن دفعها. وذكر الطالب اليهودى ذلك أيضا فى خطابه فقال: "أما إذا اشتكى أحدهم بأنه غير قادر على مجرد العيش يضرب على قدميه إلى أن يدفع أو يموت"[٣].

وعند البحث وجدت من المصادر العربية ما يشير إلى ما ذكره عوبيديا من تعسف بعض نواب القدس فى جمع الضرائب والأموال؛ فهذا النائب دقماق (٨٩٦هـ/١٤٨٧م) يبطش وينكل بالأهالى بغرض جمع الأموال التى ينفقها على حشد الرجال من أجل الانخراط فى الجيش المتجه لمحاربة الأتراك العثمانيين، وكان المبلغ الذى أنفقه يقدر بقرابة خمسة آلاف دينار استخدم فى جمعه الضرب

---

(١) الطرح: وهو بيع قسري يفرضه السلطان على التجار وبأسعار يرتئيها؛ نظرا لأن فى خزانته سلعا يريد التخلص منها أو أن يشتري سلعا من الأسواق بالسعر الذي يرتئيه ثم يعيد بيعها قسرا بثمن أغلى، ويلزم التجار بشرائها. محمد أحمد دهمان: معجم المصطلحات المملوكية، دار الفكر، دمشق١٩٩٩م، ص٤٥.

(٢) الرمي: فى الأصل مقدار من المال يفرض على حارة أو حي بأكمله دية لقتيل وجد فيها لم يعرف قاتله، فيلزم السلاطين والنواب أهل هذه الحارة بتسديد ذلك المبلغ . ثم صار سياسة مالية اجتماعية انتهجتها الطبقة العسكرية وافتتن المماليك باختلاق الذرائع تبريرا لها وبات الرمي مصدرا ماليا شبه ثابت إذ فرض لتسديد نفقات الحملات العسكرية، أو أى نفقات أخرى يراها السلاطين والنواب تحتاج مالا . محمد أحمد دهمان: معجم المصطلحات المملوكية، ص٤٠.

(3) Obadiah: A Student's Letter, p. 90.

والحبس؛ فيقول مجير الدين:" وأفحش فى الأمور، وصار يضرب الناس بالمقارع ووضعهم فى الحبس، وفعل بهم فِعْلا لم يسمع بمثله فى الجاهلية حتى إن بعض الناس باع ابنته كما يباع الرقيق. وبقى الناس فى شدة لم تعهد بالأرض المقدسة من قبل"(١).

قد تكون سياسة النائب خُشْقَدم شديدة مجحفة؛ إلا أنه لم يخص اليهود وحدهم بها، بل امتدت هذه السياسة إلى جميع أطياف المجتمع. ويمكن تفسير شدة النائب تجاه اليهود فى جمع الضرائب فى ضوء شعور الشك والريبة من قبل السلطان المملوكى ونائبه على القدس، فى أن اليهود متواطئون مع خصومهم العثمانيين(٢).

وعلى الرغم مما سبق فقد كان اليهود يتمتعون بحماية السلطان المملوكى لهم، وكثيرًا ما كان يُنَادى فى أرجاء النيابة على لسان السلطان بأنه من ظلم من اليهود فعليه بالأبواب الشريفة، وطلب أيضا أخذ الجزية منهم بالمعروف وبدون إجحاف(٣).

ويعد عهد السلطان جُقْمُق (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) من أزهى العهود التى نعم فيها يهود نيابة القدس بالأمان؛ حيث كانت الجزية قبل عهده تجبى منهم بطريقة جماعية وتقدر بنحو أربعمائة دينار سنويا مما اضطر عددًا كبيرًا من اليهود إلى الهروب ومغادرة القدس. فلما تولى السلطان جقمق أمر بجباية الجزية من كل فرد على حدة، وهذا جعل اليهود يشعرون بالأمن ويعودون إلى القدس(٤).

وأيضا من أمثلة المعاملة الحسنة من سلاطين المماليك لليهود مرسوم السلطان خُشْقَدم بإعفاء سكان دير صهيون من النصارى واليهود(٥) من أى رسوم أو

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٣٢، ص٤٠١.
(٢) على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص١٢٥
(٣) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، ق١، ص ١٦، ص١٩٨.
(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٧٢.
See: Adler , Elkan Nathan: Jewish Travellers.
(٥) تستدل الباحثة من خلال هذا النص على وجود اليهود على استحياء بمنطقة دير صهيون فى حين أن هناك عددا كبيرا من الباحثين ينفى وجودهم هناك، وليس معنى هذا تمركز اليهود فى تلك المنطقة إنما كان وجودهم فيها بقصد الزيارة للأماكن اليهودية المقدسه هناك، ويؤكد ذلك كلام الرابى ميشلوم بن مناحم والرابى عوبيديا إذ يذكرون عروج اليهود المهاجرين

مكوس، ونُقِش بذلك رخامتان أُلصقتا بحائط المسجد الأقصى من جهة الغرب عام (٨٧٢هـ/١٤٦٧م). ويورد البصروى نص المرسوم فيقول: "وأنه إذا حدث طلب بالقدس الشريف على النصارى واليهود بسبب تكسير أو غير ذلك لا يُلَزم رئيس دير صهيون بشيء من ذلك وأن يُعْفَوا من سائر المغارم والمظالم"(١).

وهذا الأمر شجع عددا كبيرا من اليهود على إعلان إسلامهم طواعية(٢). كما أن السلطان أوصى النجيد فى القدس بعدم تحميل اليهود فوق طاقاتهم عند تحصيل ضريبة المرورعن اليهود القادمين للتجارة وتقدر بثلاث دوكات للفرد(٣). وهذا الأمر يدل على أن اليهود القادمين للتجارة من دول مختلفة قد يؤثرون فى أعداد

= أو الذاهبين للدراسة أو بقصد الحج إلى ذلك المكان وقد يقيمون فترة من الزمن، ثم ينتقلون للإقامة فى مكان آخر بقصد القرب من أرض الميعاد، وهذا بطبيعة الحال يؤثر فى محاولة الوصول لتعداد اليهود فى منطقة النيابة ككل إما بالزيادة أو النقصان أثناء فترة الدراسة .

(١) البصروى: تاريخ البصروى، تحقيق أكرم حسن العلبى، دار المأمون للتراث، سوريا، ١٩٩٨م، ص٥٤؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٧٥؛ كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج١، ص١٩١؛ فتحى نصار: وثائق فلسطين، من العهدة العمرية إلى وعد بلفور، الدار الثقافية للنشر ٢٠٠٣م، ص١١. وفى رواية لابن إياس لأحداث عام ٨٦٨هـ يذكر : "أن السلطان خشقدم أصدر مرسوما فى القاهرة يقر فيه المراسيم السابقة لمعاملة أهل الذمة ومنعهم من مباشرة الدواوين مطلقا ما عدا الطب والصرف وألا يتعمموا بأكثر من عشرة أذرع وضيق عليهم، وانفض المجلس إلا أن اليهود سعوا بمال (أى أنهم استخدموا الرشا) وأوردوه للخزائن الشريفة حتى أبقاهم السلطان على حالهم الأول من مباشرة الدواوين" ابن إياس: بدائع الزهور فى حوادث الدهور، ص١٣٣-١٣٤ . والناظر لهذا النص قد يجد تعارضا بين رواية البصروى ورواية ابن إياس وكلاهما شاهد عيان وببعض التدقيق لا يظهر تعارض؛ فكلام البصروى اختص به أهل الذمة فى نيابة القدس وكلام ابن إياس اختص به أهل الذمة فى القاهرة وخاصة النصارى؛ لأنهم هم من باشروا بالدواوين وليس اليهود وهذه حالة تسبق مرسوم السلطان عام٨٧٢هـ الذى اختص به الذميين فى القدس؛ فلعل أسباب مرسوم عام ٨٦٨هـ تختلف عن أسباب مرسوم عام ٨٧٢هـ.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل فى ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، بيروت٢٠٠٣م، ج٨، ص١١٤.

(3) Norman ,A. Stillman: The Jews of Arab Lands ,A History and Source Book, Philadelphia,1979, p.264.

اليهود بالزيادة، ولكنها زيادة مؤقتة، كما أنهم كانوا يدفعون ما يعرف بضريبة المرور للمناطق التى تمر بها تجارتهم وقد تؤخذ منهم فى كل بلد يمرون عليها، إلا أن التجار السابق الإشارة إليهم اعتمدوا على مبدأ الوساطة ولم تُحصَّل عنهم هذه الضريبة عندما وصلوا القدس.

أيضا، حرصت السلطة المملوكية متمثلة فى سلاطين المماليك ونوابهم فى القدس، على تمتع اليهود بحرياتهم وحقوقهم الدينية فى ممارسة طقوسهم وترميم معابدهم وبيوتهم.

وعندما طالب أهل القدس بهدم كنيس لليهود عام (٨٥٦هـ/١٤٥٢م) لأنه مُحْدَث، عرضت القضية على قضاة القدس فأمر بعضهم بالهدم والبعض الآخر بعدم الهدم فاستجاب نائب القدس للفريق المعارض للهدم[١]؛ مما يدل على جو التسامح الذى كان يعيش فيه اليهود.

وفى عام (٨٧٨هـ/١٤٧٣م)، أمر السلطان الأشرف قايتباى بعقد مجلس بالقدس الشريف لينظر فى الشكوى المقدمة من اليهود ضد المسلمين؛ لأنهم استولوا على دار يهودية متهدمة إثر مطر أصابها ضمن وقف كنيس لهم بالقرب من مسجد للمسلمين خلف حارة اليهود فى القدس حتى يكون الوصول للمسجد أسرع، فحكم قضاة مصر وعلماؤها بأحقيتهم لهذه الدار ما لم تكن الكنيس مُحْدَثة[٢]، على الرغم من فتوى قاضى القدس بعدم أحقيتهم لهذه الدار. أيضا كان من نواب القدس من سمح لليهود بتقديم الرشوة له وقَبِلها مقابل أن يسمح لهم بتجاوزات، كما حدث أن بذل اليهود مالا للأمير أركماس الجلبانى (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) حتى يبنوا كنيسا لهم مستحدثا بمنطقة دير صهيون[٣].

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٧٦.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٠ - ٣٠٣ والحادثة مروية بالكامل فى الكتاب وللباحثة إيضاح وتعليق على هذه الحادثة من واقع المصادر العربية ووثائق الجنيزة المتناولة لتلك الحادثة فى الفصول التالية.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٣٩٩، أحمد دراج: وثائق دير صهيون، القاهرة ١٩٦٨م، ص١٤.

ولكن مثلما حرص سلاطين المماليك على التعامل الحسن مع اليهود وجدناهم يتخذون بعض الإجراءات الاحترازية لمواجهة فساد اليهود وانتهاكهم للقوانين التى تضعها السلطة المملوكية، فنجدهم يبيعون الخمر ويتاجرون فى لحم الخنزير ويبيعونه للتجار الأوروبيين ويقومون بزغل النقد[1] (أى تزييفه)، والتكبر والتعالى على المسلمين حتى إنهم وجدوا أنفسهم أكبر من أن يلتزموا بمرسوم السلطان قلاوون عام (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) فى ارتداء العمائم الصفراء التى تميزهم عن المسلمين والنصارى، وقاموا بإثارة الفتنة بين طوائف الشعب منتهكين بذلك القوانين الدينية.

فأعيد إصدار المراسيم والفرمانات المشددة التى تمنع استعمالهم فى الوظائف المختلفة وتلزمهم بلباس معين. فنجد مراسيم أعوام (٨٢٢هـ، ٨٢٥هـ، ٨٦٧هـ، ٨٨٦هـ)[2] التى تأمر نواب السلاطين على النيابات المختلفة بالتشدد مع أهل الذمة وعدم استخدامهم فى الوظائف وتلزمهم بزى معين؛ حيث ألزموا اليهود بارتداء العمائم الصفراء ومنعوهم من ركوب الرحائل وألزموهم بجعل مقدمة نعالهم مثنية تمييزا لها عن نعال المسلمين، وحُرِّم على نسائهم دخول الحمامات إلا وفى رقابهن أجراس، وألزموا اليهود بلبس الغيار[3].

---

(١) إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام فى العصر المملوكى، ترجمة سهيل زكار، دار حسان للطباعة، دمشق ١٩٨٥م، ص١٩١.

(٢) للاستزادة ومعرفة نص المراسيم السلطانية وأسبابها يمكن الرجوع إلى(النعيمى: مذكرات يومية، مخطوط، ص١٠، ١٨٥، مرسوم أحد الملوك الصلاحية بإلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية، ص٨، مخطوط، ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، مج٢، ص١٩٨، ابن دقماق: الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، ص٣٩٥ -٣٩٦، المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٩٠٩ -٩١٢، بيبرس المنصورى: التحفة الملوكية فى الدولة التركية، ص١٦١.وكثير من هذه المراسيم كانت تصدر بالقاهرة ولكن ينص بداخل المرسوم على أنه فى جميع أعمال مصر وبلاد الشام وبالتالى ما ينطبق على يهود مصر فى المراسيم ينطبق على يهود منطقة الدراسة باعتبارها ضمن بلاد الشام.

(٣) الغيار: قطعة من القماش تغاير فى لونها لون الزى الملبوس ويكون خياطتها على الكتف دون الذيل وهو نوع من الزى عرف به أهل الذمة فى العصور الوسطى. رينهارت دوزى: المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية، ص١٢١، النويرى: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٣٨،

وإذا ظهر من اليهود ما يخالف القوانين التى وضعها المماليك فإنهم لا يتورعون عن عقابهم ؛وهذا ما حدث من الأمير أركماس حينما كان نائبا للقدس (٨٩٩هـ/١٤٩٣م)؛ فقد ذكر ابن الحمصى فى حوادث هذه السنة قيام اليهودى صدقة السامرى بزغل النقود، فقد وجد الأمير قرابة ثمانين دينَارا أشرفيا زَغلا، "فأحضر معلم دار الضرب وجماعته ورَسّم عليهم فذكروا له أن هذه النقد قُبِضت من صدقة السامرى وهو مُرَسَّم عليه فى القلعة، وهذا الخنزير كان لا يعتبر للمسلمين، ولا يلتفت إليهم حتى الأشراف يقفون فى خدمته وأركان الدولة تعظمه فكشف الله تعالى بهذا الزغل أمره"(1).

واستمر فى الترسيم فى القلعة إلى أن حضر جوابُ السلطان ونُقِل إلى القاهرة، وصودرت أمواله، ثم أُطلِق وعاد إلى ما فعل فرسم عليه مرة أخرى فأسلم على يد نائب القلعة، وباع داره للنخالين وهى بحارة السامرة، وهى دار عظيمة مؤنقة ذُكر أنه تكلف فى عمارتها ستة عشر ألف دينار فهدمت واشترى الناس آلاتها، ثم أُطلِق من القلعة(2) وأعلن إسلامه. وفى موضع آخر من الكتاب يذكر المؤرخ أن إسلام صدقة السامرى كان تقيَّةً لخوفه من السلطان مما اضطر السلطان الأشرف قايتباى إلى أن يضربه بالمقارع تأديبا له لما علم بذلك عام (٩٠٠هـ/١٤٩٤م)(3).

= وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ٨٦٨هـ أن السلطان خشقدم أصدر مرسوما بإلزام أهل الذمة ببعض الشروط وقد كتب بذلك المرسوم "إلى سائر الأقطار"؛ وبالتالى ينطبق نص المراسيم المتقدمة والمتأخرة التى تلزم أهل الذمة بالشروط السابقة على كل أهل الذمة المنضوين تحت حكم المماليك فى مختلف أقطار النيابات المختلفة.

(١) شهاب الدين بن الحمصى: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت١٩٩٩م، ج١، ص٣٧٩.

(٢) شهاب الدين بن الحمصى: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٠؛ العيدروسى: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد ١٩٣٤ م، ص١١١؛ الغزى: الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، بيروت لبنان، ج١، ص١١٢؛ موسوعة علماء المسلمين فى تاريخ لبنان الإسلامى، طبعة بيروت٢٠٠٥ م، ج٤، ق١، ص١٩٨ -٢٠٣.

(٣) شهاب الدين بن الحمصى: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ج١، ص٣٨١ .

وكان بعض نواب القدس يشتطون فى عقاب أهل القدس - ومنهم أهل الذمة - غيرة على الدين؛ حتى وصل الأمر بأن شكا أهل الذمة من نائب القدس خشقدم (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م) الذى كان لا يتورع عن ظلمهم[١] ومنهم اليهود، كما ذكر مجير الدين ظلم النائب دقماق لأهل القدس حيث "بقى الناس فى شدة"[٢].

هذا؛ وقد سار العثمانيون سيرة سابقيهم من المماليك فى فرض الجزية على اليهود الموجودين فى لواء القدس الشريف (سنجق)، وكانت تُفْرَض على كل خانة (تمثل عائلة يهودية) فى دفاتر حصر أعداد أهل الذمة فى اللواء، فلم يعتمد العثمانيون فى تطبيقهم للجزية على قاعدة الرءوس وإنما اعتمدوا على قاعدة الأنفار، والنفر مساوٍ للخانة. وقد انحصر وجود اليهود فى مدينة القدس وبعض المناطق المحيطة بها كعسقلان والرملة فقط حيث بلغ عددهم ١٩٩ خانة وبلغت الجزية المجموعة منهم (١١٩٤٠ أقُجَّة)؛ أى بواقع ٦٠ أقُجَّة عن كل نفر (خانة) من جماعة اليهود[٣].

وقد أوضحت السجلات العثمانية أن قيمة الجزية كانت تختلف من وقت لآخر؛ حيث سجلت الجزية المحصلة عن النفر ويدعى ابن تمام اليهودى ٣٠٠ أقُجَّة[٤] فى عام (٩٤٠هـ/١٥٣٣م)، ومن الواضح أن هذا الشخص قد تأخر عن دفع الجزية خمس سنوات بدليل المبلغ المتراكم عليه، وينبهنا أيضا إلى أن السلطة العثمانية كانت تتسامح فى جباية الجزية إن كان الشخص معسرا.

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٠١.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٧١.
(٣) محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير(T.D.247)، ج١، ص ٣١.
(٤) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: المصدر السابق، ج١، ص ١١٣.

الوظائف التى شغلها اليهود فى القدس:

عند استعراض المصادر العربية وجدنا معلومات ضئيلة عن الجهاز الإدارى للمجتمع اليهودى خلال فترة الدراسة؛ نظرا لعدم اهتمام مسجلى تلك المصادر بأخبار اليهود وما يتعلق بهم. ولكن يكمل النقص من خلال خطابات الجنيزة التى أرسها الرابى عوبيديا لأخيه فى إيطاليا عندما توجه لزيارة القدس الشريف فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى). ولعله من خلال كتاباته كان غير قانع بالأداء الإدارى المملوكى فى القدس على مستوى الطائفة اليهودية؛ حيث أكد على أن الفرصة كانت متاحة أمام اليهودى الذكى الملم بالعلوم السياسية أن يتبوأ منصبا قياديا فيقول:" إذ لا يوجد من بين كل الأهالى رجل حكيم له حس خاص ولديه الحنكة للتعامل مع رجاله التابعين له بدماثة؛ فجميع أولئك جهلاء يسيئون الظن فيمن حولهم وكل ما يهمهم الكسب المادى فقط"(١).

هذه العبارة شهادة يهودى على بنى جلدته خاصة وأنه يشهد على يهود القدس. وهذه الشهادة تُبرز أمرين:

١- لم يكن اليهود القاطنون فى القدس ممن لديهم وعيٌ سياسيٌّ، ومكانة عالية، بل كانوا من الجهلاء كما وصفهم عوبيديا فلم يستطع أحدهم أن يتبوأ منصبا قياديا لأن الشرط الذى وضعه عوبيديا لم يتوافر عندهم؛ فلم يكن منهم من لديه حسٌّ سياسيٌّ أو ذكاءٌ أو قادرٌ على التعامل مع من حوله فى ظل فهم واعٍ.

٢- أغلب القاطنين من اليهود فى القدس من فقراء اليهود، ومثيرى الشغب، مما جعل السلطة تفرض عليهم ضرائب إضافية أسبوعية ولم يستطيعوا رفعها لأنه لم يوجد بينهم من هو قادر على كسب ود السلطة فترفع عنهم ذلك.

أما بالنسبة لتشكيل الجهاز الإدارى المنظم للمجتمع اليهودى فى عصر الدولة المملوكية فقد شمل عدة وظائف، يأتي فى مقدمتها المسئول عن اليهود وهو الذى يعرف بالنجيد.

(1) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, (in Hebrew),p. 34, Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p. 235.

النجيد

يعنى هذا اللقب شيخ اليهود (השייח יהודים) أو رئيس اليهود [١]. وهى كلمة توراتية ولها مقابل بالعربية فهى تعنى (أمير) بالعربية وبالعبرية (היהודים המנהיג של) أى رئيس الديسبورا[٢]، أو الشتات[٣]، وكان يطلق عليه رأس الجالوت[٤] أيام الخلافة العباسية، وهذه الوظيفة وراثية[٥]، و فى العصر المملوكى أطلق عليه لقب النجيد، وهو الممثل الوحيد لليهود أمام السلطة الإسلامية[٦] متمثلة فى حكم المماليك ثم العثمانيين، إلا أن العثمانيين أطلقوا عليه الحاخام باشى[٧]. ولم تعد هذه الوظيفة وراثية، وأطلقت وثائق الجنيزة ألقابا عديدة عليه؛ فقد عرف فيها بمردخاى العصر، وجرت العادة أن يكون النجيد من طائفة اليهود الربانيين، ويعين اثنين من الوكلاء لمساعدته أحدهما رئيس للقرائين والآخر للسامرة؛ إلا أن رئيس السامريين كان يتلقى خطاب تعيينه من السلطان أو نائبه مباشرة[٨]. وعليه أن يحكم اليهود وفقا للمبادئ الدينيه التى تحكم طائفته[٩].

---

(1) Cohen , Amnon: Jewish life under Islam, p.50.

(٢) الديسبورا: كلمة يونانية تعنى التشتت، وتستخدم للإشارة إلى الأقليات اليهودية فى العالم الموجودة فى المنفى حسب التصور اليهودى، زعيم الديسبورا بهذا المعنى لقب يطلق على رئيس اليهود المشتتين فى أرجاء العالم بعد السبى البابلى.عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية "رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة ١٩٧٥م"، ص ١١٨.

(3) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, Vol .1, P.24.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، مج٤، ص٦٢، ويرى الدكتور المسيرى أن هذا المنصب ظل حتى القرن الثالث عشر الميلادى بشكل اسمى حتى تم إلغاء هذا المنصب على يد تيمورلنك عام(٨٠١هـ/١٤٠١م) وحل محله لقب رئيس اليهود فى البلاد الإسلامية، ثم تغير إلى لقب الحاخام باشي في العصر العثماني.

(5) Hirschberg , H.Z.(J.W): A History of the Jews in North Africa, Leiden 1974 , vol. 1 , p.209.

(6) Mann, Jacob: Texts and Studies in Jewish History and Literature, New York, 1972, vol.1 ,p.54.
Mann, Jacob: The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, New York, 1970, vol.1, pp. 255-256.

(٧) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، مج٤، ص٤٨.

(٨) المقريزى: تاريخ اليهود، ص١٤٢، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٤؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، ج٤، ص٦٦.

(9) Cohen, Mark R.: Jewes In Mamluk Environment, The Crisis of 1442 (A Geniza Study), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. 47, No. 3 (1984), p. 439.

ويكون لنجيد اليهود الحكم على طوائف اليهود الثلاث، ويشترط فيه أن يكون من أكبر الكهنة وأكثر الأحبار علما وأن يكون متعمقا فى الدين اليهودى وقد أشار إلى ذلك القلقشندى وابن فضل الله العمرى[1]، أما جوايتين فقد ذكر أن رئيس اليهود يُعين من قِبل الخليفة فى القاهرة، ولكن بعد موافقة الطائفة اليهودية ويحصل على التأييد من جهات ثلاث، وهى:

١- اليهود المحليون والساكنون فى القدس وما حولها لأنه سيكون رئيسا عليهم.

٢- السلطات اليهودية فى القاهرة، حتى تعطى له بعض الألقاب الشريفة.

٣- الحكومة الإسلامية متمثلة فى السلطان المملوكى، وهذا يعطى له الطابع الرسمى لممارسة مهام منصبه[2].

وقد تأكد هذا الأمر على مر العصور؛ فمنذ عام (٤١٦هـ/١٠٢٥ م)[3] عُثر على خطاب أرسله سولومون هاكوهين إلى اليهود القرائين والربانيين فى مصر يطلب منهم الدعم والمساندة حيث انتخبه اليهود فى القدس ليكون نجيدا عليهم[4]، وهذه الشروط لا تختلف كثيرا عما أورده القلقشندى، وابن فضل الله العمرى.

ومنصب النجيد على هذا النحو لا بد أن نتوقف عنده لأهميته بالنسبة للمجتمع اليهودى؛ فله دور مهم فى استقبال اليهود الغرباء واستضافتهم بكل كرم، وهذا ما أشاد به ميشلوم بن مناحم[5] والرابى عوبيديا الذى قام بدوره باستقبال الطالب اليهودى وأخيه حينما وصلا للقدس عام (٩٠٠هـ/١٤٩٥م)[6]. ولكن لا بد من

---

(١) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٣، القلقشندى: صبح الاعشى، الاعشى، ج٤، ص١٩٤.

(2) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society,vol.2,p.294.

(٣) يمكن الاستدلال بهذا الخطاب على الرغم من تقدم الفترة الزمنية عن فترة الدراسة، وذلك لأن المسألة التى نستدل عليها واحدة وهى مسألة تعيين نجيد يباشر أمور اليهود وهذا الخطاب قد يرسله كل من يرشح لهذا المنصب لتلقى الدعم والمساندة، وهذا لا يمنع أبدا أن تكون أعمال النجيد فى القدس الشريف مراقبة من قبل نجيد اليهود فى القاهرة باعتبارها العاصمة الأولى لدولة المماليك، ويستدل بذلك أيضا على تراجع مركز اليشيفاه (المدرسة الدينية) اليهودية فى فلسطين ومكانه القدس الشريف فى الفترة المملوكية، وهذا يعود للسياسة التى كان المماليك ينتهجونها ضد اليهود فى الفترة محل الدراسة.

(4) Cohen, Dov: Remnants of Lost Ladino Books ,Genizah Fragment,Sects and and the City, The Newsletter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No. 58 October 2009.

(5) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.172.

(6) Obadiah: A Student's Letter, p.86. وذكر عوبيديا اسم الطالب ولم يذكر اسم أخيه

إيضاح بعض الأمور، فأنا هنا بصدد دراسة اليهود وأحوالهم فى نيابة القدس، لذا فالواجب أن نعلم أن يهود نيابة القدس كانوا تابعين ليهود القاهرة، وبالتالى كان المتولى أمر الطائفة اليهودية أمام السلطة المملوكية هو نجيد اليهود بالقاهرة إلا أنه كان يعين نائبا عنه بالولايات المختلفة؛ ومن ثم فنجيد اليهود بالقدس هو نائب عن نجيد الطائفة اليهودية العام. وممن تولى هذا المنصب فى فترة الدراسة يعقوب بن موسى وسولومون هاكوهين وناثان هاكوهين (٨٨٥هـ/٩٠٨هـ -١٤٨٠م/ ١٥٠٢م).

وقد أشار عوبيديا فى أحد خطاباته لأخيه عندما انتقل للقدس بأن نجيد اليهود بالقاهرة قد عينه نائبا عنه؛ حيث قال:" وإنى أسكن هنا فى القدس فى البيت المخصص للنجيد الذى قام بتعيينى حاكما"[(١)]؛ وهنا يشير عوبيديا لتوليه منصب نجيد اليهود بالقدس نائبا عن نجيد اليهود بالقاهرة.

وفى ضوء المادة المتفرقة التى تحتوى عليها خطابات عوبيديا نستطيع أن نقول، إن نجيد اليهود كان يعين عددا من الموظفين عرفوا بالجاؤنيم (גאונים) كما أشار إليهم عوبيديا، وهو لقب يشير إلى الرفعة والعظمة والاحترام. ثم تطور هذا اللقب ليشير إلى كل من نبغ فى التوراة، وعليهم مساعدة النجيد فى أعبائه[(٢)]. وتجدر الإشارة إلى أن عوبيديا فى خطاباته كان يشير لنجيد اليهود وعلماء اليهود بلقب "شيخ" وهذا اللفظ هو الذى سمعه عوبيديا أثناء تواجده بالقدس[(٣)].

وقد تعددت اختصاصات النجيد؛ فمنها الدينية، والسياسية، والقضائية، والاجتماعية؛ فمنها مراقبة عقود الزواج وحماية مصالح الطائفة اليهودية، كما كان مسئولا أمام السلطة المملوكية عن تقديم سجلات يقال لها "الرقاع" مدون فيها أسماء المقيمين عنده من أهل ملته ومن طرأوا على البلد من مناطق أخرى. وفى آخر الرقاع يدون من اعتنق منهم الإسلام أو من هلك بالموت أو من خرج من البلاد وإلى أى جهة توجه[(٤)]؛ الأمر الذى يسهل مهمة مباشر الجوالى[(٥)] المكلف

---

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.229, Obadiah: A Student's Letter, p.82.

(٢) على أحمد محمد السيد: اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص١٥٨ – ١٥٩.

(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.229.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٤٦ – ٢٤٧.

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٢.

بجمع الجزية التى تفرضها عليهم السلطة طبقا للشريعة الإسلامية، وأيضا يسهل إعادة أموال من مات منهم وليس له وريث إلى ديوان المواريث الحشرية[١]، وكان يقوم باستخراج التصاريح التى تسمح بحق المواطنة من قِبل السلطات الإسلامية عند قدوم أى يهودى للإقامة فى المدينة؛ فيأخذ بذلك براءة[٢] يتمتع بمقتضاها بحرية الحركة والتنقل داخل البلاد الإسلامية.

ومن خلال وثائق الجنيزة وجدنا الرابى عوبيديا يوضح اختصاصات النجيد التنفيذية؛ ومن هذه الاختصاصات حقه فى توقيع العقوبات مثل الجلد والسجن وإشرافه على تنفيذ تعاليم الدين حسب الشريعة اليهودية، وتحديد مستويات أعضاء الجماعة وثرواتهم لتقرير قيمة الضرائب، كما يقوم بالحفاظ على الأمن[٣]. ومن الوظائف التى تناط بالنجيد أيضا أن يقوم بالترجمة بين بنى ملته والسلطة الإسلامية. فمن ذلك ما ذكره الرحالة ميشلوم بن مناحم فى أحد خطاباته عام (٨٨٦هـ/١٤٨١م) من أنه تقابل هو ومجموعة من التجار اليهود الإيطاليين فى رحلة تجارية إلى القاهرة تنتهى بالقدس (الأرض المقدسة) من أجل الزيارة والتبرك بعد إنهاء مهامهم وتقابلوا مع السلطان المملوكى، وكان الرابى سولومون هاكوهين هو القائم بعملية الترجمة لهم عند السلطان. وفى نهاية اللقاء بعد الترحيب وقضاء حاجياتهم ذهبوا للقدس لمقابلة النجيد هناك، وفى هذه الفترة كان النجيد هو الرابى عوبيديا، وقد قام بالترجمة لهم عند نائب القدس، كما قام الرابى "رباح" بالترجمة لكل من الطالب اليهودى وصديقه أثناء رحلتهما إلى القدس مما يثبت وجود وظيفة الترجمان[٤]، وكان يتقلدها يهود فى تلك الأثناء جنبا إلى جنب مع المسلمين، ومما يثبت هذا الأمر أن سجلات دفاتر التحرير العثمانية ذكرت تولى اليهود لوظيفة ترجمان البلاط حيث تقلد اليهودى عزرا بن سلمون اليهودى الإسطنبولي وظيفة ترجمان الفرنج البنادقة[٥].

سار العثمانيون سيرة سابقيهم فى تقليد اليهود الوظائف الدينية، فعينوا رؤساء للطوائف اليهودية؛ فهناك رئيس لطائفة اليهود الربانيين ورئيس لطائفة اليهود

(١) المصدر السابق، ص٤٦٤.
(2) Goitein, S.D.: Letters of Medieval Jewish Traders, Princeton university, 1975, p. 126.
(3) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah ofBerteanuoro ,p.265.
(4) Norman A. Stillman: The Jews Of Arab Lands ,A History and Source Book, pp.264 - 265 .
(٥) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٢٩، (محرم ١٠٥٨هـ)، ص٣٥٤ – ٣٥٥.

القرائين ورئيس لطائفة اليهود السامرة. وقد عين العثمانيون رئيسا عاما لليهود وكان من طائفة الربانيين ولم تكن تبعيته لنجيد اليهود في القاهرة كما هو الحال أيام الدولة المملوكية، ومن الظاهر استقلال كل طائفة بأمر نفسها[1].

وقد ذكرت المصادر العثمانية تولى يعقوب بن موسى منصب النجيد وقد ورد اسمه كثيرا ضمن قائمة لعلماء اليهود ورجالهم المعدودين، وفى الفترة من عام (٩٦٣هـ - ٩٧٨هـ) تولى هذا المنصب شمويل بن جوكار وكان يلقب بشيخ اليهود (أى كبير اليهود). وقد أشارت دفاتر التحرير العثمانية إلى وجود أحد عشر شيخا لليهود فى الفترة من (٩٤٤هـ - ٩٧٨هـ /١٥٣٧م -١٥٧٠م) منهم شميلة بن يوسف، ويوسف بن عبد الكريم، ويعقوب بن حاييم فلاك[2]، كما أشارت الدفاتر العثمانية إلى وجود نجيد لليهود بمَحِلَّة الدابسة يدعى "مناحيم"، كما أشار إلى وجود خادم للكنيس اليهودى فى محلة المسلخ، ومن ضمن المناطق التى عاش فيها اليهود فى سنجق القدس محلة الريشة ومحلة صهيون[3].

الديَّان:

القاضي الشرعي لدى اليهود. والديان قاضٍ متخصص تلقَّى تدريبًا خاصًا يُمكِّنه من إصدار أحكام في القضايا الدينية، ولذا كان يُعَدُّ عالمًا توراتيًا من الناحية الأساسية، وأيضًا عالماً في القضايا الأخرى التي تخص الجماعة اليهودية[4]، بينما كان يتقاضى ما يعرف برسم النكاح مقابل اعتماده لوثيقة الزواج. وقد ورد ذكر عديد من اليهود الذين تولوا منصب الديان فى نيابة القدس، ومنهم يوسف بن إبراهيم، وإسحاق بن يعقوب بن حاييم، ونسيم بن فرج، وسولومون بن يوسف فى الفترة من (٩٤٧هـ -٩٩٧هـ/١٥٤٠م - ١٥٨٨م). وقد ورد ذكر الديان داود بن

(١) دفتر تحرير عثمانى رقم ٥٢٢ (أوقاف لواء القدس ونابلس وغزة وصفد وعجلون فى القرن العاشر الهجرى) تحقيق محمد إيشرلى، ومحمد داود التميمي، إسطنبول ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٥٣، محسن على شومان: اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن ١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م، سلسلة تاريخ المصريين رقم١٩٢، ج٢، ص١١.

(٢) دفتر تحرير عثمانى رقم ٥٢٢ (أوقاف لواء القدس ونابلس وغزة وصفد وعجلون فى القرن العاشر الهجرى)، ص٧٠. Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam ,p. 39.

(٣) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير(T.D.1015)، ج٣، ص١١.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، مج٤، ص٤٧.

زَاميرو فى إحدى الوثائق المقدسية المؤرخة بتاريخ (٩٧١هـ/١٥٦٣م) حيث كان ضمن شهود تسليم أجرة إحدى مقابر اليهود فى القدس. وقد عرف هذا الديان فى المصادر اليهودية بأنه ديفيد بن زِيمْرا، أو راداباز وهو من فقهاء اليهود[١]. وغالبا ما يكون الديان من طائفة اليهود الربانيين إذ هو المفضل والمميز عن باقى القضاة اليهود؛ وكذلك كان الديّان (السفرديمى) أى الممثل ليهود المشرق أكثر أهمية من الديان الأشكينازى وهو الممثل ليهود الغرب[٢]. وقد رصدت المصادر اليهودية تولى (أنّو بن آزر) وظيفة الديان وكاتب عقود الزواج، وذبّاح فى المعبد اليهودى فى عام (٩٦٥هـ/١٥٥٧م)[٣].

وفى سابقة تذكرها المصادر العربية تولى داود القرائى اليهودى مباشرا لنظارة الجيش ونظر الدواوين؛ فاجتمعت له وظيفتان لم تجتمعا لأحد من قبله[٤] فى عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م).

مجلس الطائفة:

يتكون من النخبة المثقفة وهم مجموعة الأحبار الرسميين (الحاخامات) وقضاة اليهود ويُطْلَق عليهم (الديَّانون) والأعيان من اليهود، وغالبا ما يسيطر هؤلاء بأموالهم وسلطتهم على أصحاب النفوس الضعيفة من السلاطين والأمراء، ليس هذا فحسب بل تمتد سلطتهم إلى الطائفة اليهودية لما لديهم من قوة اقتصادية[٥]؛ إذ كان يتم ترشيح وكيل عن كل عائلة ليمثلها فى المجلس بعد موافقة السلطات المملوكية، وفى حالة وفاة أحدهم يمكن توريث منصبه للابن[٦]. وقد ترك لهم النجيد جمع التبرعات من أبناء الطائفة والصدقات والغرامات ورسوم الذبح والأوقاف وإيجار الأملاك. وقد سجلت خطابات الجنيزة العديد من التبرعات التى كان يرسلها كبار تجار اليهود إلى مجالس الطائفة الدينية التى كانوا يتبعونها، إلا أنه من الملاحظ أن أغلب التبرعات كانت تذكر قيمتها ما عدا التبرعات التى كان يقدمها كبار التجار إلى مجلس الطائفة فى فلسطين (القدس) - ولعل هذه التبرعات

(1) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam,p.44.
(2) Ibid. , pp. 109 -110.
(3) Ibid: P. 45.
(٤) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق٢، ص٢٦.
(5) Hirschberg, H.Z. (J.W): A History of the Jews in North Africa, p.225.
(6) Eliyahu, Ashtor: T oldot ha-Yehudim be-Mitsrayim ve-Suryah taḥat shilṭon shilṭon ha-Mamlukim me-et E. Shṭraus,. vol (II), P. 190.

كانت قليلة نظرا لقلة عدد اليهود في المنطقة - فقد كانت القيم تخدد لمختلف الأماكن وتتراوح بين عشرة دينارات إلى مائتى دينار[١].

ولكننى عثرت على خطاب غير محدد التاريخ يُذكر فيه إرسال مبلغ عشرة دينارات على سبيل التبرع لمجلس الطائفة فى فلسطين[٢]، ومن المرجح أن هذا الخطاب من أحد كبار التجار؛ لأنه وزع مبلغ التبرع بين أعضاء مجلس الطائفة فى فلسطين والعراق، ويدل على قلة أعداد اليهود المستحقين للتبرعات.

على أية حال، كانت أموال التبرعات التى كان يرسلها كبار التجار والأعيان من اليهود فى مختلف المناطق توزع على فقراء اليهود؛ فمن حقهم الحصول على الأموال الخيرية التى تخصص لهم من قبل الطائفة التى ينتسبون إليها[٣]. وهناك وظائف مرتبطة بالكنيس اليهودى أى أنها تعد وظائف دينية. وقد كان لليهود كنيس بحارة اليهود فى القدس الشريف[٤] ولم تذكر المصادر وجود كنيس لليهود فى مدينة خليل الرحمن، ومن تلك الوظائف:

المرتل :

وهو من يطلق عليه الحزّان (החזאַך) وتعنى المنشد داخل الكنيس، ومن مهامه الأساسية تلاوة البيوط[٥] فى صلاة الجماعة، وقد كان بعض المرتلين يتنقلون بين القدس ومصر ويتصدرون للصلاة مقابل أجرة يحصلون عليها من الطائفة. وقد يجمع المرتل إلى وظيفته هذه وظيفة كاتب محكمة أو كاتب عمومى، أو مؤدب أطفال أو قاضى القضاة فى الجماعات اليهودية الصغيرة[٦]، وقد ذكر عوبيديا أنه وجد فى كنيس اليهود خمسة مرتلين يؤدون الأناشيد والصلوات يوم السبت بعذوبة لم يسبق له سماعها من أى مجموعة مرتلين آخرين[٧].

---

(1) Eliyahu, Ashtor: o.p. cit., vol.(II), p. 211.
(2) Obidia: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.184.
(3) Eliyahu, Ashtor: O.p. cit, vol.(II), p.211.
حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان، وعبد الغنى أبو العزم، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٧م، ص ١٣٤.
(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٤٢٦
(٥) البيوط: يطلق عليه بالعبرية البيوطيم وهو عند اليهود الشعر الدينى الذى يُتلى فى صلوات الجماعة، وقصائده تعرف باسم حزّانة(חלק את). د/ ليلى أبو المجد: الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط، دكتوراه كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٧م، ص١٥٤.
(٦) مارك كوهين: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ترجمة نسرين مرار، وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران، وساسون سوميخ، مكتبة لقاء، المعهد اليهودى العربى جامعة تل أبيب ١٩٨٧م، ص٤٩.
(7) Obadiah Berteanuoro : Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, p. 54.

الذبّاح:

وهى بالعبرية (שוחית) وتنطق (شوحيط)[1] وهو من يقوم بذبح القرابين حسب مقتضيات الديانة اليهودية. والذابح لا بد "أن يكون بالغا قوى النفس ملازما للصلوات وعلى مذهب سيدنا موسى"[2]. ومن شروط الذبيحة عندهم "ألا تكون حاملا، ولا مريضة ولا مجروحة ولا مرضعة ولا مما قرب فوات روحه. وأما الآلة فتكون أطول من عنق الذبيحة وتكون سليمة من كل عيب حادة فى غاية ما تكون؛ حيث تتم عملية الذبح بجر الآلة الحادة على العنق من تحت الخرزة الكبيرة مرتين بحدها ويُسمّى على كل خطوات الذبح"[3].

ثم يقوم الذابح بصرف دم الذبيحة كله خارجها ويفك أرجلها حتى يسمح لها بحرية الحركة ولإخراج الدم من أطرافها، ثم يقوم بالكشف على الذبيحة للتأكد من صحة الذبح طبقا للشريعة اليهودية، ولا يجوز أكل الدم والشحم وعرق النساء من الذبيحة[4]، ولذلك فقد أقر فقهاء المسلمين أكل ذبيحة اليهود طبقا للآية القرآنية: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ)[5].

وقد ظهر من وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يقومون بالذبح للمسلمين مقابل أجرة كانت تسدد فى الكنيس اليهودى مقابل الذبح[6]، وقد أسماها جوايتين ضريبة، ضريبة، وهذا الفهم خاطئ؛ إذ لا يجوز أن يدفع المسلمون لليهود ضريبة من أجل الذبح، فليس لليهود سلطة سياسية تستوجب فرض ضرائب على الذبح؛ وإن كان نص جوايتين يمكن فهمه على أن هذه الضريبة كانت تجبى من اليهود مقابل ممارستهم لهذه المهنة طبقا لتعليمات النجيد أو رئيس الطائفة فيكون الأمر مقبولا، أما المسلمون فيدفعون لليهود أجرة مقابل ذبح اليهود لهم. هذا، وقد ربطت مهنة القصابة اليهود عن قرب مع عائلات السلاطين؛ إذ كان عليهم شراء وتوزيع مؤن اللحوم على من فى القصر[7].

(١) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٥، ص١٧٢.
(٢) إسرائيل المغربى بن شاموئيل: الذبح عند اليهود، القاهرة ١٩٣٠م، ص٣.
(٣) موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، تحقيق حسين آتاى مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، بدون تاريخ، ص٥٧٣، إسرائيل المغربى بن شاموئيل: الذبح عند اليهود، ص ٤ -١٠.
(٤) إسرائيل المغربى بن شاموئيل: الذبح عند اليهود، ص ١٨.
(٥) (سورة المائدة، الآية ٥).
(6) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol.2, p.291.
(٧) إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام فى العصر المملوكى، ص١٩٠.

وعند استعراض المصادر فى هذا الشأن تطالعنا إحدى الوثائق المقدسية رقم ٦٣٦ (وثيقة إشهاد)[١] بمفاجأة، حيث فرض قاضى القضاة فى القدس الشريف غرامة على الذبَّاحين اليهود ومنعهم من الذبح للمسلمين وأشهد عليهم بذلك عام (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م).

الوثيقة تتعلق بأخذ تعهد على ثلاثة من اليهود؛ هم (هلال بن موسى بن سعيد، وذِكْرى بن باروخ بن سليمان، وداود بن أشمويل بن موسى) بألا يذبحوا الذبائح للمسلمين. ومن الواضح فى الوثيقة أن هؤلاء اليهود قد قاموا بأفعال تتنافى والشروط المرعية فى الذبح، لذا استدعاهم قاضى القضاة ليشهد عليهم ويحكم بتغريمهم عشرة آلاف درهم تستخدم لعمارة قناة السبيل بالقدس[٢].

وعند فحص الوثيقة نستخلص الآتى :

- قيام اليهود بمهنة القصابة (الجزارة) وذبحهم الذبائح للمسلمين وهو أمر تناوله علماء المسلمين بين الإباحة والكره والمنع[٣].
- قيام اليهود بمخالفة شروط السياسة الشرعية الموضوعة التى يقوم على تنفيذها المحتسب وهى التى ألحقت ضررا بالمسلمين؛ فاقتضت المصلحة العامة منعهم من الذبح للمسلمين وأن لا يبيعوا ذبائحهم من الضأن والماعز والبقر والجمال للمسلمين وتغريمهم إن لم يلتزموا بهذا المنع.
- وردت فى الوثيقة عبارة النذر الشرعي وهذه العبارة نعتقد أنها على سبيل المبالغة أو هى نوع من التجاوز فى الألفاظ؛ لذا تعد هذه الوثيقة عقدا محلولا؛

---

(١) هناك فرق بين الشهادة والإشهاد ففى الشهادة يدلى الشاهد بشهادته أمام القاضى فى مجلس القضاء وتسجل فى الوثائق بكتابة اسم الشاهد وتوقيعه وتسبق بعبارة " شهوده الواضعون خطوطهم آخره، أما الإشهاد فهو أن يُشهد شخص شخصا أو أشخاصا على نفسه بأنه فعل كذا أو صح عنه كذا، وقد يكون الإشهاد فى مجلس القضاء وحينئذ يكتسب قوته وقد يكون فى غير مجلس القضاء، والإشهاد يكون حول أى شيء وكل شيء. كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٦٦، هامش١.

(٢) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، وثيقة رقم ٦٣٦، ج٢، ص ٦٦، وقناة السبيل كانت تحمل المياه من عين العروب (بين بيت لحم والخليل) إلى القدس. كامل جميل العسلى: من آثارنا فى بيت المقدس، طبعة دمشق، بدون تاريخ، ص١٤١.انظروثيقة حرم قدسى شكل رقم (٣) بالملاحق.

(٣) ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق هانى الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٥٩١- ٥٩٢؛ الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص١١٦.

لأن شروطه انتفت أصلا، والألفاظ التى صيغ بها الشرط هى أساس حله؛ فالنذر الشرعى لا يجوز على غير المسلم، والقاضى أراد أن يؤدب هؤلاء اليهود فحكم عليهم بدفع عشرة آلاف درهم.

- التزم القاضى بشروط العهدة العمرية وحسن معاملة أهل الذمة، فأورد عبارة (من غير إكراه ولا إجبار)[1] عند إشهاد اليهود الثلاثة على أنفسهم وأخذ التعهد عليهم بعدم الذبح للمسلمين.
- اشترط القاضى للعفو عن اليهود الثلاثة موافقة ولاة الأمر على قبول النذر (عشرة آلاف درهم) إن هم أخلوا بشروط الذبح.
- أما بخصوص مبلغ الغرامة فقد خُصِص لتعمير قناة السبيل بالقدس وهذا ما يطلق عليه خدمات المياه. وهذه الغرامة مشروطة بعدم التزامهم بالشرط الذى وضعه القاضى، ويمكن الاستدلال من ذلك على استخدام السلطة المملوكية للأموال المُحَصَّلة من اليهود بوصفهم أهل ذمة فى تعمير المبانى الإسلامية وإصلاحها.

الخَتَّان (כתאך) :

هذه الوظيفة من ضمن وظائف الكنيس، وتُعد من الوظائف الدينية، ولا بد أن يتفرغ لها الشخص ولا يقوم بعمل آخر معها؛ وذلك لأن صاحبها يسبغ القداسة على الشعب اليهودى بختنهم، ومن لم يختتن فليس عضوا فى المجتمع اليهودى[2]. ويتم هذا فى المعبد فى اليوم الثامن لميلاد الطفل، ويقيم اليهود للطفل المختون حفلا يتناولون فيه الخمر لمباركته، ولم ترد فى التوراة نصوص تشير إلى ختان البنت مطلقا[3]، وقد أوجب الربانيون ختن الطفل قبل اليوم الثامن من ولادته ولم يوافق على ذلك القراءون، ويتلقى الخَتَّان أجرة من رجال الطائفة على عمله[4].

---

(١) ابن الإخوة: معالم القربة فى أحكام الحسبة، طبعة مصر ١٩٧٦م، ص ٩٢، ترتون: أهل الذمة فى الإسلام، ص١٤٥.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، ج٢، ص٢٩ .

(٣) السيد عاشور: الختان فى الشرائع السماوية والوضعية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٧.

(٤) جوايتاين: دراسات فى التاريخ والنظم الإسلامية، تعريب عطية القوصى، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠م، ص ١٤٩.

الشمّاس :

وتعني في لغتهم الخادم، ومن واجباته تنظيف الكنيس وخدمة المجتمع اليهودي، ويقوم بمساعدة كاتب المحكمة القضائية الخاصة باليهود (دار القضاء اليهودية)[1]. ويقوم أيضا بتدريب النشء على الطقوس الدينية[2].

الناسخ :

يطلق عليه بالعبرية (שוביר) "سوفير"، وهو من فقراء اليهود وأصحاب هذه المهنة يعيشون على الكفاف ويعفون من الجزية، ويتكسبون من مهنتهم وهي نسخ الكتب المقدسة، بالإضافة إلى بعض الأعمال الهامشية كتجارة الورق الرديء الصنع والحبر الذى يقومون بصناعته بأنفسهم[3]، وكتابة التعاويذ والأحجبة. ولم يرد ذكر لهذه الوظيفة في وثائق الجنيزة ولكن أظهرت إحدى وثائق الحرم القدسي أحد الأشخاص الذين يعملون بهذه المهنة وهو اليهودي إسحق بن شمويل بن يوسف الذى توفي عام (٧٩٠هـ/١٣٨٨م). وعندما تم حصر تركته وجد فيها مجموعة من الكتب المجلدة؛ منها كتاب وُصِف بأنه "منحس بعشر شمسات نحاس"[4] قد يكون من كتبهم الدينية (التلمود). وتشير كلمة منحس إلى أنه مزخرف برسوم نحاسية تشبه الشمس في لونها وشكلها، وقد يعكس هذا أن اليهودي كان يعمل ناسخا للكتب وهي من المهن النادرة التي كان يمتهنها اليهود في نهايات القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، بالإضافة إلى أن وجود

---

(1) Mann, Jacob: The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, vol.1,pp.258-259.

ودار القضاء هي الترجمة العربية لكلمة "بيت دين" العبرية، والتي تعني أيضاً دار الحكم وهي محكمة يهودية كانت تعمل بهدي الشريعة، تجبي الضرائب وتتولى القضاء وتُصدر القرارات الخاصة بالطعام وبكل الأمور الدينية والمدنية ومقرها الكنيس اليهودي أو المعبد. عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مج٤، ص٤٧.

(٢) جوايتاين: دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، ص ١٤٩.

(٣) حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود، ص ٦٣ ؛عطا علي محمد: اليهود في المغرب الأقصى، مكتبة الرشد، الرياض ٢٠٠٦م، ص١٠٥.

(٤) كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، وثيقة رقم ١٩٧، ص ٤١.

هذه الكتب هو إشارة إلى تحسن حال هذا اليهودى بالنسبة إلى بقية بنى جنسه؛ خاصة وإن عرفنا أنه فى نهايات القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) لارتفاع أثمان الكتب والورق وندرة النساخ فى هذه الفترة. والدليل على ذلك وجود وثيقة من وثائق الحرم القدسى تعطينا خلفية كبيرة عن ارتفاع أثمان الكتب فى القرن العاشر الهجرى (٩٨٤هـ/١٥٧٦م).

السفير الدبلوماسى:

لم تُثِر المصادر العربية لا من قريب ولا من بعيد إلى اشتغال اليهود بهذه الوظيفة التى تختص بالتمثيل السياسى والدبلوماسى بين الدول، ولم نجد ضمن وثائق الحرم القدسى ما يشير إلى ذلك أيضًا. ولكن طالعنا هريشبرج (Hirschberg) أحد مؤرخى اليهود بأمر السفارة الدبلوماسية لتحسين العلاقات التجارية بين مصر والبرتغال، وهى السفارة التى اختار فيها السلطان المملوكى قنصوه الغورى عام (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م) يعقوب روسالس من يهود المغرب المقيمين بالقدس ليكون سفيرا له بالبرتغال لمحاولة حل أزمة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وقد حمل يعقوب عدة خطابات سرية لملك البرتغال[1]؛ وكان سبب اختيار السلطان ليعقوب هو اسمه القريب إلى المسيحية، وكان ضمن معاونى يعقوب كل من مناحم بن ساناس وأخيه، ويذكر المؤرخ أن السلطان لم يختر أحدا من يهود مصر أو يهود القدس المقيمين فيها؛ وذلك لضآلة شأنهم وقلة نفعهم[2] على حد تعبير أحد مؤرخى اليهود، وهو بذلك يثبت أن اليهود المقيمين بالقدس من غير المغاربة حتى نهاية العصر المملوكى لم يكونوا ذوى نفع أو قيمة.

عميل (وكيل) الخاص السلطانى:

شهد العصر العثمانى تولى بعض اليهود فى القدس وظائف إدارية؛ وإن كانت لا تشكل أهمية كبيرة فى حياة المسلمين بلواء القدس، ولكنها تؤثر فى حياة اليهود

(1) Hirschberg, H.Z.(J.W): History of Jews In North Africa,Vol.1, p.410.
(2) Eliyahu, Ashtor: The Jews of Moslem Spain, Philadelphia.1973, vol.1, p.141.

القاطنين باللواء، وهى وظيفة كاتب أو عميل الخاص السلطانى؛ حيث نيط بمن يقوم بتلك الوظيفة تجميع ما يعرف برسم الغفارة ثم توريده إلى الخاص السلطانى. وهذا الرسم هو مبلغ من الأموال فرضه العثمانيون على أراضى ومزارع اللواء والتى تقع على أطرافه، وقد كانت قبائل السوالم البدوية تقوم بتحصيل تلك الرسوم على عهد السلطة المملوكية ولكن كلف بها كل من إبراهيم بن زكريا اليهودى ومن بعده ابنه يعقوب بن إبراهيم فى الفترة من (٩٤٥هـ -٩٦٥هـ /١٥٣٨م - ١٥٥٧م). وقد قام أيضا كل من شمويل بن سعيد، ويوسف بن شوعة والمعلم يوسف بن فرحان بتحصيل نفس قيمة الرسم المعروف برسم الغفارة[1]؛ ولكن هذه المرة يتم تحصيله من اليهود المسافرين بين القدس وغزة ورام الله، وقد كان هذا الرسم يتم تحصيله بصورة فردية، ولكن قام اليهودى يوسف بن شوعة بتحصيله بصورة جماعية وذلك من سكان المناطق الواقعة فى بيت لحم وبيت جالا[2].

(١) دفتر تحرير عثمانى رقم ٥٢٢ (أوقاف لواء القدس ونابلس وغزة وصفد وعجلون فى القرن العاشر الهجرى)، ص٨٩، محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير(T.D.1015)، ج٣، ص١١.

(2) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam , p.141 – 142.

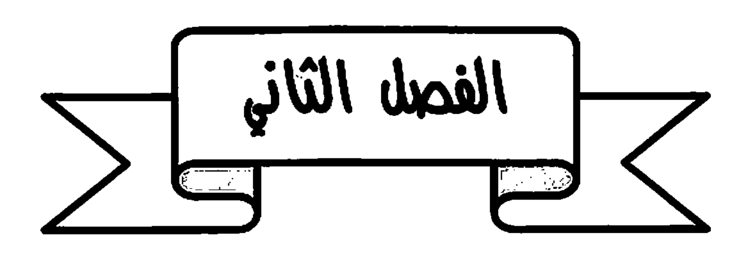
والخلاصة التى تم التوصل إليها يمكن إيضاحها فى النقاط التالية:

١- أصبحت القدس نيابة مستقلة وذلك لحمايتها من الأخطار الاستعمارية سواء أكانت صليبية أم تترية وانفصلت عن تبعيتها الإدارية لنيابة دمشق خلال العصر المملوكى؛ إلا إنها عادت مرة أخرى لتبعيتها إداريا للواء دمشق فى العصر العثمانى.

٢- من خلال البحث تأكد لدينا أن عدد اليهود المقيمين فى نيابة القدس بمناطقها الثلاث نابلس والخليل والرملة كان عددا ضئيلا إذا قيس ببقية سكان النيابة من المسلمين والنصارى، إلا أن الوثائق العبرية قد أظهرت أن هناك يهودا طارئين على النيابة يأتون إليها بغرض الحج أو زيارة أرض الميعاد، ثم يستقر أغلبهم فى النيابة؛ تدعيما للفكر الاستيطانى الذى سيطرعلى يهود تلك الفترة، إلا إنهم لم يستطيعوا التأثير فى العدد الكلى لليهود وذلك لأسباب أوضحتها الدراسة؛ وهى:
- أن هناك عددا منهم دخل الإسلام طواعية.
- الكوارث والأوبئة التى مُنيت بها منطقة النيابة خلال فترة الدراسة قللت عدد اليهود.

٣- عاش اليهود حياة آمنة فى ظل الدولة المملوكية ومن بعدها الدولة العثمانية، ونظير هذا التأمين كان اليهود يدفعون الجزية التى أطلق عليها فى هذه الفترة ضريبة الجوالى، ولكن الدراسة رصدت تهرب اليهود من دفع هذه الجزية برغم صغر قيمتها تعللا بوضعهم المادى المتدنى؛ لأن أغلبهم فقراء ويمتهنون مهنًا حقيرة لا تدر عليهم مالا كثيرا.

٤- لم يشارك اليهود فى النظام الإدارى للدولة المملوكية بصورة كبيرة واقتصرت الوظائف التى تقلدوها على الوظائف الدينية خلال العصر المملوكى؛ إلا أنه خلال العصر العثمانى اتسعت دائرة الاستعانة باليهود فى الوظائف الإدارية ووجدنا من اليهود من يتولى وظيفة وكيل الخاص السلطانى، مما يشير إلىْ إتاحة الدولة العثمانية الفرصة لليهود للمشاركة فى وظائف الدولة الإدارية.



الأوضاع الاقتصادية لليهود فى نيابة القدس

ويشتمل على:

- الزراعة
- الصناعة
- التجارة (داخلية – خارجية)
- المعاملات المالية لليهود : (بيع – شراء – إقراض - صيرفة)
- الملكية اليهودية

أحاول فى هذا الفصل إلقاء الضوء على الأوضاع الاقتصادية لليهود فى نيابة القدس، فأتكلم عن مهنهم والأعمال المختلفة التى قاموا بها سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، وهل كان لهم تأثير اقتصادي فى النيابة أم لا؟، وما مدى مشاركتهم فى النشاط الاقتصادى فى نيابة القدس، كما أتناول بالبحث فكرة تكوين نقابات عمالية بالمعنى البسيط فى تلك الفترة التاريخية، بالإضافة إلى المعاملات المالية التى قام بها اليهود فى منطقة الدراسة ثم أختم بقضية الملكية اليهودية.

إن نيابة القدس، مثلها مثل جميع مدن الشام، تؤثر فيها نفس العوامل الطبيعية من موقع جغرافى وطبيعة أرض وأحوال مناخية من أمطار ورياح ودرجة حرارة؛ مما له أكبر الأثر فى أمور الزراعة بالمنطقة والصناعة أيضا حيث اعتمدت بعض الصناعات على المنتجات الزراعية.

ولعل الحديث عن التجارة والأسواق والمؤسسات التجارية التى شارك اليهود فى بعضها أو تسيير الأمور التجارية بها أو اشتراكهم فى ابتداع أزمات اقتصادية غير حقيقية، قد تكون ناتجة عن أسباب طبيعية كوباء الطاعون مثلا أو ظروف سياسية، ومدى انعكاس ذلك على الاقتصاد المملوكي أمر مهم.

لقد بدا الاقتصاد المملوكى قويًا، ثم وصل إلى الانحدار فى نهاية العصر باكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح[1]، وتحويل القوافل التجارية عبره مما أفقد الاقتصاد المملوكى قوته وساعد على انهياره فانهارت الزراعة والصناعة، وبارت الموانى وأرهقت الإتاوات الباهظة كاهل الفلاح وكسدت صناعات كثيرة مثل صناعة النسيج وإنتاج الزيت والصابون.. إلخ؛ حيث سحقتها أعباء الضرائب والديون إلى أن جاء الطاعون عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) فأهلك السكان[2]، وتتابعت الأحداث السياسية فانهارت الدولة على أيدى العثمانيين عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م).

---

(١) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، ص٩.

(٢) شهاب الدين بن طوق: (التعليق) يوميات شهاب الدين بن طوق، ج٣، ص١٤٢٢؛ كما ورد ذكر الطاعون عند ابن طولون فى أحداث عام (٩١٩هـ) حيث ذكر أن "عدة أطفال خرجوا

الزراعة :

تقع المدن ذات الأهمية الدينية في وديان غير ذات زرع ؛وذلك ليظل أهلها بمنجاة من الترف الذى هو سبب هلاك القرى والمدن؛ لذا اتصفت نيابة القدس بالفقر وعدم وجود موارد طبيعية كبيرة فيها، ومن ثم ترتب على ذلك أن أصبحت المنطقة غير مرغوبة السُّكْنَى من أصحاب السطوة والمترفين، ولكنها مأثورة السُّكْنَى من الراغبين عن الحياة الدنيا الآملين فى نعيم الآخرة[(١)]. والدليل على ذلك الحشد الهائل من العلماء الذين ذكرهم مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلى[(٢)]، وليس هذا فحسب فقد أكد ياقوت الحموى تلك الطبيعة حيث قال فى وصفه للمدينة:

"إن أرضها وضِيَاعها كلها جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتة..، وأما المدينة نفسها فهى على فضاء فى وسط الجبال وأرضها كلها من حجر الجبال التى هى عليها"[(٣)].

وإذا وضع فى الاعتبار طبيعة تلك المنطقة الصخرية التى تقع فيها المدينة أدركنا مدى تأثير العوامل الطبيعية فى حياتها الاقتصادية حيث قلت مساحة الأراضى المزروعة وقلت المياه نتيجة لقلة الأنهار، فضلا عن عدم استقرار الأحوال المناخية وكثرة هبوب الرياح صيفا وشتاء مما يؤثر على الناس والزروع والحيوانات، وهذا بشهادة ميشلوم بن مناحم سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)[(٤)]، ويذكر

من البيوت طُعُنا" ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص ٣٠٥، وأشار فى موضع آخر من كتابه إلى موت عدد كبير من الأطفال بسبب ذلك، ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص ٣٠٦، كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص٥١١، روجيه جارودى: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة التراث، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢١١.

(١) على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص١٨٩.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، صفحات عديدة ذكر فيها المؤرخ أسماء لكثير من علماء القدس، سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة على مدينة القدس، بحث مقدم للمؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام، إبريل ١٩٨٠ م، ص٢٨.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص١٦٨.

(4) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p. 195.

الرابى عوبيديا أيضا تلك الحقيقة بعد قرابة سبع سنوات من زيارة ميشلوم حيث يقول: "إن المدينة معرضة لهبوب الرياح على اختلاف أنواعها"، بل يزيد هذا الوصف مبالغة فيقول أيضا :"إن كل ريح يجب أن تمر على القدس حتى يباركها الله قبل إتمام اتجاهها"[١]. ولا يخفى التأثير الدينى فى كلام عوبيديا بوصفه رجل دين يهوديًا.

وهذه الرياح تؤدى إلى اضطراب فى كمية سقوط الأمطار مما يجعلها قليلة بالنسبة للزراعة. وتلك الحقائق رصدها الرحالة اليهود الذين زاروا المنطقة قبل ميشلوم وعوبيديا؛ فيقول الرابى سيجولى (Sigoli) الذى زار القدس عام (٧٣٤هـ/١٣٨٤م): "إن السماء إذا أمطرت فإن الشوارع تبقى جافة بسبب انحدارها الشديد، وإن المدينة بوجه عام كانت ذات أرض مجدبة وفقيرة المياه"[٢]، وفى شهادة أخرى للأب سوريانو(Souriano) الذى عاش فى القدس فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى، التاسع الهجرى يقول : "إن البرق والرعد يحدث فى الشتاء وفى قليل من الأحيان يستمر المطر لمدة ثمانية أيام بدون انقطاع، وأحيانا ما يشبه السيل بحيث تكاد تغرق المدينة ونفس الشيء بالنسبة للثلج ونادرا ما تمطر السماء فى غير شهور ديسمبر ويناير وفبراير"[٣].

وقد وصفت المصادر العربية واقع المناخ المتقلب الذى يسود النيابة ويؤثر على الزراعة؛ فهذا مجير الدين يقول عن أحداث عام (٨٩٩هـ/١٤٣٩م) : "وقع الثلج بالقدس الشريف واستمر ينزل من ظهر الثلاثاء إلى عشية الخميس ليلا ونهارا حتى امتلأت الشوارع والأسطحة والأماكن[٤]، وحكى الكبار أنهم لم يروا مثل ذلك فى هذه الأزمنة من نحو سبعين سنة[٥] وأكد هذا الكلام أحد اليهود فى

---

(1) Obadiah: A student'sLetter,p.151.
(2) Frescobaldi, Gucci and Sigoli: A Visit to the Holy Places Trans from the Italian by The Ophilus Bellorini , Jerusalem 1948, p.148.
(3) Souriano , Francesco: Treatise on the Holy Land trans .From the Italian .by Fr. Theophilus Bellorini, Jerusalem 1948, pp. 218 -219.
على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص١٩١.
(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٤٩٤.
(٥) المصدر السابق، ص٤٢٢.

خطـاب بعثـه لصـديقه فـى المغـرب يخبـره فيـه بأنـه وصـل إلـى الأرض المقدسـة ومازال الثلج ينهمر من بداية الرحلة حتى وصوله "[١].

وقد كان لنظام الإقطاع الذى أوجده المماليك أثره السيئ على السكان فى منطقة الدراسة؛ فقد عانى الفلاحون كثيرا ظلم المماليك، وكثيرا ما كان يَعْمد نائب القدس إلى جمع الأموال من الفلاحين بالقوة. ففى عام (٨٢٤هـ/١٤٢١م) جبى النائب من فلاحى الضياع أربعة آلاف دينار، وبسبب هذه الجباية خربت معاملة القدس فأمر السلطان الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر بإبطال هذه المغارم ونُقِش ذلك على حجر بالمسجد الأقصى[٢]. ولم يكن هذا فحسب بل عانى الفلاحون أيضا ظلم العربان الذين كانوا يفرضون الأموال على الفلاحين فيسببون المعاناة الشديدة لهم[٣]، أيضا اتجاه السلاطين ومنهم السلطان الأشرف قايتباى (ت٩٠١هـ / ١٤٩٥م) إلى تجهيز الرجال من جبل نابلس وإرسالهم فى التجاريد الذاهبة إلى قتال السلطان العثمانى بايزيد الثانى (٨٨٩هـ - ٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥١٢م)[٤].

وبرغم هذا كله لا نستطيع أن ننكر أن الزراعة هى العمود الفقرى لاقتصاد النيابة؛ فهى عنصر أساسى فى توفير الغذاء للسكان، وعليها تقوم الصناعات الغذائية، إضافة إلى دخولها فى العديد من الصناعات التى كان جزءٌ منها يُصدر لخارج النيابة كالصابون والخمور، والباقى يستفيد به أهل النيابة أنفسهم.

(1) Goitein, S.D: Letters Of Medieval Jewish Traders, Princetion Universty, 1975, U.S.A, pp.158 -162.

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٧، ص٤١.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٤٧.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٧. اصطدمت الدولة العثمانية، لأول مرة منذ نشأتها، مع دولة المماليك على حدودها الجنوبية. ويرجع ذلك إلى: (١) رغبة كل من الدولتين في فرض سيادتها على منطقة كيليكية على طول جبال طوروس. (٢) إيواء المماليك لـ "جم" أخي السلطان بايزيد، ومساعدتهم له في هجومه الثاني على أخيه. وقد دامت هذه الحرب ست سنوات (٨٩٠- ٨٩٦ هـ/١٤٨٥-١٤٩٠م) وكانت سجالاً، وقد هزم العثمانيون إبّانها في عدة معارك، وأهمها معركة آغا جيري قرب أدنة سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٨م) وانتهت بتوقيع صلح بين الطرفين، عادت بمقتضاه الحدود بينهما إلى ما كانت عليه. أكمل الدين إحسان أوغلى: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، نقله إلى العربية صالح سعداوى، إسطنبول ١٩٩٩م، ص٨٧.

وقد اشتهرت من مدن النيابة فى الزراعة ولاية نابلس، التى تشتهر بزراعة الأشجار وخاصة أشجار الزيتون الذى يستخرج منه الزيت الذى يُصَدَّر إلى دمشق ومصر وجزر البحر المتوسط، ويُصْنَع منه الصابون الجيد(١)؛ لذا انتشرت المصابن فى نابلس لصنع الصابون(٢). وللصابون النابلسى شهرة واسعة فى مختلف البلدان، ولكثرة ما يخص السلطان المملوكى من زيت نابلس فقد كان يفرض بيعه على أهالى وتجار الرملة والقدس والخليل وغزة بأسعار باهظة وبطريقة تعسفية تؤذيهم وتظلمهم(٣)؛ مما يسبب تذمر واستياء الأهالى(٤) من المسلمين والنصارى واليهود(٥).

ويلى ولاية نابلس ولاية الرملة وهى منطقة خصبة تحيط بها المزارع والحقول؛ مما أوجد فيها تجارة رائجة وأسواقا مملوءة بالسلع والبضائع المختلفة(٦) المختلفة(٦) أما مدينة الخليل فقد اشتملت على مناطق كثيرة مزروعة بالأشجار الكثيرة المتنوعة كالزيتون والتين والجميز والعنب والتفاح والخروب، وفاكهتها لا مثيل لها ويصدر قسم منها إلى مصر والبلاد المجاورة(٧) كما تجود فيها زراعة القمح والشعير(٨). وغطيت جبال القدس ونابلس والخليل بالأشجار المختلفة كالسرو والسنديان والخروب والسماق(٩) والزيتون، وأشجار الفواكه كالتفاح

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٥٦.
(2) Berchem , Max Van: Corpus Inscriptionum, p.11.
(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٨٤.
(٤) المصدر نفسه والصفحة.
(٥) المصدر نفسه والصفحة.
(٦) الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، الجزء الخاص ببلاد الشام، ص٤.
(٧) لى سترانج: فلسطين فى العهد الإسلامى، ص٢٥٧.
(٨) ناصرى خسرو: سفر نامة، ص٧٣، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٦.
(٩) السماق: نبات من الفصيلة البطمية له ثمر عبارة عن عناقيد فيها حب حامض صغار يطبخ وتستعمل أوراقه دباغا، وبذوره تابلا وقد يسمى العبرب، محمد كرد على: خطط الشام، مكتبة النورى، دمشق ١٩٦٤م، ج٦، ص٤٣٨؛ محمد حسن آل ياسين: معجم النبات والزراعة، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٤٤؛ المعجم الوسيط، ص٤٥٠.

والخوخ واللوز والجوز والتين والكروم[1]. أما السهول والأودية فأنتجت البرتقال والسفرجل والرمان، وأما الأغوار التابعة لنيابة القدس فاشتهرت بقصب السكر والموز والنخيل. وعن غلاتها نجد نيابة القدس اشتهرت بالقمح والشعير والسمسم، والذرة والخضراوات[2]، ومن كرمها صُنِّع الزبيب واستُخْرِجت الخمور التى كان يصنعها كل من النصارى واليهود فى قرى نابلس والقدس[3]، واشتهرت النيابة بإنتاج العسل والجبن، وجبن الخليل نُقِل إلى مصر والعقبة لبيعه إلى الحجاج[4] ويعكس ذلك وفرة المواشى فى النيابة.

وقد ساعد الفلاحون المسلمون من سكان النيابة على رواج مثل هذه الزراعات وتبعهم فى ذلك النصارى. أما اليهود فلم تلعب الزراعة دورا كبيرا فى حياتهم بالنيابة مثل الصناعة والتجارة؛ نظرا لقلة عددهم ولكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم فى مكان واحد رغم تأكيد التلمود على أن الرجل الذى لا يملك أرضا لا يُعد إنسانا[5]. وتوجد عدة أسفار فى المشناة (التلمود القديم) تحض نصوصها على الزراعة، مثل السفر الأول (كتاب زراعيم) أى البذور بالعربية، وسفر "فعاة" أى زوايا الحقل، وسفر" ذماى" الذى يتناول المحاصيل الزراعية[6] ؛لذا كان اليهود فى بدايتهم متمسكين بالزراعة؛ فقد ورد فى سفر اللاويين:" ست سنين تزرع حقلك، وست سنين تقضب كَرْمك، وتجمع غلتها أما فى السابعة فيكون للأرض سبت عطلة سبتا للربط لا تزرع حقلك، ولا تقضب كرمك، والأرض لا تباع بتة

(١) الإدريسى: المصدر السابق، ص٩.
(٢) لى سترانج: فلسطين فى العهد الإسلامى، ص٩٧، ٩٩، ٢٥٧، ٤٨٦.
(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص١٨٤، لى سترانج: المرجع السابق، ص٩٧، ٩٨ وللاستزادة عن نظام الزراعة وأهم المناطق المزروعة فى نيابة القدس يمكن الرجوع إلى د/على السيد: القدس فى العصر المملوكى، ص١٩٢ - ١٩٧؛ د/ يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس، ص ٦٩ - ٨٠.
(٤) المقدسى: المصدر السابق، ص١٨٤؛ لى سترانج: المرجع السابق، ص٩٨.
(٥) محمد خليفة حسن: زراعيم (الزروع) ترجمة من التلمود - المشناه - القسم الأول، تحقيق مصطفى عبد المعبود، مكتبة النافذة، سلسلة ترجمة من التلمود، ٢٠٠٨م، ص١٠٢.
(٦) محمد خليفة حسن: زراعيم (الزروع) ترجمة من التلمود، ص١٧٤، ص١٨٥ ؛عطا على محمد: اليهود فى المغرب الأقصى، إيتراك للنشر والتوزيع١٩٩٩م، ص١٤٩.

لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي"[١]، ولكن مع تغير الزمن شاع بين المؤرخين أن اليهود أهملوا الزراعة وغلب عليهم الطابعَ التجارى أو الصناعى؛ وقد يكون هذا راجعا إلى اشمئزاز اليهود من الحرف اليدوية الشاقة ذات المردود القليل[٢].

وتشير بعض وثائق الجنيزة (بيت دين) وبعض المصادر العربية إلى احتراف قليل من اليهود مهنة الزراعة من خلال عدة أسئلة قليلة وفتاوى دينية.فتوجد عدة إشارات بسيطة إلى وجود جماعات صغيرة من اليهود يقومون بالزراعة فى حدائق وخاصة الحدائق التى تزرع بالكروم ليستخدموها فى صناعة الخمور[٣]، والزيتون لاستخراج الزيت[٤]، ويترتب على وجود أرض يزرعها اليهود أن يدفعوا عنها خَرَاجًا وهذا ما أشارت إليه وثائق الجنيزة، المعروفة بوثائق (بيت دين)[٥] وما تحويه من خلافات حول الرى وبيع المحصول، وخلافات على الحدود الحدود بين الأراضى واستخدام قنوات الرى والمرور من حقل إلى حقل، واحترام حق الجيرة[٦]. ويكون العمل فى تلك الأراضى فى كل يوم ماعدا يوم السبت لأنه مقدس عندهم.

---

(١) سفر اللاويين: إصحاح ٢٥ / آية ١ – ٥، ٢٣.
(٢) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص١٥٩.
(٣) الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج٧، ص٤٣٨؛ د/ عطا أبو رية: اليهود فى ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع ٢٠٠٥، ص١١٠؛ محمد عبد الوهاب خلاف : وثائق فى أحكام أهل الذمة، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٦ -٢٧.
(4) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, pp.192 -209.
(٥) هى وثائق صادرة عن المحكمة اليهودية الملية تحتوى على شكاوى وخلافات بين المزارعين المزارعين اليهود ومن حولهم من مسلمين ونصارى، وبهذه الوثائق أحكام على اليهود إذا ثبت تورطهم فى مسائل الخلاف، ولكن هذه الأحكام لا تكون ملزمة لغيرهم، حيث يلجأ المسلمون إلى قاضى القضاة بالقدس لرفع شكايتهم. واللافت للنظر أن اليهود أنفسهم كانوا لا يلجئون للمحاكم الملية المختصة بقضاياهم إلا فى القليل النادر، وهذا يفسر قلة وثائق الجنيزة فى مثل هذا النوع من الأمور.
(6) C. Reif, Stefan: A Jewish Archive From Old Cairo, Curzon Press, Richmond, Surrey, 2000, p.211.
لم يرصد الكاتب حوادث بعينها حول الخلافات بين اليهود وبين بقية السكان وإنما ذكر الكلام بصورة عامة.

وكان بعض اليهود يشتغلون بتربية الماشية والدجاج[١]، ومن المحاصيل التى كان يسهم اليهود فى زراعتها بالقدس الزيتون والموز والكروم، والتوت الذى يُربى عليه دود القز لأخذ الشرانق لفكها وغزل الحرير[٢].

ويعترف مؤرخو اليهود بأن أكبر المساحات المزروعة فى النيابة كان يمتلكها المسلمون، ويقصد بذلك الإقطاعات التى كانت تخصص للسلطان والنواب وأصحاب الوظائف العليا فى الدولة المملوكية[٣]. واستمر الوضع هكذا حتى بدايات العصر العثمانى؛ فقد رصد أمنون كوهين خمس حالات ليهود ولم يذكر أسماءهم يشتركون فى امتلاك بساتين مع المسلمين تتم زراعتها بالرمان واللوز والكمثرى والتين والزيتون، وأحدهم كان له حقل كروم يقع بالمناطق الريفية خارج المدينة، وقد فسر ذلك بأن اليهود لم يستطيعوا الوصول إلى هذه الشراكة إلا عن طريق الأمن والطمأنينة التى منحتها لهم السيادة العثمانية فى الفترة من (٩٢٥هـ - ٩٤٣هـ /١٥١٩ م - ١٥٣٧م)[٤] وما كان لهم لينالوا تلك الشراكة فى ظل السيادة المملوكية[٥]، وهذا الأمر قد يشير إلى قلة عدد اليهود الذين يعملون

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، مطبعة الاعتماد حسن الأكبر، مصر ١٩٢٧م، ص ١٨ .

(2) Hirschbirg, H.Z.(J.W): A History of the Jews in north Africa, vol.1, p.264.

(3) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society. Economic Foundation, New York 1967, vol.1, p. 194.

(4) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam ,pp. 209 -210.

(٥) يرى ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ /١٣٥٠م) أنه "لا يحل لذمى أن يملك فى أرض المسلمين بالإحياء فهذا ممتنع قياسا على أن المسلم إذا لم يملك بالإحياء فى أرض الكفار المُصالَح عليها فأحرى أن لا يملك الذمى فى أرض الإسلام" . ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة فى الإسلام، تحقيق صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٩م، ص١٤٦(وتعتقد الباحثة أن شهادة أمنون كوهين بأن اليهود لم يستطيعوا امتلاك أراضٍ زراعية مع المسلمين صحيحة لسببين : أولهما أن المسلمين كانوا يلتزمون بآراء الفقهاء وخاصة إن كان الرأى صادرا من فقيه مشهور بالعدالة ولا يخشى فى الحق لومة لائم ؛والعصر المملوكى كان به العديد من هؤلاء الفقهاء أمثال: ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وابن جماعة، والسيوطى، وغيرهم الكثير من فقهاء المسلمين؛ ولذلك عمل المسلمون بفتواهم بشأن امتلاك أهل الذمة للأراضى، وثانيهما نظام الإقطاع السائد فى العصر المملوكى كان لا يتيح فرصة للأهالى لامتلاك أراضٍ؛ ومن ثم كان جل الفلاحين يعملون فى أراضى الإقطاع نظير أجور يتقاضونها؛ وبالتالى كيف يتمكن اليهود من امتلاك أراضٍ مع المسلمين ولو بالمشاركة؟

بالزراعة رغم سكوت المصادر والمراجع عن ذكر هذا الأمر؛ ولكن المزارعين اليهود كانوا قلة قليلة بالمقارنة بمن يعملون بالتجارة أو الصناعة.

والحقيقة أن ما ذكره كوهين لا يمكن قبوله بسهولة؛ فلم يكن اليهود ليمتلكوا بساتين مع المسلمين، والراجح أنه كان يتم الاتفاق بينهم وبين المسلمين على زراعة تلك البساتين بنظام المقاسمة، وهذا نظام فى الزراعة كان معمولا به فى البلاد الشامية وهو أحد مميزات الإقطاع الزراعى الذى ساد فى هذا العصر، ذكره ابن الصيرفى عندما أورد إشارة عن هذا النظام فى حوادث عام (٨٧٦هـ/١٤٧١م) فى عهد السلطان قايتباى؛ "فقد قام أحد أبناء القدس ويدعى برهان الدين العجلونى باستئجار قطعة أرض من وكيلين عن أميرين بالشام مدة معلومة، وحكم بها حاكم شرعى وتوجه ليزرعها فوجدها مزروعة لغيره فأخذ من الذين زرعوها مقاسمته على عادة البلاد الشامية"[١]، ونظام المقاسمة يتم فيه تولى أحد الأشخاص استئجار الأرض من مُقْطِعها، ويقوم هو بالإنفاق عليها وشراء كل ما يلزمها ثم يتقاسم ثمن المحصول هو ومن قام بزراعتها؛ ولعل الحالة التى رصدها كوهين تكون من هذا النوع.

(١) ابن الصيرفى: إنباء الهصر بأنباء العصر، ص ٤١٧ – ٤١٨.

الصناعة :

حرصت السلطة المملوكية بنيابة القدس على العمل على انتظام أصحاب الحرف والصناعات والمهن في أحياء لهم، وسمحت بممارسة تلك الحرف والصناعات والمهن في ضوء معايير الضبط الإدارى بقاعدة لا ضرر ولا ضرار، قام على تنفيذها المحتسب وأعوانه من الشرطة وعرفائه في الأسواق[1].

وقد اقترنت هذه الأسواق بأحياء عمرانية ومنها أحياء لأهل الذمة؛ فقد ذكرت وثائق الجنيزة والوثائق العربية وجود حيَّيْن لليهود بالقدس[2]؛ هما حي حارة الشرف، وحارة المسلخ، وزادت وثائق المحكمة الشرعية في العصر العثماني حارة الريشة، وحي الحيادرة. وفي ظل الحرية التي منحها المماليك لأهل الذمة مارس اليهود في القدس عدة صناعات ومهن إلا أن كثيرا من المؤرخين قد قرن بين اليهود وبين الحرف المتدنية، بل إن بعضهم قصرها عليهم.

ومن خلال الوثائق المقدسية في العصر المملوكي ووثائق المحكمة الشرعية في القدس في الفترة العثمانية الداخلة ضمن نطاق الدراسة، وجدت مساهمة فئات المجتمع الثلاث (مسلمين – نصارى – يهود) في الطوائف الحرفية في المجتمع. وقد احتلت الفئة الأولى المركز الأول في تزعم مشيخة الطوائف وتبعهم في المركز الثاني النصارى، أما اليهود فقد جاءوا في المركز الثالث حيث بلغ عدد الطوائف الحرفية التي شارك فيها اليهود اثنتي عشرة طائفة منهم (الأساكفة والحفارون والحلاقون والخبازون والخياطون والدلَّالون[3] والسرامجية[4]

---

(١) د. فتحي عثمان: مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة في القدس، ص٣٦.

(٢) محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج١، ص ٢١؛ كامل جميل العسلي: سجل أراضي لواء القدس الشريف، ص٣١.

(٣) الدلال: اسم لمن يبيع حوائج الناس وهو إما أن يكون مقيدا بسوق مخصوص، أو الأسواق العامة، وهي مهنة مكروهة وذلك لعدم استغناء الدلال عن الكذب لتزيين السلعة في عين المشتري. محمد سعيد القاسمي : قاموس الصناعات الشامية دار طلاس للطبع والنشر والترجمة ١٩٨٨م، ج١، ص١٤٦.

(٤) السرامجية: هم من يصنعون السراميج، واحدها سرموج؛ وهي نعال ترتديها نساء القرى والفقراء من الناس. المصدر السابق، ج١، ص١٧٨.

والسلَّاخون[١] والصُّيَّاغ[٢] والعطارون والفرازون[٣] والقزازون[٤])، ولم تنسَ المصادر مساهمة المرأة اليهودية بشكل خاص فى تلك الطوائف الحرفية ومنها الدَّلالة والغزَّالة[٥].

ويلي هؤلاء حرف مرفوضة اجتماعيا، منها أصحاب المشكلات الأخلاقية كالذين عملوا فى الفجور والبغاء من الجنسين وبائعى الخمور، والذين اتخذوا من الحزن حرفة (المِعَدِّدة) فى المَآتم، والراقصين وعمال الدباغة والضاربين بالرمل لكشف الغيب والمشعوذين[٦].

وذكر الرابى عوبيديا طوائف حرفية رآها أثناء رحلته للأرض المقدسة، منها صانعو الأحذية وسباكة الذهب والحياكة فيقول:" ليس لأى فرد أن يكسب قوت يومه من عمل فى أى صنف من صنوف الصناعة إلا إذا كان من صانعى الأحذية أو من كان يعمل فى سباكة الذهب أو الحياكة وحتى مثل أصحاب هذه الحرف فإنهم يكسبون رزقهم بصعوبة بالغة "[٧]، وقد تكون شهادة عوبيديا هذه انعكاسا للأحوال الاقتصادية المتردية فى نهاية العصر المملوكى وهى التى أثرت فى مختلف طبقات المجتمع ومنهم اليهود، مما جعلهم غير قادرين على الوفاء بالتزاماتهم تجاه المهن المختلفة ومن يستفيدون من تلك المهن من أفراد المجتمع.

---

(١) السلاخون: هم من يقومون بسلخ جلد الغنم والماعز بعد ذبحها ويعملون ذلك فى المسلخ، وقد كان لليهود حارة بجوار حى المسلخ . محمد سعيد القاسمى: قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص٢٣٩.

(٢) الصياغ: هم من يعملون فى الذهب والفضة، وأصناف المعاملات وهى صنعة لطيفة وربحها جسيم . المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٥.

(٣) الفرازون: لم أجد لها تعريفا فى قاموس الصناعات.

(٤) القزازون: هم من يعملون أوانى الزجاج كالقناديل والقنانى والقطاميز .المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣.

(٥) د. محمود على عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية، ج١، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، نابلس ١٩٩١م، ص٩. والمقصود بالغزالة؛ أى النساء التى تغزل الصوف بالمغزل. محمد سعيد القاسمى: قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص٣٢٨.

(٦) إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام فى العصر المملوكى، ص١٣٨.

(7) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Bartenura, p.246; Obadiah: A Student's Letter, p.94.

ونستدل على ذلك بما ذكرته لنا وثائق المحكمة الشرعية بالقدس حيث كثر وجود وثائق كفالة إحضار (تَعَهُّد بإحضار) لأشخاص من اليهود، يضمن إحضارهم مسلمون أو نصارى أو يهود على السواء عند القاضي متى يطلب ذلك. ومن الواضح من هذه الوثائق أن اليهود الذين يُطْلَب إحضارهم أمام القاضي، كانوا ممن يوقع عليهم إما غرامات أو يُضْبَطُون متهربين من دفع الجزية أو مخالفين للشروط الموضوعة لممارسة مهنتهم، أو لتكرار شكوى شيوخ الطوائف منهم. ومن هذه الوثائق وثيقة "كفالة محمود السمين الحمَّامِي لخليل بن يعقوب بن شمعون الحمامى كفالة إحضار متى ما طلب منه أن يحضر"[١]، ووثيقة كفالة "إسحق بن شمويل الخبَّاز لأخيه إبراهيم الخباز، حيث كفل كل منهما الآخر كفالة إحضار"[٢]، ووثيقة كفالة "حبيب بن شعبان اليهودى الخيَّاط ليوسف بن داود الخياط كل منهما للآخر متى ما طلب من صاحبه يحضره ومتى عجز عن إحضاره يكن قايما بما عليه"[٣]، وقد عكست الوثيقة كما نرى مهنة الكافل والمكفول وديانته، ولم نعثر على وثيقة كفالة ليهودى من نصرانى.

الخامات الأوَّلية :

على أية حال، لم تكن السلطة المملوكية تألو جهدا فى توفير المواد الأولية التى يعتمد عليها أصحاب المهن والحرف فى صناعاتهم؛ فكان أكثرها يأتى من البيئة المحلية المجاورة من المدن المختلفة والمناطق الريفية فى النيابة[٤]، خاصة ما يتعلق بمهنة صناعة عصر الزيتون لاستخراج الزيت وصناعة الصابون؛ حيث تكثر أماكن زراعة الزيتون فى مناطق النيابة وقراها، فقرى مدينة الخليل التى زُرع أكثرها بالزيتون؛ انتشرت حولها معاصر الزيت[٥]، ومهنة الدباغة؛ حيث يأتى الجلد من الخليل وغزة والرملة ونابلس، ومهنة السلاخة والجزارة؛ حيث تكثر تربية الحيوانات ورعيها فى أغلب مناطق النيابة.

(١) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم١١٩، حجة رقم١١، ص١١٨.
(٢) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١١٩، حجة رقم٥، ص١٢٧.
(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١١٩، حجة رقم ١، ص١١٩.وعبارة يكن قايما بما عليه يُقْصَد بها أن يؤدى الكفيل ما على المكفول إذا لم يستطع إحضاره.
(٤) د. محمود على عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية، ج١، ص٧٢.
(٥) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج٣، ص١٢٢.

هذا بالضرورة قد يؤدى إلى انتعاش من يقومون بهذه المهنة اقتصاديا؛ فمثل هذه الصناعات تمس حياة الناس اليومية؛ فالفرد العادى يحتاج يوميا إلى الخبز والزيت واللحم والصابون، ولكن الأمر كان مختلفا مع اليهود؛ ذلك أن الزيت الذى يعتمد عليه اليهود فى صناعتهم للصابون فى كل من القدس والرملة ونابلس، يصل إليهم عن طريق التجار المنتشرين فى النيابة، إلا أن واقعة الزيت التى حدثت فى عام (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) قد كلفت اليهود العاملين فى هذه الصناعة الكثير؛ حيث تم رمى الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل بيت المقدس الخاص منهم والعام واليهود والنصارى، كل قنطار بخمسة عشر دينارا ذهبا[١] مما أثقل كاهل التجار اليهود والعاملين بصناعة الصابون، فترتب على ذلك رفع سعر المنتج منه، بالإضافة إلى عدم قدرة اليهود على سداد الأموال المتحصلة من رمى الزيت عليهم لداودار السلطان؛ مما عرضهم فى بعض الأوقات لعقوبة الضرب والحبس[٢].

الدباغة:

ومن أشهر الصناعات التى شارك فيها اليهود دباغة الجلود؛ فقد كان الدباغون من اليهود يقومون بتنظيف الجلود المسلوخة وإزالة الشعر، ووضع العفص[٣]، والشب، وبراز الكلاب عليها ونقعها عدة أيام، ثم يقومون بعمليات ثلاث؛ هى التعريق[٤] والمعالجة بالكِلْس[٥]، والمعالجة بالنُّورة حسب نوع الجلد وسمكه[١].

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٨٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩١.

(٣) العفص: دباغ معروف وهو ثمر يتخذ منه الحبر، وإذا نقع فى الخل سود الشعر. محمد حسن آل ياسين: معجم النباتات والزراعة، ص٤٤٢.

(٤) التعريق: عملية يتم فيها إزالة الشعر عن الجلود السميكة وفيها تدلك بواطن الجلود ويصب عليها ماء النخالة والشعير وقشر السنديان وبراز الكلاب ويوضع بعضها فوق بعض وتوضع فى صندوق ويغلق عليها حتى تصعد رائحة النتن فترفع من الصندوق ويزال الشعر بسكين الدباغة؛ محمد سعيد القاسمى: قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص١٤١.

(٥) المعالجة بالكلس: توضع فيها الجلود داخل حفر صغيرة ويصب عليها ماء الكلس وتنقع الجلود لمدة ثلاثة أسابيع أو أربعة وتحرك كل فترة، محمد سعيد القاسمى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

وقد ارتبط اليهود بهذه المهنة وكانوا يمارسونها فى مكان محدد.ذكرته وثائق الجينزة والمصادر العربية وأيضا وثائق الحرم القدسى، وورد ذكر تلك الأماكن فى وثائق المحكمة الشرعية بالقدس وهو حي المسلخ[٢]، وقد وصفه أحد مؤرخى اليهود بأنه حى مقزز لا يختاره المسلمون للعيش فيه لتصاعد الروائح المقززة وارتباط تلك الحرفة بالنجاسة[٣]، ويقع هذا الحى فى الجنوب الشرقى من المدينة، فهذه المنطقة كانت جيدة الصرف الصحى وملاصقة تقريبا لسوق الماشية[٤]، وهو مصدر المواد الخام لهذه الصناعة.

ولقد كان الصرف الصحى ذا أهمية قصوى لصناعة ينتج عنها كميات كبيرة من المياه الملوثة، فهذا الموقع فى الجزء السفلى من الوادى الكبير جعل من السهل التخلص من المخلفات التى كانت تأخذ طريقها عبر المنحدر المؤدى إلى خارج الأسوار جهة الجنوب، بالإضافة إلى أن هناك فى هذا المكان مصدرا قريبا ودائما للمياه هو عين سلوان، مما يساعد على نجاح مثل هذه الصناعة[٥].

ولم تذكر الوثائق العربية عدد اليهود القائمين بتلك الصنعة؛ بينما ذكرت وثائق الجينزة أنه وجد فى لواء القدس الشريف عائلة يهودية مكونة من أحد عشر نفرا يعملون بهذه المهنة، ففى عام (٩٩٥هـ/١٥٨٦م) كانت عائلة صافى بن شوعة شيخ طائفة الدباغين فى القدس الشريف وكانت لهذه العائلة مكانة بين اليهود[٦]، فى حين أن عدد الممارسين لمهنة الدباغة من اليهود فى عام (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)

---

(١) المعالجة بالنورة: طريقة لدباغة الجلود الرقيقة يتم فيها وضع خليط من الكبريت والزرنيخ والكلس ويدلك الشعر بهذا الخليط حتى يلين ويسهل نزعه، محمد سعيد القاسمى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٢٢، ص٥٧.محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج١، ص٣١.

(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam , p.148.

(4) Ibid: o.p. cit., p.148.

(٥) أدريان بوس: مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية، ترجمة على السيد على، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، المشروع القومى للترجمة، الكتاب رقم ١٦٠٢، لسنة ٢٠١٠م، ص٢٨٦.

(6)The Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Fragment, T-S, 17J19_18 (http://www.lib.cam.ac.uk/Taylor-Schechter/fotm/september-011/index.html

كان أربعة أفراد فقط ولم يكونوا من عائلة واحدة[1]، وقد ذكرت الدكتورة هدى لطفى أن صناعة دباغة الجلود قد تدهورت تحت الحكم الإسلامى المملوكى، واستندت فى هذا الرأى إلى إحدى وثائق الحرم القدسى التى أوردت ذكرا لمدبغة واحدة فى مدينة القدس[2]، وأعتقد أن هذا الرأى صحيح بالنسبة للدباغين اليهود نظرا لقلة عدد الممارسين للمهنة والذى حدده أمنون كوهين فى كتابه بأربعة، أما بالنسبة لبقية أهل القدس فلا يمكن اعتبار رأى الدكتورة هدى لطفى صحيحا؛ وذلك لوجود وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية تفيد بأن عددًا من الأساكفة يمارسون صنعة الدباغة بجوار صنعتهم الأساسية، وطلبوا الإذن بالجمع بين الصناعتين من شيخ طائفة الدباغين بالقدس الشريف[3].

الجزارة والسلاخة:

وارتبطت مهنة الدباغة بمهنتين هما القصابة (الجزارة) والسلاخة حيث كان اليهود يقومون بذبح الأغنام والأبقار للمسلمين مقابل أجرة، فطريقتهم فى الذبح تناسب الشريعة الإسلامية تماما، كما كان اليهود يبيعون اللحم فى حى المسلخ فى محالّ تقع إلى الشمال من المعبد بالقرب من سوق الماشية، وقد كان من عادة اليهود أن يقوموا بالذبح للمسلمين فى يومين هما الإثنين والخميس، هذا بالإضافة لأيام العطلات كما ذكرت وثيقة الجنيزة التى أرسلها شخص يدعى صامويل ليفى لصديقه فى القدس ويدعى نيتانال (ناثان)، يخبره بضرورة تجهيز الطعام من اللحم المذبوح يوم الإثنين[4].

وقد كان اليهود الذبَّاحون يخضعون لرقابة المحتسب إما فى الأسواق أو فى المسلخ نفسه، ولا يستطيعون ممارسة المهنة إلا من خلال وثيقة تُعْطَى لهم من

(1) Amnon Cohen: Jewish Life under Islam, p.161.
(2) Lutfi , Huda: A study of Al-quds during the late fourteenth century based primarily on the haram inventories and related documents, Berlin,1985, p.303.
(٣) سجلات المحكمة الشرعية : سجل رقم ٨٠، حجة ٤، ص٢١٧.
(4) The Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Fragment, T-S, 13J16_18 (http: //www.lib.cam.ac.uk/Taylor-Schechter/fotm/september-2011/index. html

السلطة الشرعية (القاضى). من ذلك ما أوضحته وثيقة "ممارسة اليهودى إسحق ابن يعقوب وابنه مهنة الذبح لليهود"[1]. ولكن كانوا كعادتهم يخالفون شروط الذبح مما كان يعرضهم لتوقيع العقاب عليهم، كما حدث فى عام (٧٩٦هـ/١٣٩٣م) حينما وقع قاضى القضاة فى القدس الشريف عقوبة التغريم على كل من (هلال بن موسى بن سعيد، وذكرى بن باروخ بن سليمان، وداود بن أشمويل بن موسى) بمقدار عشرة آلاف درهم تستخدم لعمارة قناة السبيل بالقدس[2]، ويبدو أن قاضى القضاة قام بذلك لأنهم خالفوا الشروط المرعية فى الذبح؛ فقد أوضحت كتب الحسبة شروطا لمن يمارس مهنة الجزارة طُبقت على من يعمل بتلك المهنة من المسلمين وغيرهم من أهل الذمة وخاصة اليهود؛ لأن طريقتهم فى الذبح تكاد تقترب من طريقة الذبح الإسلامية التى نصت عليها كتب الحسبة؛ ومن تلك الشروط ذكر اسم الله على الذبيحة، ونحر الإبل معقولة، والبقر والغنم مضطجعة على جنبها الأيسر، ولا يكون الذبح بسكين كالّة حتى لا يعذب الحيوان، ويلزم فى الذبح قطع الودجين والمريء والحلقوم، كما اشترطت كتب الحسبة عدم خلط أنواع اللحم، كخلط لحم الضأن بلحم الماعز، وعدم خلط اللحم الهزيل باللحم السمين[3].

وتعتقد الباحثة أن اليهود الثلاثة الوارد ذكرهم فى وثيقة الحرم القدسى قد خالفوا أحد هذه الشروط مما استوجب عقابهم بمنعهم من مزاولة المهنة وتغريمهم، خاصة أن الوثيقة ألزمتهم بالذبح لليهود ومنعتهم من الذبح للمسلمين[4]، وقد يكون إخلالهم بالشروط مرتبطا بالتدليس وخلط أنواع اللحم بعضها ببعض، ذلك أن الوثيقة أشارت إلى منعهم من بيع شيء من ذبائحهم للمسلمين وخصت أنواع الضأن والماعز والبقر والجمال، وهذا يرجح ما اعتقدناه فى سبب المنع.

(١) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم٨٣، حجة رقم٢، ص٢.

(٢) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، وثيقة رقم ٦٣٦، ج٢، ص ٦٦.

(٣) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦ م، ص٢٧ – ٢٨، السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص١٤٢.

(٤) انظر وثيقة حرم قدسى رقم ٣ بالملاحق.

ويرصد لنا (كوهين) واقعة أخرى فى مخالفة اليهود للقوانين التى تضعها السلطة لتنظيم عمليات الذبح للمسلمين وضبط الأسواق؛ ففى عام (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) نجد قاضى القدس يستجيب لشكوى المسلمين ضد اليهود الذباحين الذين لا يلتزمون بالذبح فى اليومين المخصصين لذلك ويقومون بالذبح يوم الأربعاء أيضا بالإضافة لرفعهم قيمة أجرة الذبح؛ مما جعل القاضى يعاقب اليهودى الذى قام بذلك، وقام رئيس اليهود أيضا بتوقيع العقاب عليه وألزمه بالذبح فى يومَى الإثنين والخميس[1]. وهذه شهادة ليهودى من واقع الوثائق العبرية. وهناك وثيقة عبرية أخرى تطالعنا بتحذير من رئيس الطائفة اليهودية رابى يهوشع من التعامل مع الجزارين الذين لا يذبحون طبقا للشريعة اليهودية[2]. وتاريخ الوثيقة يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) وقد كتبت الوثيقة بالعربية بحروف عبرية.

وعن كيفية عرض الجزازين من اليهود لبضاعتهم من اللحم فقد كانوا يعرضونها للعامة من الناس فى سوق السلطان، الذى يقع فى وسط المدينة أو فى حى المسلخ، وكثيرًا ما كانت السلطات العثمانية تفرض ضرائب على الجزارين من اليهود، وغيرهم وهو ما يعرف (بمُكْس القصَّابين)؛ وهو مبلغ كان يدفعه الجزارون اليهود للسلطة وقدره ٣٠٠٠ آقجة[3]، ورغم اعتراف بعض القاطنين منهم فى منطقة لواء القدس أنهم كانوا فقراء لا يستطيعون المداومة على دفع تلك المكوس، فإن السلطة العثمانية كانت تكلف المحتسب جمعَ تلك المكوس بأى طريقة وتوريدها لخزانة الدولة وفقا لما يعرف بقانون نامة[4] أى (تعاليم السلطة).

---

(1) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam, p.149.
(2) Eliyahu, Ashtor: T oldot ha-Yehudim be-Mitsrayim ve-Suryah taḥat shilṭon ha-Mamlukim me-et E. Shṭraus,.Yerushalayim, (in Hebrew) p. 84 -85.
(٣) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج٣، ص١٢١. وقد سبق تعريف الآقجة وبيان قيمتها فى الفصل الأول، ص٢٢.
(4) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.154.
وقانون نامة: لفظة مكونة من كلمتين (قانون) و(نامة) أى رسالة أو كتاب، وهى عبارة عن كتاب يجمع النظم والقوانين المعمول بها فى الدولة العثمانية وتنظم بموجبها أصول الإدارة والشئون العامة للدولة، وهى أنواع بعضها يمثل أوامر عامة والبعض الآخر يمثل أوامر

عصر الزيت وصناعة الصابون:

أسهم اليهود فى بعض الصناعات التى ارتبطت بالمحاصيل الزراعية؛ فنتيجة لشهرة نيابة القدس بإنتاج الزيتون عمل اليهود فى صناعة عصر الزيت وصناعة الصابون، وخاصة ما يعرف بالصابون المقدسى الذى تشتهر بصناعته مدينة القدس والصابون النابلسى الذى تشتهر بصناعته مدينة نابلس، ولا يخفى علينا استيطان بعض اليهود السامرة فى تلك المنطقة فهى محل سكناهم الوحيد؛ ومن ثَم فقد عمل أغلبهم فى هذه الصناعة بل وفى تجارة الصابون، حيث انتشرت المصابن فى نيابة القدس.

ونتيجة لذلك صُدِّر هذا الصابون إلى المدن والبلاد المجاورة مثل يافا التى كانت بها تجارة كبيرة للصابون، وأيضا صدر إلى مصر والبلاد المختلفة[1]. وقد ذكرت لنا وثائق الجنيزة أن اليهود الذين يعملون فى هذه الصنعة كانوا يعتمدون على تجار الزيتون المسلمين المقيمين فى القدس والذين يجلبون الزيتون من مختلف قرى النيابة[2].

وعن نظام التعامل بين اليهود وهؤلاء التجار كان اليهود يشترون المحاصيل منهم ويدفعون ثمنها نقدا فى عهد السلطة المملوكية وعندما أُثقِل كاهل الفلاحين

خاصة فى موضوع واحد مثل التيمارات والأراضى، وينسب قانون نامة عادة إلى السلطان الذى جمعت فى عهده، وكانت البداية الأولى لقانون نامة فى عهد السلطان محمد الفاتح(١٤٥١م -١٤٨١م) والذى عرف بقانون نامة آل عثمان؛ حيث يتصدره الخط الهمايونى للسلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان، وقد جاء فيه : "هذه القوانين كانت قوانين أبى وجدى أقررتها فى قوانينى أنا أيضا فليقرها وليعمل بها أولادى الكرام نسلا بعد نسل"، ويبدو أن القانون نامات العثمانية الأولى أوامر وفرمانات تنسجم مع العادات والتقاليد السائدة فى البلاد التى فتحها العثمانيون؛ حيث أبقوا على القوانين القديمة المعمول بها ما لم تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.(محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج١، ص١٦.

Al-Bakhit, M.: The Ottoman Province of Damascus in The Sixteenth Century, Librariedu Liban, Beirut,1982 ,pp. 161 -166.

(١) على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص١٩٩.

(2) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam, p.192.

بالمكوس والضرائب التى كانت السلطة المملوكية تفرضها على المحاصيل، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التى تؤثر فى المحاصيل مثل: سقوط الثلوج، أو الجفاف. فقد حدث فى عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) أن أجدبت أراضى القدس والرملة لعدم نزول المطر فى أوانه ونزح كثير من سكان هذه الأرض من أوطانهم؛ مما جعل الأقوات تقل وارتفع سعر القمح ووقع الغلاء فى كل الأصناف من الأرز والزيت والبصل وغير ذلك حتى فى الخضراوات وضج الناس[١]، وقد لجأ بعض الفلاحين إلى رهن محصولهم للحصول على الأموال، ونتيجة لذلك عمد اليهود الذين يشترون محصول الزيتون إلى استغلال ذلك الأمر، فاشتروا المحصول بثمن أقل من قيمته[٢] لبيعه إلى المصابن وأماكن عصر الزيت.

وقد أوضح أحد مؤرخى اليهود أنهم كانوا يستخدمون الزيت فى المعابد اليهودية وما يفيض عن حاجاتهم يعرضونه للبيع إما للمستهلك العادى، أو يبيعونه جملة إلى المصابن المنتشرة فى النيابة وذلك لاستخدامه فى صناعة الصابون[٣].

وفى الفترة العثمانية تحديدا ابتداءً من عام (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) اختلف نظام التعامل المالى بين اليهود وأصحاب المصابن فى شراء محصول الزيتون، فقد استخدموا نظام البيع بالأجل بمعنى أن المشترى يدفع نصف ثمن البضاعة، ثم يدفع باقى المبلغ مقابل صك بعد فترة معينة يحددها اليهودى "بشرط وجود كفيل أو ضامن لهذا الشخص يقوم بتسديد المبلغ إذا حان أجله ولم يقدر المشترى على السداد"[٤].

وفى هذا الصدد يشهد كوهين بأن اليهود بهذه الصورة يتحكمون فى صناعة عصر الزيت أو تجارة الصابون؛ وهذا غير صحيح؛ لأنه فى أكثر من موضع تخبرنا الوثائق العبرية والعربية بأن اليهود المستوطنين فى القدس خلال فترة الدراسة كانوا من الفقراء والأرامل والمعوزين، وللإنصاف قد يكون قلة قليلة من اليهود هم من تعاملوا بمثل هذا الشكل، ولعل الأمر يصل لليقين عندما نجد كوهين نفسه يقول فى موضع من كتابه: "إن عائلة من اليهود اشتُهر عدد من أفرادها بهذا

---

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤١٠-٤١١.
(2) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.193.
(3) Ibid. ,P.192.
(4) Ibid. ,P.193.

الأمر هم جوكير وموسى، وخليفة ابن عياد وإبراهام بن اليعازر وابنه إسحاق بن إبراهام وذلك في عام (٩٥٦هـ/١٥٤٩م)، واشتهر كل من شمويل بن يوسف، وإبراهام السرجاني (نسبة إلى زيت السيرج الذى يُستخرج من السمسم) الذى تولى مشيخة اليهود بعد ذلك عام (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) بتجارة زيت السمسم وتصديره إلى مصر؛ مما أسهم في إقامة علاقات اقتصادية مع يهود مصر[١] تحت سمع وبصر السلطات العثمانية التى سعت لرفع يد المحتسب عن هذه العائلة وتجار السمسم بصفة عامة".

بيد أن الكاتب أوضح أن هؤلاء اليهود اعتادوا استخدام نظام الرشوة مع السلطات العثمانية حتى لا يخرج الأمر من أيديهم؛ حيث كانت رُشا اليهود أمرا مألوفا[٢] في ذلك الوقت، فقد كان المال لدى اليهود دائما المحرك الأساسي للسياسة، وإخضاع رجال الحكم من ضعاف النفوس لقضاء مصالحهم الشخصية.

أيضا في موضع آخر من الكتاب يشهد المؤرخ بأن المسلمين هم الذين كانوا يمتلكون المصابن المنتشرة في النيابة ولم يكن لليهود ذلك، بيد أنه كانت لهم يد في تصدير الصابون المُصنَّع[٣]؛ ولعله بذلك يقصد عمل اليهود في تجارة الصابون؛ وعليه لا يمكن قبول كلام كوهين بشأن تسلط اليهود في نيابة القدس على صناعة وتجارة الصابون.

وتجدر الإشارة هنا إلى إحدى الوثائق العبرية التى كتبها أحد يهود القدس في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وكان يشتغل بالحلاقة، وقد وُصِف بأنه من اليهود المارقين والمحتالين. وقد زعم هذا اليهودى أنه يعذب ويعانى من رجال الدين القرائين الذين يجمعون الضريبة المفروضة عليهم وتدعى الحالوقاه[٤]

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, P.195.
(2) Ibid., p. 192.
(3) Ibid., p. 192

(٤) الحالوقاه: "كلمة عبرية معناها بالعربية "صدقة" أو"نصيب" أو"قسمة" وهى عبارة عن ضريبة دينية كان يفرضها رئيس اليهود القرائين على غيرهم من اليهود الربانيين بمقتضى تعاليم رجال الدين اليهود. وقد ورد ذكر هذه الضريبة في كثير من كتابات رجل الدين اليهودى ناحوم، وقد ذكر الكاتب أن هذا اللفظ فيه نوع من السخرية من طائفة الربانيين فهو يشير إلى الذين لا يفهمون التوراة، كما كانت هذه الطائفة مزدهرة في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، وللأسف فهم كثير من الدارسين لأحوال اليهود هذه الضريبة فهما

(צדקה)، وهذا الرجل يسجل مذكراته مستخدما العبرية لوصف حالة الحلاقين ومهنتهم وهى تعكس صورة حياتهم التى كانوا يعانون فيها الفقر الشديد. كما ذكر اليهودى أن الغِنَى الفاحش الذى أثَّر فى الاقتصاد المملوكى لم يكن إلا لدى كبراء اليهود فقط وكان عددهم بسيطا[1]، لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، إذا قيس ببقية اليهود الموجودين بنيابة القدس. وإن كانت هذه شهادة أحد اليهود الفقراء الذين ينتمون لمهنة الحلاقة، فلأحد مؤرخى اليهود رأى يتوافق مع رأى الحلاق فى وجود أثرياء لليهود. فقد شهد هيلير بيلوك (Hilaire Belloc) "بأن يهود بيت المقدس فى العصور الوسطى أمة فقيرة فى مجملها يرى ذلك بعينيه كل من يسافر لأداء فريضة الحج"[2].

وللرابى عوبيديا والطالب اليهودى شهادة عن وضع اليهود الاقتصادي فى الفترة محل الدراسة إذ يقولان: "رغم جولتنا فى أماكن عديدة وحتى حينه فإن معظم اليهود الذين قابلناهم فقراء وهم يعولون أنفسهم بالعمل فى أعمال وضيعة"[3]، حتى من يسكنون فى قانا والجليل، كما أنهما شهدا بأن أثرياء اليهود

خاطئا إذ ربطوها بالسلطة المملوكية واعتقدوا أن السلاطين المماليك هم من فرضوها على اليهود، ونتيجة لتراجع مكانة اليهود القرائين فى أواخر العصر المملوكي ارتبطت هذه الضريبة بعلماء اليهود المتفرغين للدراسة الدينية في المدن المقدَّسة الأربع: القدس، وحبرون (الخليل)، وصفد، وطبرية، فقد كانت تُدْفَع لهم، ثم أصبحت كلمة حالوقاه تُطلَق على المساعدات المالية التي كان يرسلها يهود العالم لمساعدة اليهود الذين استوطنوا فلسطين، وخصوصًا في القدس، وكرَّسوا حياتهم للتعبد ودراسة التوراة. وكان معظم اليهود المقيمين في فلسطين يعيشون على الصدقات (نحو ٨٥% من مجموعهم بحسَب ما جاء في بعض التقديرات التى أشار إليها الرحالة ووثائق الجنيزة). وكان رُسُل الحاخامات هم الذين يجمعون هذه الصدقات ويرسلونها إلى فلسطين"، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٤، ص١٤٢.

-Sidney B. Hoenig: Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls.,p.120 – 124, Journal of Biblical Literature,The Society of Biblical Literature, vol. 83, No. 2 (June, 1964), pp. 119-138.

(1) Schoessinger , Max: The Ritual of Elded Ha-Dani , reconstructed, and edited from manuscript and a Genizah Fragment with notes and introduction and an appendix on the Elded Legends, Leipzig, New York1908, .p. 3.

(2) Belloc, Hilaire: The Jews, London, Bombay Study, 1932 , p. 85.

(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Traveller. p.245, Obadiah: A Student's Letter, pp.78, 82, 83, 84.

كانوا إما فى دمشق أو صفد[1] حيث كونوا حيا خاصا بهم تألف من ثلاثمائة أسرة يهودية قبل عام (٩٠٠هـ/١٤٩٥م) متوسط أعمارهم كان كبيرا؛ حيث بلغ عمر أحدهم مائة وثلاثين عاما، وهو من اليهود السفارد، وقد جعلوا من المدينة المقدسة مركزا دراسيا يضم أبناء الطائفة وبرعاية السلطات المملوكية[2]، ويبدو أن كوهين خلط بين يهود القدس ويهود صفد فعمم حكمه على تسلط أغنياء اليهود على صناعة عصر الزيت أو الاتجار فى الصابون.

الإسكافية:

والطائفة الصناعية الأخرى التى تم رصدها فى فترة الدراسة هى طائفة الأساكفة، ومهنتهم ارتبطت أيضا بالجلود التى تتم دباغتها وتصنيعها. وقد رصدت بعض الوثائق العربية جمع بعض اليهود بين مهنتَى الدباغة والإسكافية[3] وعددهم كان قليلا فى مناطق النيابة، ومن يعمل بها يعانى الفقر. وقد حددت بعض الوثائق العربية (من سجلات المحكمة الشرعية) نوعيات الجلود التى كان يستخدمها الإسكافيون فى صنعتهم؛ "فإن كانوا يصنعون صَرَامىَّ جديدة يستخدمون جلود الجاموس وإن كانوا يصلحون الصرامى القديمة -وهم طائفة تتبع الأساكفة تسمى القيفية[4] - يستخدمون جلود الجمال فى إصلاحها"[5]، كما أوضحت الوثيقة أن طائفة الأساكفة " قد يستخدمون الجلود المصرية وهم يمنعون من استخدامها حتى تمر على شيخ الطائفة ليقر العمل بها؛ وذلك لأن بعض الجلود المصرية لا تصلح لعملهم"[6].

(١) صفد: مدينة في الجليل تقع فوق جبل على ارتفاع ألفين وسبعمائة وثمانين قدمًا من مستوى سطح البحر. وهي إحدى المدن الأربع المقدَّسة عند اليهود (إلى جانب القدس والخليل وطبرية). محمد محمد شراب: بلادنا فلسطين، ج٢، ص١٤١؛ عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص١١٥.

(2) Obadiah: A Student's Letter, pp.83, 84.

(٣) ظهر هذا الأمر من خلال وثائق سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، سجل رقم ٨٠، حجة رقم ٤، ص٣١٧.

(٤) محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٣٧٣.

(٥) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٨٩، حجة رقم ٣، ص ٤٧ – ٤٨.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

ولا يستطع أحد من اليهود ممارسة هذه المهنة إلا من خلال إذن شيخ الصنعة[1].وقد كان الشيخ المتكلم عن طائفة الأساكفة عموما مسلما، ويتم تعيينه بمرسوم يشهد عليه قاضى القضاة وشهود الحال. وفى العصر العثمانى كان هذا المرسوم يطلق عليه وثيقة تعيين[2]، بمقتضاها تكون كلمته مسموعة فيهم، وهو حلقة الوصل بينهم وبين السلطة الحاكمة، وتكون مسئولياته كما حددتها الوثيقة محصورة فى:

١- المساواة بين كل من الإسكافيين المسلمين والنصارى واليهود فى شراء الجلود المتخذة لصنعتهم سواء قلت أو كثرت. (وهذه إشارة توضح أن الأسواق كانت تعانى شُحّ الجلد فى بعض الأحيان).

٢- ويُعطى لكل واحد منهم على قدر ما يتحمله حاله[3].

٣- يُحدد أقدم إسكافيٍّ اليهود ليكون شيخا على طائفة الأساكفة من اليهود ومثل ذلك من النصارى.

وقد رصدت لنا الوثائق العربية أسماء لشيوخ طائفة الأساكفة اليهود؛ منهم "إيساق بن انل[4] اليهودى، وشمويل بن مخلوف"[5].

ولم تكن العلاقات طيبة بصورة مستمرة بين اليهود الأساكفة وشيخهم؛ فقد كان شيوخ الطائفة يفرضون أموالا على الصناع البسطاء فى مختلف الحرف ويجمعونها بطريقة تعسفية تصل إلى الادعاء بالتحاق أحد أفراد الصنعة بصنعة أخرى كالحدادة مثلا ليجمع أموالا أكثر. من ذلك ما تطالعنا به إحدى الوثائق العربية من شكوى ناصر بن سعادة اليهودى ضد إبراهيم بن موسى البرادعى شيخ طائفة اليهود الإسكافية عند القاضى، من أنه فرض عليه أموالا بحجة أنه

(1) Cohen, Amnon: The Guilds of Ottoman Jerusalem, Brill, Leiden. Boston. koln ,2001 ,p.5.

(٢) د. محمود على عطاالله: وثائق الطوائف الحرفية فى القدس، ص٢٠.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١١٣، حجة رقم١، ص٣١٤.

(٤) الاسم مذكور هكذا فى الوثيقة ولعل كاتب الوثيقة لم يسجله بطريقة صحيحة .

(٥) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١١٣، حجة رقم ١، ص٣١٤، سجل رقم١٨٩، حجة رقم٣، ص٤٧ – ٤٨.

حداد وليس إسكافيا فقط. وقد حضر مع ناصر كلٍّ من إسحق بن سعدون وهارون ابن الأعرج ليشهدا بأنه إسكافى وليس حدادا أمام القاضى الشرعى بالقدس المحروس[1].

ولم تكن هذه هى الشكوى الوحيدة بل تجددت بعد مرور عشر سنوات على الشكاية الأولى لنفس السبب؛ حيث قدم كل من ناصر بن سعادة وهارون بن سعادة، وهارون بن إبراهام وغيرهم هذه الشكوى ضد شيخ الطائفة الجديد ويدعى شاؤول بن شمويل[2]. ومن الملاحظ أن السلطة العثمانية كانت دائمة التغيير لشيخ طائفة اليهود الأساكفة إذا صدر منه تجاوز إزاء أبناء طائفته، كنوع من الإجراءات التى تتخذها السلطة لضمان الأمن والبعد عن الاضطرابات التى يسببها اليهود بتكرار الشكوى من أعمالهم المنافية لتعاليم السلطة الحاكمة.

المرأة اليهودية واحتراف المهن:

لم تهمل الوثائق سواء العبرية أو العربية أن تطلعنا على دور المرأة اليهودية فى ممارسة المهن المختلفة؛ ومنها أشغال الإبرة والتطريز، وتزيين الملابس النسائية بوجه خاص، سواء الملابس الداخليَّة "التحتانية"، أم الملابس الخارجية "الفوقانية"، وقد جاء ذِكْرها بشكل متنوِّع ومتعدِّد في عدد من الوثائق المقدسيَّة بوجه خاص، فتقوم بزخرفتها "بالخرز" و"الترتر"، و"القصب" وغيرها[3]، وتقوم بتطريز الجلد، أو تطريز القماش بالذهب وكان ذلك حكرا على اليهوديات فقط[4]، وذلك لكراهة المسلمات تطريز القماش بالذهب.

واحترفت النساء اليهوديات حِرْفة "الدَّلالة"، فى الأسواق، وداخل البيوت لعرض البضائع المختلفة خاصة الأقمشة حيث كان كثير من النساء لا يذهبن إلى

(١) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ٨٢، حجة رقم٢، ص٢٧٤.
(٢) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ٩١، حجة رقم٢، ص٢٠٦.
(٣) محمد عيسى صالحية : من وثائق الحرم القدسي، ص٣٥؛علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص١٩٨.
(٤) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص١٥٣.

الأسواق؛ فتقوم اليهوديات بتوصيل ما يحتجنه من البضائع مقابل رفع سعر تلك البضائع عن سعر السوق بنسبة ضئيلة، كذلك جاء في الوثيقة المقدسية رقم١٦٣، المؤرخة بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) أنَّ "الدلالة" كانت تبيع بالأجَل للنِّساء الأخريات[١].

وواضحٌ ممَّا جاء في الوثيقة المقدسية أنَّ عمل "الدلالة" لم يكن مقصورا على تزويد النِّساء بما تحتاجه الواحدة منهنَّ مِن أقمشة وملابس، وأغطية للرأس وخلافه، إنما كانت "الدلالة" تقوم أيضًا بعمليات الإقراض مقابلَ الحصول على رهْن، فقد رهنتْ إحدى السيِّدات "حلق ذهب بلولو" (لؤلؤ) عندَ "الدلالة"، نظيرَ ثلاثة دراهم[٢].

ولم تقم اليهوديات بذلك العمل دون إذن شيخ طائفة الدلالين، ليس هذا فحسب بل كن يحصلن على وثائق كفالة إحضار أيضا إذا لم يؤدين ما عليهن من حقوق أو لم يلتزمن بشروط المهنة، من ذلك وثيقة كفالة "بيرام بن آزر لوالدته سلفانة بنت أصلان الدلالة يحضرها متى طُلِب منه ذلك وإن انهزمت بشيء يكن كفيلها فيه"[٣]، وفى إحدى الوثائق قامت مجموعة من الدلالات اليهوديات وهن رسيا بنت سالم المغربى، وسنية بنت يحيى، وسنية بنت إسحق، بكفالة بعضهن البعض أمام القاضى فى حضور شيخ الدلالين[٤].

وكانت بعض اليهوديات يتخذن من غزل الصوف والقطن والكتان مهنة لهن، وعرفن في القدس بتلك المهنة واستخدمن بعض الأنوال في نسج بعض قِطع من القماش لصناعة أغطية الرأس النسائيَّة مِن "طرح" ومناديل وغيرها، وكذلك بعض أغطية الرأس الرجاليَّة، والعباءات الصوفية. وقد يمارسن الغش فى الصنعة فيستوجبن عقاب المحتسب لهن أو يتعرضن لشكوى الناس من غشهن، فذكرت إحدى وثائق الحرم القدسى أن العبوية (صُنَّاع العباءات) قد اشتكوا الغزَّالات

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٨٥.
(٢) محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى، ص٨٥.
(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١١٩، حجة رقم ٥، ص١٢١.
(٤) المصدر السابق: سجل رقم١١٩، حجة رقم٤، ص١٢١.

اليهوديات لأنهن يغششن الغزل "ويجعلن فيه ما هو مختلف اللون ويجعلنه طِبَبا[١] بحيث لا يُرى منه إلا ظاهره، فطلب القاضي من إبراهام ولد يعقوب، شيخ طائفة اليهود لينبه عليهن ولكي يجعلنه شِلّلا[٢] فيُرى كله"[٣].

الطّبّ:

برع كثير من اليهود فى الطب ومداواة المرضى، وقد رصد لنا العديد من الرحالة أنه وجد بالقدس عدد قليل من الأطباء اليهود؛ من ذلك وصف الرحالة إسحق هيللو (Isaac Hillo) الذى زار القدس عام (٧٣٢هـ/١٣٣٣م) أن البعض من اليهود ببيت المقدس يشتغلون بالطب[٤]، وذكر الرحالة فيلكس فابرى (Felix Fabri) أن الأطباء اليهود يقومون بمعالجة أبناء طائفتهم فى الأديرة الخاصة بهم[٥]، ولا يفهم من هذا أن عددهم كبير فى نيابة القدس إذ ذكر كل من الرابى عوبيديا وميشلوم بن مناحم والطالب اليهودى أن أشهر الأطباء اليهود كانوا يتركزون فى دمشق وعلى رأسهم الطبيب جوزيف[٦] (Joseph). وذكر كوهين أربعة أطباء كلهم من طائفة القرائين ورد ذكرهم كثيرا فى السجلات العثمانية؛ وهم عبد الكريم بن موسى فى الفترة من (٩٣٩هـ - ٩٦٠هـ/ ١٥٣٢م - ١٥٥٢م)، وعبد الكريم بن عبد اللطيف فى الفترة من (٩٥٧هـ - ٩٦٩هـ/ ١٥٥٠م -١٥٦١م)

---

(١) طببا: الطّب يقال طب الثوب أى زاد فيه شقة أو قطعة مستطيلة ليتسع وتكون مخالفة للون الأصلى للعباءة، والجمع طِبَب على وزن عنب. مرتضى الزبيدى: تاج العروس، سلسلة التراث العربى، الكويت، ١٩٩٣ -٢٠٠١م، ج٣، ص٢٦١. وربما المقصود من هذه العبارة (يجعلنه طببا أى أنهن يزدن قطعة قماش من غَزْل مخالف للون العباءة، ثم يقمن بثنى العباءة بطريقة معينة فلا يُرى العيب، أو أنهن يجمعن الخيط فى شكل كرة فلا يرى ما بالداخل).

(٢) شلّلا: يقال شللت الثوب شلّا أى خطته خياطة خفيفة متباعدة، مرتضى الزبيدى: المصدر السابق، ج٢٩. وربما المقصود من هذه العبارة (يجعلنه شللا؛ أى أنهم يغزلون الخيط ويجمعنه بطريقة طويلة مستقيمة فيرى جميعه).

(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم٤٤١، حجة رقم٢، ص٥٨.

(4) Sason, Ben: Jewish Society Through the Ages, New York,1973, P.225.

(5) Fabri, Felix: The Wandering Of Brother Felix Fabri (circa 1480-1483 A.D.), Translate by Aubrey Stewart. London1892, vol.1, p.379.

(6) Adlar , Elkan Nathan: Jewish Traveller, pp. 237 -241 -245.

وكانوا من اليهود القرائين الأشكيناز، والطبيب يوسف بن إبراهيم في الفترة من (٩٦٠هـ- ٩٨٦هـ / ١٥٥٢م- ١٥٧٨م)، والطبيب شمس الدين (٩٩٦هـ/١٥٨٧م) وقد حضر من الإسكندرية ليقيم مع بني طائفته بالقدس، وكان قرائيا أيضا[١]. وذكرت سجلات المحكمة الشرعية اسم الطبيب سولومون اليهودي ضمن وثيقة شهادة على حكم أصدرته المحكمة الشرعية بشأن مقبرة اليهود بأرض الجسمانية [٢]، أيضا أخبرتنا الوثائق العبرية عن ضرورة كتابة المسلمين لإقرار عدم مسئولية الطبيب اليهودي عن أي خطأ يقع لهم أثناء علاجهم، من ذلك ما وجد من شهادة أحد المرضى المسلمين في عام (٩٤٩هـ/١٥٤٢م) أمام قاضي القدس بأنه قد كتب إقرارا على نفسه بعدم مسئولية الطبيب اليهودي عن وقوع أي حادث جنائي له أثناء العلاج[٣]. ومن الملاحظ أن أطباء اليهود انصهروا في بوتقة المسلمين لذلك حمل كل منهم اسما إسلاميا[٤].

وأوضحت الوثائق المقدسية أمرا يتعلق بممارسة مهنة الطبيب، فلا يستطيع أحد من اليهود ممارسة الطب إلا بعد الحصول على ترخيص بمزاولة المهنة فيما يشبه العصر الحديث حيث تعطي النقابات هذا الترخيص. ولعل النظام الحديث المعمول به الآن هو نتاج شرعي لما سبق حيث يعطي الشخص ترخيصا نقابيا لمزاولة المهن والحرف المختلفة، من ذلك ما ذكرته لنا الوثيقة المقدسية رقم٣٥ المؤرخة بتاريخ (٩٧١هـ/١٥٦٣م) " من أن رئيس الأطباء الشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين الحكيم لا يسمح لأي طبيب بمزاولة مهنة الطب إلا بعد إذنه وإجازته؛ يستوي في ذلك المسلم والمسيحي واليهودي "[٥]، وقد ذكر ابن طولون الصالحي وفاة الطبيب اليهودي ابن سعيد وكان قد "تلقى العلم وأخذه من علماء بيت المقدس وأجازوه"[٦].

---

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 115.

(٢) دفتر تحرير عثماني رقم ٥٢٢: أوقاف لواء القدس ونابلس وصفد وغزة وعجلون في القرن العاشر الهجري، ص٥٣.

(3) Cohen , Amnon: Jewish life under Islam , p.115.

(4) Ibid pp.175-176.

(٥) كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية، ج٣، ص٥١، وثيقة رقم ٣٥، سجل رقم٤٥، ص١٩.

(٦) ابن طولون الصالحي: حوادث دمشق اليومية، ص٢٠٤.

ويرتبط بمهنة الطب ضرورة توافر الأعشاب الطبية التى يستخدمها الأطباء فى صنع وَصْفات طبية تعالج الأمراض المختلفة، وقد برع اليهود فى ذلك، فاهتموا بالمستوى الصِّحي لأهل القدس، وفيما يتعلق بكيفية علاج الكثير مِنَ الأمراض المنتشرة يومئذٍ، مثل: "الإسهال"، أو "السعال"، و"أمراض الكُلَى"، اعتمد اليهود على كثير من الوصفات الطبيَّة التي اعتمدتْ على الثّوْم، وصَفَار البيض، والتِّين، وزيت الزيتون، والصمغ العربي، والمِسْك، والكمُّون، وبعض الأعشاب الطبية، والطين الأرمني، فالوثيقة رقم ١٨٢ بدون تاريخ، بها الكثيرُ من الأمور المتعلِّقة بهذه النواحي[١].

لذا؛ كانت مهنة الطبيب تعتمد كلية على وجود العطارين الذين يبيعون تلك الأعشاب. وقد وُجِد سوق للعطارين بالقرب من حى اليهود، وكان لبعض اليهود محالّ للعطارة فيه. ومن اللافت للنظر أنه فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) رصد لنا كوهين أن أكثر العطارين الموجودين فى سوق العطارين لم يكتفوا بمهنة العطارة وبيع الأعشاب؛ بل جمعوا إلى ذلك مهنًا حرفية أخرى مثل: الحدادة، والجزارة، كما أخبرت بعض وثائق الجنيزة[٢]، وسجل الرحالة الذين زاروا القدس بغية الحج والدراسة وكذلك وثائق الجينزة أن كثيرا من اليهود قد نبغوا فى الطب، وكان أكثرهم يدرسون كتب العرب الطبية، فإذا اقتضى الأمر أن يطبقوا المعلومات التى اكتسبوها بهذا النحو لجئوا إلى عقاقير شرقية لا يتسنى الحصول عليها إلا عن طريق وسطاء التجارة؛ وخاصة التجار اليهود حيث كانوا يجوبون البلاد كتجار جملة، ثم ينقلون ما يأتون به فى الأسواق المختلفة للعواصم التجارية كالقاهرة ودمشق والقدس[٣]. ويتعرض الطبيب الذى يخِلُّ بشرف المهنة ويرتكب خطأً طبيا إلى عقاب صارم حيث أطلعنا ابن طولون على حادثة فرار الطبيب اليهودى خليفة إلى صفد؛ لأن السلطات العثمانية حاولت

(١) كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص ١٢٧٩.

(2) Eliyahu Ashtor: Toldot ha-Yehudim be- Mitsrayim ṿe- Suryah taḥat shilṭon ha- Mamlukim me-et E. Shṭraus,.Yerushalayim, vol (III), p.100.

(3) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro,p.144 ,Adler: Jewish Travellrs, p. 191.

ف. هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، مراجعة وتقديم عز الدين فودة، عرَّبه أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٢، ص١٤١ .

القبض عليه لاتهامه بمحاولة قتل فرهاد باشا عام (٩٢٩هـ /١٥٢٢م)[١]، وهذا يشير إلى إخلال ذلك الطبيب اليهودى بقواعد مهنة الطب مما استوجب بحث السلطة عنه لمعاقبته.

الصياغة:

هذا؛ ولم تنسَ الوثائق العربية والعبرية ذكر طائفة الصائغين اليهود الذين كانوا يتعاملون مع المعادن النفيسة مثل: الذهب، والفضة، وعددهم كان قليلا على مستوى مناطق النيابة، بالإضافة إلى اعتراف المؤرخين اليهود بأن الصياغ المسلمين كانوا أكثر عددا وأوثق معاملة من الصياغ اليهود. وهذه الحرفة تمثل أربع حرف متداخلة يقوم بها طحان يطحن الذهب بواسطة الرَّحَى[٢]، ودكّاك وصائغ وسكّاك، ويطلق اليهود على من يعملون بمهنة الصائغ (צורבים صور وفيم)، وهم من يقومون بصنع الأساور والخلاخيل والأقراط والأطواق والخواتم الذهبية والفضية[٣].

وذكرت الوثائق العربية أن اليهود الصياغ كانوا يتواجدون فى سوق الصاغة بمدينة القدس، وتقع حوانيتهم فى قلب المدينة وكانوا يتشاركون فى دكاكين محددة فطلب منهم فى نهاية فترة الدراسة أن يستقل كل صائغ بدكان، ولا يتشارك اثنان أو ثلاثة فى دكان واحد لِئلا يعطل ذلك حركة السوق أو يؤذوا بقية الدكاكين بجلوسهم أمام الدكاكين[٤]. ولكثرة تلاعب الصياغ اليهود فى صنعتهم إما بإنقاص وزن المشغولات الذهبية أو بيعها دون أن تُخْتَم، أو شرائهم للذهب والفضة وعدم وزنها أمام شيخ الطائفة؛ أُصْدِرت الفرمانات بعدم تعاطى الصنعة إلا بعد إذن شيخ الطائفة وإذن القاضى الشرعىَ الشافعى فى العصر المملوكى، والقاضى الشرعى الحنفى فى العصر العثمانى، وحُرِرت عدة وثائق كفالة إحضار ليهود

---

(١) ابن طولون الصالحى: حوادث دمشق اليومية، ص١٥٦.
(2) Hirschbirg H.Z.(J.W): A History of the Jews in North Africa,pp.266 -267.
(٣) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص١٥٠.
(٤) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٨١، حجة رقم ٨، ص٢٥٣، د. محمود على عطاالله: وثائق الطوائف الحرفية فى القدس، ص٢٩٨ – ٢٩٩.

صياغ من كثرة ما تردد من شكاوى ضدهم[١].

ومن المعروف أن الرواج الاقتصادى لسلعة ما يرتبط بشدة الطلب عليها؛ لذلك نجد أن المشغولات الذهبية والفضية التى كان يقوم الصياغ بصناعتها تروج فى مواسم الحج؛ إذ يحرص كثير من الحجاج المسيحيين على شراء مشغولات ذهبية كهدية لذويهم، مما جعل السلطة العثمانية تلتفت لهذا الأمر فتفرض على الصياغ ما يعرف بمُكس الخميس على المشغولات الذهبية التى تباع للمسيحيين يوم خميس العهد، وكانت السلطة تحصّله سنويا، حتى شكا اليهود لكاتب الولاية الشريفة يطلبون منه إعفاءهم من هذا الرسم[٢] فاستجاب لهم فى عام (٩٨٤هـ/١٥٤١م).

وكعادة اليهود فى محاولة التخلص مما يتعارض مع مصالحهم، طلب عدد من صياغهم عام (١٠٠١هـ/١٥٩٢م) من القاضى إقالة شيخ الطائفة المسلم ويدعى شمس بن على بن خالد وذلك لأنه يضيق عليهم ويفرض عليهم مبلغا من المال، كما أنه يأخذ منهم ١.٥% من إجمالى الأموال التى يتحصلون عليها من صناعتهم مما يسبب لهم خسارة كبيرة، وتعيين أرسلان بن شوعة بدلا منه ؛لأن بقية أفراد الطائفة لديهم استعداد لإطاعة أوامره كما أنه أكثر إتقانا للصنعة؛ كما أنهم ذكّروا القاضى بأن اليهودى موسى بن هارون كان رئيسا للطائفة عام (٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م) وكان كل أفراد الطائفة يطيعونه ويأتمرون بأمره فيما يخص الصنعة وهم مستعدون لذلك. ولكن القاضى رفض طلبهم وأمهل رئيس الطائفة شمس مهلة مدتها ثلاثة شهور وإن تكررت الشكوى فسوف ينظر فى أمره[٣]، وإمهال القاضى لشمس مدة قد تكون وراءه أسباب لم تفصح عنها الوثيقة.

(١) حررت شكوى من السيدة صبحة بنت إبراهيم ضد أحد الصائغين حيث أعطت له خلخالة فضة زنتها اثنان وعشرون درهما ونصف درهم، وسوارتين فضة زنتهما ثمانية عشر درهما؛ ليصنع لها خلخالة فوجدت أن وزنها ثلاثة وثلاثون درهما غالبها نحاس، فألزم القاضى الصائغ بدفع الفرق، سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم٨٤، حجة رقم١، ص٢٩١، والوثيقة مؤرخة بتاريخ ١٠١٢هـ، وهى متأخرة عن فترة الدراسة ولكن لجأت إليها الباحثة لمحاولة تفسير أسباب وجود وثائق كفالة الإحضار حيث لا تذكر هذه الوثائق أسباب الإحضار لدى القاضى. وللاستزادة من وثائق كفالة الإحضار يمكن العودة إلى سجلات المحكمة الشرعية رقم١١٢، ١٣٣، ومؤلف/ د. محمود على عطاالله: وثائق الطوائف الحرفية، ص٢٨٦، ص٢٨٧، ص٢٨٩.

(2) Cohen, Amnon: Jewish life under Islam, p.167.

(3) Ibid., pp.163 -164.

مهن مختلفة: (مهنة السنداق، وعازف الجنك، وناسخ الكتب)

ومن المهن التى امتهنها اليهود فى القدس مهنة السنداق، ومعناها البليغ أو الشفيع، وبالعبرية تعنى (الفخَّاذ) أى الرجل الذى يمسك علىَ فخذيه الطفل وقت ختانه وهى فريضة مهمة ويمنح شرف القيام بها أشخاص موقرون من بين الضيوف الحاضرين للختان(١).

ورصدت لنا إحدى وثائق الجنيزة عمل اليهودى شوعة بن يعقوب الرومى الجنكى كعازف لآلة الجنك فى قصر النائب وهى آلة موسيقية ذات أوتار(٢)، كما أخبرتنا وثائق الحرم القدسى عن امتهان أحد اليهود مهنة نسخ الكتب ولم تذكر الوثيقة هذا صراحة بل كانت الوثيقة عبارة عن حصر إرث ليهودى متوفى، وكان من ضمن الإرث عدة كتب منها كتاب كبير منحس بعشر شمسات نحاس(٣). وهذه النوعية من الكتب كان النساخ يقومون بتزيينها بمثل هذه الشمسات خاصة إذا كانت من الكتب الدينية، بالإضافة إلى انعكاس ذلك على صاحب الإرث نفسه فيمكن الجزم بأنه من اليهود المثقفين.

صناعة الخمور:

ومن الصناعات التى قام بها اليهود صناعة الخمر من الكروم التى كانت تُزْرَع فى بعض مناطق النيابة، وكان اليهود يشترون محاصيل الكروم من فلاحى النيابة، ولم أجد سوى شهادة أمنون كوهين بأن اليهودى صمويل بن جوكير هو من كان يقوم بهذا الأمر فى نهاية العصر المملوكى(٤)، ونظرا لأن هذه الصناعة كانت محل بغض من الفقهاء والعلماء المسلمين وكانوا كثيرا ما يقومون بإراقة الخمر المُصنَّعة والمطالبة بمعاقبة من يفعل ذلك؛ فقد رأت السلطة المملوكية أن تفرض ضريبة على صناعة الخمر، وكان على اليهود أن يحصلوا على تصريح

---

(١) رشاد الشامى: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ٢٠٠١م، ص٢٢١، إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام فى العصر المملوكى، ص١٣٨.

(2) Eliyahu Ashtor: o.p. cit, vol (II),p.74.

محسن شومان: اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، ج١، ص٦٢.

(٣) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، مج٢، ص٤٢، وثيقة رقم ١٩٧.

(4) Cohen , Amnon: Jewish life under Islam., p. 186.

من نائب السلطنة بالقدس لصنعها، فذكر الطالب اليهودى أنه "كان على كل يهودى أن يشارك فى دفع مبلغ إجمالى خمسين دوكية سنويا إلى نائب السلطنة بالقدس وذلك بغرض الحصول على تصريح لصنع الخمر التى تعد شرابا بغيضا عند العرب "[١]، ويمنع بيعها للمسلمين بالقدس بأمر القاضى[٢]، كما منع نجيد اليهود بنى طائفته من شرب الخمر جهارا أمام المسلمين فى المدينة المقدسة وذلك فى عام (٩٨٤هـ/١٥٧٦م) ؛ وذلك بسبب قيام اليهودى يوسف بن شمويل بشرب الخمر جهارا وجلبها من النصارى وبيعها للمسلمين فتقدم المسلمون بالشكوى ضده أمام القاضى الحنفى؛ فأحضره وحكم بتغريمه ١٠٠٠ آقجة عقابا على ما فعله[٣].

ويبدو من ذلك أن ضريبة الخمر قد فُرضت فى عهد السلطان قايتباى؛ مما جعل ميشلوم بن مناحم يعبر عن استيائه من تلك الضريبة المفروضة على الخمر لأنها جعلتها تدخل "ضمن السلع ذات السعر المرتفع"[٤]. وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بمعلومات عن تلك الضريبة حيث إنها كانت تُصنف وفقا للمستوى الاجتماعى لليهود؛ إذ كانت تجمع على ثلاثة مستويات : الأثرياء يُجمع منهم قرابة عشرين قطعة فضية عن كل مكيال نبيذ، ومتوسطو الدخول عليهم دفع ست عشرة قطعة فضية، أما الفقراء فيدفعون اثنتى عشرة قطعة فضية حتى لو كانوا يستحقون الإحسان. وقد ذكر الطالب اليهودى أنه دفع قرابة ثلاثين قطعة فضية ثمنا لمكيالين ونصف من الخمر[٥] على اعتبار أنه من الفقراء.

وفى محاولة لتوضيح أسباب الضريبة المرتفعة التى فرضتها السلطة المملوكية على هذه الصناعة، نذكر أن ذلك قد يكون استجابة لفتوى علماء وفقهاء المسلمين الذين أفتوا بجواز أن يسترد السلطان من اليهود الأموال التى أخذوها من المسلمين بدون وجه حق ببيعهم الخمر لهم، ولا يرد السلطان هذه الأموال إلى من اشترى

(1) Obabiah: A Student's Letter , p. 87.

أعتقد أن عوبيديا يقصد المسلمين لأن الخمر محرمة لديهم، وقد التزمنا بالترجمة الحرفية للعبارة.

(2) Cohen , Amnon: op. cit., p. 186.

(3) Eliyahu Ashtor: o.p. cit, vol 3(II), p. 122, Cohen, Amnon: Jewish life under Islam, p.187.

(4) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.160.

(5) Obabiah: A Student's Letter, p.87.

منهم الخمر[1]، وقد أشار ابن الإخوة إلى ضرورة معاقبة المحتسب للمسلم إذا أظهر خمرا بإراقتها وتأديبه، أما إذا كان الفاعل من اليهود فإن المحتسب يكتفى بتأديبه على إظهارها[2]. ومن طريف ما ذكرته المصادر العربية أن اليهود كانوا يستخدمون الخمور فى رشا بعض القضاة المعروفين بالفساد لتغيير فتياهم تجاه اليهود وصناعة الخمر، ففى عام (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) أخبرنا مجهول بأن "القاضى العبادى ارتشى من اليهود ثلاثة جراء خمر وحصل له بذلك خزى كبير"[3].

حفر القبور:

كثيرا ما نرى المؤرخين يطالعوننا بالعديد من الحرف والمهن التى عمل بها اليهود فى مناطق النيابة المختلفة وأسواقها، إلا أن بعض المؤرخين قد قرن بين اليهود وحقير المهن، من ذلك ما نراه فى وثيقة مقدسية توضح لنا عمل (حاييم بن هلال اليهودى المغربى) بحفر القبور لليهود فقط بمقبرتهم المستأجرة من المسلمين والكائنة بأرض قرية سلوان[4]، وهى مهنة تشمئز منها النفوس وغالب أهلها

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلى، مطبعة النور الإسلامية ١٩٩٠م، ج٤، ص ٢٧٨ .
ولللإمام ابن تيمية وقعة مع اليهود بهذا الشأن، فقد ورد إليه سؤال بشأن اليهود الذين يقيمون فى مدينة كبيرة ويبيعون الخمر للمسلمين، ويثرون من وراء ذلك، فكان رده أنهم يستحقون على ذلك العقوبة التى تردعهم وينقض بذلك عهدهم فى مذهب أحمد وغيره، وإذا انتقض عهدهم حلت دماؤهم وأموالهم التى قبضوها من أموال المسلمين بغير حق ولا ترد إلى من اشترى منهم خمر، ويجوز للإمام أن يخرب مكانهم الذى يبيعون فيه الخمر (مقالة بعنوان مسألة فى اليهود بمصر من أمصار المسلمين، فتاوى ابن تيمية، رقم ٤٩٤، ص٢٦٤).

(٢) ابن الإخوة: معالم القربة فى أحكام الحسبة، ص٣٢.

(٣) مؤلف مجهول: كتاب فى التاريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٦٣١ تاريخ، ميكروفيلم رقم ١٤٦١٨، ص١٤٤.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية، سجل رقم ١٣٢، حجة رقم ١، ص٨٣، والجدير بالملاحظة أن الوثائق التى تتحدث عن اليهود والنصارى يفرق فيها مسجل الوثيقة بين المسلمين والنصارى واليهود بلفظ (فلان بن فلان) عند الحديث عن المسلمين، بينما يستخدم العبارة (فلان ولد فلان) عند الحديث عن اليهود والنصارى.

متوسطون وبعضهم قد أثرى منها ثراء كثيرا[١]، وهذا ما تظهره لنا وثيقة بها شكوى مقدمة من اليهود إلى القاضي الشرعي أبي البركات الخالدي بشأن رفع بعض اليهود الحفارين للقبور أجرتهم مما يمثل عبئا على فقراء اليهود، ويطالبونه بإعادة الإذن لليهودي (أيدير) بحفر القبور لليهود حيث يقوم بذلك بدون أجرة[٢].

وقد تكررت وثائق الإذن بممارسة هذه الصنعة لكل من يوسف بن بنيامين، ويعقوب بن دانيال. ومن الواضح أن اليهود لم يستطيعوا دفن موتاهم أو حفر قبور لهم إلا عن طريق هؤلاء حيث تعطيهم السلطة الحاكمة الإذن بممارسة المهنة[٣]. ومن الملاحظ أيضا أن هذه المهنة لم تكن من المهن المورَّثة فلم تكن هناك عائلات مهنية ترث مثل هذه المهنة؛ وهذا يقودنا لمناقشة أمر يتعلق بأصحاب المهن والحرف فنطرح سؤالا : ما شكل التنظيم الحِرَفيّ لليهود الذى سمحت به السلطة الحاكمة فى نيابة القدس؟

التنظيم الحرفي لليهود فى نيابة القدس:

إن الواقع الاقتصادى الذى ارتبط بأصحاب المهن والحرف يتطلب أن يكون له ما يعرف بالتنظيم الحرفي- بالمعنى الحالى نقابة - وهو هيكل إدارى منظم يُعنى بتنظيم العمل وتوزيع المسئوليات على أفراد المهنة الواحدة وهذا التنظيم يكون مسئولا عن الاتصال بين أفراد المهنة الواحدة والسلطة الحاكمة، عن طريق شخص منتخب يطلق عليه شيخ الطائفة يختاره أفراد المهنة الواحدة ليكون رئيسا لهم وممثلا لمطالبهم أمام السلطات، وفى فترة الدراسة وجد ما يشبه مثل هذا التنظيم؛ فقد رصد أحد الدارسين تصوُّرا له يقتصر على وجود شيخ للطائفة - أصحاب المهنة الواحدة - ويُعين بالانتخاب من بين رجال الصنعة ويكون أكبرهم سنا وأجودهم عملا وأسمعهم كلمة وأنفذهم رأيا والممثل لهم أمام السلطة المملوكية

---

(١) محمد سعيد القاسمى : قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص١٠٠.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٤٧، حجة رقم١، ص١٦٧.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٣٢، حجة رقم ١، ص٨٣، سجل رقم ٥١، بتاريخ (٩٧٥هـ/ ٩٧٧هـ) ص٧٤، وسجل رقم ٥٣، بتاريخ (٩٧٦هـ- ٩٧٨هـ)، ص٧١، د. محمود على عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية، ج١، ص٧١، ص٧٢.

والعثمانية، ومن واجباته السعى إلى محاربة الغش والتلاعب فى الصنعة، كما يقوم بمنح شهادة الإجادة لممارسة الصنعة(١).

ولشيخ الطائفة مجلس استشارى يعاونه على إدارة الصنعة أو الحرفة ويليه بعد ذلك الأستاذ، ثم العامل، ويقوم أهل الحرفة بإقامة حفل كبير لمن يرقى من درجة إلى درجة وأطلق عليه فى العصر المملوكى حفل الشد. ويتم بربط المرشح بالمِخْزَم وتتلى الصلوات والوصايا العشر عند اليهود ويُزوَّد المشد بالنصائح الأخلاقية والمهنية ويولم للحاضرين، وهذا ما نسميه فى العصر الحديث نقابة عمالية(٢).

وعند استعراض الواقع الحرفى لدى اليهود فى نيابة القدس؛ نجد أنه لم يتخذ شكلا كاملا نظرا لقلة عدد اليهود بالنيابة بالإضافة إلى وجود من هم أكثر شهرةً وإتقانا فى مختلف المهن والحرف من المسلمين والنصارى. فمن خلال سجلات المحكمة الشرعية وجدنا أن القاضى هو الذى يُعين رئيسا للطائفة عموما ويقوم هذا الرئيس باختيار رؤساء نائبين عنه لكل من اليهود والنصارى، وقد أطلق عليه جوايتين اسم (عريف) وُيطْلَق على الوثيقة الخاصة بهذا الشأن وثيقة تعيين(٣).

كما أن الوثائق التى تتحدث عن اليهود الذين احترفوا مهنا أو حرفا فى العصر المملوكى أوضحت أنهم لم يأخذوا الإذن بممارسة أى مهنة إلا من خلال السلطة الحاكمة نفسها متمثلة فى النائب، وليس شيخ الطائفة نفسه؛ فإن المماليك لم يكونوا ليسمحوا بتكوين مثل ذلك التنظيم وإعطائه الشرعية الخالصة خاصة مع تدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وعمدت السلطات المملوكية إلى قمع التنظيمات الحرفية وإثقالها بالضرائب والمكوس حتى لا تكون مصدرا للفوضى وإثارة الشغب(٤).

كما أن الذين يسعون لرئاسة مثل تلك التنظيمات من اليهود ليس لديهم الفهم الصحيح للغايات المتوخاة من إنشاء النقابات العمالية؛ ومنها المطالبة بحقوق

---

(١) د. محمود على عطاالله: المرجع السابق، ص٥، د/عبد الكريم رافق : مظاهر التنظيم الحرفى فى بلاد الشام، مقال بمجلة دراسات تاريخية، عدد إبريل ١٩٨١م، ص٣٦ – ٣٧ .
(٢) د. عبد الكريم رافق : مظاهر التنظيم الحرفى فى بلاد الشام، ، ص٣٦ – ٣٧ .
(3) Goitien. S.D.: A Mediterranean Society,vol.3 ,p.118.
(4) Ibid ,p.119.
د. عبد الكريم رافق: مظاهر التنظيم الحرفى فى بلاد الشام، ، ص٣٧ .

الطائفة المهنية التى يمثلونها أمام السلطة الحاكمة ورفع الظلم عن أبناء الطائفة إلى آخر تلك الحقوق؛ مما جعلهم يسيئون استخدام منصبهم فى فرض أموال على أفراد الطائفة ويحصلونها بصورة تعسفية[١]، أما فى العصر العثمانى فقد استعاد القاضى الشرعى كامل صلاحياته فكان الإذن بممارسة المهنة يصدر عنه[٢] باعتباره خليفة الحكم الشريف بالقدس[٣]؛ مما يجعل وجوده وتصرفه شرعيا[٤].

(١) وجد فى سجلات المحكمة الشرعية عدة وثائق تحوى شكاوى من أصحاب الحرف من اليهود على شيوخ الطائفة، بأنهم يفرضون أموالا على الصناع البسطاء فى مختلف الحرف ويجمعونها بطريقة تعسفية. سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم٨٢، حجة رقم٢، ص٢٧٤.

(٢) د. محمود على عطاالله: وثائق الطوائف الحرفية فى القدس، ص٥.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ٩٦، افتتاحية السجل.

(٤) سجلات المكمة الشرعية: سجل رقم ٩٦، حجة رقم١، ص٢٦٠، وسجل رقم ١٧٩، حجة رقم١، ص٢٧٤.

التجارة :

لم تكتسب نيابة القدس شهرة واسعة فى الناحية التجارية على عهد المماليك وكان لذلك أسبابه ؛حيث كانت النيابة بعيدة عن طرق التجارة القديمة البرية المعروفة ، فضلا عن بعدها عن البحر المتوسط والبحر الأحمر، وهذا لم يجعل من مدن النيابة سواء أكانت القدس أم الرملة أم عجلون أم نابلس أم لد أم قاقون أحد الموانئ المهمة التى كان لها دور مهم فى التجارة الخارجية فى فترة عصر المماليك(١)، كما أن غزة قد أصبحت نيابة مستقلة عام (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م).

ولم يكن للقدس طريق أساسى كبير من طرق التجارة؛ إلا أنها كانت حلقة الوصل فى توصيل القوافل التجارية إلى سوريا ومصر(٢)، كما كانت مركزا للمبادلات بين الشرق والغرب؛ فبضائع الشرق تصل إلى شمال سوريا وشمال مصر عن طريقها. ولما كان اليهود يعيشون على التجارة فقد كان كبار التجار يقيمون فى المدن وحدها تقريبا (القاهرة – دمشق)، وكثير من التجار اليهود الآتين من جنوا ومرسيليا وبيزا يأتون لزيارة فلسطين بغرض الحج والتجارة معا ولا يستقرون بها، ومن أهم أنواع التجارة التى برعوا فيها تجارة الرقيق، وتجارة (المسك - الصبر - الكافور- القرفة) أو ما يصطلح على تسميته بالكارم(٣)، بالإضافة إلى النيلة (نبات يستخدم فى الصباغة) والفلفل والثوم والقرنفل والسكر وتجارة البُنّ الذى كانوا يجلبونه من اليمن والحبشة عن طريق مصر، وأنواع كثيرة من المنتجات التى كانوا يجوبون بها البلاد وينقلونها من بلد إلى آخر(٤)، لذا كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند اليهود حتى صار لبعضهم شهرة عظيمة فيها وصيت بعيد فى المدن الكبيرة(٥).

---

(١) عبد الحميد زايد: االقدس الخالدة، ص١٣ .
- Amiry (M.A.): Jerusalem, Arab Origin and heritage, p. 8.

(٢) ف. هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج٢، ص١٤٢.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه، ج٢، ص ١٤٠.

(٥) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، ص١٨.

وقد ارتبطت التجارة فى نيابة القدس بنواحى الحياة الاقتصادية المختلفة من زراعة وصناعة وغيرها، وقد دعا هذا المماليك إلى الاهتمام بالمنطقة من الناحية العمرانية فقاموا ببناء ما يخدم التجارة من قيساريات ووكالات وأسواق(١)، وكانت أشهر هذه البنايات (دار الوكالة) التى سُميت فيما بعد (خان السلطان)(٢).

ونظرا لأن نيابة القدس كانت موئلا لعدد كبير من أمراء المماليك الذين فضلوا الإقامة فيها، أو نُفوا إليها؛ فقد ساعد هذا على الرواج التجارى فيها حيث كانوا هم المستهلكين الأساسيين للسلع والمنتجات التى تعم الأسواق فضلا عن كونهم أهم ممولى تلك الأسواق بما حاذوه من إقطاعات تدرعليهم الكثير، بالإضافة إلى قدوم أعداد كبيرة من الحجاج المسيحيين مما ساعد على رواج اقتصادى شهدته البلاد قبل القرن الثامن الهجرى(٣).

وفى أواخر القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، كسد هذا الرواج الاقتصادى نتيجة لحرص المماليك على تدعيم مركزهم المالى وثرواتهم الخاصة، بما فرضوه من إتاوات ومكوس(٤) ومقررات مالية على أصحاب الحرف والصناعات، والاشتطاط فى جباية المكوس من التجار، وسياسة الطرح(٥) التى أصبحت مألوفة لدى المماليك مما أرهق التجار والعامة وكلفهم خسائر مالية كبيرة، بالإضافة إلى كثير من الأوبئة والمجاعات التى كانت تأتى على فترات متوالية(٦)؛ فنتج عن ذلك ارتفاع فى أسعار كثير من المواد الغذائية والسلع.

---

(١) على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص٢٠٠.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص ٥٢، وقد وصفها مجير الدين بقوله: "إنها خان عظيم يباع فيه مختلف أصناف البضائع وكانت وقفا على مصالح المسجد الأقصى وبلغت أجرتها السنوية أربعمائة دينار ولها شاد يعينه نائب القدس ومهمته التحدث فى استخراج المكوس من دار الوكالة".

(٣) إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام فى العصر المملوكى، ص١٣٩.

(٤) ابن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك، ص٩، ص٢٣؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٨٢.

(٥) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٨٤ .

(6) Souriano, Francesco: Treatise On The Holy land Trans. From the Italian By Fr. Theophilus Bellorini, Jerusalem 1948, P.10.

وكانت المعاملات التجارية فى نيابة القدس تتم عن طريق المقايضة، أو عن طريق المعاملات المالية بالدنانير والدراهم أو الفلوس التى كانت تُضْرَب فى دار السكة بالرملة(١) حتى نهاية العصر الأيوبى، ثم بما كان يضرب فى دمشق أو القاهرة طيلة الحكم المملوكى، كما ذكر القلقشندى" أن المعاملة تتم فى نيابة بيت المقدس بالذهب والفضة على نحو ما يتم فى نيابة دمشق"(٢).

التجارة الخارجية:

من خلال استقراء المصادر العربية والعبرية فيما يخص إسهام يهود نيابة القدس فى التجارة الخارجية، وجدنا الآتى:

نشطت حركة التبادل التجارى بين مدن بلاد الشام (دمشق والقدس وغزة) ومصر، والهند وعدن، من خلال الرحلات التجارية التى كان يقوم بها كل من تجار المسلمين، وكبار التجار اليهود المتمركزين فى المراكز التجارية الكبيرة كالقاهرة ودمشق(٣) الذين قاموا بتصدير المنتجات الصناعية المختلفة التى تشتهر بها تلك المناطق. أما عن إسهام اليهود المقيمين فى نيابة القدس، فقد وردت عدة إشارات فى المصادر العربية تشير إلى قيام بعض صغار التجار اليهود بتصدير منتجات القدس ونابلس والخليل كالزيت والصابون والخروب والبَسُط والجبن والفواكه والمصنوعات اليدوية من فضية وخشبية إلى القاهرة(٤)، عبر فلسطين وسيناء على الحدود المصرية ويدفع التجار مكوسا على بضائعهم(٥).

وكانت مساهمات التجار اليهود الأجانب القادمين من جنوا ومرسيليا وبيزا إلى الأرض المقدسة بغرض الحج محدودة حسب ما أشارت إليه وثائق الجنيزة؛ إذ

---

(١) سمير شما: النقود الإسلامية التى ضربت فى فلسطين، ١٩٨٠م، ص٨٠.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٩؛ سمير شما: النقود الإسلامية التى ضربت فى فلسطين، ص٩١، ص١٥٩.

(3) Obadiah: A Student's Letter, P.262.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٦٧.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٥٠.

كانوا يعتمدون على وكلاء تجاريين يهود[١] (ممثل قانونى وتجارى) يطلق عليهم بالعبرية (בכיד הסורהים) البكيد (بكيدها سوهاريم) مقيمين بالقدس. وهؤلاء كانوا يقومون بدورين؛ هما:

١- دور قانونى: وذلك يتضح إذا كان لأحد التجار الأجانب دَيْن عند أحد التجار، فأقام ضده دعوى لمطالبته بالسداد، وهنا يقوم الوكيل بذلك الدور القانونى وهو تمثيل صاحب الدين أمام محكمة الملة (القضاء اليهودى).

٢- دور إشرافى: وذلك يتضح فى الإشراف على تخزين بضائع التجار وتسويقها؛ لذلك كان يجب على الوكيل أن يكون له مخزن فى دار الوكالة.

ويرى جوايتين أن الوكيل المثالى لا بد وأن يكون من التجار الناجحين الذين يملكون نفوذا[٢]، وهذا ما دعا أحد التجار الإيطاليين إلى اعتبار الرابى عوبيديا وكيلا له فى القدس[٣].

وقد أظهرت أغلب وثائق الجنيزة التى تتعلق بأعمال التجارة فى الفترة من نهاية القرن الثانى عشر الميلادى وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى، أن معظم هذه الوثائق صادرة من المغرب إلى اليهود الموجودين فى مصر ودمشق وقليل منها يشير إلى يهود القدس، كما أكدت تلك الوثائق على أن معظم تجار اليهود فى الأرض المقدسة كانوا من صغار التجار ومن متوسطى الحال[٤]، ومن نوعيات البضائع التى كانوا يتعاملون فيها يتضح أنهم قد أضيروا بشدة من جراء السياسة الاقتصادية فى الدولة المملوكية[٥] ويقصد بذلك الضرائب والمكوس التى كانت تفرضها السلطة المملوكية على بضائع التجار. ومن السلع التى كان يتعامل فيها اليهود ويصدّرونها للبلدان المختلفة، الصابون وزيت الزيتون والسمسم والأحذية والخمور، وقد أشارت إحدى وثائق الجنيزة إلى أن تجار بلاد الشام

---

(1) Aylon, David: Jewish Life in Egypt, pp. 16 – 17.
(2) Goitien. S. D.: A Mediterranean Society, vol. 3, p. 118 .
(3) Obadiah: The Travel Letters Of Rabbi Obadiah, p. 245.
(4) Eliyahu Ashtor: Toldot ha-Yehudim be- Mitsrayim ye-Suryah taḥat shilṭon ha-Mamlukim me-et E. Shṭraus, vol 1(II),p.75
(5) Eliyahu Ashtor: The Jews In The Mediterranean Trade In The Later Middle Middle Ages, Hebrew Union Collge Annual, IV, 1984, p.176.

وفلسطين ينقلون الصابون من بلادِ الشام إلى مصر[1]. بالإضافة إلى وجود بعض المراسلات بين يهود مصر ويهود فلسطين، ففى عام (٨٤٧هـ/ ١٤٤٤م) وجدت رسالة أرسلها رئيس الطائفة الربانية بالقاهرة واسمه يعقوب إلى مازيل هاكوهين رئيس الطائفة الربانية بالقدس عبارة عن عقد بيع لبضاعة[2]؛ ولكن لم يظهر فى الرسالة نوع هذه البضاعة أو ثمنها فكثير من حروفها مطموسة، ولعل هذه البضاعة تكون خمراء، أو صابونا فتلك كانت أكثر البضائع رواجا عند التجار.

وقد أشار مارك كوهين إلى أن اليهود كانت لهم يد قوية فى تجارة الصابون المقدسى والنابلسى[3]، ولا أعتقد ذلك ؛لأن هذه القوة لم تكن فى عهد سلاطين المماليك نظرا للمكوس والضرائب التى كان المماليك يفرضونها على الرعية وسياسة الطرح والرمى التى انتهجها المماليك. أما فى العصر العثمانى فقد ازدهرت تجارة الصابون بدليل اشتهار عدد من اليهود بهذه التجارة وصولا بها إلى قصرها عليهم (احتكارها)؛ وهم جوكير بن موسى فى عام (٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) وخليفة بن عياد فى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م) وإبراهيم بن عزرا وإسحاق ابن إبراهيم اللذين استمرا فى تلك التجارة من عام (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) وحتى نهاية فترة الدراسة[4].

ونقف قليلا عند كلام كوهين؛ ففكرة تسلط اليهود على تجارة ما فى منطقة الدراسة أمر مبالغ فيه؛ وذلك لأن الكاتب فى أكثر من موضع من كتابه لا ينكر وجود تجار مسلمين يعملون فى هذا المجال بل كانوا أكثر شهرة من اليهود وأوثق معاملة، بالإضافة إلى أن الكاتب نفسه اشمأز من سلوك التجار اليهود الأربعة الذين ذكرهم وأخذ عليهم احترافهم رُشَا السلطة العثمانية حتى تبقيهم على تحكمهم واحتكارهم لهذه التجارة؛ مما يؤكد أن اليهود لم يكونوا متسلطين بصورة كبيرة عليها؛ خاصة أن جميع مؤرخى اليهود أقروا أن أكثر اليهود الموجودين فى منطقة النيابة كانوا متوسطى الحال، أو فقراء.

(1) Eliyahu Ashtor: o.p. cit, vol 1(II) ,p. 189 .
(2) Yellin, Abinoam : Genizah Fragments In The Jewish National Library, Journal of the Palestine Society, Jerusalem, 2005, pp.201-202.
(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 192.
(4) Ibid, p. 192.

ولم يشهد كوهين لهؤلاء اليهود بالأمانة أيضا؛ بل إنه رصد حادثة شكوى داود ابن يعقوب التاجر المصرى من جوكير أمام القاضى الحنفى حيث أرسل له مبلغا قدره مائتا سلطانى ثمنا لصابون يرسله له فى القاهرة فلم يبعثه جوكير وتعلل بأن السلطة العثمانية فرضت ما يعرف برسم أحمال الصابون، ونقل ما طلبه التاجر إلى القاهرة يكلفه كثيرا ولا يتناسب مع المبلغ المرسل؛ وعليه لم يصل الصابون الذى طلبه داود(١).

وطبقا لذلك قد يتم إلغاء الصفقات التجارية بين اليهود، فقد ورد خطاب من أحد اليهود ينص فيه على إلغاء الكميات المطلوبة من تاجرى خمر(٢).

أيضا، أشارت إحدى وثائق الجنيزة وهى تعود لعام (٩٣٧هـ/ ١٥٣٠ م) إلى إرسال تاجر يهودى من القدس يدعى نتنائيل خطابا لزوجته راشيل يخبرها "بنجاح تجارته ووصوله إلى الميناء السودانى فى طريقه للقاهرة لبيع بضاعته، ثم العودة لموطنه ويشير فيه أيضا إلى سداد ديونه لأحد اليهود، ويطالبها بإسراع تجهيز ابنتها لإتمام زواجها حتى لا تظل تبكى ليلا ونهارا"(٣). ولم توضح الوثيقة طريقة المعاملة التجارية لهذا التاجر، ولا حتى نوع البضاعة فأكثر حروف الوثيقة مطموسة، ولعلها تكون بُنًا، بينما أشارت الوثيقة إلى الطريق التى اتخذتها تجارته؛ فقد انتقل من الأرض المقدسة وجمع بضاعته وعاد عبر البحر الأحمر، ووصل إلى الميناء السودانى استعدادا للذهاب إلى القاهرة لبيع بضاعته، ثم العودة لموطنه لحضور حفل زفاف ابنته. وقد يشير هذا إلى ازدهار تجارة اليهود الموجودين بالنيابة الخارجية فى الفترة العثمانية.

وقد أوضحت الوثائق العبرية نوعية الواردات التى يجلبها تجار اليهود من المناطق المختلفة وخاصة مصر واليمن، فمن هذه البضائع الحرير، والتوابل، والفضة، والسيوف، والبارود، والملح، والبلح، والأرز، والبن الذى كانوا يجلبونه من اليمن والحبشة عن طريق مصر، وقد ورد فى هذه الوثائق اسم التاجر أصلان

(1) Ibid, pp. 193 – 194.
(2) Eliyahu Ashtor: o.p. cit, vol 1(I), p. 188.
(3) Mordechai A. Friedman: Genizah Fragments,"The India Book comes of age" The News letter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No.60, October 2010.

ابن عمران الحريرى اليهودى بوصفه أحد كبار التجار الموجودين فى قرية البيرة شمال القدس[١].

ومن أهم المشكلات التى كانت تواجه التجارة الخارجية عند اليهود، اختلاف المقاييس والموازين وقيمة العملة بين القدس والبلاد التى يُصَدّر إليها مما يؤدى إلى خسارتهم والإضرار بهم، لذا اعتمد تجار اليهود على عدد من السماسرة والدلالين لبيع بضائعهم، والترويج لها، وقد ذكرت وثائق الجنيزة أن هؤلاء السماسرة والدلالين من صغار التجار، وقد ورد أسماء ليهوديات يقمن بالدلالة ومنهن إيرا بنت عبد الله، وكليلة بنت إبراهيم، وحنا بنت شوبا وكانت قادمة من شمال إفريقيا، ومريم بنت يعقوب، وسمحة بنت يوسف[٢].

ولا يسمح لسمسار أو دلال بممارسة مهنته إلا بعد تسديده لمعلوم كان يفرضه السماسرة، إلى أن أبطل السلطان بُرْقوق هذا الأمر عام (٨٠١هـ/ ١٣٩٧م)[٣].

التجارة الداخلية:

اشتهرت نيابة القدس بأسواقها الكثيرة وأبنيتها العالية وصناعاتها العديدة وزخرت هذه الأسواق بصنوف السلع المختلفة. وعَرَفَت نيابة القدس وولايتها الرملة ونابلس والخليل الأسواق المتخصصة التى تختص بسلع معينة، مثل سوق القطانين، وسوق القماش، وسوق الحريرية، وذكرت الوثائق مجموعة من الأسواق؛ منها السوق الأسفل[٤]، وسوق التجار[٥] وسوق الليل[٦]. بالإضافة إلى

(1) Eliyahu Ashtor: o.p. cit, vol 1(II).p.92, Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.196.
(2) Cohen, Amnon: o.p. cit., p.197.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٣٢.

(٤) وثيقة رقم ٥٣، لسنة ٧٧٨هـ، سجل وثائق المتحف الإسلامى بالقدس؛ يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس فى العصر المملوكى، ص٧٩.

(٥) وثيقة رقم ٣٠ لسنة ٧٦٨ هـ سجل وثائق المتحف الإسلامى بالقدس؛ يوسف غوانمة: المرجع السابق، ص٧٩.

(٦) وثيقة وقف رقم ٧٧، سجل وثائق المتحف الإسلامى بالقدس؛ يوسف غوانمة: المرجع السابق، ص٧٩.

القيساريات التى تقوم بمهمة الأسواق وتستقبل التجار الوافدين على النيابة والذين يستطيعون تخزين بضائعهم فيها[١]، تُعد الأسواق الداخلية للبلاد هى أهم الأماكن التى يرتادها التجار لتصريف بضائعهم.

وتنشط التجارة الداخلية فى موسم الحج من كل عام، فيحتشد فى القدس عدد كبير من النصارى لزيارة كنيسة القيامة وبيت لحم، واليهود لزيارة الأماكن الدينية الخاصة بهم مثل قبر النبى شموئيل. ويذكر الرحالة فليكس فابرى الذى زار القدس عام (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) أن مراكب الحجاج الأوروبيين (النصارى واليهود) كانت ترسو فى ميناء يافا ويكون فى استقبالهم مندوبون عن نائب القدس وكاشف الرملة ورئيس دير جبل صهيون ونجيد اليهود، وقد هيئوا لهم كل الترتيبات لحمايتهم وتسهيل مهمتهم فى الأرض المقدسة[٢].

ولاحتياطات الأمن كانت السلطات المملوكية تقوم بتفتيش الحجاج الذين يأتون إلى الأرض المقدسة ليحج كل منهم إلى مزاره الخاص به، ثم يسجلون المعلومات الخاصة بكل زائر فى سجل خاص[٣]. وقد خصصت السطات المملوكية تراجمه لهؤلاء الحجاج، وقد وجد تراجمه يختصون بالحجاج اليهود ويشترط فيهم معرفة اللغات الأوروبية، وفى المقابل يتقاضى رئيس الترجمة ومساعدوه أجرة من الحجاج[٤].

ويخبرنا مجير الدين عن جمال تنسيق تلك الأسواق ونظافتها وعمرانها[٥]، مما مما يدل على حرص سلاطين المماليك على إنعاش التجارة فاهتموا بالأسواق فى منطقة الدراسة وخاصة الأسواق الرئيسة، مثل السوق الكبير (خان السلطان) وسوق التجار الغربى والأسواق الموسمية التى تقام فى المناطق المقدسة حول

(1) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol. 1, p. 194.
يوسف غوانمة: تاريخ شرق الأردن، القسم الحضارى، عمان، الأردن، بدون تاريخ، ص٦٠.
(2) Fabri, Felix: Jerusalem Journey Pilgrimage To the Holy Land In the Fifteenth Century, London .1954, p.142.
(3)Fabri, Felix: o.p. cit., p.142.
نيقولا زيادة: فيلكس فابرى فى فلسطين من خلال رحلة دى لايروكييه ١٤٣٢م، بحث نشر فى مجلة المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٠، ص٨٥.
(4) Fabri, Felix: Jerusalem Journey Pilgrimage To the Holy Land In the Fifteenth Century, p.146.
(٥) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٣-١٠٤.

كنيسة القيامة وفى الساحة الخارجية للمسجد الأقصى أثناء موسم الحج. فأقاموا القيساريات والخانات والفنادق لإقامة التجار ودار الوكالة لحفظ بضائعهم، كما عمدوا إلى تجديد بنايات الأسواق.

وفى عام (٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)، وصل سنجق القدس عدد كبير من تجار اليهود وطلبوا من القاضى السماح لهم بتنظيف السوق وتعميره، وأخذ الاحتياطات الأمنية اللازمة من تركيب بوابات حديد على مدخله وتعهدوا بتحمل المصاريف اللازمة لذلك، وأطلق على السوق اسم "السوق الجديد" وتم تأجير المحال والحوانيت لليهود لمدة تسع سنوات[١]، وكان المماليك فى السابق يؤجرونها لهم لمدة ثلاث سنوات فقط، وقد فسر أمنون كوهين ذلك بأنه محاولة من الدولة العثمانية لإنعاش حركة التجارة وتشجيع التجار اليهود لبذل المجهود وتوظيف الأموال لزيادة الفاعلية الاقتصادية للبلاد[٢]. وليس من المستغرب أن يخرج هذا التبرير من يهودى يشجع بنى جلدته على الاستيطان والاستعمار الاقتصادى، فى وقت غابت فيه الرقابة العثمانية على الأسواق.

(١) أمنون كوهين: المشاريع التطويرية فى القدس فى مستهل الحكم العثمانى، ص ١٣٢.
(2) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.89.

المعاملات المالية لليهود:

تُعد المعاملات المصرفية إحدى صور المعاملات التجارية بين التجار ويتولاها الصيرفى[1]؛ فهو الذى يتولى تحصيل الأموال وصرفها وتغييرها. ورغم أن الفقهاء المسلمين حرموا أن يُولَّى الذمى صيرفيا فى بيت المال[2]؛ فإننا وجدنا بعض اليهود قد اشتغلوا بهذه الوظيفة وحصلوا على كثير من الربح والنفوذ من ورائها، دليلنا فى ذلك ما حدث لصدقة السامرى عندما تولى صيرفيًا فرسم عليه وصودرت أمواله لغشه فى العملة[3]. وكى يربح الصيارفة كثيرا لجأ بعضهم إلى العديد من أساليب الغش والخداع، الأمر الذى جعل أحد معاصريهم يصفهم بأنهم: "جماعة لصوص وقطاع طرق وهم أشد الناس حراما"[4]، وقد عمل أهل الذمة وخاصة الأغنياء منهم داخل نيابة القدس وغيرها من نيابات العصر المملوكى كالقاهرة ودمشق صيارفة، وحدد ديوان الإنشاء فى عصر المماليك ألقاب الصيارف من اليهود والنصارى، وذكر أنها تُصدر (بالشيخ)[5]، كما كانوا يتخذون ألقابا مضافة إلى الدولة مثل ولى الدولة وشمس الدولة، وربما قيل: الشيخ

---

(١) يقول محمد سعيد القاسمى فى كتابه: قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص٢٨٠: الصيرفى: "يقال له الصراف، وهو من يبدل أصناف العملة حسب رغبة الطالب وهذه الحرفة لا يتعاطاها فى بلدتنا إلا اليهود ويقال لهم الصيارف يجلسون فى دكاكينهم وكل منهم مستعد لكمية وافرة من أصناف العملة الفضية والذهبية والنحاسية، فيأتى إليه من يرغب فى تبديل العملة الذهبية بالفضية أو بالعكس أو بالنحاسية فيعطيه مطلوبه ويأخذ منه مقابل ذلك عشرين أو ثلاثين بالمائة من قيمة العملة المستبدلة أو حسب الاتفاق، ومجمل ربحهم من فرق العملة، ولا بد أن يكون للصيرفى معرفة بالنقد؛ أى تمييز رديء الدراهم والدنانير من جيدها".

(٢) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٤٠.

(٣) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق١، ص ٣٧٧، حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٦م، ج٢، ص٧٢٤-٧٢٥.

(٤) زين الدين عبد الرحيم بن عمر الجوبرى ت ق٨هـ: المختار فى كشف الأسرار، مصر ١٣٠٢هـ، ص١٣٣.

(٥) لقب الشيخ هنا لا يحمل معنًى دينيًا؛ بل يحمل معنى كبير القوم وأكثر الناس خبرة فى هذا المجال

الشمسي للتفخيم[١]، وكان الصيرفي إذا أسلم أضيف لقبه إلى الدين بدلا من الدولة، فيقال مثلا شمس الدين، وإذا كان لقبه لا يناسب الإضافة إلى الدين نعت بلقب قريب، مثلا الشيخ السعيد، قد يقال له سعد الدين[٢].

وقد عملت السلطة المملوكية على وجود ما يعرف بـ "خان الصرف" وهذا الخان كان موجودا بالشارع الرئيس في المدينة، الذي يسمى "خط داود" عند التقاء شارع داود بشارع المحراب الذي كان يطلق عليه شارع المعبد[٣].

وهذا الخان مخصص للصيارفة حيث يقومون باستبدال العملات المختلفة التي ترد مع الحجاج المسيحيين من أنحاء الغرب وكذلك من الدول المحيطة ببلاد الشام، ولم تُشِر المصادر العربية إلى عمل آخر للصيارفة في هذا الخان غير تبادل العملات، إلا أن وثائق الجنيزة أخبرت أن هناك عملا آخر للصيارفة اليهود، ألا وهو إصدار السندات القانونية بين التجار[٤]، من أوامر للدفع وكمبيالات وسفتجات؛ وذلك لأن تجارة اليهود سواء -أكانت جملة أم تجزئة- كانت تقوم على نظام الدفع المؤجل، فكان الصيارفة يعطون صكوكا للتجار نظير ما يحصلون عليه من أموال كان يستخدمها التجار في عمليات الشراء، فكلما اشترى التاجر منهم بضاعة سدد ثمنها بصك من هذه الصكوك المحولة على الصراف" "وهذه الصكوك تُعرف الآن باسم الشيكات المحولة أو خطابات الاعتماد الائتمانية، أو السندات المالية المؤجلة الدفع"[٥]، ويقوم بتسديد المبلغ بعد بيعه لبضاعته ومن ثم يقوم الصيرفي بتحصيل المبلغ المطلوب نظير عمولة أو مرتب، ويستفيد من هذه العملية المقرض والمقترض والصيرفي[٦].

وقد استمر الوضع كذلك حتى نهاية العصر المملوكي، ولم نجد في المصادر العربية المتاحة ذميا يهوديا تولى مهنة الصيرفي حتى نهاية العصر المملوكي في نيابة القدس سوى صدقة السامري، الذي انتقل للعيش في القاهرة بعد عقابه في

---

(١) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص١٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص٧٣.

(٣) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٤٠٣.

(4) Eliyahu Ashtor: o.p. cit., vol 2(II), p.72

(٥) د. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص٢٠٥.

(٦) نعيم ذكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٣٤٠ – ٣٤٧.

مسألة غش العملة[1]، ولكن وجدنا إحدى وثائق الجنيزة تذكر اسم صيرفى آخر هو أحد تلامذة صدقة ويدعى إبراهيم بن فرج الله القرائى[2]، وهذا الأمر يكشف عن خطأ تعميم الفكرة التى رددها الدارسون اليهود أمثال جوايتين وكوهين؛ ألا وهى تسلط اليهود على مهنة الصيرفة، فصحيح أنهم عملوا بالصيرفة لكن من خلال المصادر العربية والعبرية نجد أن الصيارفة المسلمين كانوا أكثر عددا من اليهود بطبيعة التكوين العددى؛ فالمسلمون من حيث التعداد أكبر وليس ثمة دليل أكبر على ذلك إلا شهادة كوهين التى أكدت فقر اليهود حتى الصيارفة منهم، ولجوءهم إلى الاستدانة من المسلمين فى منطقة الدراسة مما سيأتى تفصيله لاحقا.

وعندما انهارت دولة المماليك وتسلطن العثمانيون أعادوا لأهل الذمة وضعهم الاقتصادي؛ ووجدنا ذكرا لصيارفة يهود تولوا هذه المهنة فى لواء القدس الشريف ذكرهم كوهين من خلال دراسته لبعض سجلات المحكمة الشرعية فى كتابه، ولم يحد العثمانيون من ذلك الأمر بل بات الأمر أكثر شيوعا خاصة فى الفترات المتأخرة من العصر العثمانى؛ حيث كان اليهود الصيارفة تزداد سطوتهم عند تجهيز المحمل الشامى زمن الحج فكانوا يتعاملون بالربا ويكتبون السجلات باللغة العبرية أو بالخط الفلقطيرى، وهو نوع من الخط ابتدعه اليهود ليكتبوا به أعمال السحر والتعاويذ، وهو ضرب من الطلاسم وذلك حتى لا يستطيع أحد فهم تلك السجلات فيتسلطون على الصيرفة والصيارف[3]، ويبتدعون أزمات مالية اقتصادية ينتج عنها استدانة التجار بصكوك من هؤلاء اليهود فيسارع الصيرفى اليهودى إلى شراء الصك مقابل ثمن قليل[4].

وقد وجد فى نيابة القدس فى نهاية القرن العاشر الهجرى عشرة صيارفة :اثنان منهم من اليهود القرائين؛ وهما صدقة، وإبراهيم بن شموئيل، وعملا فى هذه المهنة عامى (٩٣٨هـ - ٩٣٩هـ/ ١٥٣١م- ١٥٣٢م).وقد تولى هذه المهنة قبلهم

---

(١) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق١، ص٣٧٧، ابن طوق: التعليق، ج٣، ص١١٥١.

(2) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.170.
(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 145.

(٤) عبد القادر المغربى: عن يهود الشام منذ مائة عام، مجلة المجمع العلمى العربى، ج٢، عدد عدد ١٩٥٤ م، ص١٦٦ – ١٨٠.

اليهودى يهودا بن موسى وكان يقيم فى (حبرون) الخليل فى الفترة من (٩٣٨هـ - ٩٥٦هـ / ١٥٣١م- ١٥٤٩م)[١]. وقد أثر هؤلاء الصيارفة فى الاقتصاد العثمانى بصورة ملحوظة حيث جمع بعضهم بين مهنة الصيرفى وبين مهنة عميل الخاص السلطانى، وهى مهنة يقوم من خلالها الصيرفى بجمع الأموال المفروضة على بعض القرى[٢] فى نواحى القدس ثم يقوم بتوريدها إلى الخاص السلطانى، فقد قام يوسف بن إبراهيم بجمع الأموال من قرى غزة ولم يتيسر له جمع الأموال من الفلاحين، فبادلها بما كانوا يزرعونه من القمح أو الذرة وقام بتوريده إلى خزائن الغلال بالخاص السلطانى[٣]. وقد استعين بهذه الأموال فى الصرف على الأوقاف الخاصة باليهود وترميم مقبرة اليهود، والمساهمة فى ترميم الرباط المنصورى فى عهد سنان باشا عام (٩٤٨هـ - ٩٤٩هـ /١٥٤١م- ١٥٤٢م)[٤].

وقد قام هؤلاء الصيارفة فى غفلة من السلطة العثمانية بالتلاعب فى سعر صرف العملة الذهبية[٥]. هذا، وقد آمن كبار اليهود الصيارفة بمبدأ التزاوج بين السلطة والمال ليعملوا على تقوية نفوذهم وبسط سيطرتهم المالية على الاقتصاد العثمانى فى لواء القدس وما حوله عن طريق المصاهرة؛ ففى عام (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) تزوج يهودا بن موسى من ابنة كبير التجار والصيارفة يوسف ابن شوعة؛ مما جعله يكافئه على هذه الزيجة بأن أسند إليه جمع أموال قرية "طيرا" وشاركه فى تجارته الكبيرة فى السمسم[٦].

والذى نرجحه أن التعاون التجارى بين التجار اليهود - سواء أكان ذلك داخل حدود منطقة الدراسة أم خارجها- فى أواخر العصر المملوكى وأوائل الفترة

---

(1) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam ,p.146 -147.

(٢) ذكر النويرى أنه فى عصر المماليك كان خراج الزراعة نوعين "خراج غلة وكان يؤخذ على طبيعة الأرض وخراج نقد وهو مبلغ من المال كان يقرر على الأرض وكان للمستفيد من الأرض حرية تسديد المبلغ إما جملة واحدة وإما على أقساط". وقد أبقى العثمانيون على هذا الأمر واستعانوا باليهود لجمع هذا النوع من خراج الغلة وخراج النقد. النويرى: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٥٣.

(3) Cohen, Amnon: o.p. cit., p.146.

(٤) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف، ج٣، ص٤٥.

(5) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.146.

(6) Ibid, p.147.

العثمانية، قام على ما يعرف بالتعاون غير الرسمى المتمثل فى القروض بفائدة معينة يحددها المقرض.

ويقوم هذا الترجيح على محاولة الرابى عوبيديا استثمار قرض من أحد أصدقائه الأثرياء فى البندقية والمتاجرة به فى مقابل دفع فائدة على القرض تعادل ثماني عشرة بالمائة[1]، ولكنه استكثر هذه الفائدة فبحث عن ممول آخر، فاهتدى لأحد الأثرياء ويدعى عمانويل الذى أقرضه المبالغ التى طلبها فى مقابل فائدة قدرها عشرة بالمائة[2]، وقد استثمر عوبيديا المبلغ فى شراء صفقة أحذية لبيعها فى البندقية[3].

وهذا يقودنا أيضا إلى الجزم بأن نيابة القدس كانت ترتبط بتجارة مع البندقية. ومن خلال قراءتنا لوثائق الجنيزة السابق ذكرها وجدنا أن تلك الوثائق فى بعض الأحيان تعكس الإجراءات والممارسات التجارية بين اليهود بعضهم مع بعض أو بينهم وبين الأغيار (غير اليهود)، فأوضحت الآتى:

١- فى قليل منها ذكر نوع البضائع التى كان يتعامل فيها اليهود بالتجارة سواء أكانت جملة أم تجزئة، مثل: الأحذية والصوف والحرير والصابون وغيرها من المنتجات التى اشتهرت بها منطقة الدراسة.

٢- عكست بعض الوثائق بعض أنواع السياسات التجارية فركزت على مبدأ حفظ رأس المال، فقد نصت إحدى الوثائق على" أن لا تترك أبدا مَالَك للخمول ولا تترك درهما واحدا فى شركتنا ولكن شراء ما يضع الله فى عقلك وإرساله مع أول سفينة تبحر"[4].

٣- كشفت الوثائق عن قاعدة تجارية مهمة تُعد سببا فى نجاح التجارة؛ حيث أكدت على" أن لا تشترى شيئا عندما تكون فى عجلة من أمرك"[5].

(1) Obadiah: The Travel Letters Of Rabbi Obadiah, p. 244.
(2) Eliyahu Ashtor: o.p. cit., vol 2(II) , p.151.
(3) Obadiah: o.p. cit., p. 244.
(4) Imad Ali , Mohammed: Geniza The Unfolding Truthinthe Mirror of History, History, were the Earlier Generations Smarter or are we?, 66th IFLA Council and General Conference, Jerusalem, Israel, 13-18 August, 2005, p.65.
(5) Ibid, p. 59.

٤- وردت عبارات تحذيرية لليهود من التعامل مع القروض الربوية حتى لا يتعرض اليهودى الذى يتعامل بذلك للطرد، بينما أباحت القرض للأغيار بالربا[١]؛ حيث ذكرت عبارة "المقترض عبد للمقرض"[٢].

وفى عصر سنان باشا العثمانى (٩٥٢هـ- ٩٥٣هـ/ ١٥٤٥م- ١٥٤٦م) عانى اليهود وخاصة التجار منهم من ظلمه؛ فرفعوا عدة شكاوى فى عريضة يظهر فيها أسماء أعيان اليهود إلى الباب العالى[٣]، كما رفعت شكاوى مماثلة من قبل سكان القدس كافة يرجون السلطان العثمانى أن يمد فترة حكم سليمان بك حاكم القدس وفلسطين لعدله ونزاهته واستتباب الأمن على يديه وحرصه على رفاهية سكان القدس[٤]. وهذا يعكس حالة اليهود السيئة سواء من الناحية المالية أو العملية فى عهد سنان باشا، ويؤكد ذلك شهادة كوهين نفسه بأن اليهود فى هذه الفترة عانوا الفقر واضطروا للاستدانة من المسلمين وغيرهم ولم يقدروا على سداد تلك الديون، يعكس ذلك تقدم كبار اليهود وهم مايير بن أبراهام، ويوسف بن شعبان بن يعقوب بن باروخن ودانيال بن يهودا وأخوه عبود وأبراهام بن عمران وأبراهام ابن موسى المغربى فى القدس، بشكوى ضد موسى أحد أفراد الطائفة لامتناعه عن مشاركة اليهود فى سداد ديونهم، وهذا الدَّين يوضح تدنّى حالة اليهود المادية التى تعرضهم للاستدانة من المسلمين والنصارى القاطنين معهم بالقدس.وقد أوضحت الوثيقة رقم ١٢٦ لعام (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) أن الدين يقسم بالتساوى على اليهود أى أنه إذا استدان كبارهم يكون الدين على جملة طائفة اليهود، وقد حكم القاضى بإلزام اليهودى موسى بالمشاركة فى دفع الدين المستحق على جميع اليهود[٥].

---

(1) Obadiah: A Student's Letter , p.199.
(2) Goitien: A Mediterranean Society, vol 3, p. 140.
(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 216.
(4) Ibid, p. 216.

(٥) د. كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج٣، ص١٧٠ - ١٧٢، وثيقة رقم ١٢٦، سجل رقم ٢٠٥، ص٥٨.

الملكية اليهودية:

فـي ظـل التسـامح الـدينى الـذى عاشـه اليهـود فـى المجتمـع الإسـلامى سـمحت السلطات المملوكية لقليل من اليهود بـامتلاك بعض البيوت ليعيشوا فيهـا؛ إلا أنهـا وضعت الضـوابط التى تحكم عملية البناء والترميم أو إعادة الإعمـار مرة أخرى؛ إذ لا يـتم بنـاء أو تـرميم مـا تهـدم مـن بيـوت أهـل الذمـة إلا بعـد الحصـول علـى تـرخيص مـن السـلطات المملوكيـة، "وكـان اسـتخراج مثـل تلـك التـراخيص يكلـف اليهودى أكثر من ثمن البيت نفسـه"[1]، ولا تخفـى الإشـارة المُتَضَـمَّنة داخـل تلـك العبارة بما لا يدع مجالا للشك فـى أنهـا تشير إلـى الرُّشَـا التـى كـان يدفعها اليهـود لشيوخهم أو لنائب السلطنة من أجل إعمار تلك البيوت أو إعادة بنائها مرة أخرى.

وقـد شـهد بـذلك عوبيـديا فـى أحـد خطاباتـه التـى أرسـلها لوالـده حيـث يقـول فيها:"إن شوارع اليهود واسعة ومنازلهم واسعة جدا كما أن بعضـهم يقيم فوق جبل صهيون"[2]. والواضـح أن الوصـف الذى ساقه عوبيديا عن شوارع وبيوت اليهـود كان تخمينا منه فى فترة سـابقة لزيارتـه؛ إذ إنـه يقول فـى موضـع آخر: "يومـا مـا كان لليهود فى القدس عدد من البيوت أكبر مما هو حاليا، إلا أنها الآن أكداس مـن المخلفات ولا يمكن إعادة بنائها مرة أخرى". ولعل كلامه فى هذا الموضع أصدق إذ يتوافق هذا الكلام والأحداث التى مرت بها النيابة؛ بالإضافة للأوبئة والطواعين والهزات التى اجتاحـت منـاطق النيابـة علـى فتـرات قبـل وصـول عوبيـديا وتـزامن بعضـها مع وصوله؛ حتى إن الطـالب اليهودى قد شهد عند وصوله للقدس فى عـام (٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م) بأنـه لم يستطع الحصـول علـى منـزل ليقيم فيـه علـى سـبيل الإيجار وليس الامتلاك[3].

وعنـد البحـث فـى دفتـر تحريـر (nm٥٢٢) مـن الـدفاتر العثمانيـة التـى تحصـر أوقاف سكان القدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون وجد أن لـبعض اليهود أملاكـا وأوقافا؛ فـاليهودى مرجان بن إسحق وهـو سـامرى ويـونس بـن عيسـى السـامرى

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p. 200.
(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Traveller, p. 214.
(3) Obadiah: A Student's Letter, p.87.

لهما نصيب فى حمّام لم تذكر الوثيقة اسمه وهذه الوثيقة غير مؤرخة[1]، أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) فقد ذكرت أن حمام الملكة فى نابلس يتقاسم ملكيته مسلم ومسيحى ويهوديان[2]، وحددت الوثيقة المساحة التى يملكها هذان اليهوديان بأنها جزء من الحمام (لم تذكر مساحة هذا الجزء)؛ بينما حددت المساحة التى يملكها المسلم بأنها "اثنا عشر قيراطا فى يد الحاج خليل" وباقى مساحة الحمام تخص مارصاد يونس المسيحى بحصة مقدارها اثنا عشر قيراطا[3]، ولعل هذا الحمام هو نفسه الحمام الذى أشارت إليه الوثيقة الموجودة فى دفتر (nm ٥٢٢)، حيث إن اليهوديين من طائفة السامرة ومكان إقامتهما هو نابلس التى يقع فيها الحمام السابق ذكره، وفى عام (٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) اشترى موسى اليهودى طاحونا فى نابلس من بيت المال[4]، وهذا يعكس تسامحا دينيا ومشاركة بين طوائف الشعب الدينية الثلاث.

وفى استطلاع للوثائق الموجودة فى سجلات المحاكم الشرعية ووثائق الحرم القدسى[5] بخلاف السجل السابق، لم ترِدْ أية وقفية أو ملكية باسم أى يهودى لا فى القدس ولا فى قراها ولا فى الخليل. حتى مقبرة اليهود فى رأس العمود قرب قرية سلوان التى ورد ذكرها فى إحدى وثائق الحرم القدسى كانت ضمن أوقاف

---

(١) دفتر تحرير عثمانى رقم ٥٢٢: أوقاف وأملاك لواء غزة والقدس وصفد وعجلون رقم ٥٢٢ لسنة (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م)، ص٩٣.

(٢) كامل جميل العسلى: سجل أراضى لواء القدس، ص ٨٤.

(٣) زبيدة عطا: عروبة القدس، ص٥٧، وقد نقلت الدكتورة هذه المعلومات عن منظمة المؤتمر الإسلامى ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإسطنبول، وقد ورد مقال فى مجلة المؤتمر بعنوان: أوقاف المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس الشريف وصفد ونابلس وعجلون حسب دفتر ٥٢٢ دفاتر التحرير العثمانية ص٩٣ دفتر تحرير رقم ٥٢٢ نم –٢ –، ومن الواضح أن المساحة التى يمتلكها مارصاد المسيحى وهى اثنا عشر قيراطا يشاركه فيها اليهوديان.

(4) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, P. 202.

(٥) قام كل من محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية فى كتابهما ذى ثلاثة الأجزاء بتفريغ السجلات العثمانية وترجمتها من التركية إلى العربية تحت عنوان لواء القدس الشريف، وقام د/كامل جميل العسلى بنشر وثائق الحرم القدسى فى كتابه أيضا ذى ثلاثة الأجزاء بعنوان وثائق مقدسية تاريخية .

المسلمين[1]؛ ففى عام (٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م) صدر حكم من المحكمة الشرعية بشأن قيمة إيجار مقبرة اليهود بوقف الصلاحية بالأرض المذكورة بالجسمانية[2] قيمتها مائة دينار ذهب قبرصى عن كل سنة هلالية عربية[3]، وفى عام (٩٧١هـ/ ١٥٦٣م) صدر حكم ثان من المحكمة الشرعية بضرورة سداد مبلغ مائتى دينار ذهبا سلطانيا من اليهود القاطنين بالقدس، عن أجرة المقبرة المدفون بها موتى اليهود التى هى من جملة أرض الجسمانية ظاهر القدس الشريف عن سنتىْ (٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م- ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م)، وقد شهد الحكم كل من سلامة بن إسحق، وداود الصائغ ويهود الحداد وإبراهيم الفران وأصلان اليهودى الأرمنى، وعزرا

(١) تقدم السيد تاج الدين السكرى متولى إدارة الأموال السلطانية بدعوى أمام المحكمة الشرعية عام (١٠٩٨/ ١٦٨٦) يطالب فيها بحق الإشراف على أراضى وقف الصلاحية (وهى مجموعة أراضٍ منها أرض الجسمانية وقرية سلوان وقفها الناصر صلاح الدين الأيوبى عام ٥٨٨هـ على مدرسته الصلاحية) والتى تقع فيها مقبرة اليهود المؤجرة لهم من قبل متولى أوقاف الصلاحية منذ عام (٧٩٨هـ). وقد ظلت المقبرة منذ ذلك التاريخ تؤجر لليهود لدفن موتاهم حتى موعد الدعوى أى ما يقارب ثلاثمائة سنة، لذلك قضى قاضى القدس ببطلان الدعوى نظرا لأن متولى أوقاف الصلاحية تقدم بوثائق شرعية تثبت أن الأرض المختلف عليها من أراضى وقف الصلاحية وبها مقبرة لليهود، ومن الجدير بالذكر أن السلطة المملوكية قامت بتحكير أرض المقبرة لليهود بعد فترة من استئجارها وهناك وثيقة محفوظة فى أرشيف طائفة اليهود (الشرقيين) السفارديم فى الجامعة العبرية بالقدس (عقد إيجار) بشأن تحكير أرض المقبرة ويقضى بدفع الحكر بصورة إجبارية إلى وقف الصلاحية. والحكر عقد يكسب المحتكر بمقتضاه حقا عينيا يخوله الانتفاع بأرض موقوفة بإقامة مبانٍ عليها أو استعمالها للغراس أو لأى غرض آخر لا يضر بالوقف لقاء أجر محدود وتبقى رقبة الأرض المحكرة وقفا غير قابل للبيع ويبطل الحكر إذا امتنع المحتكر عن دفع الأجر. سجل المحكمة الشرعية: سجل رقم١٤٢، ص٦٨ لسنة١٠٥٩، كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص٢٩٢ – ٢٦٩.

- Hirschberg, J.W.: Ottoman Rule in Jerusalem In the Lights of Firmans and Sharia Documents-Israel Exploration Fund Journal,vol.2, 1952, pp. 240- 242.

(٢) الجسمانية: منطقة تقع أسفل سفح جبل الزيتون وتطل على وادى قدرون الذى كان يطلق عليه قديما وادى جهنم، الأصل فى تسميتها بالجسمانية يعود إلى اللغة الآرامية فيقال "جث شمنا" وتعنى باللغة العربية " معصرة الزيت" ولم يرد ذكر لها عند ياقوت الحموى .محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٩٠.

(٣) سجل المحكمة الشرعية: سجل رقم ٣٩، ص٣١٩ – ٣٢٠، كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص٢٩٤.

الجوخي وسلمون بن شلاب ويوسف بن عبد الكريم وإبراهيم بن عبد الكريم وجميعهم من اليهود القاطنين بالقدس الشريف، وتسلم المبلغ المذكور الأفندي نور الله من داود بن زمير ديان اليهود، وداود أبو شعر الأرمني وسلمون الطبيب وكلهم من اليهود القاطنين بالقدس الشريف[1].

وهناك وثيقة أخرى متأخرة عن فترة الدراسة مؤرخة بتاريخ (١٠٦٠هـ / ١٦٥٢م) عبارة عن وثيقة إيجار قطعة أرض تقع بين غراس التين والزيتون والميس[2] ضمن وقف سفيان الثوري، أجرها لليهودي يعقوب ولد يوسف الإسلامبولي كل من الشيخ علي وأبي الفتح المنتهي نسبهما إلى سفيان الثوري وقد كانا يتوليان نظارة الوقف، ومدة الإيجار تسعون سنة متوالية مقابل أجرة "٥٤٠ قرش"، عن كل سنة ستة قروش، وذلك بحضور الوكيل الشرعي عن اليهود إسحق ولد موسى الإسلامبولي، ولهم حق الانتفاعيات الشرعية الوقفية على أن يدفنوا فيها ما شاءوا من أموات اليهود القرائين حيث لا يدفنون مع غيرهم من طوائف اليهود بسبب اختلاف المعتقد[3]. حتى مقابر اليهود كانت وقفا إسلاميا أُجِّر لِيُنْتَفع بعوائده في مصالح الوقف لليهود[4].ونجد مجير الدين يذكر أن لليهود أوقافا خاصة بهم[5]، وأعتقد أن مجير الدين قد جانبه الصواب فحديثه عن وجود أوقاف لليهود خاصة بهم قد تكون حقيقتها أنها أوقافٌ إسلامية خُصص عائدها للصرف على أهل الذمة الفقراء ومنهم اليهود؛ نظرا لتسامح الدين الإسلامي مع الأغيار.

ومرجعي في ذلك تحليل الأستاذ عارف العارف لحيازة اليهود منازل في حارة الشرف لتكون سكنا لهم في المدينة المقدسة فيقول:" إن تسعين بالمائة من منازل

---

(١) المصدر السابق: سجل رقم ٤٤، ص٥٧٤، كامل جميل العسلي: المصدر السابق، ج١، ص٢٩٤ – ٢٩٦، محمد عيسى صالحية: سجل أراضي لواء القدس، ص١٢.

(٢) الميس: نوع من النبات ينمو في بلاد الشام من الفصيلة القنبية من رتبة الورديات، يزهر في شهر نيسان ويصل طول شجرته إلى عشرين مترا. محمد حسن آل ياسين: معجم النبات والزراعة، ج٢، ص ٤٢١.

(٣) كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٢٦٨ – ٢٧٠.

(٤) محمد عيسى صالحية: سجل أراضي لواء القدس الشريف، ص١٣ .

(٥) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠١.

هذا الحى من الأوقاف الذُرية[١] التى يتصرف بريعها المسلمون من مختلف الأسر المقدسية، وقد كان المسلمون يقعون فى خطأ تأجير الأراضى الوقفية. ففى مدينة الخليل مقبرة يهودية، تبين أنها أرض وقفية إسلامية مستأجرة"[٢].

وقد يكون السبب فى التصرف فى الأراضى الوقفية بهذه الصورة راجعا إلى سوء تصرف نواب ونظار الوقف الإسلامى غير المسئولين؛ فقد وضح مجير الدين أن القدس والخليل فى عصر المماليك كانتا تعانيان الخللَ فى نظام الوقف بسبب سوء تدبير نظار الوقف؛ ففى أحداث عام (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) يقول مجير الدين:" ثم حصل الخلل فى نظام الوقفين المبرورين بالقدس والخليل لسوء تدبير الناظر برد بك التاجى وعدم توفيقه"[٣]، ويذكر فى موضع آخر تقاضى الرشوة فى مقابل التصرف غير المسئول فى الوقف فى أحداث عام (٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م) حيث وقعت قضية فى حضور الأمير "تغرى ورمش" بين القاضى المالكى شرف الدين يحيى المغربى والأمير ناصر الدين بن النشاشيبى ناظر الحرمين - القدس والخليل- فاتَّهم كل منهما الآخر بقوله:" إن كان هذا الرجل ينسبنى لأخذ الرشوة على الأحكام الشرعية فهو يأخذها على الأوقاف"[٤].وبناء على ما سبق، فإنه عندما تثار قضية حول بيت أو أرض بين المسلمين واليهود لم يكن اليهود يبرزون حجة تمليك؛ وإنما يعتمدون على التاريخ المنسى لما تحت أيديهم أو على فتوى ناظر مُرتشٍ.

وعندما نعود لعوبيديا نجده يتحدث عن أوقاف اليهود التى كانت مرصودة لخدمة الأغراض الخيرية والدينية ومصالح الجماعة اليهودية وفقا لتعاليم التلمود عند الربانيين ووفقا لآراء فقهاء القرائين والسامرة، فيحدثنا عن وجود عدد من المنازل التى "قدمت هبة من اليهود الأشكيناز للعمل الخيرى كى تسكنها أرامل

---

(١) الأوقاف الذرية: هو نوع من الوقف يخصص فيه ريع الأراضى والمنشآت المملوكة لشخص ما لمنفعة أفراد معينين سواء من الأقرباء أو من ذرية صاحب الوقف، ويطلق أيضا على هذا النوع من الوقف الوقف الأهلى. السبكى: التمهيد فيما يجب فيه التحديد، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥٦م، ص٨.

(٢) عارف العارف: تاريخ القدس، ص ٤٨.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤١١.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨.

اليهود الأشكيناز؛ فهى تخصهم وليس لأى يهودى فقير حق فيها إن لم يكن أشكينازيا"[١]، ويفهم من كلام عوبيديا أن اليهود الأشكيناز الراغبين فى العمل الخيرى التزموا بنظام الوقف الإسلامى ويعرف عند اليهود باسم (هاقديش)، وكانت المحكمة الشرعية اليهودية تتولى إداراته بصفة رسمية ملتزمة فى ذلك بالقواعد الإسلامية المتبعة فى الأوقاف والأحباس[٢]. كما أن عوبيديا أشار أيضا إلى أنه كان يتلقى كل عام مائة وخمسا وعشرين دوكية بندقية من عمانويل شاى أفْ كاميرينو أحد أثرياء نابولى، تُخَصَّصُ للصرف على مصابيح المعبد اليهودى والفقراء[٣].

واستكمالا لما سبق نرى أن مؤرخى اليهود المنصفين تحدثوا عن الوضع المالي لليهود بصورة صادقة، تعكس الواقع الذى كان يعيشه يهود النيابة فى فترة الدراسة مؤكدين على تدنى أحوال اليهود الاقتصادية؛ حتى إن بعضهم قد استدان من المسلمين ولم يستطع الوفاء بدينه فباع ما يملك أو رهن ما عنده كى يسدد دينه[٤]. وهذا يفسر أيضا عدم مقدرة دفع اليهود للجزية التى فرضتها عليهم السلطات العثمانية؛ فمن خلال بعض سجلات المحكمة الشرعية وبعض صكوك الدين فى وثائق الجنيزة[٥] لاحظنا هذه الأمور:

١- فى عام (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، رهن كبير اليهود مجموعة من العملات الذهبية كى يستطيع سداد دينه لأحد جيرانه المسلمين، ويبدو أن الدين كان كبيرا؛ مما دعا كبراء اليهود فى مختلف المناطق إلى إرسال مبالغ مالية لإعانة فقراء يهود القدس ومساعدتهم على قضاء ديونهم، من ذلك إرسال الرابى كالسون نجيد اليهود فى إسطنبول مبلغ ألف قطعة ذهبية[٦].

٢- فى عام (٩٦٨هـ/١٥٦٠م)، رهن اليهودى مائير بن إبراهيم سيفا مطعما بالجواهر لدى السباهى (أى ناظر الخاص) مقابل أن يعطيه مائة سلطانى

---

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, P.236.

(٢) على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص١٣٠.

(3) Adler, Elkan Nathan: o.p. cit.,p. 248.

(4) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam , p. 116.

(5) Eliyahu Ashtor: o.p. cit., vol 2(II),p.195.

(6) Cohen , Amnon: o.p. cit. , p. 64.

يتصرف فيها ويسدد ما عليه من ديون حيث كان الدين المستحق عليه كبيرًا[1].

٣- فى عام (٩٧٩هـ/١٥٧١م)، رصدت سجلات المحكمة الشرعية أعلى قيمة دين على اليهودى إبراهيم بن زكريا التاجر، واليهودى يعقوب بن مائير حيث بلغت قيمة الديون المستحقة عليهم ١٢٥٠ سلطانيا، مما جعل السباهى يصادر حمَّامًا لهم فى نابلس وفاءً لهذا الدين[2].

من خلال العرض السابق يمكن إثبات أن وضع اليهود المالي فى فترة الدراسة لم يكن على ما يرام؛ حتى أغنياؤهم المعدودون فقدوا هذا الوضع المالي المرموق واضطروا للاستدانة كما اضطروا لرهن ما لديهم من غالٍ ونفيس للوفاء بديونهم؛ سواء أكانت هذه الديون تخص المسلمين أم اليهود أنفسهم.

ويقودنا هذا إلى تحليل الوضع المالى لليهود أثناء فترة الدراسة؛ فالمصادر العربية اكتفت بأن تذكر أن يهود نيابة القدس كانوا فقراء ولكنها لم تذكر سببا لوضعهم هذا. أما المصادر اليهودية فقد أشارت إلى ذلك حيث ذكر عوبيديا، والطالب اليهودى أن يهود النيابة كانوا من فقراء اليهود لأنهم امتهنوا حقير المهن التى لا تدر عليهم ربحا كثيرا، وإن كان قلة منهم يملكون مالا ويعدون من الأغنياء فإنهم أيضا لم يستطيعوا سداد ما عليهم من أموال.

(1) Ibid, P.100
(2) Ibid, P.100

وأيًا ما كان الأمر، بعد الاستعراض السابق تبين لدينا أن الأثر الاقتصادى لليهود فى منطقة الدراسة يكاد يكون معدوما، وذلك له أسبابه:

١- فاليهود الموجودون فى منطقة الدراسة عددهم قليل، والأعمال التى كانوا يقومون بها كانت من حقير المهن وفقيرها، إذ لا تؤثر بشكل أو بآخر فى الاقتصاد ومعدله.

٢- كان لدى عدد قليل من اليهود الثروة والمال إلا أن أثر هؤلاء لم يظهر فى الفترة المملوكية وإنما ظهر فى الفترة العثمانية؛ وذلك لقبول ممثلى السلطة العثمانية الرشوة من هؤلاء اليهود حتى يستطيعوا البقاء على حالهم من التسلط على بنى جلدتهم من اليهود ولولا ذلك لما كان لهم وجود.

٣- أكثر اليهود الموسرين قد تركوا منطقة الدراسة وعادوا من حيث أتوا، ولم يبق فى المنطقة سوى نفر قليل منهم يعيش على الكفاف حتى اضطر للاستدانة ولم يستطع سداد ما عليه.

٤- أظهرت بعض وثائق الجنيزة جنسية بعض اليهود الممتهنين لبعض المهن مما يوضح أصولهم مثل الوثيقة التى تحدثت عن عازف الجنك فهو من يهود الروم، والوثيقة التى تحدثت عن أصول عائلة إسحق بن شمويل فهم من اليهود الفرنسيين (فقد ذكر فى الوثيقة كلمة الفرنجى). كما أن الوثيقة عرفتنا على بعض واردات القدس من تركيا والإسكندرية مما يثبت علاقات تجارية بين هاتين المدينتين وبين القدس.

٥- من خلال الوثائق العبرية والعربية استطعنا تحديد عدد الحرف والصناعات التى امتهنها اليهود، فهى قرابة اثنتى عشرة مهنة بالإضافة لبعض المنتجات التى كان يتاجر فيها تجار اليهود.

٦- أما بالنسبة لصناع الأحذية فنجد الوثائق قد حددت أنماطا مختلفة من صانعى الأحذية، فذكرت الوثائق طائفة الحَذّائين والقيفية والأساكفة وصانعى السروج وقِرَب الجلد مما كان يشيع بيعه فى أسواق النيابة؛ وخاصة فيما يسمى بخان السلطان.

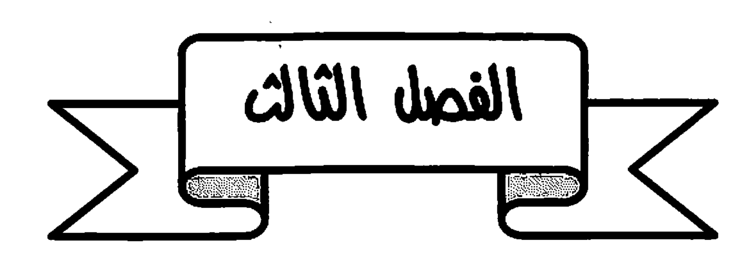
٧- كذلك أشارت وثائق الجنيزة إلى أماكن تمركز الصناعات الحرفية، مثل سوق الصياغ، وخان الصرافة، وحارة المسلخ وسوق الإسكافية، بالإضافة إلى مكان معيشة بعضهم كحارة القرمونى بالقدس الشريف التى توفى فى

إحدى دورها إسحق بن شمويل اليهودى؛ مما يساعدنا على تحديد تلك الأماكن بدقة.

٨- من خلال الوثائق نجد أن حرية أى شخص يهودى فى امتهان المهنة التى يتقنها واضحة؛ فلم توضع قيود من السلطة الحاكمة تلزم أشخاصا بأعينهم باحتراف مهنة معينة بل آمنت السلطة المملوكية بفكرة الاقتصاد الحر، والحرية المهنية، فيما عدا استثناءات طفيفة ارتبطت ببعض النواحى الشرعية كتحريم بيع الخمر ولحم الخنزير للمسلمين.

٩- أشار جوايتين فى بحث له عن الجنيزة أن يهود فلسطين كانوا من أفضل اليهود فى صناعة الحرير الذى كان شائعا عندهم بسبب الاتصالات المبكرة لتجار اليهود مع الصين (١)، إلا أنه لم تقع بين أيدينا وثائق تخص فترة الدراسة تشير إلى هذا الأمر، بالإضافة إلى إشارته أيضا إلى أن وثائق الجنيزة لم تُشِر لا من قريب أو من بعيد إلى احتراف اليهود للمهن الحقيرة التى تم رصدها فى الدراسة من خلال وثائق الحرم القدسى ووثائق المحكمة الشرعية بالقدس. وبهذا تكمل هذه الوثائق النقص فى وثائق الجنيزة ؛حيث إن جوايتين توقف عن دراساته عن الجنيزة لوفاته واستكمل بعده تلميذه ستيفن ريف هذه الدراسات ولكنه عكف على دراسة وثائق الجنيزة الدينية والأدبية التى تعود لفترات تسبق فترة الدراسة؛ بينما توقف جوايتين فى دراساته عند القرن الثالث عشر الميلادى.

(١) جوايتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، ص١٦٩.



الأوضاع الاجتماعية لليهود فى نيابة القدس

ويشتمل على :

- العناصر السكانية لليهود فى نيابة القدس
- طوائف اليهود الدينية (الربانيون – القراءون – السامرة)
- طبقات المجتمع اليهودى
- عادات وتقاليد اليهود (الزواج والطلاق – الوفاة – الملابس – الزينة والحلى – الطعام)
- أعياد اليهود واحتفالاتهم (الأعياد الدينية)
- رحلات الحج اليهودية
- المرأة اليهودية

أتناول فى هذا الفصل الجوانب الاجتماعية فى حياة اليهود فى نيابة القدس بعد أن تناولت فى الفصل السابق الجوانب الاقتصادية، ويهمنى هنا أن ألقى الضوء على عدد من النقاط الأساسية فى حياة اليهود الاجتماعية، أبرزها عناصرهم السكانية، ثم طوائفهم الدينية وطبقاتهم الاجتماعية، وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم واحتفالاتهم، ورحلاتهم الدينية إلى بيت المقدس، ثم أختم بالحديث عن وضع المرأة اليهودية فى نيابة القدس فى فترة الدراسة. فلنبدأ بتناول النقطة الأولى؛ وهى:

العناصر السكانية لليهود فى نيابة القدس

لا يمكن القول إن اليهود جماعة[1] متجانسة فيما بينها؛ وذلك لأن اليهود تجمعوا أشتاتا من مختلف المناطق لا رابط بينهم سوى العقيدة الدينية؛ وعليه فإن تناول أصول تلك الجماعات سيكون من قبيل التصنيف العرقى؛ فمنهم اليهود المستعربة وهم اليهود العرب الذين يتحدثون العربية وينتمون إثنيًا إلى الأمة العربية ويرتدون الزي العربي وعددهم قليل[2]، اليهود (السفارد)، الذين جاءوا من طرابلس وطرسوس وكردستان، ومنهم (الأشكيناز)[3] الذين جاءوا من أوروبا من الأندلس، وإسبانيا والبرتغال ومالطة[4]. وقد ذكر ميشلوم بن مناحم الذى زار

(١) يجرى على ألسنة بعض الكتاب تسمية اليهود بمصطلح شعب وهذا المصطلح يفترض أن اليهود يشكلون وحدة عرقية ودينية وحضارية متكاملة(الأمر الذى يتنافى مع الواقع)؛ لذا لم نشأ إطلاق هذا المسمى عليهم واخترنا مصطلح الجماعات اليهودية وهذا فى رأيى هو الأقرب للدقة.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص ١٩٢.

(٣) أشكيناز" هو اسم يذكر في التوراة وكان يستخدم عند الأدباء اليهود إشارة إلى ألمانيا وعلى الأخص المنطقة الواقعة على نهر الراين لذلك أطلق على يهود ألمانيا اسم أشكيناز. وجرى التوسع في استعمالها لاحقا للإشارة إلى يهود أوروبا الشرقية والوسطى والغربية، يتميز اليهود الأشكيناز بتكلم اللغة اليديشية(نوع من اللغة الآرامية القديمة) التي تطورت بتأثرها باللغة العبرية، واللغات السلافية.

- Feldman , Rabbi Irwin: Do Ashkenazi Jews have a Higher than Expected Cancer Burden, Israel Medical Association Journal, Volume 3, 2001, p. 341.

(٤) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D.1015)، ج٣، ص١١.

القدس عام (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) أن أكثر اليهود المقيمين بالقدس من ألمانيا والبرتغال والأقاليم الأخرى وأكثرهم ربانيون وأقلية منهم سامرة[1]، وعندما زار إسحق شلو القدس شهد بأن أكثر اليهود الموجودين فى القدس من الفرنسيين[2]، وقد ذكر لامنس أن هناك يهودا من وسط أوروبا يعيشون بالقرب من بحيرة الحولة ويعملون بصيد السمك، والبحيرة هناك تكثر فيها الأمراض والحميات مما يفتك باليهود[3].

أما (ناحوم) فيركز على اليهود المغاربة الذين تركوا المغرب عام (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م)؛ وخاصة من منطقة مدينة "جادوا" بالقرب من جبل نفوسة وهى مدينة كبيرة بها عدد كبير من اليهود[4]، واستوطنوا فى القدس حيث تركوا مغربيتهم وتحولوا إلى أصالة الشرق، واتخذوا النمط العربى فى كل حياتهم فيتحدثون، ويكتبون بالعربية وإن كان الكثير منهم يحتفظ بعبريته[5].

أما اليهود الإسبان الذين جاءوا منها هربا من الاضطهاد عام (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)[6] فظلوا يتحدثون العبرية؛ وإن كانت لغتهم فى استخدام بعض الحروف

---

(1) Adler , Elkan Nathan: Jewish Traveller, p.193.
وانظر أيضا: زبيدة عطا: عروبة القدس، ص٥٥.

(2) Ibid, p.134.
وانظر أيضا: زبيدة عطا: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) هنرى لامنس: أماكن تمركز اليهود فى القدس، ص١٠٨٨، ص١٠٩١ – ١٠٩٣، مقال بمجلة المشرق، عدد ٢٣، لسنة ١٨٩٩م.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص٣٤.

(5) Slouschz, Nahum: Travels In North Africa, The Jewish Publication Society of America, 1927, p. 431.

(٦) جاء اليهود من إسبانيا هربا من محاكم التفتيش التى أطلقها ملكا إسبانيا فرديناند وإيزابيلا بعد استيلائهما على إسبانيا وإقامة الوحدة بين مملكتى قشتالة وأراجون، وعلى الرغم من أن اليهود المتنصرين فى هذه المملكة كانوا من أهم الدعامات التى ساعدت الملكين فى تنفيذ رغبتهما والاستيلاء على مملكة غرناطة، فإن الملكين لم يرضيا عن النفوذ الذى وصل إليه اليهود بعدما قاموا بتمويل حملة الدولة الإسبانية الكاثوليكية على الأقاليم الإسلامية المتبقية ونجاحها في تصفية الوجود الإسلامى هناك، مما دفع الملكين للتخلص من اليهود الموجودين فى المملكة وتتبعهم بمحاكم التفتيش حتى اضطرتهم إلى الهروب بعد سبعة أشهر من نجاح الحملة إلى المناطق الإسلامية فى الشرق؛ لعلهم ينعمون ببعض الأمن فهاجر بعضهم إلى مصر والمغرب وفلسطين ودمشق؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج4، ص239.

الحروف فى نطقها وكتابتها مثل حروف (ג ج، ש ش، ת م) تكاد تقترب فى نطقها من حروف (TH) بالإنجليزية، وفى بعض الكتابات لا تنطق هذه الحروف وتُعد من الحروف الساكنة، أما الحرف (لا ع) فينطق كالحرف العربى (لا) [١].

وقد راعى اليهود المغاربة والإسبان هذا الأمر فكانوا يرسلون أطفالهم للتعلم فى اليديشاه (المدرسة) العبرية حتى يستطيعوا التواصل مع بنى جلدتهم [٢]، كما أوضح (ناحوم) أن اليهود الإسبان كانوا يعانون تدنى التعليم الدينى لدى أطفالهم، وأرجع ذلك إلى أن كثيرا من المعلمين الذين يقومون على تعليم الصبيان يرتكبون أخطاءً [٣].

ويمكن التمييز بين اليهود المغاربة والإسبان فى القدس من شكل شعرهم وتدليه؛ فإن كانوا مغاربة حلقوا رءوسهم وأبقوا بعض الشعر فى منتصف الرأس، أما الإسبان فيرسلون شعورهم تتدلى كالعواميد بين عيونهم على الجبهة [٤]، وأما نساء اليهود من المغاربة والإسبان فكثيرا ما تعملن بالرقص والغناء [٥]، ويتفق مندلسون (Mendelssohn) مع ناحوم (Nahum) فى أن أكثر اليهود الموجودين فى فلسطين من الإسبان والبرتغال الذين أتوا إليها هربا من الاضطهاد [٦]، وبالتالى وبالتالى هم يهود أشكيناز. وقد كان معظم مهاجرى اليهود الجدد يفضلون العيش فى الجليل أثناء الأوقات العصيبة فى الأزمات والكوارث الطبيعية، أيضا كان الحجاج اليهود الأوروبيون يفضلون الجليل وذلك لإقامة صلواتهم بجوار قبور مشاهير الشخصيات الدينية اليهودية من دارسى التلمود، أمثال: يوحنا بن زكاى، وأكيفا، وسيمون بن يوحاى القبالى (الصوفى) المعروف بالزهّار [٧].

---

(١) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٢٣٣، وقد ورد عند المقريزى ذكر لاختلاف الحروف بين العربية والعبرية التى يستخدمها اليهود، المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٢٣.

(2) Slouschz, Nahum: Travels In North Africa, p.432.
(3) Hirschberg, H.Z.(J.W.): History of Jews In North Africa, vol. 1, p. 156.
(4) Slouschz, Nahum: Travels In North Africa, p. 432.
(5) Ibid, p. 432.
(6) Mendelssohn, Sidney: Jews of Asia, p.56.

(٧) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص ٥١١ – ٥١٢.

هذا، ولم تهتم المصادر العربية بذكر تفصيلي لأجناس اليهود، بل اكتفت بالإشارة إلى أنشطة اليهود، أو المشكلات التي أثاروها؛ أما وثائق الجنيزة فقد اهتم بعضها بذكر كل ما يتعلق باليهود فلم تترك شيئا إلا وأوضحته، فقد ذكر جوفري خان (Geoffrey Khan) أن وثائق العصر المملوكي المتبادلة بين تجار اليهود وغيرهم قد ذكرت صفات اليهود من حيث أماكنهم التي انحدروا منها، وصفاتهم الفسيولوجية من حيث لون العينين ولون الشعر وشكل الأنف واستقامة الأسنان، وشكل اللحية [1]، وغيرها من صفات تميز أجناس اليهود السفارد أو الأشكيناز.

فتذكر الوثائق - على سبيل المثال - "صالح بن يوسف اليهودي الصقلي نسبة إلى صقلية، وإسحق الإسرائيلي الميزري الراملي، نسبة إلى رام الله، وإسحق اليهودي الحوراني نسبة إلى حوران، وحسن بن إسحق السوري نسبة إلى سوريا" [2]، وتذكر بعض الوثائق لون الجلد أو لون البشرة مثل التاجر إسحق أسمر البشرة، أو مائل للسمرة [3]، ولم تغفل الوثائق لون العينين الذي يمكن أن يساعد في تحديد الأماكن التي أتى منها اليهود فتذكر إحدى الوثائق اليهودي صافي ذي العينين البنيتين القاتمتين، واليهود أصحاب العيون المائلة إلى الزرقة [4]، إشارة إلى اليهود القادمين من إسبانيا وخاصة من غرناطة، وأراجون، وسراقوسة [5]. ولا أستطيع موافقة جوفري خان في رأيه الذي ساقه، فالأماكن التي ذُكِرت في وثائق الجنيزة ليست كلها تحدد الأماكن التي انحدر منها اليهود، ثم تركوها وأتوا إلى المنطقة محل الدراسة، بل إن بعضها كما أوضح تذكر مدينة رام الله وهي إحدى مدن القدس الشريف، وحوران إحدى مدن الشام، وسوريا يُشار بها إلى الشام أيضا، وعليه فتكون تلك الأماكن هي مستقر اليهود (مكان إقامتهم) السابق ذكرهم وليسوا من أهل تلك المناطق؛ فلم يكن جوفري خان دقيقا في هذا الرأي.

(1) Khan , Geoffrey: Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge university Press, 1993,.p.18.
(2) Ibid., p.13(deferent documents from T-S. Box, No. 41.65, 30.30, 38.81, 38.43) .
(3) Ibid., p.16(deferent documents from T-S. Box, No. Ar. 38.119,38.114).
(4) Ibid., p.17((deferent documents from T-S. Box, No. Ar. 39.16 ,51.110).
(5) Ibid., p.43.

وخلاصة القول إن اليهود الذين استوطنوا منطقة الدراسة إما يهود سفارد، إما أشكيناز، وفى عُرْف المؤرخين يُشَار إلى اليهود السفارد بأنهم يهود الشرق، ويشار إلى اليهود الأشكيناز بأنهم يهود الغرب، ولا تخفى الدلالة العرقية فى هذا التصنيف.

ولكن فى حديث بعض مؤرخى اليهود يختلط التصنيف العرقى بالتصنيف الدينى، فيشار إلى اليهود السفارد بأنهم من استمروا على التقاليد الدينية اليهودية التى نشأت وتطورت فى بابل [1]، فهم يؤدون الصلوات القديمة الشائعة لدى اليهود ويحتفظون بجميع السلوكيات الدينية دون تغير يذكر مهما تطور الزمن؛ مما جعلهم منغلقين على أنفسهم دينيا بل يصل انغلاقهم إلى حد التشدد.

بينما نجد اليهود الأشكيناز أصابهم بعض تطور فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر الميلاديين (الرابع والسادس الهجريين)؛ فبدءوا فى الانحراف عن الأنماط الدينية اليهودية الراسخة وعمدوا إلى الاستثناءات فى السلوكيات الدينية فى بعض مجالات الحياة.

وللاستدلال على ذلك نجد عوبيديا يذكر أنه رأى اليهود السفارد الأتقياء فى القدس لا يتناولون اللحم أو أى طعام يدخل فيه اللحم، إلا إذا كان معدا تحت إشراف حاخامات سفارد. وإذا دعا أحد اليهود الأشكيناز سفارديا تقيا لتناول الطعام فى بيته فإن الأخير يمتنع عن تناول اللحم فى بيت اليهودى الأشكينازى بينما يقوم الأشكينازى بعكس ذلك، وعليه فالسفارد ينظرون لأنفسهم على أنهم يتفوقون على غيرهم من اليهود بصفتهم من سلالة نقية عملت بكل العقائد الدينية اليهودية البابلية دون غيرهم من اليهود الآخرين.

لذلك رفض معظم اليهود السفارد الزواج من الأشكيناز؛ بل إنهم - فوق ذلك- يشمئزون من التواجد مع اليهود الأشكيناز فى مكان واحد [2]، بينما اليهود الأشكيناز هم استمرار للعقائد الدينية اليهودية التى نشأت فى فلسطين؛ وخضعوا

---

(١) إسرائيل شاحاك، ونورتون متسفينسكى: الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة ناصر عفيفى، الكتاب الذهبى، روزاليوسف ٢٠٠١م، ص٩٥ – ٩٦.

(2) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Bartenura ,p.240.

لمختلف المؤثرات الحضارية والاجتماعية التى طرأت على شمال فرنسا وغرب ألمانيا فيما بين القرنين (العاشر والثانى عشر الميلاديين/الرابع والسادس الهجريين)؛ فأثر ذلك على العادات السلوكية الدينية لديهم فضلا عن التغيرات التى طرأت على الصلوات الأساسية [1].

الطوائف اليهودية:

لم يمثل اليهود فى منطقة الدراسة طائفة واحدة بل انقسموا إلى طوائف عدة مذهبية مختلفة على طول تاريخهم وزعمت كل طائفة منهم أن مذهبها هو الأمثل والأكثر اقترابا من أصول الديانة اليهودية. ويدور الخلاف بين الطوائف اليهودية حول مدى الاعتراف بأسفار التوراة والتلمود، أو إنكار هذه الأسفار [2]، حيث ضمت القدس وما حولها من مدن، ثلاث طوائف لليهود مثلوا نسبة ضئيلة من السكان الأصليين، وهذه الطوائف هى :

الربانيون:

هذه الطائفة اسمها مشتق من كلمة (ربِّى)، و(ربانى) العربية ويقابلها (ربانيم) فى العبرية وتعنى لديهم الإمام أو الحَبْر أو الفقيه، وهم كُتَّاب الشريعة والوعْظ، وقد ورد ذكر الربانيين فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[3].

---

(١) على محمد السيد: اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص١١١.

(٢) حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى: أطواره ومذاهبه، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٤٣؛ مراد فرج: القراؤون والربانيون، القاهرة ١٩١٨م، ص٢٤؛ على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود، ص٨٠.

(٣) (سورة المائدة، الآية ٤٤).

وقيل: الربانيون نسبة للرب، والتى تعنى فى اللغة العبرية (الكبير أو الرئيس) وهم من تركوا باب المقدسات اليهودية مفتوحا على مصراعيه بعد السبى البابلى بحيث دخلت منه المرويات الشفوية والاجتهادات والفتاوى وغيرها من النصوص[1]، ولذا سمى أبناء هذه الطائفة ربانيين إشارة إلى علمائهم وفقهائهم مؤلفى التلمود[2] والمشناة[3]. وفى رأى المقريزى أن الربانيين فرقة تؤمن بالتلمود فقط وتعمل به ولا تؤمن بالعهد القديم وذلك فى تعريفه لهذه الطائفة إذ

(١) حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى: أطواره ومذاهبه، ص٢٤١؛ فرح فضل الفرزلى: صورة غير الإسلاميين فى كتاب صبح الأعشى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الروح القدس ١٩٨٣م، ص٤٥٩.

(٢) التلمود: كلمة مشتقة من(لوميد) العبرية، وتعنى دراسة، وهو كتاب شامل لكل أوجه النشاط فى حياة اليهود العامة والخاصة، وقد بدأ تدوينه فى القرن الخامس الميلادى، ويوجد منه تلمودان أحدهما بابلى، والآخر أورشليمى، وكلاهما مكون من المشناة والجماراة، والتلمود لدى الربانيين أكثر قداسة من التوراة ؛عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص ١٤١.

(٣) المشناة: يذكر المقريزى أن المشناة معناه استخراج الأحكام من النص الإلهى، وعليه قام اليهود باستخراج علم الفقه والشرائع والأحكام منه، بينما يختلف المؤرخون المحدثون فى تعريفها؛ فيرى د. عبد الوهاب المسيرى أنها مشتقة من الفعل العبرى (شانا) بمعنى يثنى ويعاد مرتين، لذا فهى الشريعة المكررة وذلك لأن المشناة تكرار لما ورد فى توراة موسى (عليه السلام) ويوافقه فى ذلك الدكتور أحمد شلبى، إلا أن الدكتور زكى شنودة له رأى آخر حيث يقول إن المشناة هى مجموعة الشروح والتفسيرات والتطبيقات للتوراة وهى تشتمل على بعض التفاسير والأحكام التى يعتقد اليهود أنها من عهد موسى، وعليه تكون المشناة كتابا يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التى جمعها التناميون(معلمو الشريعة) أمثال: الحاخام هليل وعقيبا ومائير الذين تناقلوها إقرارا وشفاهة بعد السبى البابلى، ثم دونها كتابة الحاخام يهودا هاناشى (١٨٩م) واستمر التدوين على مدى ستة أجيال وتضم ستة أسفار، وتأتى فى المقام الثانى بعد التوراة.

المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١١٧؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٥٧؛ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، ص٤٣؛ أحمد شلبى: اليهودية "سلسلة مقارنة الأديان" ج١، ص١٣٥؛ زكى شنودة: المجتمع اليهودى: مكتبة الخانجى، القاهرة، ص٦٤؛ هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبى، ص١٧٢.

S. Schechter, M.A., Littd.: Documents of Jewish Sectaries, Cambridge, at the University Press,1910,P.25.

يقول: "هذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما فى المشنا الذى كتب بطبرية بعد تخريب طيطش للقدس وتعول فى أحكام الشريعة على ما فى التلمود إلى هذا الوقت الذى نحن فيه، وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الإلهية متبعة لآراء من تقدمها من الأحبار، والربانيون هم جمهور اليهود، أو الشعب الأكبر والحزب الأكثر"[(١)].

وهم يؤمنون بأن كتابى المشنا والتلمود كتابان سماويان كالتوراة، والربان يرأس قومه ويشرف عليهم ولا يلبس غير الأبيض من الثياب ولم يكن له أجر على منصبه ولكنه يرتزق بالتجارة أو الفلاحة، فإن لم يكن له رزق جعل له رزق ولو على غير مراده[(٢)].

وقد احتل الربانيون جميع الوظائف الدينية للجماعات اليهودية فكان نجيد اليهود ربانيا، وديان اليهود ربانيا، وأغلب أعضاء مجلس الطائفة من الربانيين أيضا، وكان لهم نشاطٌ تجاريٌّ ملحوظٌ وخاصة فى تجارة التوابل بين القاهرة والقدس ودمشق عبر البحر الأحمر، وقد عرفت عائلات من طائفة اليهود الربانيين بهذه التجارة ومنهم اليهودى يوسف بن عبد الكريم وابنه يعقوب وزوجته، وعائلة سعديا العطار، وكان يتاجر فى الملابس أيضا، وأبراهام بن هلال، وسولومون بن شولال[(٣)].وقد كان الربانيون فى نيابة القدس على اتصال وثيق بالربانيين فى القاهرة، وقد أكدت ذلك إحدى وثائق الجنيزة؛ حيث أرسل رئيسهم يعقوب رسالة إلى رئيس الطائفة بالقدس يتفقد فيها أحوالهم[(٤)]، والوثيقة مقتضبة لا تحتوى على تفاصيل.

---

(١) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١١٨؛ مراد فرج: القراءون والربانيون، ص٣١ - ٣٣.

(٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، مكتبات عكاظ للنشر، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢، ج١، ص١٨٥؛ المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١١٧ ؛مراد فرج: القراءون والربانيون، ص٣١ -٣٣ .

(3) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam ,p. 172.

(4) Yellin, Abinoam: Genizah Fragments In The Jewish National Library, p.201.

القرّاءون:

اشتقت التسمية من الأصل (قَرَأ) [1] أى ما يقرأ فيه، وهو التوراة التى لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود كما أنهم لم يتقيدوا بما جاء فى التلمود[2].وقد تباينت آراء المؤرخين فى أصل هذه الفرقة؛ فبينما اتفق البعض على نسبتها إلى عانان بن داود العراقى (١٨٤هـ/٨٠٠م)[3]، ذكر البعض الآخر أن عانان عرفت فرقته بالعانانية، وهى فرقة تختلف عن فرقة القرائين، لذا يُرجع البعض منهم نشأة هذه الفرقة إلى فترة سابقة على عصر عانان[4].

ويؤكد المقريزي هذا الرأى بقوله إن العانانية فرقة أخرى غير القرائين فقد أرجع تاريخهم إلى فترة سابقة، فهو يقول: "وأما القُرَّاء فإنهم بنو مقرا – ومعنى مقرا الدعوة - وهم لا يعولون على البيت الثاني جملة، ودعوتهم إنما هي لما كان

(١) الخالدى: المقصد الرفيع المنشا الحاوى لصناعة الإنشاء، ص١٤٠ -١٤١؛ المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١١٧؛ مراد فرج: القراءون والربانيون، ص٤٨ -٤٩؛ محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية، ص٢٢٧، ٢٣١. وانظر أيضا:
Mendelssohn , Sidney: Jews of Asia, London,pp. 10 -11.

(٢) الخالدى: المقصد الرفيع، ص١٤١؛ بنيامين التطيلى: رحلة بنيامن التطيلى، ص ١٩٥.

(٣) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٦٢؛ عبد المنعم الحفنى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولى، بدون تاريخ، ص١٤٥(وقد أشار د/ محمد جلاء إدريس إلى أن تأسيس عانان لهذه الفرقة قد جاء فى أعقاب التقائه بالإمام أبى حنيفة النعمان فى السجن أيام الخليفة أبى جعفر المنصور حينما حدث نزاع على منصب رئاسة الجالوت فى بابل، حيث تطلع عانان وهو من نسل داود إلى المنصب، ولكن تم اختيار أخيه الأصغر حنانيا، وذلك بسبب آراء عانان المعارضة للتلمود؛ إلا أن المؤيدين لعانان بايعوه رئيسا للجالوت ونشأ انقسام حاد وضع على أساسه عانان فى السجن كمتمرد على السلطات، إلا أنه استطاع أن يثبت براءته بناء على نصيحة أبى حنيفة له فخرج من السجن ليواصل قيادة أتباعه) د/محمد جلاء إدريس: التأثير الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى دراسة نقدية مقارنة لطائفة القرائين، أبحاث ندوة التأثيرات العربية فى اللغة العبرية والفكر الدينى والأدب العبرى عبر العصور، كلية الآداب– جامعة عين شمس، دار الزهراء للنشر ١٩٩٢، ص١١١- ١١٢.

(٤) مراد فرج: القراءون والربانيون، ص٤٣؛ محمد الهوارى: الاختلافات بين الربانيين والقرائين فى ضوء وثائق الجنيزة، القاهرة ١٩٩٤م، ص٩.

عليه العمل مدة البيت الأول، ويقال لهم "أصحاب الدعوة الأولى"، وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون إلى قول من خالفها، ويقفون مع النص دون من سلف، وهم مع الربانيين من العداوة[1] بحيث لا يتناكحون، ولا يتجاورون، ولا يدخل بعضهم كنيس بعض"[2].

---

(١) كانت الطبيعة العدائية بين القرائين والربانيين نتيجة للحملة العنيفة التى قادها موسى بن ميمون (٥٣٠هـ-٦٠٣هـ/١١٣٥م-١٢٠٥م)، والتى أعلن فيها الاختلافات بين الفرقتين، ومنعهما من الاتصال، بينما كانوا قبل ذلك يجتمعون سنويا لإقامة الصلاة المشتركة مرة يوم مهرجان التوراة، وأخرى فى عيد نزول التوراة.

Scheiber,Alexander: Genizah Studies,p.264.

وقد تعددت أوجه الاتفاق والاختلاف بين القرائين والربانيين، فهم يتفقون على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة، واتفقوا على نبوة موسى وهارون ويوشع وإسحاق ويعقوب وبنيه الاثنى عشر (الأسباط)، ولكن القرائين لم يعترفوا ببنوة أحد سوى هؤلاء وينكرون من جاء بعدهم، والاختلاف بين الطائفتين حول بعض الأمور الفقهية مثل: القصاص، وحرمة السبت، وحرمة الخمر، والتقويم السنوى، وبعض الأمور الفقهية التى تمس الشعائر، وأسلوب دفن الموتى، والمواريث.

Scheiber,Alexander: Genizah Studies, pp. 264-265.

المقريزى: تاريخ اليهود، ص١٢٠، مراد فرج: القراءون والربانيون، ص٥٣؛ قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر منذ الفتح العربى وحتى الغزو العثمانى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥١؛ أحمد عبد الرزاق قنديل: المواريث فى الديانة اليهودية، مركز الدراسات الشرقية ٢٠٠١م، ص١٢٩؛ عبد الرحمن على عوف: اليهود القراءون نشأتهم وعباداتهم، ص٤٤.

(٢) المقريزي: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١١٩، المقريزى: المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٩٥٤ – ص٩٥٥ ؛ انظر أيضا: ابن الوردى: تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في تاريخ البشر، القاهرة ١٢٨٥هجرية)، ج١، ص٧٧؛ القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشا، (طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣)، ج١٣، ص٢٥٣ – ص٢٥٧، وفى تعليق للدكتور مراد فرج عن مسالة تحريم الزواج بين هذه الطوائف يقول: "وفى العصور المتأخرة بعد وفاة المقريزى، أجاز أحبار اليهود من القرائين والربانيين والسامرة التزاوج فيما بينهم"؛ انظر مراد فرج: القراءون والربانيون، ص١٥٩ – ١٦٥.

Universal Jewish Encyclopedia , art."Karaites", vol.3 ,pp.314-318; The Encyclopedia of Judaism , (ed. Geoffrey Wigoder ,The Jerusalem Publishing House ,1989) ,pp.506-507, art. Karaites.

وقد وصل القراءون إلى القدس ابتداءً من القرن التاسع الميلادى، الثالث الهجرى مع اللاجئين الذين هربوا من اضطهاد رؤساء الجالية اليهودية فى كل من العراق وفارس بسبب آرائهم؛ لذا عَدَّ القراءون أنفسهم دعاة لحركة التوبة والإصلاح واتصلوا بغيرهم من اليهود فى أوروبا وطلبوا منهم الهجرة إلى القدس أرض الميعاد، وتركز وجودهم آنذاك فى حارة المشارقة(١).

وقد تمتع القراءون بالنفوذ الكبير فى فلسطين فى القرن العاشر والحادى عشر الميلاديين، وانتشر الأدب القرَّائى الذى كتب أغلبه بالعربية فى مجال تفسير الشريعة اليهودية، ولكن هذه المكانة تراجعت عندما احتل الربانيون ذلك النفوذ فى القرون التالية، وأطلق الربانيون عليهم الفرقة العرجاء استهجانا لهم(٢)، ويشير دانيال فرانك (Danial Frank) إلى تأثر القرائين فى أدائهم لطقوسهم الدينية داخل الكنيس بالأشعار الأندلسية العظيمة وطريقة أدائها خاصة وأن أغلبهم كانوا من الإسبان، وأرجع ذلك أيضا إلى تأثرهم بتعاليم الرابى ابن شوشان وهو أحد رجال الدين العظماء لدى اليهود فى القرن الحادى عشر الميلادى(٣). بل يذهب إلى أبعد من هذا ويُرجع التأثير الصوفى(٤) فى عادات ومجتمع اليهود القرائين فى القدس إلى اطلاع اليهود القدامى فى القرنين (الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين/الخامس والسادس الهجريين) أمثال ليفى جاباث وأبيه، على كتابات الحسن البصرى المعروف عند اليهود (بأبى سعيد اللاوى) حيث تأثر القراءون فى صلواتهم وتراتيلهم بالحسن البصرى(٥). وقد ذكر يالين (Yellin) أنه "كان للقرائين مكانة كبيرة فى عهد المماليك الجراكسة عموما، سواء كان ذلك فى القاهرة أو فى نيابة القدس- على عكس ما ذكره نظيره دانيال فرانك-، وذلك من

(1) Schlanger, Judith Olszowy: Karaite Marriage Contracts from the Cairo Geniza: Legal Traditions and Community Life in Mediaeval Egypt and Palestine, Brill. Hardback, United Kingdom,1997,vol.2.p.42.

(2) Frank, Danial: The Jews of Medieval Islam ,Leiden, New York,1995, P.199.

(3) Frank , Danial: The Shoshanim of Tenth Century Jerusalem Karaite Execesis ,Prayer and Communal Identity , Leiden, New York,1995 , p.203.

(٤) يطلق اليهود على التصوف اسم (القبالاه) وهو علم التصوف اليهودى وله رجاله المعروفون لدى اليهود ومن أمثلتهم ابن شوشان وليفى جاباث، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج5، ص58.

(5) Frank , Danial , Brill, E.J.: The Jews of Medieval Islam,P.207.

خلال مكاتبات أرسلها رئيس الطائفة بالقدس لأخيه رئيس الطائفة بالقاهرة يوضح له فيها تراجع مكانة اليهود الربانيين بالقدس حسب ما تمنوا ويسأله أن يجعل شوحيط الكنيس[١] (أى الذبّاح) يدعو عليهم".

وفى رأيى أن يالين (Yellin) غير محق فى حكمه ذلك فهو لم يوضح أى مكانة تراجع فيها اليهود الربانيون، هل هى المكانة الدينية أم الوضع الاقتصادى وما يتبعه من مكانة اجتماعية؟، كما أنه عمم حكمه على تلك المكانة طوال فترة حكم المماليك الجراكسة؛ فلا تعنى هذه المكاتبات تراجع مكانة طائفة الربانيين بل إنها تعكس الصراعات التى كانت تدور بين القرائين والربانيين، بدليل أن السلطة المملوكية وبعدها السلطة العثمانية دأبت على تعيين نجيد اليهود المسئول عن مختلف طوائف اليهود من الربانيين وليس من القرائين، أضف إلى ذلك ذكر كوهين (Cohen) أن أغلب رؤساء طوائف الحرف فى القدس من اليهود من الربانيين، حتى الديان (القاضى الشرعى) كان من الربانيين أيضا، وهذا يدل على تمتع الربانيين بالمكانة الدينية الرفيعة بين بنى جلدتهم.

ومن خلال استطلاع وثائق الجنيزة الخاصة بالشأن التجارى لليهود ظهر احتكار اليهود القرائين لصناعة الحلى والمعادن الثمينة[٢] بينما احتكر الربانيون تجارة الكارم حيث ذكر كوهين (Cohen) أن أغلب يهود سوق الصاغة فى القدس كانوا من القرائين، ووجد تاجر كارم واحد فى القدس ويدعى مردخاى القراء[٣]، وأعتقد أن يالين (Yellin) بنى رأيه فى تمتع القرائين بمكانة عالية فى عهد المماليك الجراكسة على تلك المعلومات، بينما ما توافر لنا من معلومات يُرجع تلك المكانة إلى نهايات القرن العاشر الهجرى حيث احتل القراءون مكانة لا بأس بها، وقد أشار إلى ذلك ناحوم فى حديثه عن الحالوقاة[٤] التى كان القراءُون

(1)Yellin, Abinoam: Genizah Fragments In The Jewish National Library, P.201, T-S.Box, 24,26.
(2) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam, pp. 164 -165.
(3) Cohen , Amnon: op. cit. , p. 172.
(4) Sidney , B. Hoenig: Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls.,P.120 – 124 , Journal of Biblical Literature,The Society of Biblical Literature, Vol. 83, No. 2 (Jun., 1964), pp. 119-138 , Schoessinger , Max: The Ritual of Elded Ha-Dani , Reconstructed, and Edited from Manuscript and a Genizah Fragment with Notes and Introduction and an Appendix on the Elded Legends, Leipzig New York1908, .p. 3.

يجمعونها من الربانيين للصرف على بقية أعضاء الطائفة وكانوا يجمعونها بتعسف، وقد ذكر ذلك أحد اليهود الفقراء الذين يعملون بمهنة الحلاقة، وعليه لا يمكن قبول تعميم (يالين) الذى أوضح فيه أن القرائين كانوا أعلى مكانة فى عهد المماليك الجراكسة، وإنما حدث ذلك فى عهد الدولة.

السامرة[1] :

طائفة من اليهود يسكنون بيت المقدس (فى منطقة جبل جرزيم) بنابلس ويعتقدون اعتقادا راسخا أنهم من بنى إسرائيل من آل يوسف الصديق، وهم يتقشفون فى الطهارة، وقد أثبتوا نبوة موسى وهارون، ويوشع بن نون (عليهم السلام) وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء، كما أنهم يزعمون أنهم يطبقون أوامر التوراة حرفيا ويتشددون فى أحكام الدم والنجاسات ومواعيد الطهارة، ولذلك فهم لا يغسلون موتاهم ولا يحملونهم وإنما يستأجرون لهذين الغرضين أناسا ليسوا من

(١) السامرة: هي عاصمة المملكة الشمالية ويُطلَق عليها باللغة العبرية "شومرون" نسبة إلى "شمَر" الذي كان يمتلك التل الذي بُنيت عليه المدينة. تقع السامرة على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال من القدس، وستة أميال إلى الشمال الغربي من شكيم (نابلس)، وهي المدينة التي يقع فيها جبل جرزيم الذي يحج إليه السامريون في عيد الفصح. وتُطلَق كلمة "السامرة" أحيانًا على المملكة ككل. أسِّست المدينة عام ٨٨٠- ٨٧٩ ق.م. وقد عظم اليهود وقدسوا تلك المدينة والجبل الموجود؛ بها حتى إنهم على تعبيرُ ابن حزم "لا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه". وقد نشأت هذه المملكة بعد وفاة سليمان بن داود فانقسم ملك بنى إسرائيل من بعده بين رحبعام ويربعام، وبعد خضوع السامرة لفتوحات الإسكندر، استوطنتها جالية مقدونية وأصبحت السامرة مدينة يونانية في مظاهرها كافة. وقد هاجمها يوحنا هيركانوس الحشموني سنة ١٠٩ ق.م. وخربها وباع أهلها عبيدًا. وتُطلَق كلمة «السامرة» أيضًا على الجزء الأوسط من فلسطين (بين الجليل ويهودا) وتكثُر في السامرة التلال ويغلب عليها المظهر الجبلي، كما تتميَّز بوفرة أمطارها. ويَحدُّها جبل الكرمل والبحر غربًا ووادي يزرعيل شمالاً وجبل جلبوع ونهر الأردن شرقًا ووادي عجلون جنوبًا، وتضم السامرة، وبيت إيل، وتُرْصَه، ومَجِدّو، وبِيْسَان، وجبل جُرزيم، وكان يهود تلك المنطقة يحجون إلى ذلك الجبل ويحملون إليه نذورهم، ويذكر القلقشندى أن السامرة هم أتباع السامرى الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله فى سورة طه (الآيات٨٥ -٩٧). المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٢٥؛ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٨١؛ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٧؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، ج٤، ص ٩٤.

اليهود؛ ذلك أن السامرى فى معتقدهم لا يطهر من هاتين العمليتين إلا إذا رش بعد عزله سبعة أيام برماد بقرة مقررة الصفات[١]، وقد اختلفت الآراء حول السامرة وأصولهم ومعتقداتهم؛ فالبعض يرى أنهم من اليهود بل هم اليهود الأصليون[٢] وينتسبون فى أصل أرومتهم إلى يوسف الصديق إلا كاهنهم فإنه ينتسب إلى لاوى، ويرى أصحاب هذا الرأى أن اليهود قد انشقوا عنهم وخالطوا الأمم الأخرى، ويعزون هذا الانشقاق إلى خلاف دينى نشأ بينهم وبين السامرة[٣].

أما الفريق الآخر فيرى أن السامريين ليسوا من اليهود ولا من أصل يهودى[٤]، وأنهم سُموا بهذا الاسم نسبة إلى أرض السامرة فى فلسطين، ويؤيد ذلك الكلام نص جاء فى سفر الملوك الثانى[٥] يقول: "وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوت وعوا وحما وسفارئيم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها"[٦].

والسامرة يستخدمون لغتهم العبرية القديمة فيما بينهم ويؤدون بها طقوسهم الدينية[٧]، ومن أصحاب هذا الرأى المقريزى الذى يقول؛ "اعلم أن طائفة السامرة

---

(١) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم، ص ١٢٥.

(2) S. Schechter, M.A., Littd.: Documnts of Jewish Sectaries, Cambridge, at the University Press,1910, p.24.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٩؛ البغدادى: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٤١.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، ج١٣، ص٢٧١؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٥؛ ابن هلال المقدسى: مثير الغرام بفضائل القدس والشام، مكتبة الطاهر إخوان، يافا، بدون تاريخ، ص٦٥؛ رئيسة عبد الفتاح طلب العزة: نابلس فى العصر المملوكى، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس فلسطين١٩٩٩م، ص٩٣ -٩٤.

(٥) سامى سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد ١٩٧٩ م؛ ص٢٢٤؛ جرجى زيدان: فلسطين: تاريخها وآثارها، مجلة الهلال، السنة ٢٢، ج٤، أكتوبر ١٩١٤ م، ص٣٤٩.

(٦) سفر الملوك الثانى: الإصحاح ٢٤/ الآية ١٧.

(٧) عبد الله عارف: مدينة نابلس، ص١٠٥، واللغة السامرية هى اللغة العبرية نفسها وتكتب بأحرف خاصة هى الأحرف السامرية المتفرعة من القلم الفينيقى؛ جرجى زيدان: فلسطين: تاريخها وآثارها، ص٣٥٠؛ ولهم كتابات خاصة ينقصها أربعة أحرف هى الحاء والهاء

ليسوا من إسرائيل البتة وإنما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ويقال إنهم من بنى سَامُرُك بن كَفْرَكا بن رُمَىّ.. ويدعون أنهم ينتهون إلى يوسف الصديق (عليه السلام).. وقد عرفوا باسم الكوتيين نسبة إلى كوتا"[1]، وتعنى بالعبرية الخارج عن الدين.

وينقسم السامريون إلى فرقتين إحداهما الدوسانية ومعناها الفرقة المتفرقة الكاذبة وتعتقد أن الثواب والعقاب فى الدنيا؛ والأخرى الكوستانية ومعناها الفرقة الصادقة وهى تقر بالآخرة والثواب والعقاب، وبين الفرقتين اختلافات فى الأحكام والشرائع[2]، وقد وجد بنيامين التطيلى أثناء رحلته نحو ألف عائلة منهم فى نابلس، ومائتين فى قيسارية وثلاثمائة فى عسقلان[3].

وللسامريين رئيس خاص بهم يقيم فى نابلس وهى المدينة المعظمة عندهم، ولديهم اعتقاد بأنهم إذا لامسوا غيرهم من الناس استوجب ذلك عندهم الاغتسال[4]، كما إنهم يحجون إلى جبل بنابلس يقع فى بلدة طورزيتا ويقدمون فيه قرابينهم التى يذبحون فيها الخرفان ويحرقون لحومها[5].

ومن هنا نرى أن المقولات التى كانت تمتدح تعدد الطوائف اليهودية وتدَّعى أنها بتنوعها تصل بالديانة اليهودية إلى الاكتمال إزاء الإسلام، لم تصل إلى هذا الأمر؛ فهذه الطوائف بدلا من أن تكمل اليهودية كمال الإسلام، باعدت بينها وبين الكمال، فتدنت اليهودية ولم تَرْقَ إلا إلى سفسطات بعيدة كل البعد عن التعاليم الإلهية التى نزلت على موسى (عليه السلام).

والعين والياء ويعوضون عنها بحرف الألف، بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين التطيلى، ص٩٧.

(١) المقريزى: تاريخ اليهود، ص١٢٣، ص١٢٥ -١٢٦.

(٢) الشهرستانى: الملل والنحل، ص ٢١٩ -٢٢٠؛ المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٢١، محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص٩٤٨؛ وانظر أيضا:
M.Gater: Samaritans, Encyclopedia de le Islam.vol.4,p.128 -134.

(٣) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين، ص٢٧٣.

(٤) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٢٦.

(٥) شيخ الربوة: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، اعتنى بنشره م.فرين ثم أغسطس مهرن، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، والجغرافيا الإسلامية، ، ص٢٠٠ – ٢٠١.

طبقات المجتمع اليهودى:

يربط ابن خلدون بين العمل الإنسانى وبين ارتفاع مستوى معيشة الفرد فيقول: " فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمتها فيما بين الناس فكثرت مكاسبهم ودعتهم أطوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأنق فى المساكن والملابس واستئجار الآنية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب"(١). وانطلاقا من هذه المقولة نحاول الوقوف على المستوى الاجتماعى الذى عاش فيه اليهود بمنطقة الدراسة، و استجلاء الطبقات الاجتماعية فيما بينهم ومكانة هذه الطبقات بين طبقات المجتمع المقدسى ككل.

وفى اعتقادى أنه من الصعب تقسيم اليهود تقسيما طبقيا ثنائيا أو ثلاثيا، أو خماسيا كما يجرى العرف فى التقسيم الطبقى؛ إذ إننا أمام جماعات متناثرة أجمع كثير من المؤرخين الإسلاميين واليهود على أنهم جماعات فقيرة، وهذا صحيح إلى حد ما؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى سياسة المماليك الإقطاعية التى كانت تعمد إلى إعطاء أصحاب الوظائف السيفية امتيازات تفوق بكثير ما يتمتع به أفراد المجتمع عموما، وهذا يفسر أن حالة الفقر التى يعانيها اليهود كانت عامة على كل طوائف الشعب من المسلمين والنصارى واليهود، ذلك أن السلطة المملوكية عمدت إلى سياسة مالية مجحفة أثقلت كاهل المواطن العادى بكثير من الضرائب والمفروضات، فضلا عن سياسة الاحتكار والرمى والطرح(٢).

على أية حال، يمكن القول إن اليهود فيما بينهم - بعيدا عن المجتمع المقدسى - شكلوا طبقتين، طبقة الأغنياء، وطبقة الفقراء، أما الطبقة الوسطى فلم يوجد لها أثر لا فى المصادر العربية ولا فى الوثائق العبرية والعربية؛ حيث أطلعتنا الوثائق العبرية على طبقتين: الفقراء والأغنياء من خلال شهادة اليهودى الحلاق الذى اشتكى من ظلم كبار اليهود وسياستهم المجحفة أثناء جمع ضريبة الحالوقاة، وأقر بأن الغِنَى الفاحش لم يكن إلا لدى كبراء اليهود فقط وكان عددهم بسيطا(٣).

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص٦٤٢.

(٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص ٢٩٢ .

(3) Schoessinger , Max: The Ritual of Elded Ha-Dani , Reconstructed, and Edited from Manuscript and a Genizah Fragment with Notes and Introduction and an Appendix on the Elded Legends, .p. 3.

بينما كان معظم اليهود يحترفون صغير المهن التى تدر عليهم أموالا قليلة تكفى مؤنتهم؛ لذا صنفهم مؤرخو العرب واليهود بأنهم من فقراء الناس.

دليلنا فى ذلك مشاهدات عوبيديا لمجتمع اليهود فى بيت المقدس وهى التى دونها فى رحلته؛ ففى موضع نجده يقول عن اليهود:" يوجد هنا سبعون أسرة من بين أربعة آلاف أسرة، وكانوا من أشد الطبقات التى تعيش فى القدس فقرا، وذلك تحت وطأة تضخم الضرائب، وتفاقم الأعباء على كاهلهم بفعل هؤلاء الشيوخ (يشير إلى تسلط كبار رجال الدين اليهود على فقرائهم) ونتيجة لذلك لم يتبقَّ بها سوى البائسين والنساء وذلك الذى هم مجرد بشر ليس له كنه سوى اسمه" (١).

وفى موضع آخر يقول :" ونادرا ما توجد أسرة لا تعوزها الاحتياجات الأساسية، حيث إن الأسرة التى يمكنها أن توفر الخبز طوال عام كامل يطلق عليها أسرة غنية."، وفى موضع ثالث يقول:" ومن بين الشعب اليهودى بالقدس يوجد عدد كبير من المسنين والأرامل اللاتى لا يجدن من يعولهن وهن من ألمانيا وإسبانيا والبرتغال وبلاد أخرى إلى الحد الذى يبلغ أن تكون عدد النساء بالنسبة للرجال سبعة إلى واحد"(٢).

وعلى الرغم من هذا كله تُظهر وثيقة عبرية شغف اليهود الموسرين باقتناء الجوارى، وكان بعضهم يعاملهن معاملة حسنة ويقوم برعايتهن اجتماعيا بعيدا عن ظاهرة البخل والشح الذى تميز به اليهود، ومن ذلك ما نجده فى إحدى وثائق الجنيزة من أن امرأة يهودية توصى زوجها وهى على فراش الموت بجاريتها فتقول له: "إن جاريتى قد قامت برعايتى فى مرضى هذا ومرضى السابق كما لو كانت أكثر من أمى أو أختى، والآن أرجوك ألا تبيعها أو أن يشتريها منك أحد وألا تهان بأى شكل من الأشكال"(٣).

وفى إشارة واضحة لأعمار الجوارى والعبيد من اليهود وإقبال الناس على شرائهم، نجد وثائق الجنيزة تشير إلى "ولع الناس بشرائهم فى سن صغيرة وتعليمهم وإتقان كل ما سوف يوكل إليهم تنفيذه من أعمال، فضلا عن تعليمهم كل ما يتعلق بشئون المنزل بما يتلاءم وطباع أهل المنزل وغرس التعاليم الدينية الخاصة بدياناتهم أو ديانة أسيادهم، والمحبب من الخصال" (٤)

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p. 229.
(2) Ibid, p.235.
(3) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol. 1, p.144.
(4) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol. 3, p.135 -136.

وعن العلاقات الاجتماعية بين اليهود في ظل هذا التقسيم الطبقي نجد اليهود يلجئون إلى الطبيعة التآزرية باعتبارهم أقلية؛ بمعنى أن اليهود كانوا يسكنون في أماكن متجاورة ولا يتناثرون بين سكان المدن الأصليين، كما أنهم دائما يختارون السكنى بالقرب من المعبد اليهودي الذي يقوم بدوره في تقديم الرعاية الاجتماعية لليهود فقد كانت ساحة المعبد مكانا لسكنى النساء، ولإيواء المسافرين والغرباء والمعوزين وأصحاب الاحتياجات الخاصة، ولنتأكد من هذا الأمر نرصد وصف الرابي عوبيديا لمكان سكنه الذي استقر به واستخدمه مستوطنا له في هذه المدينة المقدسة فيقول:" واتخذت منزلا بالقرب من المعبد تلاصق فيه الغرفة العليا جدار المعبد، وفي الساحة التي يقع فيها منزلي، يوجد خمسة من السكان كلهم نساء كما يعيش رجل أعمى هناك تقوم زوجته على خدمتي" (١).

عادات وتقاليد اليهود :

(أ) في الصلاة

اصطبغت حياة اليهود اليومية بالدين إلى الحد الذي جعل جميع تقاليدهم مقرونة بطقوسهم وشعائرهم الدينية، أكدت على هذا الأمر خطابات الطالب اليهودي، وقد رصد عادة خروج اليهود في جماعات إلى أماكن زيارتهم الدينية، واهتم اهتماما خاصا بتوضيح طقوس اليهود في الاستعداد للصلاة، ومن ذلك حرصهم على الاستحمام يوم الجمعة؛ حيث يذهبون للحمامات العامة وهذا تطبيقا لإلزام موسى بن ميمون لليهود بالاغتسال قبل الذهاب إلى المعبد(٢)، وعندما يعود اليهودي من الحمام تستقبله نساء بيته وقد أحضرن كئوسا من الخمر؛ حيث يشربون حتى الثمالة فيما بعد الظهر وحتى الليل، ثم يطلقون كلمة إيذانا ببدء تحضير وجبة عشاء يوم السبت، وعليه لا بد من أن يحضروا إلى المعبد في ثوب قشيب صبيحة يوم السبت، ومن الملاحظ تأثر اليهود بالمسلمين في مسألة التطهر والاغتسال يوم الجمعة قبل الصلاة خصوصا، واغتسالهم قبل الصلوات عموما فمن يدخل المعبد دون تطهر يعرض لعقاب شديد (٣).

(1) Obadia: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p. 248.
(2) Eliyahu, Ashtor: History of Jews, vol. II, p.373 – 374.
(٣) زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص٢٠١.

ومن عاداتهم المرتبطة بالدين عدم دخولهم المعبد بالحذاء، حتى ولو كان دخوله بغرض الزيارة فقط، وفى هذا تأثر بسلوك المسلمين عند دخولهم المسجد خاصة إذا عرفنا أن اليهود الربانيين كانوا يدخلون معابدهم بالحذاء [1] بينما لا يفعل ذلك القراءُون، مما أثار الرابى عوبيديا وجعله يسجل ذلك فى رحلته مع العلم بأن عوبيديا كان ربانيا.

وقد وصف عوبيديا طقوس صلاة اليهود فى القدس وداخل المعبد فقال:" يذهب اليهود إلى ساحة فضاء كبيرة فى وسط القدس قُبالة الحرم عن بكرة أبيهم للصلاة وعندما يدخلون المعبد يجلسون جميعا على الأرض المفروشة بالسجاد أو الحصير، ويقيمون صلاة المنشا يوم الجمعة بعد الظهر وقبل العشاء فى سرية، بادئين هذه الشعائر بالمزامير وإسداء الحمد والشكر للرب لمدة تبلغ ساعتين حتى يدركهم الغسق، وفى طريق العودة يرددون القاديش[٢] (הקדיש) وهم يأكلون كسرة من الخبز فى حجم الزيتونة ذاكرين فضل الله عليهم بعد تناول تلك الوجبات"[٣].

كما حرص عوبيديا على التركيز على التزام اليهود فى القدس بأداء جميع الصلوات؛ فهم يقومون قبل انبلاج صبح يوم السبت بساعتين لترتيل المزامير، حتى يدركهم الفجر، عندئذ يرددون القاديش، ويرصد حرص اليهود على قراءة الشريعة يومَى الإثنين والخميس[٤]، كما يقومون بقراءة "ببراشة" - جزء من أسفار موسى الخمسة - فى المعبد صبيحة يوم السبت[٥].

---

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.159.

(٢) القاديش: نوع من التسابيح الدينية اليهودية كان يتلى قديما قبل وبعد الصلاة، وهناك أربعة أنواع منه؛ القاديش القصير، ويتلى قبل أو بعد أجزاء معينة فى الصلاة، والقاديش الكامل وتختم به الصلاة اليهودية، والقاديش الحاخامى، ويتلى بعد الانتهاء من الدرس الدينى الذى يطلقه النجيد أو الحاخام داخل الكنيس، وقاديش الحداد، ويتلوه أقارب الميت. غازى السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٤م، ص٦٩؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥،ص٣٣٤. ومن الواضح التأثير الإسلامى على الجماعات اليهودية حتى فى ختم الصلاة بالدعاء والتسبيح .

(3) Obadiah: A Student's Letter, p. 91.

(4) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.236.

(5) Isaacs, Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews, published by Holdsworth ,Amen Corner, London,1836, pp. 14-19.
وقد أورد الكاتب جزءا من هذه الببراشة التى كانت تتلى فى المعبد فى صفحة١٩.

وكان على اليهودى القيام بثلاث صلوات كل يوم، صلاة الصبح (שחרית) وتدعى "شحاريت" وهى من الفجر وحتى ثلث النهار؛ وصلاة "منحة" (מנחה) ووقتها من نقطة الزوال إلى غروب الشمس، وصلاة "معاريف" (מעריב) من بعد غروب الشمس إلى الليل. وعلى اليهودى أن يطهر جسده قبل الصلاة ثم يلبس الطاليت[1]، والتفلين[2] وأن يغطى رأسه أثناء الصلاة[3]. وأوضح عوبيديا أن الصلاتين الأخيرتين كانتا تختزلان فى صلاة واحدة، وتكون قبلة اليهودى إلى موضع الهيكل، وأضاف يهود القدس صلاة أخرى هى صلاة "موساف" (מוסף) وهذا يعكس التيار الدينى اليهودى فى الأرض المقدسة[4]، وقد تجلى التأثير الإسلامى فى اليهود المقيمين بالقدس فى اتباع اليهود لعادة المسلمين فى الوضوء قبل الصلاة والتزامهم بسائر أركان الوضوء، نحو غسل الذراعين وما وراء الأذنين ومسح الرأس والاستنشاق، فضلا عن غسل الرجلين قبل الصلاة[5]، [5]، والسجود وَالجلوس على هيئة البارك، واستقبال القبلة وقت الجلوس، ووقوف

(١) الطاليت: من ملابس رجال المعبد، وهو عبارة عن شال ذى أهداب يرتدى أثناء الصلاة وقبل أن يرتدي اليهودي الطاليت، يتلو الدعاء التالي: "مبارك أنت يا إلهنا، ملك الدنيا، يامن قدستنا بوصاياك العشر وأمرتنا أن نلف أنفسنا بالرداء ذي الأهداب". ويوضع الطاليت، أولاً على الرأس، ثم توضع أطرافه الأربعة على الكتف اليسرى، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٩٥.

- Metzger , Therese – Metzger, Mendel: Jewish life in the Middle Ages: Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries,P.144.

(٢) التفلين: عبارة عن آيات وأدعية ذكرت فى سفر التثنية مكتوبة على الجلد داخل علبة صغيرة تربط بأشرطة من الجلد على اليد اليسرى للمصلى وعلى الجبهة، ويشير الكاتب إلى اختلاف اسم صلاة "معاريف" عند اليهود السفارد فيطلقون عليها اسم صلاة "عربت". النبوى جبر سراج، المعابد اليهودية ودورها فى حياة اليهود بمصر، شركة الإسلام مصر للطباعة، بدون تاريخ، ص٢٩ هامش٢.

(٣) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية، ص١٢٠.

(4) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro,p 241.

(٥) نفتالي فيدر: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ترجمة محمد سالم الجرح، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة٢٠٠١م، ص٩ – ١٢.

المصلين في صفوف، وبسط اليدين، وهذه العادات نقلت من المسجد إلى الكنيس[١].

ورصد كل من عوبيديا والطالب اليهودى صلاة أخرى يقوم بها اليهود فى أيام الصيام عند قبر النبى زكريا فى اليوم التاسع من شهر آب" أغسطس"ويقوم اليهود بتكرار عبارات الرثاء"[٢]، وهذه الطقوس مرتبطة بحادث سقوط أورشليم فى يد طيطش وذكرى تخريب الهيكل الأول والثانى[٣].

(ب) الزواج :

ذكر حاى بن شمعون فى كتابه " الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين" المادة ١٦ : " الزواج فرض على كل إسرائيلى"[٤]، ومن يعزف عن الزواج ويفضل المعيشة عزبا يُعَد ذلك إثما يستوجب غضب الله- سبحانه وتعالى- على بنى إسرائيل، لذا يعد الزواج واجبا دينيا على الرجل اليهودى، وقد أوضحت وثائق الجنيزة اثنى عشر سببا لضرورة الزواج وحماية الرجل من الخطيئة إلا أن هناك أسبابا ثلاثة رئيسة أكدت عليها وثائق الجنيزة المتاحة للدراسة، هى:

- إن الزوجة تصون زوجها وذكرت وثائق الجنيزة هذا المعنى بعبارة "تكون حائطا حول زوجها"[٥].
- إن الزوجة تغفر للزوج بالزواج منها خطاياه[٦] ويتطابق هذا السبب الذى ذكرته الوثائق مع ما جاء فى التلمود على حد قول جوايتين.

(١) موشيه مردخاي تسوكر: التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة، ترجمة أحمد محمود هويدي، مراجعة محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٤- ١٥.

(2) Obadiah: op. cit. , P. 241؛A Student's Letter ,P .102.

(٣) غازى السعدى: الأعياد والمناسبات، ص١٩.

(٤) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة روبن مسكوفيتش، القاهرة ١٩١٩م، مادة ٥٢، ص١٠٢.

(5) Goitein ,S.D. : A Mediterranean Society, vol.4 ,p. 145.

(٦) لم توضح الوثيقة أية خطايا تغفرها الزوجة للزوج، ولم تحدد زمنا لهذه الخطايا هل هى خطاياه قبل الزواج أم بعد الزواج، وفى اعتقادى أن المقصود بالخطايا هنا هى أخطاء الزوج

- إن الزوجة تكون سكنا للزوج فى منزله، ويتطابق هذا مع ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١).

ومن خلال استطلاعنا لبعض الوثائق وجدنا رسالة من أحد اليهود أرسلها لأحد أقاربه يذكره بأن قاضى اليهود يلومه لكونه عزبا بدون زوجة؛ مما جعله يفكر فى الزواج لإرضاء القاضى ووقفا لهذا الإلحاح ولو أن الزواج سيكون ضد رغبته لأنه يميل إلى حياة الوحدة(٢).

وكذلك الحال مع المرأة؛ فقد ورد فى وثائق الجنيزة أن السيدات اللاتى فى عمر الإخصاب لا يظللن بدون زواج، لذا فى إحدى الوثائق دُعِى لامرأة ولدت بنتا بأن يكون لابنتها عندما تكبر" بيت مبارك سعيد"(٣).

وتبدأ أولى خطوات الزواج بما يعرف بالخِطْبة (אירוסים) وتنطق (أوروسيم)، وفيها يتقدم الشاب الذى يريد الزواج بطلب إلى رئيس اليهود به اسمه وعمله وقيمة الدوطة (هدية الزواج) التى يستطيع تقديمها لعروسه، ولما ساءت أحوال اليهود فى الفترة محل الدراسة ألغيت الخطبة وأصبح الزواج تسبقه مرحلة تمهيدية يطلق عليها (شدوخين) (שדוכין) يُتَّفق فيها على قائمة الشروط – وتعرف باسم القنيان(٤)– وأهم هذه الشروط ما يعرف بغرامة العدول عن فكرة الزواج وتقدر عادة بنصف المهر(٥)، ولا بد من وجود وسيط للزواج يأخذ أجرا ثابتا وقد حدده الربانيون (بحَبْرٍ متخصص) أو قاضٍ شرعى(٦).

وعلى الأب تقع مسئولية اختيار الزوجات لأبنائه الذكور، والأزواج لبناته؛ وذلك لأنهم سيصبحون أحد أفراد أسرته، والاتفاق على الزواج كان يتم بين والدى

قبل الزواج فالمرأة إذا أحبت زوجها غفرت له ما سلف من أفعال أو أخطاء يكون قد ارتكبها قبل الزواج.

(١) (سورة الروم، الآية ٢١).
(2) Goitein , S.D.: A Mediterranean Society,vol.3 ,p.115.
(3) Ibid, p. 110 .
(٤) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مادة ٣٠، ص٣٥.
(٥) سفر التكوين: إصحاح ٢٤ /آية ٣، إصحاح ٢٨/ آية١ – ٢ .
(٦) سوزان السعيد يوسف: المرأة فى الشريعة اليهودية : حقوقها وواجباتها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥م، ص٧٧، ص٧٩.

الزوجين أو من يقوم مقامهما، وقد يختار الأب لابنه زوجته وأحيانا كان الابن يختار بنفسه وكان الأب يجيز اختياره. وقد تتم خطبة الفتاة منذ ميلادها، فإذا بارك أحد اليهود للأب وقال: "مباركة العروس" ورد عليه الأب بقوله: "على حبل يديك"، ورد المهنئ بقوله: "وأنا أقبلها" خطبت الفتاة فى هذا اليوم(١)، وهذا لا يمنع الأب من استشارة بناته قبل إتمام الزواج. وقد اختلف الربانيون مع القرائين إزاء حق البنت فى الموافقة على الزواج، فلم يعط القراءُون أى حق للفتاة فى الموافقة على الزوج على اعتبار أن نذور الفتاة معلقة شرعا على رضا أبيها(٢).

ثم تأتى المرحلة الثانية لإتمام الزواج وهى عقد القِرَان وتقديم الصداق أو المهر(٣)، وهو شرط أساسى لانعقاد عقد الزواج، وكان تحديد قيمة المهر يتم طبقا للعرف وتراضى الطرفين، وينبغى أن يكون المهر مما يجوز الانتفاع به وليس مما يحرم(٤)، وينقسم المهر إلى مُقَدَّم ومُؤَخَّر، ويعتبر الربانيون أن المهر مقدم لا مؤخر، أما القراءُون فهو عندهم مقدم ومؤخر، والمقدم عندهم هو ما يدفع عند الخطبة، أما المؤخر فينص عليه فى العقد ولا يدفع إلا فى حالة الطلاق، أو موت الزوج(٥)، وقد ظهر هذا فى إحدى وثائق الحرم القدسى المؤرخة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، حيث بينت قيمة الصداق المؤجلة لزوجة إسحق بن شموئيل وتدعى سمحة ابنة يهودا وقيمته ستون أفلورى(٦) ذهب، استحقتها بعد وفاته،

---

(١) أحمد على مرسى، فاروق جودى: الفلكلور والإسرائيليات، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٨٤-٨٥.

(2) Encyclopedia Judaica: vol. II , p.1050.

(3) Mordechai A. Friedman: The Minimum Mohar Payment as Reflected In The Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge?, Proceedings of the American Academy for Jewish Research, vol. 43 (1976), pp.(15-47).

(٤) مراد فرج: القراءُون والربانيون، ص٧٤، وينبغى ألا يكون المهر خمرا فى عيد الفصح، ولا ثورا مرجوما، ولا قرابين الشرك بالله، ولا يكون من الأشياء المقدسة كقرابين بيت المقدس، أو الأموال المخصصة للكهنة فى المعبد.

(٥) سوزان السعيد يوسف: المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، ص٨٠.

(٦) عملة ذهبية إيطالية يطلق عليها flori من كلمة florino الإيطالية وهى نوع من النقود ضرب فلورنسا، وكثر استعمالها وتداولها زمن الدولة المملوكية نظرا لأن الدنانير المملوكية لم يكن لها عيار أو وزن ثابت بالإضافة لكثرة الزغل فيها. سليم عرفات المبيض: النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩م، ص٢٠٧، كامل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤١ هامش٤.

وقيمة هذا الصداق قد تعكس الطبقة الاجتماعية التى كان يندرج تحت تصنيفها هذا اليهودى وأسرته؛ حيث يمكن وصفهم بأنهم من فقراء اليهود فى القدس الشريف[1]، ذكرت الوثيقة أيضا المستحقين للميراث بعد وفاة إسحق وهم زوجته سمحة وأمه دوسة بنت سلتين، ولم تذكر ولده إن كان يستحق الإرث أم لا بعد ولادته حيث كانت أمه حاملا أثناء حصر التركة. وقد عكست الوثيقة أيضا أصولهم غير العربية التى انحدروا منها حيث نعتهم حاصر الإرث بأنهما من اليهوديات الإفرنجيات وغالبا كانتا من اليهود الفرنسيين. ويمكننا أيضا أن نستدل من الوثيقة على جواز أن يتصاهر اليهود الأشكناز من اليهود السفرديم.

وإذا عدنا إلى الوثائق العبرية نجد أن قيمة المهر تتراوح بين مائة زوز (مائة درهم فضية) للمطلقة أو الأرملة، ومائتي زوز (مائتى درهم فضية) للبِكْر[2].

---

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤٢.

(2) Mordechai A. Friedman: The Minimum Mohar Payment as Reflected In The Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge?, vol. 43, p. 29.

- Mann, Jacob: Texts and Studies in Jewish History and Literature, p. 431.

ورود كلمة زوز فى الوثيقة هو تأثر بما ورد فى سفر الخروج إصحاح ٢٢، آية ١٦؛ عن قيمة المال الذى يقدم للعروس، وقد فسر المقدسى كلمة (زوز المذكورة فى النص العبرى) على أنها درهم وعند الكشف عن الكلمة فى قاموس ابن شوشان العبرى وجدنا أنها تساوى دينارا، على أن النص الوارد فى الوثيقة يذكر أن قيمة المهر ٢٠٠ زوز فضية، وعليه يكون تفسير المقدسى هو الأصوب وليس تعريف ابن شوشان؛ المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص١٤٥، ابن شوشان، دار كيريات سيفر، القدس، طبعة ٨، ص٢٠١، ومن خلال مطالعتنا لعدد من وثائق الزواج التى تنتمى لفترة العصور الوسطى وردت العملات الآتية(דרכמון) وتنطق درخما، وقد عُربت إلى درهم، (גרה) وتنطق جيرة وهى عبارة عن عملة صغيرة كانت تستخدم قديما فى فلسطين وتساوى واحدًا على عشرة من الشيكل، (שקל) وتنطق شيكل وهى وحدة وزن فضية أو ذهبية كانت تستخدم فى عصر الهيكل الأول، (פרוטה) وتنطق بيروتا وهى عملة صغيرة تساوى⅛ من الإيسار الإيطالى وتعادل واحدًا على أربعة وعشرين من الدينار.

Schlanger, Judith Olszowy: Karaite Marriage Contracts from the Cairo Geniza: Legal Traditions and Community Life in Mediaeval Egypt and Palestine, Brill. Hardback, United Kingdom,1997,vol.2,p.80.

د. ليلى أبو المجد: الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط، ص٢٠٦، ولكننا لم نر كلمة زوز إلا فى هذه الوثيقة ولعلها كما فسرها المقدسى وإن كان متقدما كثيرا عن فترة الدراسة ولكننا لم نجد تفسيرا لها سوى عنده.

وفى بعض الوثائق العبرية التى تصف حياة اليهود فى القدس نجد أن العروس تتعهد للعريس بأن تقوم على خدمته[1]، ومن خلال فحص الوثائق تبين أن عقود الزواج التى تسمى كتوباه (כתובה) كانت تتضمن قوائم تحوى ما يجهز به الأب ابنته من ملابس وحلى ومتاع؛ بالإضافة إلى بعض المطالب والشروط على الزوج أن يتحملها مثل: المهر، وتكاليف الزواج، وأدوات المنزل، وهدية عقد القران التى تعرف باسم (קידושך قاديشين) وعادة ما تكون خاتما ويهديه العريس فى احتفال رسمى بحضرة شاهدين شرعيين قائلا لعروسه بالعبرية :" تقدستِ لى زوجة بهذا الخاتم"[2]، ثم يوقع الحاخام بالكنيس على عقد الزواج[3].

وعن قائمة جهاز العروس ذكرت لنا الوثيقة العبرية المكتوبة بالعربية اليهودية المؤرخة بتاريخ (٨٠٤هـ/١٤٠١م)[4] تفاصيل هذه القائمة التى كانت تضم وصفا تفصيليا لملابس العروس ولون كل زى ونوع نسيجه وثمنه ومم يتكون، فقد كان الزى الواحد يتكون من ثلاث أو أربع أو خمس قطع. إن وثائق الجينزة التى تحوى قوائم جهاز العروس تعكس أهمية كبيرة، فهى:

١- تعكس لنا المستوى الاقتصادى الذى كان يتميز به اليهود فى منطقة الدراسة.

---

(1) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol. III, p. 214.

هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية من الفتح العربى وحتى العصر الأيوبى، ص٢٢٥.

(2) Mordechai, A. Friedman: The Minimum Mohar Payment as Reflected In The Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge?,vol.43, p.33.

(٣) حاى بن شمعون: كتاب الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مادة ٥٦، ص١٨.

(4) Gotthil: Fragments from the Cairo Genizah in the freer Cllection, pp.178-182.

تناولت الدكتورة محاسن الوقاد هذه الوثيقة بالدراسة فى رسالتها للدكتوراه بعنوان " اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة"، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٩٦م، وقد ردتها إلى يهود مصر على الرغم من أن الوثيقة غير محددة المكان كما أنها ردتها إلى عام(٩١٧هـ/١٥١١م) على الرغم من أن التاريخ مذكور داخل الوثيقة فهى مؤرخة بيوم الأحد ثامن شهر (טֵבֵת) وتنطق طيفيت أو طيبت عام(١٤٠١م) وهو يوافق شهر ديسمبر فى الشهور الميلادية، وعليه يمكن للباحثة الاعتماد عليها كشاهد على مكونات قائمة الزواج لدى اليهود .

٢- تعكس لنا تسامح السلطة المملوكية وتساهلها فى تنفيذ فرمانات التزام اليهود بألوان معينة فى لباسهم، فقد وجدنا الوثيقة تصف ألوان زى العروس أنها تحوى ألوان الأحمر والأصفر والأبيض والأرجوانى، والأزرق، والأخضر، والرمانى، والمشمشى، والقرمزى، بينما وجدنا فى وثائق أخرى أنه على العروس أن يضم جهازها الإزار الذى يغطى جسمها كله على أن لا يكون من الحرير. والواضح من هذه الوثيقة أنها تعكس فترة قوانين الحد من البذخ والإسراف فى الزى وقد كان هذا الأمر بعد صدور فرمانات (٧٠٠هـ، ٨٢٢هـ، ٨٦٧هـ)؛ ولعل هذه الوثيقة كانت لفتاة من أسرة يهودية تلتزم بالقوانين.

٣- تُعد الوثيقة مصدرًا مهمًا لمعرفة زى المرأة اليهودية، وأثاث منزلها الذى كان يتشابه إلى حد كبير مع ملابس المرأة المسلمة وأثاث منزلها فى منطقة الدراسة، ومن تلك الملابس العصابة، والمعجر[١]، والثوب، والنقاب، والمعرقة[٢]، والجوخانية[٣] مما جرى به القلم (أى به خطوط طولية ذهبية)، ومن الأثاث ذكرت الوثيقة اللحاف، والمرتبة، والصرداق القلاوونى[٤]، والشرحبية، والسطل[٥]، والطست[٦]، والسفل (الفنجان)؛ والمكيال، والشمعدان الذى ينار به[٧]، وهذا يعكس تأثر اليهود بالمجتمع الإسلامى الذى الذى يعيشون فيه.

وعادة ما تُستَهل عقود الزواج بذكر الله، فنجد عقد زواج بين اثنين من اليهود القرائين فى القدس فى القرن الخامس الهجرى استهل بعبارة: " باسم الله الحى"،

---

(١) المعجر: ثوب تعتجر به المرأة أى تلف به وهو أصغر من الرداء وقيل المعجر طاقية أو عمامة للرأس .المقريزى : السلوك، ج١، ق٢، ص٥٠٣.

(٢) المعرقة: هى الكوفية التى تلف على الرقبة فى الشتاء عند أهل العراق.، رينهارت دوزى: معجم الملابس، ص٢٩٩ .

(٣) الجوخانية: ثوب ترتديه المرأة فوق الثياب التحتانية، وقد يرتديها الرجال، رينهارت دوزى: المرجع السابق، ص٢٩٩ .

(٤) الصرداق: فسرته د/ ليلى أبو المجد بأنه إما السرير، أو الأريكة والقلاوونى نسبة إلى السلطان قلاوون . ليلى أبو المجد: الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط الجنيزة القاهرية دراسة لغوية، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٧م، ص٣٦٦ .

(٥) السطل: إناء من نحاس له عروة يحمل بها . ليلى أبو المجد: المرجع السابق، ص٣٦٨.

(٦) الطست: إناء من نحاس يستخدم لغسل الأيدى فيه . ليلى أبو المجد: المرجع السابق، ص٣٦٨.

(7) T.Sh. Box As, 147 -284 - f.

بينما استهلت عقود زواج الربانيين بعبارة: "باسم عظيمنا" أى باسم الله العظيم، إلا أن جوايتين ذكر أن استهلال العقود بهذه العبارات كان حتى القرن الحادى عشر الميلادى، (الخامس الهجرى)، لكنها لم تعد تُفْتَتَح باسم الله فى القرون التالية؛ وقد أوضح السبب فى ذلك بأن عقود الزواج كان يتم تمزيقها إلى قطع صغيرة إذا طلقت الزوجة أو مات زوجها وبعد أن تأخذ حقوقها المذكورة فى وثيقة الزواج؛ لذلك حذف اسم الله سبحانه وتعالى لتجنب احتمال التدنيس بعد تمزيق الوثيقة[1].

ويذكر أيضا فى عقد الزواج أنساب العائلتين (أنساب الزوجة وعائلتها) و(الزوج وأنساب عائلته)[2] وينص فى العقد على حالة المرأة، فإذا كانت عذراء يكتب فى العقد أنها عذراء رشيد، ولو ادعى رجل كذبا أن زوجته لم تكن عذراء يحرم عليه طلاقها إلى الأبد[3]، وإذا كانت مطلقة فى يوم عيد تكتب فى العقد צליצה (وتنطق صليصاه)، وإذا كانت مطلقة عموما تكتب מתרכתה (متركتاه)، وإذا كانت بَغِيًا أو مغتصبة تكتب סתאם (ستام) بمعنى غامض[4]، وقد كانت الزوجة تشترط على زوجها ألا يتزوج بغيرها وإن فعل فلها الحق أن تطردها من المنزل إذا لم تعجبها، ولها الحق فى اختيار منزل الزوجية والتصرف فى ممتلكاتها الخاصة[5].

---

(1) Gotthil: Fragments from the Cairo Genizah in the freer Cllection, pp.178 -182.
هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية من الفتح العربى وحتى العصر الأيوبى، ص٢٢٣.

(2) Gotthil : Fragment from Cairo Genizah in the Freer Collection ,pp. 178 - 182. Hirschberg, H.Z.(J.W.): History of North Africa,vol.1, p.433.
وقد ذكرت الوثيقة التى أوردها جوتهيل اسم العريس ونسب عائلته ويدعى يهودا بن شلومو بن الرابى مائير والعروس ونسب عائلتها وتدعى دولسا بنت الرابى يسحق بن يوسف، ثم أكملت الوثيقة قيمة ذهب العروس وقائمة زواجها وما تحتويه من ملابس وبسط وأثاث.

(٣) سفر التثنية: إصحاح٢٢/آية ١٢ -١٣.

(٤) سوزان السعيد يوسف: المرأة فى الشريعة اليهودية، ص٩١.

(٥) جوايتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى و النظم الإسلامية، تعريب عطية القوصى، وكالة المطبوعات، الكويت١٩٨٠م، ص٢٠٤ -٢٠٥؛ عرفة عبده على : يهود مصر منذ عهد الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين٢٠٠٠م، ص٢٣٣- ٢٣٤؛ ليلى أبو المجد: عقد الزواج عند اليهود(كتوبا) وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى، حوليات كلية الآداب، القاهرة، مج٢٤، لسنة١٩٩٥ -١٩٩٦م، ص٦١- ٦٢.

وتأتى المرحلة الثالثة والأخيرة لإتمام الزواج وهى (الزفاف). وعن طقوس الاحتفال بالزفاف أخبرنا الرابى عوبيديا بكثير من تفاصيله إذ أقيم أحد الاحتفالات بالقرب من محل إقامته فيقول: "تجمع اليهود وجاء العريس راكبا صهوة فرس والعروس كذلك، ثم تحلق اليهود حولهما حاملين المشاعل وبدءُوا فى التهليل"[١].

ولإتمام الزواج كان لا بد من شرطين: أحدهما حضور وكيلين عن العروسين، وثانيهما عقد صلاة البركة بالكنيس بمباركة الموثق للزوجين ثم تتلى البركات السبع. وعادة ما يبدأ الاحتفال بالزواج فى اليوم السابق له حيث يذهب العريس مع أصدقائه وأقاربه ووالده فى موكب إلى منزل العروس؛ لإحضارها فى فرحة غامرة وجو من الصخب والرقص والغناء والضرب على الدفوف والطبول[٢].

أما العروس فتقوم أمها بعمل مجموعة من الترتيبات تأخذ شكلا طقوسيا مقدسا نظرا لخوفها من تعرض العروسين للأذى والشرور [٣]، إلى جانب ذلك تقوم أم العروس يوم الخميس بإحضار حناء وتقوم بصبغ شعر ابنتها وتباركها وتتمنى لها مستقبلا طيبا، وتظل العروس هكذا حتى يتم الاستحمام الذى يمثل الشعيرة الرئيسة للطهارة يوم الثلاثاء بعد الظهر وفيه يتم عمل مجموعة من الممارسات السحرية بهدف حماية العروس من القوى الشيطانية الحاقدة على سعادتها، ثم يأتى العريس ليأخذها عشية يوم الثلاثاء[٤].

وفى ظل التسامح الدينى الذى أغدقته السلطة المملوكية على اليهود بوصفهم أهل ذمة، تركت لهم الحرية فى إقامة مثل هذه الاحتفالات وسمحت لهم بركوب الدواب فيها على الرغم من وجود المراسيم [٥] التى تمنع ركوب أهل الذمة للخيول، ولا يخفى تأثر اليهود الواضح بمراسم الزواج لدى المسلمين.

وقد عرف عن اليهود نوع من الزواج يطلق عليه زواج יבום (اليبوم)، وهو عبارة عن زواج الأرملة من أخ الزوج المتوفى وقد أوجبت ذلك الشريعة

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah ofBerteanouro, p. 247.
(2) Mordechai A. Friedman: The Minimum Mohar Payment as Reflected In the Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge?, vol. 43,p.32.
(٣) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص٨٢ – ٨٣.
(٤) حاييم زعفرانى: المرجع السابق، ص٨٤.
(٥) سبق الحديث عن هذه المراسيم فى الفصل الأول.

اليهودية، وإذا أنجبت الأرملة من هذا الزواج فإن الابن ينسب لأبيه المتوفى وليس للزوج، وإذا رفض الأخ هذا الزواج يحق للأرملة أن تخلع نعله من قدمه وتضربه به، وتبصق فى وجهه أمام شيوخ اليهود ويدعى بينهم (بمخلوع النعل)(١).

ومن المهم فى هذا السياق أن نرصد حالة من الزواج بين اليهوديات والمسلمين؛ فقد رصدت لنا المصادر المُعرَّبة زواج السلطان سليمان القانونى من روكسلانة، وهي يهودية من روسيا اتخذت في القدس عام (٩٥٩هـ/١٥٥١م) تكية مهمة هي تكية خاصكي سلطان(٢).

وعن تعدد الزوجات وجدنا الشريعة اليهودية تجيز هذا الأمر، ولكن بضوابط معينة؛ كأن تكون الزوجة مريضة مرضا طويلا، أو عقيما لا تلد، بينما حرمه الفقه اليهودى فى القرن الثالث عشر الميلادى لما شاع أمر تعدد الزوجات بين اليهود فقد أصدر الحاخام المفسر "جرشوم بن يهودا" تشريعا بتحريم تعدد الزوجات فى عام (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)(٣)، وعليه صدرت القوانين التى تعاقب من يتزوج زوجة ثانية، ويمكن اعتبار مثل هذا الأمر سببًا رئيسًا فى قلة أعداد اليهود الموجودين بمنطقة النيابة إذ إن فرصة تعدد الزوجات تتيح بالضرورة فرصة لزيادة النسل، وهذا لم تتحه القوانين والتشريعات اليهودية فى فترة الدراسة، وعلى الرغم من ذلك كان هناك من اليهود من يتحايل على التشريع وعلى القوانين الموضوعة ويتزوج أكثر من واحدة بدون أسباب منطقية لتعدد الزيجات ؛حيث وجد الرحالة ناحوم بعض الربانيين اليهود يتخذون أكثر من ثلاث زوجات، ورصدت وثائق الجنيزة حالة فتاة يهودية قام المماليك باغتصابها وتقدم أحد اليهود للزواج منها واشترط عليها أن لا تعترض إذا هو تزوج بغيرها(٤)، وهو ما يؤكد أن أقوال رجال الدين اليهود وفُتْيَاهم لا يمكن أن تكون مساوية، أو حتى معبرة عن الواقع التاريخي.

---

(١) سفر التثنية: الإصحاح٢٥، آية ٥-١٠ .

(٢) كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص٥٢٨، وقد شملت هذه التكية مسجدًا ورباطًا ومدرسة وخانًا ومطبخًا يزود طلبة العلم والمتصوفين والفقراء بوجبات مجانية تقربا إلى الشعب المقدسي.

(٣) سوزان السعيد يوسف: المرأة فى الشريعة اليهودية، ص١٠٠.

(4) Slouschz , Nahum: Travels In North Africa , p. 432.

(ج) فى الطلاق:

لم توضح لنا المصادر العربية أية تفاصيل عن أسباب الطلاق لدى الجماعات اليهودية، بينما ذكر جوايتين أن هناك العديد من وثائق الجنيزة التى تمثل عقود الطلاق ويطلق عليها بالعبرية وفى التوراة (سفيركيرتوت) وفى التلمود (גט) (جيط). فمن خلال كلام جوايتين يتضح أن الطلاق يتم بين الزوج والزوجة لوجود داعٍ له، كأن يكون فى أحد الزوجين عيب واضح ولم يتم الإفصاح عنه قبل الزواج، أو يكون الزوج دائم الهجر لبيت الزوجية ولا يقوم بمتطلبات الأسرة، أو تزوج بامرأة أخرى دون موافقة الزوجة الأولى، من ذلك ما ورد فى إحدى الوثائق[١] من أن زوجة طلبت التطليق من زوجها لأنه تزوج بأخرى، وعليه تم تحرير عقد الطلاق وكتبت وثيقة الإبراء التى تنص على أن الزوجة قد حصلت على جميع حقوقها ومنها مؤخر الصداق، ولا يمكن للمرأة أن تتزوج ثانية إلا بعد تقديم هذه الوثيقة، كما أجازت الشريعة اليهودية للزوجة حقَّ الطلاق من زوجها إذا ذهب لماخور وزنا ببغيٍّ[٢].

ووجدت وثيقة فى مجموعة تايلور وشختر توضح شكوى إحدى الزوجات لصديقتها من كثرة تكرار غياب زوجها وسفره الدائم؛ مما يجعلها تفكر جديا فى الطلاق منه واسترداد قيمة المهر (واعتقد أنها تقصد مؤخر الصداق) إذا فكر فى السفر لتركيا؛ لأنه بذلك سيتخلى عن زوجته وابنته وزوج ابنته[٣].

وتتم مراسم الطلاق فى الكنيس بحضور الزوجين وشاهدين أمام القاضى الشرعى، ويسلم الرجل وثيقة الطلاق إلى مطلقته قائلا لها:"تسلمى وثيقة طلاقك فأنت طَلِقَة[٤] وصرت حِلاً لغيرى"[٥]. وأمام الشهود تعلن المطلقة استلمها

(1) Goitein, S.D.: A Mediterranean Soceity,vol.3, p.66.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، مج ٢، ص ٢٢٢.

(3) Mordechai A. Friedman: The Minimum Mohar Payment As Reflected In The Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge?, vol. 43, p.20, T.S. Boxj. 3f 27

(٤) وردت كلمة (طلقة) فى النص العبرى وهى تعنى (طالق) أى أن المرأة أصبحت حرة وتستطيع الزواج بآخر.

(5) T.S. Box j. 3f 29 , Cambridge .

مستحقاتها وهو ما يُسمى بالإبراء[1]. ومن طرائف وثائق الجنيزة وثيقة طلاق لزوجة من زوجها الأخرس، والوثيقة غير مؤرخة وقد ورد فيها الآتى: " فى يوم كذا نحن الموقعين فى حضور ثلاثة كشهود، وبوجودك أنت أمامنا..أشِرْ بطلاق..، وعندما أشار لنا كتبنا لها وثيقتها لتصبح مطلقة طلاقا كاملا وتصبح مسئولة عن نفسها، ويمكن أن تنسب إلى أى إنسان تختاره ولا سلطان عليها من اليوم وإلى الأبد، وأصبح مسموحا لأى إنسان أن يتزوجها حسب شريعة موسى وإسرائيل"[2]. وختمت الوثيقة بشهادة شاهدين على الرغم من أنه منصوص بداخلها على وجود ثلاثة كشهود.

وفى نهاية العصر المملوكى وبداية الفترة العثمانية، ذكر كوهين أن حياة اليهود الاجتماعية تكاد تقترب من حياة المسلمين الذين يعيشون بينهم لدرجة أنهم أصبحوا يحلفون على أداء بعض الأعمال أو النذور، وإن لم يفعلوا فستكون زوجاتهم طالقاتٍ طلاقا بائنا، وقد رصد كوهين عدة حالات لذلك منها حالة اليهودى صمويل بن أبى جوكير- كان جزارا - الذى أقسم أن يبيع جميع اللحم الذى عنده لكل اليهود حتى المتحولين منهم للإسلام وإن لم يفعل فستكون زوجته طالقا، ولكنه لم يفِ بقسمه لذلك اضطر لطلاق امرأته، وهناك اليهودى يعقوب بن يوسف الذى أقسم أن يطلق امرأته طلاقا نهائيا[3] إذا لم يستطع الوفاء بما عليه، ولم يحدد كوهين ما على اليهودى: أهو دَيْن أم ماذا؟

(د) فى الوفاة:

بالغ اليهود فى إظهار الحزن على موتاهم، فكانت لهم طقوس لا يتخلف عن أدائها كل من أصيب بهذا الأمر خاصة إن كان المتوفى شخصا محبوبا؛ فقد كان لليهود عاداتهم فى الحزن ومنها الصيام، وإثارة الصخب فى أحزانهم وشق

وانظر أيضا حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص٩٩ – ١٠١.

(1) Goitein ,S. D.: A Mediterranean Society,vol.3,p. 267.

(2) T.S. Box .3 f 30, Cambridge .

- تعتقد الباحثة أن الوثيقة السابقة هى نموذج لوثيقة طلاق كانت موجودة بالكنيس تستخدم فى مثل حالات الطلاق هذه، وذلك لأن الوثيقة لم يذكر فيها اسم الزوج أو الزوجة أو حتى أسماء الشهود.

(3) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam, p.131.

الثياب، ودق الصدور وغمر أنفسهم بالرماد وارتداء المسوح المصنوعة من نوع خشن غليظ من النسيج[١] يطلق عليه ملابس الأسد، وعدم حلاقة الشعر لمدة شهر، وعدم لبس ملابس مزركشة لمدة شهر بالإضافة إلى العويل لمدة ثلاثة أيام واستمرار أيام الحداد لسبعة أيام[٢]، ومن يموت ولا وارث له تئول تركته إلى ديوان المواريث الحشرية، ففي عام (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) في عهد السلطان جقمق؛ آلت إحدى الدُّور التي كان يمتلكها شخص يهودي بعد هلاكه إلى بيت المال؛ لأنه "لم يترك ولدا ولا أسفل من ذلك، ولا عاصبا ولا من يحجب بيت المال عن استحقاقها"[٣].

وقد قام جوايتين بإيراد عدة وثائق غير مؤرخة تشير إلى ذلك الحدث الجلل لدى اليهود الذي عُبِّر عنه في إحدى الوثائق بأنه " الأجل المحتوم" [٤]، ومن خلال استطلاع الوثائق يتضح أن اليهود يقومون بمجموعة من الترتيبات من منطلق الحِرْص الشديد من الرجال عندما يشعرون بمرض قد يخشى منه الموت على أن يتركوا لذويهم ما يَضْمنون لهم به حياةً كريمة، خصوصًا إذا كان الزوج لم ينجب من زوجته، أو يكون بلا وريث من الأبناء، أو لم يستغرقِ الورثة الإرث كله، وخوفا من أن بيت المال والمتمثِّل في ديوان المواريث الحشرية، سيحصل على نصيبٍ أكبرَ من التركة، فكان الرجل منهم إما أن يعمل حصرًا بموجوداته قبلَ الوفاة على يد أحد قُضاة الشَّرْع اليهود (الديَّانين) والشهود أو قضاة المسلمين، ويثبت أنَ تَرِكته مَدِينة لزوجته، وأنَّ لها في ذمَّته مبلغ كذا، كمؤخَّر صداق، أو أن يقوم ببيع كلّ ممتلكاته لها، أو يوقفها عليها، أو على أخته أو أمه، أو ابنته أو جاريته.

لذلك كان الرجل يعمد إلى :

١- كتابة وصيته، التي عادة كانت تتضمن إبراء ذمة صاحب الوصية من الديون، واستيفاء التزاماته تجاه زوجته ويُقْصَد بها مؤخر صداقها، ومكان الدفن، والنعش الذي سيحمل فيه، وملابس الكفن التي تليق بمقابلة الرب. وقد

---

(1) Obaidia: The travel letter of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.222.
(2) Goitien,S.D.: A Mediterranean Society, vol II., p.165.
(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ج١، ص١٠٢ - ١٠٣.
(4) Goitein , Shelomo Dov: Dispositions in Contemplation of Death: A Geniza Study, Proceedings of the American Academy for Jewish Research, vol. 46/47, Jubilee Volume (1928-29 / 1978-79) [Part 1] (1979 - 1980), pp. 155-178, American Academy for Jewish Research, p.157.

ذكرت إحدى الوثائق مكونات ملابس الكفن، وهي تحتوى على ثوب من الكَتَّان له قَلَنسُوة وعباءة يقدر ثمنهما معا بـ٢٥؟ دينارا، في حين أوردت وثيقة أخرى[١] ملابس الكفن وحددتها بأنها عباءتان، وثلاثة أرواب، وعمامة من كتان جيد، وملابس داخلية، وحزام وسط جديد. ومن الواضح أن الملابس الأولى كانت تخص امرأة، والأخرى كانت تخص رجلا؛ فقد تختلف ملابس كفن الرجل عن ملابس كفن المرأة لدى اليهود. وفي إحدى الوثائق العربية المؤرخة بتاريخ (٧٨١هـ/١٣٧٩م)[٢] أثبت المتوفى أن تركته مَدِينة لزوجته، حيث أقر:" أنَّ مؤخَّر صَدَاق زوجة موسى (من الدراهم الفضة معاملة يومئذ ثلاثمائة درهم وستين درهمًا، نصفها مائة درهم وثمانون درهمًا، وذلك صَدَاق الزوجة دَيْنًا على موسى المذكور)، وتمَّ بيْع تَرِكته بمبلغ ٢٦٢ درهمًا، وإذا وضعنا في الاعتبار تكاليف تكفينه ودفنه ومصاريف الجنازة، تكون التركة مدينةً بمبلغ كبير للزوجة. وفي إحدى الوثائق المقدسية رقم ٣٣٥ مؤرخة سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)[٣] نجد شكوى رَفَعَها شيخُ المغاربة محمد بن عبد الوارث المالكي إلى كافل السلطنة في دمشق، مضمونها: أنَّ يهوديًّا مات في مدينة القدس فسارع الوالي، وهو المسئول عن الشُّرطة إلى الخَتْم على بيته؛ (أي الحجز)، تمهيدًا لنقل موجودات بيته مِن تَرِكته إلى بيت المال غير مدقق بالطريق الشرعي بوصية الرجل، أو البحْث عن ورثته، وعندَ ذلك جاء اليهودُ إلى شيخ المغاربة عَلَّه ينجح في رفْع ختم الوالي؛ لأنَّ اليهوديَّ الميِّت تَرَك وصية شرعيَّة، ولكنَّهم لا يستطيعون إثباتها؛ لأنَّ المستحقَّ لإرثه كان في السِّجن عندما مات اليهودي، ويتعذَّر معه إثبات الوصية، ولما لم يستجب الوالي لذلك، حرَّر شيخ المغاربة رسالتَه إلى كافِل المملكة في دمشق، وطلب إليه أن يبعث بكتابين إلى القاضي الشرعي في القُدس الشريف، وإلى نائِب السَّلْطنة؛ لينظرَا هذه الشكوى، ويُنصفَا اليهودي. وهذه الوثيقة تثير عدة تساؤلات أمام الباحثة : لماذا لجأ هذا اليهودى لشيخ المغاربة بالذات كى يساعده فى حل مشكلته؟ ألأنه كان على علاقة ودية بهذا اليهودى، أم أن

(1) Goitein, Shelomo Dov: Dispositions in Contemplation of Death: A Geniza Study, p.165.

(٢) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج١، ص١١٣، وثيقة رقم ٢٠٥.

(٣) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص٢٧٠- ٢٧٢.

اليهودى كان مغربي الأصل واعتقد أن شيخ المغاربة سوف ينتصر لبنى جلدته حتى وإن كان يهوديا، أم لأن اليهودى رشا شيخ المغاربة؟ لا ندرى لأن المصادر العربية سكتت عن توضيح هذا الأمر، ولكن التفسير الأقرب للصحة فى حالة هذه الوثيقة أنها تدل على مدى الحرص الذي كانتْ تُوليه الدولة لتحقيق العدالة، وحماية أهل الذِّمَّة، وتُفيد أنَّ أهل الذِّمَّة كانوا كثيرًا ما يلجئون إلى كِبار مشايخ المسلمين؛ للتوسُّط لهم لَدَى السلطات الحاكمة، أو لرفْع أيِّ ظلم قد يقع عليهم دلالة على التسامح الدينى الذى كان ينعم به اليهود فى ظل الحكم الإسلامى.

٢- يعمد بعض اليهود الموسرين إلى تخصيص جزء من أموالهم التى تركوها، أو أموالهم كلها إذا لم يكن لهم وريث، للأعمال الخيرية الخاصة بالطائفة. وقد أورد جوايتين وثيقتين[1] من هذه الشاكلة إحداهما كتبها طبيب يهودى يوصى فيها بأمواله لزوجته. ومن الواضح أن هذا الطبيب لم يكن لديه سوى الزوجة، والأخرى لأحد التجار الذين كانوا يبيعون السكر، وقد أوصى بمبلغ (٥٠٠) دينار، ومبلغ (٢٠٠) دينار تخصص للأعمال الخيرية. وقد كتب هذا اليهودى المبالغ على شكل رموز حتى لا تفطن السلطات الحاكمة لها فتصادرها لصالح ديوان المواريث الحشرية، ويبدو أن هذا اليهودى لم يكن له من وارث يرثه، فوهب ما لديه من مال لصالح الأعمال الخيرية، ولا أدرى لماذا فصل اليهودى المبلغين ولم يكتبهما بقيمتهما الكلية؛ فلم توجد أى إشارة فى الوثيقة تبرر هذا الفصل.

ومن طريف الوثائق العبرية التى أوردها جوايتين[2] أن أحد اليهود قبل وفاته أوصى لزوجته بمبلغ أربعين دينارا لو أنها صبرت سنتين بعد وفاته ولم تتزوج بآخر؛ حتى تتزوج ابنتاهما وقد كانتا فى سن تسمح لهما بالزواج، تخفض إلى ثلاثين دينارا لو انتظرت سنة واحدة فقط بعد وفاته ولم تتزوج، وقد حدث ذلك بالفعل إذ لم يمر العام إلا وهى تنهى ترتيبات زواجها.

وفى ظل التسامح الذى كان ينعم به اليهود وسط المسلمين وجدت وثيقة تشير إلى وصية أحد موتى اليهود، وكان فى رحلة للحج بالقدس يوصى فيها رفقته

(1) Goitein, Shelomo Dov: Dispositions in Contemplation of Death, A Geniza Study, p.160.
(2) Ibid, p.161.

الذين يحجون معه، ومن الواضح من الوثيقة أنهم كانوا تجارا وأن هذا اليهودى كانت معه تجارة (لم تحدد الوثيقة نوع التجارة)، بأن يعطوا البضائع الموجودة إلى التجار المسلمين أصدقائه ليبيعوها، ثم يقسموا تلك الأموال على أبنائه الذكور الثلاثة وبناته الإناث الثلاث(١).

٣- في بعض الوثائق كان اليهود يخصصون مبلغا تحت بند يعرف بمصاريف الجنازة، حيث خصص أحد اليهود مبلغ سبعة دينارات كمصاريف للجنازة(٢)، وتشمل هذه المصاريف أجرة النّدّابة، والمغسلين، والكفن، وحاملى النعش، وحفار القبر، والمرتلين للأدعية، وهؤلاء يصحبون المتوفى حتى نزوله القبر مرددين الأدعية، بالإضافة إلى الطعام والشراب الذى يقدم طوال أيام الحداد.

أما عن غُسْل المتوفى فقد أوضحته المصادر العربية؛ حيث ذكر المقريزى والقلقشندى أن المتوفى من اليهود كان يقوم بغسله اثنان ولا يمسان أحدا من الناس لمدة سبعة أيام ظنا منهما أنهما على نجاسة بسبب تغسيل المتوفى، وقد أورد عوبيديا فى خطاباته شيئا يخص طقوس القرائين فى الوفاة، إذ إنهم إذا مات أحد منهم يغادر كل أهل الميت المنزل ظنا منهم أنه أصبح نجسا بوجود جثة المتوفى، فيستأجرون بعض اليهود الفقراء لحمل جثة الميت بعيدا عن البيت(٣)، وبعد انتهاء الغسل يتم دفن المتوفى دون صلاة عليه. وكانت كل طائفة من اليهود تدفن موتاها ناحية القبلة التى هم عليها، فيوجه القراءُون والربانيون موتاهم ناحية بيت المقدس، بينما يوجه السامرة موتاهم ناحية جبل جرزيم (طور نابلس)(٤)، وقد ذكر ابن طولون : "أن من عادة دفن السامرة لموتاهم أن يغلفوهم بملابس حريرية، من ذلك ما حدث لسامرية دفنت من خمسة أشهر فى عام (٩٢٦هـ/١٥٢٠م) حيث نبش قبرها أربع مرات لأخذ ما عليها من القمصان الحريرية المطرزة واللطيشات المذهبَة"(٥).

وقد أوضح عوبيديا فى خطاباته طقوس اليهود السفارد فى دفن موتاهم، وهى تكاد تقترب من مظاهر الدفن لدى المسلمين مما جعل عوبيديا نفسه يقر بأن تأثير

(1) Goitein, Shelomo Dov: Dispositions in Contemplation of Death, A Geniza Study, p.161.
(2) Ibid., p.162.
(3) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p 210.
(٤) المقريزى: تاريخ اليهود، ص١٣٧.
(٥) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ج٢، ص١١٨.

المجتمع الإسلامى على اليهود كان كبيرا حتى فى مثل هذا الموقف، فيصف لنا حالة دفن أحد المتوفين اليهود قائلا:"حينما يتوفى لا يصنع له تابوت بل يدفن فى كفنه، ويتم ذلك بطباعة قالب آدمى فى تربة لم تزرع من قبل حتى تكون أكثر استجابة لإحداث هذا الشكل الآدمى، وعندئذ توضع الجثة داخل هذا التجويف، وتغطى بلوح خشبى ثم يهال عليها تراب الأرض"[١] وقد اعتاد اليهود السفارد أن يلقوا عملات فى الجهات الأربع للقبر كهدية أو رشوة للأرواح الشريرة[٢]، كما اعتادوا دفن موتاهم فى مقابر خاصة بهم تقع خارج المدينة وذلك لاعتقاد عندهم بأن جثث الموتى هى إحدى مصادر النجاسات[٣].

أما وصف عوبيديا لما يفعله اليهود الأشكينازفى طقوس الدفن لديهم، فكانوا "يصنعون تابوتا من خشب عادى بسيط ليس به أدوات معدنية (زخارف معدنية) ويضعون كيسا به تراب من الأرض المقدسة (القدس) تحت رأس الميت لاعتقادهم أن هذا التراب به قوة روحانية تساعد على ابتعاثهم مع مشياح اليهود[٤] فى الحياة الثانية، ويصلون عليه داخل المعبد اليهودى.على حسب مكانته؛ فإن كان يهوديا عاديا أدخلت الجثة إلى رواق المعبد، وإن كان ذا مكانة عالية دينيا أو اجتماعيا أدخل التابوت إلى قلب المعبد، وتنزع لفائف الشريعة اليهودية وتوضع

(1) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.218.

(٢) على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص١٧٦؛غازى السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص٤٧ -٤٨.

(٣) غازى السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص٤٧.

(4) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro,p.219.

ويوضح د. عبد الوهاب المسيرى معنى المشياح وفقا للمفهوم الإسلامى بأنه يشير إلى تنبؤ التوراة بقدوم الرسول محمد ﷺ؛ حيث عُبر عن ذلك بعبارة: "الكوكب المضيء الذى تشرق الأرض بنوره". أما فى المفهوم اليهودى فكلمة مشياح اشتقت من الكلمة العبرية مشح أى مسح بالزيت المقدس رأس الملك والكاهن قبل التنصيب، وتشير إلى شخص من نسل داود (عليه السلام) مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة يبقى فى السماء حتى تحين ساعة إرساله وحينئذ تسود صهيون جميع الأمم، ويفسر رجال الدين اليهودى تأخر وصول المشياح لإعادة ملك داود بأنه ناتج عن الذنوب التى يرتكبها الشعب اليهودى ولذا فإن عودته مرهونة بتوبتهم، وتختلف الرؤية المسيحية لكلمة المشياح فى أنها ارتبطت عندهم بشخص عيسى ابن مريم على عكس الفكرة المشيحانية فى اليهودية؛ حيث وصول المشياح يعنى عودة شعب الله المختار إلى صهيون. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، ج٨، ص ٢٩٤ - ٢٩٧.

فى زاوية حجرة تابوت العهد بالمعبد فى مقابل تابوت الميت وتبدأ المراسم الجنائزية ويُرَدد المزمور التاسع والأربعون حتى يصل المتوفى لمكان الدفن"[1].

وقد رصد عوبيديا حرص يهود فلسطين على دفن موتاهم فى مدينة الخليل فيقول: "من الأفضل أن يوارَى اليهودى فى ثرى الخليل من أن يدفن فى القدس"[2].ومن قبل عوبيديا ذكر بنيامين ذلك فقال: "جرت عادة اليهود أن يأتوا بعظام موتاهم إلى هذا المقام"[3]، ومما ذكر يتضح مدى قداسة هذا المكان لدى اليهود حتى إن تجار اليهود من البلاد المختلفة حرصوا على الإتيان بتراب مدينة الخليل لينثروه على الميت ليكتسب قداسة. وفى الفلكلور اليهودى القديم أن جثة اليهودى المتوفى المدفون بأرض غير الأرض المقدسة تظل تزحف حتى تصل إلى الأرض المقدسة وهم يستندون فى هذا إلى شراء خليل الرحمن قبرا لنفسه فى مدينة الخليل[4]. وبالقرب من الحرم الإبراهيمى دار يدَّعى اليهود أنها كانت مسكنا لسيدنا داود عليه السلام وقد عرف هذا المكان فى العصر المملوكى بمقبرة دير الأربعين[5]، وهذا قد يفسر ارتباط اليهود بتلك الأماكن.

كان لليهود الربانيين مقابر فى منطقة رأس العامود قرب قرية عين سلوان[6] وكانت هذه المقابر ضمن أوقاف المسلمين وسمحوا لليهود باستئجارها منذ عام (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) واستخدموها لدفن موتاهم[1]. وظلت هكذا حتى العصر

---

(١) لوتسيك هارفى: عادات وتقاليد اليهود، تعريب مصطفى الرز، دار سلمى للنشر، القاهرة١٩٩٤م، ص٢٩، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٢١٥.

(2) Obadiah : Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro , p. 249.

(٣) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين، ص١٠٦.

(٤) غازى السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص٤٨؛ ولم أعثر على ما يؤيد تلك المعلومة فى المصادر التى اطلعت عليها.

(٥) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص٨١.

(6) Cohe, Amnon: Jewish Life under Islam, p.86.

وعين سلوان: عين نضَّاحة، يُتَبَرَّك بها ويُستشفَى بها بالبيت المقدس، وهى نبع مياه لقرية سلوان، وتبعد قرابة ٣٠٠ متر عن الزاوية الجنوبية الشرقية لسور المسجد الأقصى يخرج من باطن الأرض منذ أكثر من ٥٠٠٠ عام. ومن هذه العين حفر اليبوسيون نفقا إلى داخل المدينة لتأمين الماء في أوقات الحصار وجعلوه على شكل درج ينزل إلى العين. وتُعد العين مقدسة عند المسيحيين لأن المسيح استعمل ماءها لشفاء الرجل الأعمى. ويقال إن السيدة مريم العذراء غسلت بمائها ملابس الرضيع عيسى؛ ولهذا سميت أيضا بعين العذراء. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠١.

العثمانى[٢]، بينما كان اليهود القراءُون يدفنون موتاهم فى مقابر تقع فى منطقة (دير أبى ثور) وتعرف بتربة القرايين بالقرب من جبل الزيتون[٣] لاختلاف المعتقد، فى منطقة وقف سفيان الثورى[٤].

(٥) فى ملابس اليهود:

تُعد الملابس من الملامح الاجتماعية للشعوب والعلامة المميزة خاصة إن كانت ترتبط بتكوين دينى. ولما كانت جماعات اليهود فى نيابة القدس يعيشون فى وسط مجتمع إسلامى، فإن كثيرا من الباحثين قد أجمعوا على أن اليهود قد اصطبغوا بصبغة المجتمع الإسلامى- الذى يعيشون فى محيطه - فى الزى، فلم يكن هناك فرصة للتفريق بين أهل الذمة والمسلمين فى ملابسهم، فنجد الرابى عوبيديا يذكر أن: "ملابس اليهود كتلك التى يرتديها المسلمون وعادة لا يستخدمون الأحذية، وإذا استخدموها لا يدخلون بها المعبد، ولا يلبسون السراويلات ومن ثَم يتصرفون باعتبارهم عربا أو أتراكا"[٥]. وقد شاركه فى نفس الرأى ميشلوم بن مناحم[٦]؛ وهذا فى اعتقادى دفع سلاطين المماليك إلى تجديد إصدار مراسيم تلزم أهل الذمة بالتزيى بزى معين يميزهم عن المسلمين، فألزموا بلبس الغيار وربط الزنار[٧] حول الوسط، كما أنهم ألزموا اليهود بألوان معينة فى

(1) Hirschberg, J.W. : Ottoman Rule in Jerusalem in the Lights of Firmans and Sharia Documents-Israel Exploration Fund Journal,vol.2,1952,P.240, p. 242.

(٢) دليلنا فى ذلك وثيقة مقدسية متأخرة عن فترة الدراسة تشهد بتأجير اليهود لمقبرتهم فى رأس العمود فتاريخها يعود إلى(١٠٦٠م -١٠٦١م). كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص١٦٨ -٢٧٠.

(3) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam ,p.101.

(٤) محمد عيسى صالحية: سجل أراضى لواء القدس الشريف، ص١٣؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠١.

(5) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro., p.222, Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.159.

(6) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.195.

(٧) ادعى بعض مؤرخى اليهود أن عملية تمييزهم بزى مخالف للمسلمين هو من قبيل تحقيرهم، وهذا ليس بصحيح .والواقع أن إلزام الذميين عموما بلبس الغيار لم يُطبَّق في أيام الرسول ﷺ، وبعد الفتح الإسلامي لكثير من المناطق كانت ملابس السكان المحليين تختلف عن رداء العرب المسلمين كضرورة أمنية في عصور الفتح حيث مُنع المحليون من ارتداء زيّ العرب. وكان الهدف من الاختلاف في الزي تأكيد التمايز وليس التميز، بمعنى أن الزيّ شكل من أشكال التعبير، وهو لغة خاصة يتحدث بها الإنسان ويعبّر بها عن هويته. واللافت

اللباس فكان اليهود القراءُون والربانيون يلبسون العمائم الصفراء والسامرة يرتدون العمائم الحمراء.

هذا؛ وقد كان لإصدار هذه المراسيم أسبابها التى تتعلق بارتكاب أهل الذمة ما يستوجب مثل هذه الإجراءات، وعند استعراض المصادر العربية والعبرية بخصوص تحديد نوعية الملابس وأسمائها أو حتى الخامات التى تصنع منها لم نجد فارقا كبيرا بين أسماء الملابس التى يرتديها المسلمون، والتى يرتديها اليهود خاصة فى المصادر العربية، من ذلك ما طالعتنا به وثيقة حصر إرث[1] اليهودى إسحق بن شموئيل التى تضمنت ملابسه - وهى رداء واحد صيفى ورداء واحد شتوى - وكانت مكونة من جوخة[2] زرقاء ببطانة قلم أزرق ورداء فوقانى يسمى ملوطة[3]؛ وطُرَح[4] عتيقة وجُبَّة صوف أسود صنع مدينة ماردين[5]. وفى وثيقة أخرى ذكر أن يهوديا توفى وكان يرتدى هدمة عتيقة (قديمة) وجُبّة سوداء وقُبُعًا

للنظر أن التلمود نفسه ينصح اليهود بألا يرتدوا ملابس مثل ملابس الأغيار. وفي العصر الأموي، استبدل بالغيار الزنار. ولعل الهدف منه كان إداريًا بحيث يمكن التمييز بين الذميين والمسلمين بما تقضيه ضرورة تسيير شئون الدولة، وكان الزنار يشبه في ذلك بطاقة تحقيق الشخصية، فليس هناك مانع من تجديد هذه الهوية فى العصر المملوكى وخاصة إن ارتبطت بوقائع تاريخية تستلزم عودة الغيار أو الزنار لتحفظ الأمن فى الدولة. ولكن مؤرخى اليهود نسوا وظيفة الغيار الإدارية أو الأمنية العملية وفرضوا عليه مدلولاً رمزياً بحيث أصبح الهدف منه عندهم الإذلال والتمييز.

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤٢، وثيقة رقم١٩٧.

(٢) الجوخة: عباءة مصنوعة من خامة خشنة لها وبر وتلبس فى الشتاء، وجل عامة الناس يرتدونها لحمايتهم من برد الشتاء القارص وعادة يكون لونها أزرق، محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى الشريف، وثيقة١٣٢، ص٢٤، رينهارت دوزى: المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص١١٤.

(٣) الملوطة: ثوب مثل العباءة. يكون غالبا غير مطرز ويصنع من الحرير الخالص أو الكتان الرقيق، كان لباسا قوميا فى عصر المماليك، كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ص٤٢؛ محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى الشريف، وثيقة رقم ١٤٣، ١٤٧، ١٠٧، ص٢٨.

(٤) الطرح: جمع طرحة وهى قطعة من القماش تطرح على الكتفين وتتدلى على الظهر وهى من القماش السكندرى الرفيع الفاخر، رينهارت دوزى: المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص١٢١-١٢٢.

(٥) نسبة إلى ماردين مدينة بتركيا، كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج٢، ص٤٢ .

هِذميًا[١]، (يبدو أنه جزء مكمل للهدمة العتيقة). ونجد فى هاتين الوثيقتين تحديدا لأسماء قطع الملابس والورثة بكل دقة واهتماما بشرح الوضع المالى للمتوفى وما له من ديون وما عليه، فضلا عن تحديدها الدقيق لمقتنياته مهما كانت بسيطة.

أما وثائق الجنيزة فقد ذكرت بعض أسماء القطع التى كان يرتديها اليهود، واتفق بعضها مع ما ورد فى المصادر العربية. من ذلك ما ذكره أحد الخطابات التى أرسلها شاب صغير لوالده وكان فى القدس يطلب منه أن يشترى له إزارا حلبيا حتى يتمكن من أداء الصلاة طوال الوقت[٢]، وكان "الإزار" أيضا زيا نسائيا يتحدد لونه طبقا لانتماء اليهودية الدينى. فبالنسبة لليهوديات القراءات والربانيات أصفر اللون، والسامريات أحمر اللون، ويُشدُّ حولَ الإزار حزَامٌ عرف باسم "الزُّنَّار"[٣].

وقد ورد فى الوثائق العبرية أسماء للملابس ولم تذكرها المصادر العربية، وتعتقد الباحثة أن هذه الملابس كانت تخص اليهود فقط ويتناقلونها فيما بينهم كمجتمع منغلق على نفسه، ومن تلك الأسماء الأردى[٤]، والشاشية[٥]، والجوكانية[٦] - وهى من ملابس النساء- والطاليت، والمختومة[١]، والمارقة[٢]،

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤٠، وثيقة رقم٤٦٧.، والقبع : كساء للرأس وله نهايتان تحت الذقن يلبس وقاية من البرد. رينهارت دوزى: المصدر السابق، ص ١٣٢.

(2) Metzger, Therese- Metzger, Mendel: Jewish life in the Middle Ages: Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries, Alpine Fine Arts Collection, New York,1982, p.143.

(٣) ماير: الملابس المملوكية، ص١٢٥؛ محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى الشريف، ص٢٠.

(٤) الأردى يفسره جوايتين بأنه شال يثبت بأطرافه شراشيب.

- Goitein, Shelomo Dov: The Social Services of the Jewish Community as Reflected in The Cairo GenizahRecord, Jewish Social Studies, vol. 26, No. 1 (Jan., 1964) , Indiana University Press, p.6.

(٥) الشاشية: قطعة قماش يمكن استخدامها كعمامة، أو إيشارب للصلاة، هويدا عبد العظيم رمضان: السابق، ص٢٥٣.

(٦) الجوكانية نوع من الملابس المعتادة تمتاز بالقصر ترتديها المرأة عندما تقوم بالأعمال المنزلية.

- Silverman, Eric: A Cultural History of Jewish Dress (Dress, Body, Culture), Breg Puplisher, 2010, P.108.

والميجار[٣]. وأغلب هذه القطع تصنع من الحرير أو الكتان الخفيف، وبعضها يصنع من القطن، ومن ألبسة القدم ذكرت الوثائق العبرية الأحذية بمختلف ألوانها وخاصة الأصفر، ففى إحدى الرسائل الشخصية يطلب أحد اليهود من أخيه أن يبتاع له زوجا من الأحذية الصفراء من أرقى الجلود، بينما فى رسالة أخرى أرسلها أحد اليهود يخبر فيها صديقه بأن زوج الأحذية الأحمر الذى بعثه له قد تسلمه وأعجبه[٤]. بينما ذكرت المصادر العربية أن اليهود كانوا يرتدون النعال، وقد ألزمتهم السلطة المملوكية بأن تكون شراك (مقدمة) نعالهم مثنية تمييزا لهم عن المسلمين[٥]، ونعل المرأة اليهودية يطلق عليه الريحية.

وقد لوحظ من خلال الوثائق العبرية أن لليهود ملابس خاصة يرتدونها فى المناسبات المختلفة، ففى الصلاة يحرص اليهودى على أن يرتدى الطاليت والإزار، وفى الأعياد يحرص اليهود على ارتداء ملابس جديدة، بينما وجدنا عددا من اليهود يفكر فى تجهيز ملابس الكفن إذا أحس بدنو الموت منه، ومن هذا المنطلق كان أغلب اليهود يحرصون على أن تكون هذه الملابس جديدة أو شبه جديدة، حتى تليق بمقابلة نظرة الرب الفاحصة لهم بعد الدفن[٦].

---

(١) المختومة: عباءة يطبع عليها شعارات اليهود من نجمة داود، وشمعدان المينوراه، وترتدى فى الأعياد.

- Silverman, Eric: A Cultural History of Jewish Dress (Dress, Body, Culture), P.122.

(٢) المارقة: قلنسوة للرأس ضيقة وترتدى تحت غطاء الرأس وهى من ألبسة رأس النساء، هويدا عبد العظيم رمضان: السابق، ص٢٥٤.

(٣) الميجار ورد ذكره فى إحدى الوثائق التى كانت ترصد جهاز عروس يهودية وهو غطاء للرأس شبيه بالعباءة وكان كبيرا بحيث يمكن لفه على الجسم كله فى وقت السفر والترحال لحماية الجسم من الغبار.

- Metzger, Therese – Metzger, Mendel: Jewish Life in the Middle Ages, Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries,p.146.

(4) Metzger, Therese – Metzger, Mendel: op.cit. , p.146.

(٥) مرسوم أحد الملوك الصلاحية بإلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية، مخطوط، ص٨، النويرى: نهاية الأرب، ج ٨، ص٢٣٨.

(6) Silverman, Eric: A Cultural History of Jewish Dress (Dress, Body, Culture), p.187.

وأما عن نوعية الخامات التى تصنع منها الملابس، فقد حددت الوثائق العبرية الحرير والكتان والصوف وكان ذلك هو الشائع؛ بينما ورد ذكر الملابس المصنوعة من القطن نادرا حيث لا يتناسب مع جو النيابة البارد[1].

أما عن الزينة والحلى فقد حرصت السيدة اليهودية على أن تتحلى بالأساور والأقراط والخواتم[2]، ولم تذكر المصادر العربية أو العبرية خامة هذه الحلى، وإن كنت أرجح أنها لم تكن من معادن ثمينة كاللؤلؤ أو الياقوت وذلك لفقر العديد من اليهود، وقد تكون بعض الحلى هذه من الذهب والفضة، وأرجح أن نساء التجار العاملين فى سوق الصاغة هن من ارتدين ذلك.

وكان من عادة اليهود تعليق ما يطلق عليها مزوزاة وهي رُقْية أو تميمة تُعلَّق على أبواب البيوت التي يسكن فيها اليهود، لها شكل صندوق صغير بداخله قطعة من جلد حيوان نظيف شعائريًا بحسب تعاليم الدين اليهودي، ومنقوش عليها شهادة التوحيد اليهودية[3]، ومكتوب على ظهرها كلمة "شدَّاي". وتُلَف قطعة الجلد هذه جيدًا، وتوضع في وضع مائل مرتفع قليلاً من ناحية اليمين عند الدخول، وتُستثنى أبواب الحمامات والمراحيض والمخازن والإسطبلات، بحيث تظهر كلمة "شدَّاي"، من ثقب صغير بالصندوق. وكلمة "شدَّاي" هي الأحرف الأولى من الجملة العبرية "شومير دلاتوت يسرائيل"، ومعناها "حارس أبواب يسرائيل"، وهي أيضًا أحد أسماء الإله في العقيدة اليهودية. ويصنع السامريون تميمة الباب من أحجار كبيرة، ويضعونها إما على الأبواب، أو بمحاذاة مدخل المنزل، ويحفرون عليها الوصايا العشر ونجمة داود، ولا يجعل القراءون تميمة الباب فرضاً، وقد جرت العادة بين اليهود المتدينين على أن يُقبِّلوا تميمة الباب عند الدخول والخروج للتبرك[4]، ولكن بالإمكان الاكتفاء بلمسها ثم لثم أصابع اليد بعد ذلك إذا كان تقبيلها سيسبب إزعاجًا للشخص طويل القامة أو قصيرها[5].

(1) Metzger, Therese – Metzger, Mendel: Jewish Life in the Middle Ages, Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries, p.148

(2) Idem.

(٣) سفر التثنية: إصحاح٩، آية ٤ – ٩.

(٤) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية ودورها فى حياة اليهود بمصر، شركة الإسلام مصر للطباعة، بدون تاريخ، ص٣٠.

(٥) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٧٣.

(و) في الطعام والشراب:

اعتمد اليهود فى طعامهم على أشياء أساسية هى الخبز والملح والخمر، فقد وضعت على كل موائد الطعام لدى اليهود؛ لذلك كان اليهودى يلجأ دائما لتخزين القمح[1] فى داره بكميات كبيرة فى وقت الحصاد ولمدة عام على أن يتم التخزين بصورة سليمة لحماية القمح من الرطوبة، لذلك وجدنا وثيقة عبرية يخبر فيها أحد اليهود أخاه بأنه اشترى القمح الذى يكفيهم ووضعه فى أوانٍ من الفخار (زِلَع) ونشره على سطح البيت[2]، حتى تستطيع النساء تجهيز الخبز بكل أنواعه سواء كان فى صورة أرغفة تؤكل أو فى صورة فطائر تجهز فى أيام السبوت والأعياد، فقد كان اليهود لا يطبخون فى بيوتهم سوى أيام السبوت فقط.

وفى رأى الطالب اليهودى أن عادة الطهى عند اليهود فى بيوتهم غير مستحبة بصفة عامة وذلك لأنهم فى عمل دائم[3]، بينما أشير فى المصادر العربية إلى أن سلاطين المماليك وأمراءهم كان من عاداتهم أن يمدوا أسمطة الطعام[4] فى مختلف المناسبات، والفائض منها كان يوزع على عامة الناس ومنهم أهل الذمة، ومن ثَم فإن اليهود يجدون احتياجاتهم من الأطعمة فى تلك الأسمطة، ومما يوزعه الأمراء والموسرون على مختلف طوائف المجتمع، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا بالنسبة لطوائف المجتمع الأخرى من فقراء الناس، وهذا فى رأيى يفسر عدم لجوء معظم اليهود للطهى فى بيوتهم طوال الأسبوع، أما عن عدم طهى الأطعمة يوم السبت فذلك لأن لهذا اليوم قدسية لدى اليهود.

وقد اعتنى اليهود خلال فترة الدراسة اعتناءً شديدا بتحضير موائد يوم السبت، فهم يفضلون دعوة الغرباء والأضياف فى هذا اليوم. وقد نقل لنا كل من عوبيديا وميشلوم بن مناحم طقوس طعام اليهود فى هذا اليوم، من خلال دعوة أحد يهود القدس ويدعى موسى براغ وهو يهودى هاجر من ألمانيا واستوطن القدس وكان

(1) Roden, Claudia: Jewish Food in the Midddle East,(A Taste of Thyme – Culinary Cultures of the Middle East), London-New York,1989 ,p.155
(2) Metzger, Therese – Metzger, Mendel: Jewish Life in the Middle Ages: Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries,p.200
(3) Obadiah: A Student's Letter, p. 89.
(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٦، مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٦٥- ١٦٦. ومن أشهر الأسمطة التى كانت تمد بالقدس سماط الخليل (عليه السلام).

من الموسرين، فرصد عوبيديا تلك الطقوس بدقة بالغة أوضحت شكل المائدة وطريقة الجلوس وصنوف الطعام حتى الكلمات التى تقال فى هذه المناسبة، فمن ذلك قوله: "أمضينا أربعة أيام فى المدينة وكان يقيم فيها أحد اليهود البارزين.. الذى أصر على أن يصحبنى معه إلى بيته.. ولما حل يوم السبت قام بدعوة شيوخ اليهود لتناول وجبة العشاء، وقدم لنا تشكيلة من الكعكات المطهية من الكروم والفواكه وتناولنا قبل ذلك صنوفا من الشراب، الأمر الذى أدخل علينا سرورا عظيما"(١)، وفى موضع آخر يعدد أنواعا أخرى من الطعام قدمت له على موائد اليهود، منها "أطباق من اللحم، أطباق من الحلوى والزنجبيل الطازج والبلح والزبيب واللوز والكريز الحلو"(٢)، كما كانوا يستخدمون زيت الزيتون وزيت السمسم فى طهى الأطعمة وقلما يلجئون لاستخدام الزبد(٣).

وقد لاحظ ميشلوم بن مناحم تشبه اليهود بالمسلمين فى أسلوب الطعام؛ حيث "اعتادوا تناوله بأصابعهم مشتركين فى طبق واحد، كما أنهم لا يستخدمون فوط المائدة ومع ذلك فملابسهم نظيفة"(٤). بينما وصف عوبيديا شكل المائدة حيث "لا يختلف كثيرا عن مائدة المسلمين خاصة فيما يتعلق بالجلوس على الأرض وترؤس رب البيت المائدة، وتبادل الكلمات الطيبة على الطعام"(٥)، ويزيد اليهود على المسلمين فى أن يجلس الحضور فى حلقة فوق سجادة ويقف حامل الكأس بجوارهم قريبا من مفرش وضعت عليه صنوف الفاكهة، ثم يقوم صاحب الدعوة بافتتاح المائدة بكأس من الخمر مقرا بفضل الله ونعمته قائلا "قاديش" (أى مقدس)، ثم يدور حامل الكأس على الحضور حتى ينتهوا جميعا ويكرر ذلك ثلاث مرات، ثم يتبادل اليهود ثمرات الفاكهة ويعاودون شرب الخمر ويشمون أزهار الياسمين المنتشرة فى الغرفة.

هذا، وقد اعتاد اليهود إقامة الولائم فى المناسبات المهمة ويُعد ذلك فريضة عند القرائين منهم، ومن بين تلك الولائم وليمة الخطبة والزواج ووليمة الختان، ووليمة

(1) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.232.
(2) Ibid, p.221.
(3) Roden , Claudia: Jewish Food in the Middle East,(A Taste Of Thyme – Culinary Cultures of the Middle East) ,p.155.
(4) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers , p. 159.
(5) Ibid, p.224.

افتداء الابن البالغ[1] (ويطلق عليها الحانوكاه)، كما أنهم يولمون يوم دخول الطفل الحيدر (الكُتّاب) لدراسة التوراة، وهناك أيضا وليمة (سعودت هفرآة) أو ما يطلق عليها وليمة المأتم التى تعد لأهل المتوفى بعد عودتهم من الجنازة، وهذا طبقا لتعاليم (الشولحان عاروخ)[2] التى تحظر على الحزين تناول الوجبة الأولى بعد الجنازة فى بيته؛ لذا يفرض على جيرانه إطعامهم فى بيتهم[3].

هذا، وقد فضَّل ميشلوم خمر بيت المقدس عن خمور بلاد أخرى وأورد السبب فى ذلك أنه نقى غير مخلوط[4]، ومن خلال أقوال الرابى عوبيديا وميشلوم نجد أن اليهود قد اندمجوا إلى حد كبير فى المجتمع الإسلامى المحيط بهم وتأثروا به، لكنهم كانوا حريصين على الإبقاء على ما يُبرز وحدتهم وخصوصية المناسبة التى تجمعهم، يتمثل ذلك فى عادة شرب الخمر وتناوله بكثرة قبل الوجبات، أو وسط الطعام أو بعده.

(١) وليمة افتداء الابن البالغ: وليمة يقوم فيها اليهود بذبح شاة عند بلوغ الطفل يومه الثامن فيختن، ويقام له حفل تقدم فيه هذه الوليمة فرحا لأن الطفل أصبح عضوا فى المجتمع اليهودى ويطلق المسلمون على هذه الوليمة اسم الإعذار، وفي شرح التلخيص عن الشيخ أبي علي أنه لا يجوز في السابع لأن الصبي لا يطيقه، ولأن اليهود يفعلونه، والأولي مخالفتهم. ابن طولون الصالحي: فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.

(٢) الشولحان عاروخ: مرجع فقهى وشرعى أساسى عند اليهود وسيأتى الحديث بالتفصيل عنه فى الفصل الرابع.

(٣) رشاد الشامى: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص٢٢٢.

(4) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.221, Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.195.

ز) أعياد اليهود [1] واحتفالاتهم:

ومن المظاهر الاجتماعية لدى اليهود احتفالاتهم الدينية وخاصة الاحتفال بالأعياد المرتبطة عندهم بمناسبات دينية أو وردت فى التوراة، ولليهود أعياد دينية مذكورة فى التوراة، وأعياد محدثة. وقد ورد ذكر تلك الأعياد والمناسبات فى المصادر العربية والعبرية على السواء، إلا أن المصادر العربية كانت تورد شذرات عن هذه الاحتفالات وعن المناسبة الدينية المتصلة بالعيد، وتشترك المصادر العبرية مع المصادر العربية فى ذلك، وتزيد عليها فى وصف كيفية الاحتفال بالعيد. وقد كان اليهود يمارسون احتفالاتهم فى جو يسوده التسامح والحرية الكاملة الذى منحه لهم سلاطين المماليك ومن بعدهم العثمانيون، بل كان أهل بيت المقدس يهننونهم بتلك الأعياد.

ومن الأعياد المذكورة فى التوراة:

١- عيد (روش هاشناه) [2]، (ראש השנה)

وهو عيد رأس السنة اليهودية، وهو عندهم بمثابة عيد رأس السنة الهجرية عند المسلمين، وقد ورد ذكره في سفر اللاويين: "في الشهر السابع من أول الشهر يكون لكم عطلة، تذكار هتاف البوق محفل مقدس، عملا ما من الشغل لا تعملوا،

(١) ترتبط الأعياد اليهودية بالتقويم العبرى ويتبع هذا التقويم السنة القمرية، لكن وفقا للأمر الإلهى لليهود الذى ورد فى سفر الخروج، يتم الحفاظ على السنة الشمسية حيث ذُكِر: "احتفلوا دائما بفصح الرب إلهكم فى شهر أبيب ففى هذا الشهر أخرجكم الرب إلهكم من مصر ليلا" (سفر الخروج، إصحاح ١٢، آية ٢) لذلك وجب عند اليهود الخلط بين السنة الشمسية والقمرية. ونظرا لاختلاف طول السنة الشمسية عن القمرية فقد أوجد ذلك أسلوباً خاصًا فى تحديد السنة العبرية، وتعتمد طريقة حساب الأعياد اليهودية حسب التقويم اليهودى على ظهور الهلال الذى يشير إلى غرة شهر جديد (كما فى التقويم الهجرى الإسلامى) حيث يحل كل عيد في موسمه المعين كل سنة وعند ظهور صورة معينة للقمر، وتبدأ عادة كل الأعياد اليهودية قبل غروب الشمس بنصف ساعة تقريبا وتنتهي في اليوم التالي عند ظهور النجوم. عمرو زكريا خليل: الأعياد اليهودية، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

(٢) تعنى كلمة روش فى اللغة العبرية رأس الشيء، أما هاشناه فتعنى سنة .

لكن تقربون وقودا للرب"[1]، ويقول عنه المقريزى : "هو عيد عتق وحرية عند اليهود بسبب خلاصهم من فرعون"[2]. ومن النص الوارد فى التوراة يتضح موعد العيد والطقوس المصاحبة له؛ التى حرص اليهود على القيام بها دون تقصير، فيكون العيد فى اليوم الأول من شهر تشرى[3] (أكتوبر) ولا بد أن يوافق هذا اليوم يوم السبت، وهذا العيد بداية لعشرة أيام يقوم فيها اليهود بالتوبة وطلب الغفران فيؤدون الصلوات بشكل مستمر وتسمى هذه الأيام بأيام التكفير[4].

وفيها يقوم الربانيون بالنفخ فى أبواق (الشوفار) داخل المعبد، أما القراءون فيقومون بالصلاة والتهليل حمدا وشكرا لله على عتق الأرقاء؛ لذا يطلق عامة اليهود على هذا العيد عيد البشارة، ومن تقاليد اليهود فى هذا اليوم تناول الخبز والتفاح المغموسين فى العسل مع تلاوة صلوات تعبر عن الأمل فى السنة

---

(١) سفر اللاويين، إصحاح ٢٥، آية ٩، ١٠. والمقصود بالشهر السابع شهر تشرين فى التقويم العبرى؛ حيث يكون ترتيب هذا الشهر بين شهور السنة هو السابع، وهو يقابل آخر شهر سبتمبر ومطلع شهر أكتوبر فى التقويم الميلادى. واليوم الأول من هذا الشهر هو يوم السبت وهو مقدس عند اليهود لا يقومون فيه بأى عمل ويذهبون للمعبد ليقدموا القرابين للإله "يهوه"، أما هتاف البوق فالمقصود منه: "أن ينفخ فى بوق الشوفار يوميًا بعد صلاة الفجر؛ لإيقاظ الشعب كى يتوب استعدادًا لأيام الحساب، وذلك طبقا لما ورد فى سفر عاموس، إصحاح ١١، آية ٦: "أم يضرب بالبوق في مدينة والشعب لا يرتعد هل تحدث بلية في مدينة والرب لم يصنعها". ومعنى تقدمون وقودا للرب: أى توقدون الشموع داخل المعبد تعبيرا عن الفرحة والبركة وتظل تلك الشموع موقدة حتى نهاية العيد. غازى السعدى: الأعياد والمناسبات، ص١٦.

(٢) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٣٢، غازى السعدى: الأعياد والمناسبات، ص١١ – ١٢.

(٣) تشري كلمة مشتقة من اللفظ الأكادي "تشرينو"، وتعني "البداية"، وهو الشهر السابع في التقويم الديني اليهودي وأول شهر في التقويم المدني، ويتكون من ٣٠ يوما. ويوافق هذا الشهر سبتمبر – أكتوبر، وأول أيامه عيد رأس السنة اليهودية (روش هشاناه). ولذا، فإن هذا اليوم هو أيضا يوم الحساب، حيث يحاسب الإله العالم بأسره. ويقع صوم جداليا في الثالث من هذا الشهر (أيام التكفير العشرة) التي تبدأ في عيد رأس السنة لتصل إلى نهايتها في عيد يوم الغفران. ويقع عيد المظال بين الخامس عشر والثالث والعشرين منه، ويتضمن عيد الثامن الختامي (شميني عتسيريت) وبهجة التوراة (سمحات توراه). عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، ج٤، ص١٩٧.

(٤) لوتسك هارفى: عادات وتقاليد اليهود، ص٦١.

الجديدة[1]، وفى اليوم التالى على كل يهودى أن يأكل نوعا من الفاكهة جديدا لم يتناوله طوال العام السابق [2].

٢- عيد يوم الغفران (יום כיפור) (كيبور)

يطلق اليهود على هذا العيد أسماء عديدة؛ منها عيد صوماريا، وعيد الكفارة، وقد ورد ذكره فى التوراة إذ جاء فى سفر اللاويين: "وكلم الرب موسى قائلا: أما العاشر من هذا الشهر فهو يوم الكفارة محفلا مقدسا يكون لكم تذللون نفوسكم وتقدمون وقودا للرب، عملا ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب.."[3] ويوافق هذا العيد يوم العاشر من شهر تشرين الأول(أكتوبر) وفيه فرض على اليهود الصوم الكبير ومن لم يصم قتل[4].

لذا؛ يجب الصوم على جميع اليهود رجالا ونساء والأبناء ويَحْرُم فيه العمل وإبقاء النار موقدة، والاغتسال والتطيب والجماع، بالإضافة إلى الامتناع عن الطعام والشراب ويجب فيه التضحية بكبش أو ثور وتوزيع الصدقات والذهاب إلى المعبد حفاة الأقدام لإعلان التوبة والندم[5].

ومدة الصوم عند القرائين أربع وعشرون ساعة تبدأ من اليوم التاسع من شهر تشرين قبل غروب الشمس إلى ما بعد غروبها فى اليوم العاشر، بينما يصوم الربانيون خمسا وعشرين ساعة، ويشترط لجواز الإفطار رؤية ثلاثة كواكب، وقد أوضح عوبيديا السبب فى ذلك وهو اختلاف التقويم الشمسى والقمرى بين الطائفتين، كما أوضح أن هذا العيد له أهمية كبيرة عند اليهود فى القدس وذلك

(1) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.226.
- عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٢٦٧.

(٢) هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية، ص٢٣٨.

(٣) سفر اللاويين: إصحاح٢٥، آية ١٥ – ١٩. يطلق على يومى رأس السنة ويوم الغفران فى الموروث اليهودى "الأيام العصيبة" لأن الله يحاسب مخلوقاته ويحدد من يموت ومن يعيش فى تلك الأيام. كما يحكى الموروث أن محاسبة الإنسان تبدأ فى الأول من شهر تشرين وهو "رأس السنة"، وتنتهى المحاسبة فى اليوم العاشر من هذا الشهر وهو يوم "الغفران": "تكون التحية فى تلك الأيام لعام طيب يختم لكم، وتختموه". يُعد الشهر الذى يسبق رأس السنة والأيام التى بين رأس السنة ويوم الغفران أياما خاصة وفرصة للتوبة والاستعداد لحساب النفس. (وعبارة: "عملا ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه " تعنى: لا تعملوا أى عمل فى هذا اليوم) .

(4) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.226.
(5) Ibid, P.246.

لأنه اليوم الوحيد الذى يذهب فيه اليهود جميعا للصلاة فى المعبد بدون استثناء، وإذا وافق هذا العيد يوم سبت فقد اجتمعت له قداستان فيطلقون عليه "سبت الأسبات" وفيه يقوم النجيد بالدخول إلى قدس الأقداس[١]، ويعتقد اليهود فى هذا اليوم أن الله - عز وجل - يغفر لهم جميع ذنوبهم ما عدا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجحد ربوبية الله - عز وجل[٢].

ومع غروب شمس اليوم العاشر (يوم الغفران) تتلى صلاة خاصة تسمى "الصلاة الختامية" كناية عن إغلاق أبواب الهيكل أمام أعمال يوم الغفران. فيمتلئ المعبد بالمصلين، ويتلو النجيد أدعيَة هذه الصلاة ويرددها المصلون خلفه. وبعد ختام الصلاة ينفخ فى البوق إيذانًا بانتهاء الصوم[٣].

٣- عيد الفصح (פסח) (بيساح)

هذا العيد مرتبط بمناسبة عبور سيدنا موسى البحر ونجاة بنى إسرائيل من العبودية فى مصر ورحيلهم عنها، ويبدأ هذا العيد فى الخامس عشر من شهر نيسان (إبريل) ويستمر لمدة سبعة أيام، ويحرم فيه العمل فى اليومين الأول والأخير، ويقوم اليهود فيه بصنع الطعام الأساسى فى هذا العيد وهو كعكات من القمح (فطائر) تسمى الرغائف خالية من الخمير، لذا يطلق على هذا العيد عيد الفطير[٤]؛ ففى سفر الخروج: "وفى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب، سبعة أيام تأكلون فطيرا، وفى اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس عملا ما من الشغل لا تعملوا"[٥].

---

(1) Ibid.

المقصود بقدس الأقداس هو المكان الذى يحظر الدخول فيه حتى على الكاهن الأكبر طوال العام، ولا يحق لأحد الدخول فيه سوى النجيد، ولكن بعد أن يتم إعداد النجيد قبل هذا اليوم بسبعة أيام. حيث يتلو عليه شيوخ مجلس الطائفة اليهودية ترتيب العمل المقدس فى يوم الغفران وهو عبارة عن شعر دينى يطلق عليه "هاعفوداه" أى العمل، وقد خصصت المشناة فصلا خاصا بتلك الطقوس وممارستها. عمرو زكريا خليل: الأعياد اليهودية، ص٥٣-٥٤.

(٢) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص٢٥٢

(3) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p.247.

(4) Ibid , p.247.

(٥) سفر الخروج: إصحاح٢٢، آية ١٥-١٦.

وبجانب الفطير يأكل اليهود اللحم، ويقومون بتنظيف بيوتهم[1]، ويرتدون الملابس الجديدة المزينة ويخرجون للمتنزهات، ويلتزم اليهود في هذا العيد بعادات منها جعل جدران البيوت مطلية والنوافذ مغسولة، وأدوات المطبخ مطهرة بالماء الساخن ويتم ذلك بدقة شديدة حسب الشريعة اليهودية[2].

ثم يتلون صلوات العيد ويطلق عليها (الهاجاداه)[3]. ويعقبها قراءة الهلل أى التسبيح[4].

٤- عيد المظالّ (סוכות) (سوكوت)

من الأعياد المقدسة لدى اليهود، ويبدأ الاحتفال به في الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر) ويستمر سبعة أيام، ويحتفل به اليهود تخليدا لذكرى إظلال الله- عز وجل- لآبائهم في التيه بالغمام[5]، ويسمى عندهم أيضا بعيد الجَمْع؛ لأنه يجيء يجيء بعد جمعهم للغلال حسب ما ورد في سفر الخروج:" عيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل"[6]، وفيه يتحتم الامتناع عن العمل[7]، والسامرة لا يعدُّونه عيدا، وهم يجلسون في أيام العيد البالغ عددها سبعة أيام تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون التي يضعونها داخل المعبد، وغيرها من الأشجار التي لا يتناثر ورقها على الأرض، وفي نهاية اليوم السابع يحرقون تلك السعفات والأغصان والأشجار ويطلبون من الأطفال القفز فوقها مرددين كثيرا من الصلوات والتعاويذ [8].

---

(١) المقريزي: تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، ص١٤٤، النويري: نهاية الأرب، ج١، ص١٩٥.

(2) Isaacs, Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews ,published by Holdsworth ,Amen Corner ,p .35.

وقد أورد الكاتب جزءا من التسبيحات التي يقولها اليهود في هذا العيد عقب صلاة الهاجاداه في صفحة ٣٥- ٣٦، كما أورد أدعية اليهود التي يقولونها في استقبال الشهور القمرية وبداية يوم السبت وبداية العام الجديد وفي يوم عيد المظال في صفحة ٣٧ .

(3) Rovner, Jay: An Early Passover Haggadah According to the Palestinian Rite, The Jewish Quarterly Review, New Series, vol. 90, No. 3/4 (Jan- Apr, 2000), University of Pennsylvania Press, p.19.

(٤) حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود، ص٢٤٠.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٧٣، النويري: نهاية الأرب: ج١، ص١٩٥.

(٦) سفر الخروج: إصحاح٢٣، آية١٦، محمد خليفة حسن: زراعييم (الزروع) ترجمة من التلمود – المشنا – القسم الأول، ص١١٢.

(٧) محاسن الوقاد: يهود مصر في العصر المملوكي، ص٣٧٦.

(٨) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٢٥٤.

٥- عيد الأسابيع (שבועות) (شوفوعوت)

هذا العيد اسمه بالعبرية (العَنْصُرَة) وله أسماء عديدة لدى اليهود، وبعض الباحثين [١] خلط بين أسمائه وأسماء عيد المظال، فمن أسمائه المشهورة لدى اليهود عيد الخمسين وذلك لاعتقادهم أن الله -عز وجل- أعطى موسى (عليه السلام) الشريعة والفرائض والوصايا العشر فيه بعد خروجهم من مصر فى اليوم الخمسين بعد اليوم الثانى من عيد الفصح، وقد تم ذلك فى عدة أسابيع وإلى ذلك ترجع تسميته بعيد الأسابيع، وذكره عوبيديا فى خطاباته باسم عيد "شوبوعوت".

ويحتفل به طائفة القرائين بتعليق زعف النخيل ونباتات أخرى فى وسط المعبد ويلقى الجميع بنظرهم عليه وهم يرون أن هذا كافٍ بالنسبة لهم[٢]، ويحتفل اليهود اليهود بهذا العيد يوما واحدا يقع فى السادس من شهر سيوان العبرى ويقابل شهر يونيه من الأشهر الميلادية، ويعرف هذا العيد باسم عيد الباكورة، وذلك لأن الشريعة اليهودية تفرض فيه على اليهود تقديم رغيفين من باكورة محصول القمح مع القرابين والذبائح[٣]؛ لتوطيد العلاقات الاجتماعية فيما بينهم. وقد ذكر العديد من الباحثين أن جميع اليهود يحتفلون بهذا العيد ولا أدرى لماذا قصر عوبيديا ذكر الاحتفال على طائفة القرائين؛ إلا أنى أعتقد أن لمكانة عوبيديا الدينية دخلا كبيرًا حيث إن المسيحيين يشتركون مع اليهود فى الاحتفال بهذا العيد، وهذا قد يجعله ينأى عن ذكر احتفال طائفته (الربانية) بهذا العيد ترفعا وتمييزا لبنى ملته خاصة، ونظرا لأن هناك خلافات بين طائفة الربانيين والقرائين فى الفترة محل الدراسة فاختار أن يذكر احتفال القرائين فقط بهذا العيد.

---

(١) حدث خلط لدى كل من الدكتورة محاسن الوقاد فى رسالة الدكتوراه اليهود فى مصر المملوكية ص٣٧٥، والدكتورة هويدا عبد العظيم فى كتابها اليهود فى مصر الإسلامية ص٢٤٠ – ٢٤٣والدكتور عطا أبو رية فى كتابه اليهود فى ليبيا وتونس ص ٢٨٢– ٢٨٦، والدكتور قاسم عبده فى كتابه اليهود فى مصر ص ٦١ بين عيد المظال وعيد الأسابيع.

(2) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.226.

(3) Ibid.

٦- عيد البوريم [١] (פורים)

من الأعياد المحدثة لدى اليهود ويسمونه أيضا بعيد الفوز، ويحتفلون به فى الخامس عشر من آذار (مارس)، وقد أورد عوبيديا ذكره فى خطاباته؛ حيث قضى هذا العيد بين يهود مصر قبل وصوله إلى القدس، لذا وصف طريقة الاحتفال به من خلال مشاهداته، فيقول: "اعتاد اليهود فيه إبداء فرحتهم والإسراف فى شرب الخمر واللهو والخلاعة والتجاهر بذلك فى احتفال صاخب ويبدأ فيه اليهود بصوم أستير [٢] ويكون فى يوم الثالث عشر من آذار ويستمر يومين حتى يوم العيد"[٣]؛ وفى تعليق لعوبيديا عن هذا العيد يذكر أنه لم يشعر بمظاهر الفرحة فى هذا العيد نظرا؛ لأنه بدا حزينا خانقا باكيا على اليهود لفداحة الضرائب التى فرضها عليهم سلاطين المماليك وأثقلت كاهلهم هذا العام [٤] مما يعكس سوء الأحوال الاجتماعية لدى اليهود وفقرهم، الذى لم يجعلهم يقومون بالاحتفال بهذا العيد كما اعتادوا.

---

(١) البوريم: كلمة عبرية تعنى القرعة، واللفظ ذكره عوبيديا فى صيغة الجمع ومفرده (بور) وهو إشارة إلى القرعة التى أجراها هامان لتحديد اليوم الذى يهلك فيه اليهود، على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص١٩٠ هامش ١.

(٢) ذكر الكاتب (بن ساسون) أن أستير بطلة يهودية وقع فى غرامها كسرى فارس أردشير بن بابك فتزوجها ؛فعلا نجم اليهود فى بابل، مما أوغر صدر الوزير الفارسى هامان، وحدد يوم الثالث عشر من آذار للقضاء على اليهود، فعلمت أستير بالخبر وأخبرت كسرى فقتل الوزير هامان، وأباح لليهود قتل أنصار هامان على مدى يومين حتى الخامس عشر من آذار وأطلق على هذا اليوم عيد الفوز، ولأستير هذه سفر يتكون من اثنى عشر إصحاحا يحكى قصتها.

- Ben –Sasson, H. H.: A History of Jewish People, p.449

فى حين نجد الكاتب ليوتا كسيل ينفى تماما هذه القصة ويقول إنها من نسج خيال اليهود، ولم يقم دليل واحد تاريخى على وجودها، كما أن تصديقها يعد ضربا من المستحيل؛ لأن هذه القصة تبدأ عادة بما يتنافى مع الآداب والأخلاق؛ وعليه لا يعتد بهذا السفر ولا يُعد من الأسفار القانونية اليهودية؛ ليوتا كسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، دار الجندى، دمشق ١٩٩٤م، ص٤٧٧، ص٤٩٩؛ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى، ص١٠٨.

(3) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p. 224.

(4) Ibid, p.224.

رحلات الحج اليهودية:

الحج واجب على كل يهودى بالغ ولديه القدرة المادية والجسدية على السفر إلى بيت المقدس لأداء الحج ثلاث مرات فى السنة؛ هى أيام عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال (المظلة)[1]؛ فقد ورد فى سفر التثنية " ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره في عيد الفطير (الفصح) وعيد الأسابيع وعيد المظال، ولا يحضروا أمام الإله فارغين"[2].

وكان معظم الحجاج اليهود يقومون بزيارة بيت المقدس ومدينة الخليل وذلك للحج عند جبل صهيون وما به من أماكن مقدسة لهم مثل كهف الماكفيلا (المغارة المزدوجة)[3]، وقبر إبراهيم، وكانت هذه المنطقة محرم على اليهود دخولها؛ لذا كان اليهود يقومون بأداء الصلاة أمام إحدى النوافذ الواقعة فى السور المحيط بالكهف، وكانت معظم الحقول والبساتين فى مدينة الخليل وقفا على اليهود، ويتم تقديم الخبز وكافة المأكولات يوميا للحجاج من ريع تلك الحقول والبساتين[4].

---

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p. 244.

(٢) سفر التثنية: إصحاح١٦، آية١٦. وتوضح الآية مواعيد الحج اليهودى؛ حيث يمكن لليهود أن يحجوا إلى أماكنهم المقدسة ببيت المقدس ومدينة الخليل فى أيام عيد الفصح وعيد المظال وعيد الأسابيع بشرط أن يأتوا فارغين من الذنوب، معلنين توبتهم للرب ومعهم القرابين، والتى تختلف باختلاف أيام الحج ففى عيد الفصح يأخذون معهم الفطائر التى يصنعونها، وفى عيد المظال يأخذون معهم سعف النخل وأوراق أشجار الصفصاف وثمر الليمون ومختلف الخضراوات، وفى عيد الأسابيع يأخذون معهم باكورة الحصاد من مختلف الزراعات التى قاموا بزراعتها بالإضافة إلى الأزهار التى يزينون بها بيوتهم. عمرو زكريا خليل: الأعياد اليهودية، ص٩٧-١٢١.

(٣) كهف الماكفيلا: يقع هذا المكان فى وسط مدينة القدس وقد بنى عليه المسلمون مسجدا وحائطا به نافذة صغيرة كان اليهود يصلون عندها ويلقون النقود عند قبر سينا إبراهيم ويحيط بالكهف حقول وبساتين وقفا على الكهف، ويصل دخل البساتين المحيطة به سنويا ألفا وخمسمائة دوكية ذهبية.

- Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p. 185 -186.

(4) Adler, Elkan Nathan: op. cit., p. 235.

وبالقرب من بيت المقدس فى مدينة الرملة فى مكان يدعى قرية رامة يقع المكان الثانى الذى يحج إليه اليهود وهو قبر النبي صموئيل، وأبيه، وأمه، وولديه. وهو أول أنبياء العبرانيين بعد موسى وآخر القضاة[1]، ويذهب اليهود لهذا القبر كل عام فى يوم الثامن والعشرين من شهر أيار (مايو) وهو يوم وفاة القديس صموئيل، ويأتى إليه الحجاج من اليهود من حلب ودمشق وحمص وغزة، ويصل عدد الحجاج اليهود إلى قرابة ألف حاج سنويا؛ حيث يقوم كل حاج بالصلاة والبكاء، ويقوم كل حاج بشراء الزيت ليضيئوا شموع المعبد[2]، كما أن الحج اليهودى كان يتم تحت إشراف قاضى المسلمين وكانت السلطات المملوكية ومن بعدها العثمانية توفر حاجاتهم.

وتأمينا للحجاج وتحصيلا لرسوم دخول مناطق الحج، قضت الأوامر المملوكية بأن يقوم كل ربان سفينة بتسجيل أسماء الحجاج الذين معه وأوصاف كل واحد منهم مبينا طول قامته ولون بشرته، والعلامات المميزة فيه وكانت هذه القوائم ترسل من يافا أو عكا إلى نائب القدس عن طريق أمير الرملة، وبعد تفحص القائمة كان يعهد لمباشر الحج المسلم بمطابقة محتوى القائمة بالحجاج؛ ومن ثم يسمح لهم بالنزول إلى القدس والتوجه لأماكن الحج بعد دفع الرسوم المقررة لذلك.

---

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٣٨، ورد ذكر هذا القبر باسم قبر النبى اشموئيل فى وثائق المحكمة الشرعية؛ وقد حددت الوثائق مكانه بأنه يقع فى قرية رامة إحدى قرى القدس الشريف على رأس جبل رامة، وقد كان اليهود يقومون ببعض الممارسات المنحرفة والمعاصى فى زيارتهم لهذا القبر ومنها التعبد داخل القبر والإتيان ببعض النذورات من الحلى والملابس والفرش ويضعونها بمغارة القبر ثم يحرقون تلك الأمتعة تقربا لهذا النبى؛ لذلك منع العثمانيون زيارة اليهود لهذا القبر وسدت المغارة، وأقيم مكانها مسجد، ولم يأتِ اليهود لذلك المكان بعد ذلك إلا خفية، وقد أصيب القبر بالتصدع بسبب مرور الزمن وتكاثر الثلوج والأمطار. سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٩٨، حجة رقم١، ص١٠٩؛ وسجل رقم ٢٢٧، حجة رقم١، ص٣١١؛ شرف الدين الخليلى: تاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن٢٠٠٤م، ص١٠١، ص١٩٥؛ مصطفى اللقيمى: لطائف الأنس الجليل فى تحائف القدس والخليل، دراسة وتحقيق خالد عبد الكريم الهمشرى، نابلس٢٠٠٠م، ص١٤٢.

(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, pp. 235, 245.

ومن الرسوم التى كانت تفرضها السلطة المملوكية على الحجاج:

١- رسم دخول الأراضى المقدسة، وكان هذا الرسم يجبى فى يافا أو عكا إذا ما قَدِم حجاج أوروبا مباشرة إلى فلسطين[١].

٢- موجب الخفر: وهو رسم كان يجبى من الحجيج عند وصولهم الرملة مقابل تعيين نائب القدس لرجال يحمون هؤلاء الحجيج طوال الطريق إلى القدس من هجمات البدو[٢].

وقد كان الحجاج اليهود يدفعون رسوما تزيد على الرسوم التى يدفعها الحجاج النصارى، فيدفع اليهودى أربعة دراهم فضة كرسم دخول للأراضى المقدسة، وثمانية عشر درهما عند وصولهم للقدس كرسم خفر بالإضافة إلى درهم يدفعه اليهود لنجيد اليهود[٣] كإتاوة وابتزاز، وقد أشار إلى ذلك كل من عوبيديا والطالب اليهودى فى وصفهم لتسلط رجال الدين اليهود على الحجاج اليهود، وإن كان عوبيديا ذكر أنه أُعْفِى من هذه الرسوم.

أما السامرة فإنهم كانوا يحجون إلى جبل جُرْزِيم، وليس جبل صهيون، حيث يصعدون ثلاث مرات فى السنة على الجبل حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قربانا على المذبح أعلى الجبل[٤]، وقد أطلق القلقشندى على هذا المكان اسم طور نابلس[٥]، وذكر أن بهذا الجبل بئرا حفرها سيدنا يعقوب (عليه السلام)[٦].

ولم يكتف اليهود بأداء فريضة الحج؛ فمن خلال رحلات اليهود إلى الأراضى المقدسة بغرض الزيارة أو الحج، نجد الرابى عوبيديا يؤكد على حرص اليهود خلال فترة الدراسة على أن يصبغوا حياتهم اليومية بصبغة دينية؛ فتشير كتابات عوبيديا وخطابات الطالب اليهودى ورحلة ميشلوم إلى حرص جميع اليهود الموجودين فى منطقة الدراسة على أداء الصلوات فى الحرم الخليلى؛ بشرط ألا يتخطوا الحدود المسموح لهم بها، وقد أدى عوبيديا صلاته هناك[٧].

---

(١) أحمد دراج: وثائق دير صهيون، ص٨، ٢٢، ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٧٠.

(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.71.

(4) Ibid, p. 235.

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٣؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٧١.

(٦) المصدر السابق، ج٤، ص٧٥.

(7) Obadiah Bertinuoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, (in Hebrew),p.71.

ومن الأماكن المقدسة التى يقصدها اليهود بالزيارة منطقة مِمْرِّى، وهى منطقة تلِّية تقع شمال الخليل (حبرون) تعلوها شجرة بلوط يقال إن خليل الرحمن استقبل الملائكة فى خيمته تحت ظلها. وقد أشير إلى تلك المنطقة فى التوراة عدة مرات(١). كذلك يوجد فى هذا الموضع الصخرة التى يقال إن النبى إبراهيم خُتن عليها وهو ابن تسعة وتسعين عاما(٢).

ومن الأماكن المقدسة أيضا ضريح العيص الذى ذكره عوبيديا وقصده بالزيارة وقال إن موضعه على قمة الجبل الذى عليه الحرم الإبراهيمى(٣)، ولكن المصادر الإسلامية ذكرت المكان الصحيح الذى يقع فيه قبر العيص والد سيدنا داود بأنه داخل مسجد بقرية سعير القريبة من الحرم الخليلى وقد أصبح مزارا للمسلمين(٤)، للمسلمين(٤)، وضريح السيدة راحيل(٥)، وجبل صهيون الذى وصل عنده عوبيديا عوبيديا وذكر أن من عادة اليهود شق ثيابهم عند الوصول لهذا الجبل، وقد أكد ذلك أيضا الطالب اليهودى فيقول: "لقد حزنت وبكيت حتى انفطرت روحى، ووفقا لما ورد فى الشريعة فقد مزقت ردائى فى مكانين وأديت الصلاة وأنا أتوجه لبيت المقدس"(٦). ولم يفُتْ عوبيديا أن يحدد أيضا مجموعة من الآبار المائية

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٤، آية ١٣.
(٢) زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص٢١٤.
(3) Obadiah Bertinuoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim ,(in Hebrew), p.72.
(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج١، ص٤١ . ويتضح من كلام عوبيديا السابق أنه لم يكن مدققا بالقدر الكافى فى تحديد مكان القبر.
(٥) راحيل بنت لابان هي أم النبي يوسف وأم بنيامين أيضًا، وقد تزوجها النبي يعقوب بعد سبع سنوات من زواجه بأختها الكبرى ليا بنت لابان، وكانت راحيل تتميز بصفات حسنة منها الجمال والذكاء والعبادة لله، توفيت راحيل حين اشتد ألم الولادة بها أثناء إنجابها لابنها الثاني بنيامين، ودفنها زوجها النبي يعقوب في مدينة بيت لحم بفلسطين، ويقع قبرها إلى جانب الطريق بين بيت لحم وبيت جالا، وأكثر زوار القبر من اليهود، حيث يذهبون إليه لقراءة الكتب المقدسة.مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٢٤.
(6) Obadiah: A Student's Letter, p.86.

ارتبطت فى الشريعة اليهودية بالقداسة نظرا لأنها تحمل أسماء أنبياء بنى إسرائيل؛ ومن تلك الآبار التى ذكرها بئر إبراهيم وبئر إسحاق وبئر سارة وبئر أشكول[1].

المرأة اليهودية:

كان وضع المرأة اليهودية فى نيابة القدس لا يختلف كثيرا عن وضع المرأة المسلمة فى الأشياء التالية: (١) نسبتها إلى أبيها، " فهى تدعى فلانة بنت فلان"، (٢) حق التملك وإدارة الأموال[2]، حيث قامت إحدى اليهوديات المغربيات عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) بإدارة تجارة والدها الذى توفى، فكانت تبيع اللبن للمقادسة[3]، وقامت سمحة بنت إسحاق باستكمال الأعمال التجارية الخاصة بوالدها مع شركائه المسلمين [4] ولكن لم يُحَدَّد نوع التجارة.

ووضع المرأة اليهودية من الناحية الدينية يُظْهِر لنا الاختلاف بين الرجل والمرأة في العبادات، فلم تكن النساء مكلفات بأداء شعائر الحج، ولا أداء الصلوات في المعبد، وإن ذهبن إلى المعبد تم فصلهن عن الرجال. وبطبيعة الحال، لم يكن بإمكان المرأة أن تلتحق بالمدارس التلمودية العليا، كما أن شهادتها لا تُقبَل[5]، وهناك شعائر تقوم بها المرأة هي شعائر الطهارة، وهذه خاصة بالعادة الشهرية، ويطلق عليها بالعبرية "نيداه"، وشعيرة إيقاد شموع السبت والأعياد، وشعيرة إعداد خُبز الحلاً (أي الرغيف الذي يُقدَّم في وجبة السبت). والشعائر

ترجع أصول عادة شق الثياب عند دخول اليهود القدس إلى أن أجدادهم كانوا كثيرى الصخب فى أحزانهم، ويعبرون عن ذلك بدق الصدر وشق الثياب ويغمرون أنفسهم بالرماد ويرتدون المسوح المصنوعة من نوع خشن غليظ من النسيج.

- Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.221.

(1) Obadiah Bertinuoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, pp.42 ,54.

(2) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam, p.127.

(3) Ibid, p. 127.

(4) Ibid, p. 129.

(٥) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٢٠١.

الثلاث مرتبطة بالأسرة، ولهذا فمن المفترض أن تكون الأنثى متزوجة، وهذا يعني أن الأنثى غير المتزوجة لا تتمتع بمكانة عالية[1].

وقد تعددت الأدوار التى تلعبها المرأة اليهودية فى حياة الرجل؛ فهى الأم والابنة والزوجة والأخت، فمن مظاهر اهتمام الزوج بزوجته أن يترك لها ما يكفى نفقتها هى و أولادها إن خرج للتجارة، وأن يطلب من أحد اليهود من أصدقائه الموثوق فيهم أن يقوم برعاية زوجته وتلبية جميع طلباتها لحين العودة من رحلته[2]، ففى عام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) شكرت اليهودية قمر بنت سليمان أحد اليهود لرعايته إياها أثناء سفر زوجها للتجارة[3]؛ فى حين شكت دورسا بنت إسحاق زوجها أمام القاضى؛ لأنه لم يترك لها نفقة تكفيها هى وأولادها خلال سفره، فقد ترك لها ثلاث آقجات فقط.

وقد رصدت لنا وثائق الجنيزة حرص الأم اليهودية على أولادها ورعايتها لهم حتى وإن كانوا يعيشون بعيدا عنها؛ فنجد إحدى السيدات وتدعى " راشيل" تشكو ابنها موشيه (موسى) الساكن فى البندقية للقاضى اليهودى (يعقوب كاتز) لأنه لا يرسل لها خطابات. ويبدو أن هناك علاقة اجتماعية كانت تربطها بالقاضى؛ حيث بدأت الخطاب بتحية القاضى وإعلامه بأن زوجها "يرسل له تحياته"[4] وهذا يساعدنا فى تحديد أصول اليهود المقيمين فى القدس؛ فمن الواضح بجلاء أن هذه المرأة من اليهود الإيطاليين، كما أن راشيل هذه قد أوضحت علمها بالسحر والتعاويذ إذ أخبرتنا الوثيقة أنها أعطت لابنها مجموعة من التمائم لتحفظه من كل شر وسوء[5].

(١) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص٢٤١.

(2) Cohen, Amnon: A Jewish Life under Islam., p.132.

(3) Amnon Cohen: op. cit., p132.

(4) Esther-Miriam Wagner : Genizah Fragments, "Rachel's Missing Letters? The Newsletter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No.58, October2009, p.1 والرسالة مؤرخة بتاريخ (١٥٢٣م)

(5) Esther- Miriam Wagner: Genizah Fragments, "Rachel's Missing Letters", p.2.

وإن حدث وسافر الزوج لمكان ما كانت الزوجة تتابعه بالخطابات لتسأل عن حاله وتطمئن عليه؛ فنجد رسالة من إحدى الزوجات أرسلتها لزوجها بالقدس تخبره فيها أنها وصلت بسلامة الرب - يبدو أنها كانت مسافرة لحضور عزاء- وأنها فى صحة جيدة بعد أن تعرضت لمختلف الأمراض والعلل الخطيرة فى طريق السفر، وأخبرته أنها تواجه مشكلة فى إعداد وجبات الطعام. فعندما تعد شيئا وتضعه على النار، فإنها لا تتبينه، لأنها دائمة التفكير والقلق والانشغال عليه؛ فهى تعلم مدى معاناته من الوحدة، التى تعانى منها أيضا؛ والرب يعلم حالها فى الطعام والشراب والنوم [(١)].

وقد اشترطت الشريعة اليهودية أن تعامل المرأة معاملة حسنة، وعليه كان اليهودى يحترم المرأة، وفى ظل الحماية الإسلامية التى تمتع بها أهل الذمة تمتعت المرأة بداهةً بهذه الحماية؛ فكثيرا ما كانت اليهوديات يلجأن للقضاة المسلمين فى منطقة الدراسة للحصول على حقوقهن.ففى عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) شكت إحدى اليهوديات رجلا مسلما رماها بحجر أثناء غسلها للثياب فى قناة السبيل، فأنصفها القاضى وأتى بالمسلم فأقر بذنبه أمام القاضى [(٢)]. ونقف عند لجوء المرأة اليهودية للقاضى المسلم وعدم ذهابها للديان اليهودى لتقديم شكايتها، وقد يدل ذلك على شيئين:

١ - ثقة المرأة اليهودية فى عدالة حكم القاضى المسلم فى وقت غابت فيه الرقابة الأمنية العثمانية فى المنطقة.

٢- اهتزاز مكانة القضاة اليهود فى تلك الفترة. وقد سبق تناول هذه القضية حيث شاعت الخلافات بين اليهود القرائين والربانيين فى تلك الفترة.ولعل هذه المرأة من اليهود الربانيين فخشيت أن تفقد حقها فى الدعوة لكون الديان قرَّائيًا فلجأت للقاضى المسلم.

(1) Mordechai, Akiva Friedman: **Jewish marriage in Palestine**, a Cairo genizah study, Tel-Aviv University, Chaim Rosenberg School of Jewish Studies,1980, p.145.
(2) Cohen, Amnon: A Jewish Life under Islam,P.128.

وتأكيدا للنقطة السابقة نجد كوهين نفسه يشيد بنزاهة القضاء الإسلامى ويؤكد على أن اليهود فى هذه الفترة لم يلجئوا للمحاكم المِلية فى فض النزاعات لعدم ثقة اليهود فى قضاتها [١].

ويستمر كوهين فى عرض ما يثير الانتباه حيث أقر بأن ميراث المرأة اليهودية من زوجها المتوفى قُسم طبقا للشريعة الإسلامية (فتأخذ مثلا الربع، أو الثمن من التركة) فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، منتصف القرن العاشر الهجرى، حيث توفى اليهودى سلمون بن إسحاق عام (٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م) فقسم القاضى تركته على الورثة فحصلت أرملته على ثُمُن التركة، وأعطى ابنيه باقى التركة بالتساوى، وفى عام (٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م) توفى اليهودى يوسف بن داود (وكان قادما من مالطة للحج) وترك زوجته وتدعى رفقة بنت عزرا، ولم يترك أولادا فأمر القاضى لها بربع التركة (وكانت عبارة عن بيت كبير بحارة الريشة) ووضعت القيمة الباقية فى بيت مال المسلمين، وهذا يدل على أن العثمانيين أبقوا على ديوان المواريث الحشرية الذى كان موجودا فى العصر المملوكي[٢].

وفى عام (٩٣٨هـ/ ١٥٣١م) نقلت تركة أحد اليهودإلى ديوان المواريث الحشرية فتقدمت زوجته ظريفة بنت موسى بشكوى للقاضى أثبتت فيها أن لزوجها ابنتين تستحقان الميراث إحداهما تقيم فى القدس، والأخرى تقيم فى الخليل، وعليه حكم لها القاضى باسترداد التركة وكانت عبارة عن حديقة أشجار[٣].

ولم تكن المرأة اليهودية بمعزل عن النشاط الاقتصادى فى النيابة؛ فقد كان بعض نساء اليهود يشتغلن بنسج الأقمشة مما يجعل المرأة اليهودية تشترك اشتراكا فعليا فى جلب الرزق لأسرتها[٤]. ومارست اليهوديات بعض الأعمال التى يتكسبن منها ويسهمن بريعها فى الإنفاق على بيتهن وأولادهن، ومن تلك المهن الدّلالة؛ فكن يقمن بتوزيع البضائع المختلفة من الأقمشة وغيرها مما

(1) Ibid.
(2) Ibid., p. 133.
(3) Cohen , Amnon: A Jewish Life under Islam ,P.134.
(٤) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، ص١٨.

تحتاجه المرأة المسلمة أو المسيحية فى بيتها مقابل تسديد أثمان تلك البضائع آجلا بزيادة نسبة ربح بسيطة، وقد أبرزت وثائق الحرم القدسى ذلك بجلاء إذ وردت عدة وثائق عن يهوديات دلالات. والواضح من تلك الوثائق أنهن كثيرا ما يتلاعبن فى أثمان البضائع أو تسديد ثمنها لتاجر الجملة؛ مما تطلب أن يلزمهن قاضى قضاة المسلمين بأن لا يزاولن المهنة إلا بوجود تصريح لهن ووجود من يكفل إحضارهن أمام القاضى إذا أخللن بالتزاماتهن[1].

أيضا عانى مجتمع المرأة اليهودية بعضَ الممارسات المنحرفة التى حرَّمها التلمود؛ ومنها انتشار البغاء بين إناث اليهود فى المجتمع اليهودى، وقد كان لذلك الأمر أسبابه؛ ومنها تشدُّد العائلات اليهودية، فما تكاد الفتاة تقع فى الرذيلة مرة حتى تكون النتيجة رفض الأسرة السماح لها بالعودة للعيش وسطهم. كما كان التعليم الديني مقصورًا على الذكور، ولذا كانت الفتيات يتلقين تعليماً عاديا (خارج المدارس التلمودية)، وكان كثير من الفتيات اليهوديات يتسمن بالسذاجة نظراً لأن عزلة الجيتو وقبضة الأسرة اليهودية القوية شكَّلت سياجًا حولهن جعلهن يحاولن الخروج منها؛ فيقعن فى براثن القوادين من اليهود[2].

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ٩٥، حجة رقم ٣، ص١٥٣، محمود على عطاالله: وثائق الطوائف الحرفية، ص١٧٥.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: الموسوعة اليهودية، مج٢، ص٢٢٤.

من خلال ما تم استعراضه فى هذا الفصل من مظاهر الحياة الاجتماعية فى حياة اليهود، اتضح لنا الآتى:

١. تعددت عناصر اليهوذ السكانية فى مناطق النيابة؛ فكان منهم المغاربة وكان منهم الإسبان، وكان منهم الإيطاليون والفرنسيون، ومنهم من جاء من طرابلس وطرسوس وكردستان الأندلس، وإسبانيا والبرتغال ومالطة، ألمانيا، لذا اصطلح الباحثون على تقسيم اليهود بحسب عناصرهم السكانية إلى نوعين: اليهود السفارد (يهود الشرق)، اليهود الأشكيناز (يهود الغرب).

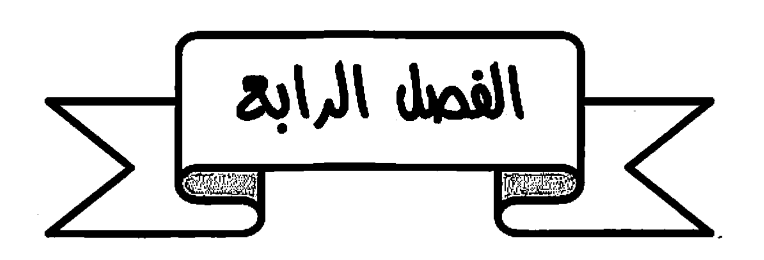
٢. انقسم اليهود حسب انتماءاتهم الدينية إلى ثلاث فرق؛ وهى: القراءُون، والربانيون، والسامرة، وكان بين تلك الفرق خلافات واسعة حول تعاليم التوراة وبعض الأحكام التشريعية والشرعية لديهم.

٣. كان لليهود عاداتهم الاجتماعية التى ظهر فيها التأثر بعادات وتقاليد المسلمين سواء أكان ذلك فى الطعام أم الشراب أم الصلاة أم الملبس، كما كان لليهود مناسباتهم وأعيادهم التى يحتفلون بها.

٤. لم يعرف اليهود تعدد الزوجات حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى بينما وجدنا من خلال البحث حالات تعدد الزوجات، ووجدنا فى وثائق الجنيزة وصفًا لحفلات الزواج والمراسيم التى تتم، كما رصد البحث مراسم الطلاق.

٥. للأحزان اليهودية طبيعة خاصة ظهرت من خلال رصد مراسم الوفاة وقد كشفت وثائق الجنيزة عن شيء مهم، ألا وهو تسجيل كل يهودى متوفى لوصيته قبل وفاته حتى يضمن أن لا تصل أمواله لديوان المواريث الحشرية إن لم يكن له وارث، بل إن بعضهم كان يعمد إلى التزوير ويُظهر نفسه مدينا لأقربائه أو لأى شخص حتى يحفظ أمواله.

٦. ويأتى الحديث عن المرأة اليهودية فى نهاية الفصل إذ لا مناص من تناول أحوال المرأة اليهودية باعتبارها تمثل نصف المجتمع اليهودى، وقد حصر البحث الحديث عن المرأة فى المهن التى كانت تعمل بها وبعض الواجبات الاجتماعية، طبقا لما توافر لدينا من معلومات من خلال وثائق الجنيزة وسجلات المحاكم الشرعية.



الحياة الثقافية لليهود

ويشتمل على:

- التعليم اليهودي
- الكَنِيس اليهودى
- النهضة العلمية عند اليهود
- المؤلّفات الدينية اليهودية
- علماء اليهود
- التصوف اليهودى
- الاهتمام باللغة العبرية

نتعرض فى هذا الفصل إلى الحياة الثقافية عند اليهود فى نيابة القدس ومظاهرها فنتحدث عن التعليم عند اليهود، ودُور العلم اليهودية، ثم نلقى الضوء على النهضة العلمية لدى اليهود وعلمائهم وأهم مؤلفاتهم العلمية، ونختم بالحديث عن التصوف اليهودى ثم اهتمامهم باللغة العبرية ومظاهر هذا الاهتمام.

ونبدأ بتناول النقطة الأولى، وهى:

أولاً: التعليم عند اليهود:

المعلومات عن التعليم عند اليهود فى نيابة القدس قليلة متناثرة بل تكاد تكون نادرة فى تلك الفترة يصعب معها رسم صورة كاملة وواضحة عن هذا الموضوع فى منطقة الدراسة، إلا أن جوايتين أوضح أن المجتمع اليهودى عموما اهتم اهتماما كبيرا بالتعليم وكانت له مدارسه ومناهجه فى القرن الثانى عشر الميلادى (الخامس الهجرى)[١] من خلال دراسته لوثائق جنيزة القاهرة فى تلك الفترة. إذ ذكر أن التعليم لدى اليهود كان معتمدا على مدارس صغيرة ملحقة بالمعابد والدُّور الدينية الخاصة بهم، ووافقه فى ذلك إسحاق شلو بعد مرور ثلاثة قرون حيث ذكر أنه خلال رحلته للحج إلى أرض الميعاد فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، وجد مدارس فى كل من حيفا ويافا، وبعض المدن كالخليل، وقد أُنشِئت تلك المدارس بجوار المعبد أو داخله ويتعلم فيها صبيان اليهود الشرع اليهودى وبعض القوانين اليهودية[٢]، وهذا يساعدنا فى تحديد نوعية التعليم الذى كان يُقدَّم لأطفال اليهود فقد انقسم التعليم عند اليهود إلى نوعين هما:

١- **التعليم الدينى**، ويُعد عند اليهود عادة وعملاً من أعمال التقوى، يحظى طالبه بنوع من التقدير بين اليهود، ويعتمد هذا النوع من التعليم على حفظ النصوص الدينية بدقة وترتيل النصوص القديمة[٣].

(1) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, Universty of California Press, Berkeley, los Angles, London,1978, vol.3(The Family), p.249.
(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, pp.142 -144.
(3) Goitein, S.D.: o.p. cit., vol.3, p. 240.

٢- **التعليم المدنى** (غير الدينى)، وهذا ينقسم بدوره إلى نوعين: الأول منه يختص بالدراسات الفلسفية - العلمية وهى التى تهيئ الفرد لمهنة الطب؛ والثانى يختص بالدراسات الإدارية - الأدبية وهى التى تهيئ الفرد للعمل ضمن الوظائف الإدارية بالدولة(١). وقد لاحظ عوبيديا فى رحلته أن "غالبية يهود بيت المقدس أغبياء لم يستطع كثير منهم أن يعتلى مناصب مرموقة فى الدولة المملوكية"(٢). ويمكن تفسير كلام عوبيديا بطريقة أخرى؛ بمعنى أنه لم يجد كثيرين من يهود بيت المقدس فى وظائف مرموقة لعدم اهتمامهم بمثل هذه النوعية من التعليم، لأن هذا النوع من التعليم لم يكن له نفس مكانة النوع الأول، أو ما ارتبط به من دراسة للطب أو الفلسفة.

على الرغم من هذا التنوع فإننا لم نجد فصلا بين النوعين فى التعليم عند اليهود فى فترة الدراسة، بل إننا وجدنا أنه فى فترة العصور الوسطى عموما وجد عدد من علماء اليهود جمعوا بين النوعين : الدراسة الدينية وغير الدينية، ومن أمثال هؤلاء: موسى بن ميمون، وسعديا الفيومى، وعوبيديا البورتينورى.

واستخلاصا مما سبق يمكن القول إن المجتمع اليهودى كان يشجع أبناءه الصغارعلى التعليم. ودليلنا فى ذلك إحدى وثائق الجنيزة التى تخبرنا أن الآباء كانوا يحرصون على إرسال أولادهم إلى المدرسة الملحقة بالمعبد، ويحرصون فى عطلة نهاية الأسبوع على التأكد بأنفسهم من تقدم أبنائهم فى التعلم " حتى يصبح قلبه سعيدا" كما ورد فى إحدى رسائل الجنيزة الشخصية، فى حين نجد رسالة شخصية لأحد الآباء يشكو زوجته لأنها تركت الطفل يلعب فى الشارع وتخلف عن المدرسة(٣).

ويقودنا ذلك للحديث عن ميزانية الأسرة التى كانت تخصصها لتعليم أولادها؛ فقد أخبرتنا الوثائق العبرية أن مصاريف المدرسة كانت من أساسيات ميزانية الأسر اليهودية حتى الفقيرة منها، وعادة كانت تلك المصروفات وقدرها نصف درهم عن التلميذ الواحد كما أشارت الوثائق، وكانت تدفع للمدرس يوم الخميس حتى يستطيع شراء احتياجاته ليوم السبت المقدس(٤). وفى ضوء هذه المعلومات المتناثرة يمكن رسم صورة عن التعليم اليهودى فى فترة الدراسة، وقد كانت تتم على ثلاث مراحل.

---

(1) Ibid, P. 242.
(2) Adler, Elkan Nathan: o.p. cit., p.235.
(3) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol.3, p. 165.
(4) Ibid, vol. 2, P. 165.

المرحلة الأولية : مرحلة بيت سيفير :

من المرجح أنه يتم فيها تعليم أطفال اليهود في مكاتب تعليم الأطفال أو المدرسة الأولية ويطلق عليها بالعبرية (بيت سيفير)، وكانت توجد في فلسطين منذ القرن الأول الميلادي، وفي بابل فيما بعد. وكانت غالبًا تؤخذ في مكان يعرف بالعبرية " الحيدر" أو الكُتّاب وهو عبارة عن مدرسة صغيرة خاصة، يمكن أن يقيمها أي شخص ملم بالشريعة في بيته غالبًا(١) بعد الحصول على موافقة النجيد، أو تقع داخل المعبد أو في حجرة ملحقة به. وكان معلّمها يحصل على أجره من أولياء أمور الصبيان. وقد أشارت بعض وثائق الجنيزة إلى حرص اليهود الشديد على إرسال أبنائهم إلى بيت سيفير وظهر ذلك من تكرار عبارة "أطفالنا بخير ويذهبون إلى المدرسة يوميا"(٢)، أو نجد كثيرا من الآباء المسافرين يكتبون إلى زوجاتهم بضرورة رعاية أولادهم ومراقبة انتظامهم بالكُتّاب، ولا يتركونهم يلعبون مع الأولاد الآخرين(٣)، وذلك في كثير من خطابات الجنيزة الإخوانية المتبادلة بين اليهود.

وكان الهدف من هذه المدرسة إعداد الطفل اليهودي للمشاركة في شعائر المعبد. كما كانت الدراسة فيها تقتصر على تعلم القراءة وبعض أجزاء من أسفار موسى الخمسة وكتب الأنبياء، وكذلك كتب الحكمة والأمثال(٤)؛ حيث كانت تعاليم التوراة تحث اليهود على إرسال أبنائهم ليتعلموا في سن الخامسة أو السادسة حتى يصلوا إلى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة(٥). وفي تلك المدارس الصغيرة كان يتم تعليم الأطفال القراءة والكتابة، وفهم قوانين التوراة شفهيا تمهيدا لدراستها في المعبد كما يدرسون اللغة العبرية والخط العربي(٦). وقد كان التعليم في تلك المدارس الصغيرة يتم مقابل أن يدفع الأهالي أجور المعلمين، أما بالنسبة لأبناء

---

(١) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، مج ٣، ص٣٧٩.

(2) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society, vol. 2, p.173.

(3) Ibid, vol. 2, p.173.

(4) Lewis, N. Dembitz: Jewish Services In Synagogue and Home ,published in The Jewish Puplication Society in American,1898, pp. 334-335.

(٥) حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود، ص١١٤.

(6) Simon, Rabbi Abraham: The Principal Jewish Education in The Past, Wachington, 1909, p.23.

الفقراء فكانت الجماعة اليهودية كلها تشارك فى دفع تكاليف تعليمهم[١]، وكانت اللغة المستخدمة فى تعليم الأطفال هى اللغة العربية، وأحيانا تكتب بحروف عبرية[٢].

وعن هيئة جلوس أطفال اليهود فى المدرسة أعتقد أنها لم تكن تختلفُ عن هيئة الكُتّاب الإسلامى؛ فقد كان الأطفال يجلسون على الأرض فى حلقة حول مؤدبهم حيث يقوم بتعليمهم القراءة أولاً عن طريق تعليمهم شكل الحرف وتكرار الأصوات التى تمثلها ثم تكرار الكلمات[٣].

أما عن المواد الدراسية، فيتم تعليم الطفل القراءة ثم الكتابة ثم التعاليم الدينية الخاصة بالتوراة[٤]، ثم تدرس الأقوال المأثورة لرجال الدين اليهود تخليدا لذكراهم. وكان هناك اهتمام بمبادئ العقيدة اليهودية والعبادات الخاصة، وتتم طريقة التعليم هذه بالتلقين[٥] كما وصفها جوايتين، ويُمنع الأطفال من الذهاب لتلك لتلك المدارس الصغيرة يوم السبت لأنه مقدس عندهم[٦].

ويكون المسئول عن تعليم الأطفال فى تلك المرحلة " المعلم" أو " الميلاميد" بالعبرية القديمة - وفى العبرية الحديثة يطلق عليه (موريه) (מורה) - الذى يرتدى جلبابا أسود كما أشارت وثائق الجنيزة، كما كان الكثير من معلمي المدارس الأولية يتخذون من التدريس مهنة بسبب فشلهم في أن يصبحوا تجارًا، مما جعلهم غير مؤهلين للتدريس، ويساعد المعلم شخص آخر يدعى "الحزَّان" وهو المسئول عن حراسة الأطفال، أو يأخذهم من بيوتهم إلى المدرسة ويتلقى أجرا على ذلك[٧]. أضف إلى ذلك أن المجتمع اليهودى لم يطلق يد المدرس فى عقاب التلميذ المخطئ أو المشاكس؛ فقد كان عقاب الطفل من حق الأب فقط[٨].

---

(١) على السيد على: القدس فى العصر المملوكى، ص١٦٠.
(2) Max, Alexander: Studies In Jewish History and Booklore, New York,1944, p.29.
(3) Sason, Ben: Jewish Society Through The Ages , pp .148 – 150.
(4) Simon, Rabbi Abraham : The Principal Jewish Education in The Past, p.35.
(5) Goitein,S.D.: A Mediterranean Society, vol. 2, p.209.
(6) Max, Alexander: Studies In Jewish History and Booklore, p.29.
(7) Hirschberg, (H.W.): A History of The Jews, p.157.
(8) Hirschberg, (H.W.) : o.p. cit. p.159.
هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبى، ص٤٠٣.

أما عن تعليم الفتيات الصغار، فقد أشارت وثائق الجنيزة إلى أن الفتيات يجب أن يتلقين الحد الأدنى من التعليم على نفقة الجماعة اليهودية [١]، وقد أشارت الوثائق إلى وجود فصول لتعليم البنات تقوم على التعليم فيها بعض نساء اليهود اللاتى أشارت الوثائق إليهن باسم المعلمة[٢]، ونتيجة لارتفاع أثمان الورق فى فترة الدراسة، نجد إحدى وثائق الجنيزة الطريفة التى يطلب فيها الكاتب من معلم طفله أن يعلم ابنه ويدعى "إيليكام" الكتابة والقراءة على النواحى الأربع للورقة[٣].
(٣)

وقد ذكرت بعض وثائق الجنيزة أن صبية اليهود كانوا يتعلمون الحِرَف منذ صباهم وقد أكد ذلك إنشاء بعض نساء اليهود الألمانيات مدرسة لليهود قرب كنيسة ضريح المسيح لتعليم صبية اليهود الحرف، وفتيات اليهود اليتيمات فنون التطريز والصلوات" حتى لا ينشأن كحيوانات برية" [٤].

ثانيها : مرحلة "بيت هاميدراش" [٥]

هى مرحلة أعلى يكمل الصبية تعليمهم فيها داخل المعبد ويصبحون طلاب علم يهودى، يقومون فيها بدراسة الشريعة اليهودية بطريقة منتظمة فيأخذون مقاطع من التوراة [٦]، والقوانين الشرعية التى وضعها علماء اليهود واستمدوها من كتبهم كتبهم الفقهية [٧]. ولم تتوافر معلومات كثيرة عن هذه المرحلة إذ ينظر اليهود إلى تلك المرحلة على أنها مرحلة تمهيدية للأكاديمية اليهودية التى تتم فيها دراسة علم

(1) Goitein, S.D.: A Mediterranean Society , vol.2, p.133.
(2) Goitein: O.P. cit, vol. 2, pp. 183 – 185.
(3) Mann , Jacob: The Jews In Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, vol. 1, p.240.
(4) Goitei ,S.D.: o.p. cit. , vol.2 , p. 191.
(٥) هاميدراش: تعنى بالعربية المدرسة، وهى من الفعل العبرى " درش" أى بحث وفحص واستطلع، وهى تشير إلى منهج فى تفسير العهد القديم يميل إلى التعمق فى معنى آياته وكلماته للوصول إلى معانيه الخفية؛ وتوجد عدة قواعد مدراشية للوصول إلى هذا المعنى. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٠٤.
(6) Isaacs, Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews, p.311.
(٧) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص١١٤

اللاهوت اليهودى، وتتم الدراسة فيه باللغة العبرية وليست العربية كما فى المرحلة الأولية.

ثالثها: مرحلة "اليشيفاة"(١)

هى مرحلة تعليمية أعلى وتُعد تطبيقا لنظام الأكاديمية اليهودية التى أحياها الرابى نحمانديس فى القرن الثالث عشر الميلادى، وفى هذه المرحلة يقبل الطلاب على دراسة ما يعرف بالهالاخاه(٢) أى دراسة التوراة والتلمود وكل ما يتعلق بأمور الشريعة اليهودية والعلوم العقلية، والطلاب فى هذه المرحلة قد يرتحلون من مكان إلى آخر حتى ولو اضطروا إلى الهجرة من أوطانهم(٣) إلى إحدى الدول، إما العراق وإما فلسطين لتحصيل العلم من رجال الدين. وأكبر مثال على ذلك وجود الطالب اليهودى (ديفيد) القادم من إيطاليا ليتلقى العلم على يد عوبيديا(٤) فى القدس.

(١) اليشيفاه: وتعنى مجالس الفقه والدراسة أو الحلقة التلمودية وهى عبارة عن مؤسسة فقهية وتربوية يهودية يشار إليها في العبرية بكلمة يشيفاه، كما تُستخدَم أحياناً كلمة "أكاديمية" ذات الأصل اليوناني أو كلمة "مثيتاه" ذات الأصل الآرامي، كما أنها تجمعات للمثقفين والمتفقهين في الدين ممن يتدارسون النصوص والتراث الديني اليهودي ذا الطبيعة المزدوجة علماً وشريعة، ويجيبون عن الأسئلة ويصدرون الفتاوى، ويقضون بين الناس، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٣، ص٣٨٠.

(٢) الهالاخاه: كلمة عبرية تعنى التشريع، وكلمة "هالاخاه" من أصل آرامي، ومعناها الحرفي هو"الطريق القويم"، وإن كان يُقال في التفسيرات الحديثة إن معنى الكلمة الأصلي هو"الضريبة" أو "القاعدة الثابتة". وكلمة "هالاخاه" لها معنى ضيق، وقد وردت لأول مرة في كتابات معلمي المشناه (تنائيم) وكانت تعني في بداية الأمر "الحكم الشفهي الذي يصدره الفقهاء"، ثم أصبحت تشير إلى "الفقرة الواحدة المُتضمَنة في سُنَّة واحدة في الفقهيات الشرعية"، ثم أصبحت الكلمة تشير إلى الجانب التشريعي لليهودية ككل(وضمن ذلك الشريعة الشفوية) بحيث أصبحت تشمل في نطاقها العرف والعادة والقوانين المحلية والمراسيم الشرعية، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٠٧.

(3) Johnson, Paul: A History of the Jews, Blackstone Audiobooks, part 1, p.183.

(4) Obadiah: A student letter, p. 2.

أنواع الطلاب الذين يدرسون فى اليشيفاه :

يمكن تقسيم الطلاب فى هذه المرحلة إلى نوعين : طلاب منتظمين، وطلاب منتسبين :

- أما **الطلاب المنتظمون** فيقبلون على الدراسة والانتظام فى حضور محاضرات كبار علماء اليهود ويستتبع ذلك أن يتوافر لهم مسكن بالقرب من المعبد، وقد أشارت إحدى وثائق الجنيزة إلى أن أحد أثرياء اليهود فى القدس كان يدير إحدى المدارس لحسابه وكانت تدر عليه ربحا وفيرا[١]. وقد يكون ذلك إشارة إلى وجود نوعية أخرى من التعليم وهو التعليم الخاص ولكن لم تتوافر لدينا معلومات كافية عنه فى فترة الدراسة.

وقد نوه إلى هذا النوع من الطلاب الرابى عوبيديا حينما أشار فى رحلته إلى شدة حرص الطلاب الأشكيناز على الانتظام فى سماع المحاضرات التى كان يلقيها[٢] باعتباره رجل دين وعلم يهوديًا يُكْبِره اليهود فى القدس منذ وصوله، كما أنه أشار فى موضع آخر إلى أنه أجرى تبديلا فى المساكن التى استأجرها بعض طلابه المنتظمين فى دراسة "الهالاخاه" حتى يجمع الطلاب معًا فى مكان واحد يسمح لهم بأن يكونوا قريبين من مكان الدراسة، وتمنى أن يكون مقره الصغير يسعهم جميعا حتى يتيح لهم الانشغال بدراسة التوراة ليل نهار[٣]، مما يوحى باهتمام هؤلاء الطلاب بمثل هذه النوعية من الدراسة وجدّهم فيها.

وقد كان الرابى عوبيديا هو المحاضر لطلاب اليشيفاه فى القدس فى فترة الدراسة، واتسمت محاضراته بنوع من التخصصية الأكاديمية[٤]، اختلفت عن تلك المحاضرات الدينية التى كان يلقيها على عامة اليهود وكان الهدف منها الموعظة الدينية، بالإضافة إلى أنه كان يلقى محاضراته بالعبرية التى تعوَّد على استخدامها اليهود الأوروبيون، وقد لاحظ عدم دراية كثير من اليهود

(1) Goitein S. D.: A Mediterranean Society , vol.I ,p. 60.
(2) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p. 208.
(3) Obadiah: A Student's Letter ,p.87.
(4) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim ,(in Hebrew),p.44.

الدارسين بها فى اليشيفاه خاصة من كان منهم سفارد يقيمون وسط العرب المسلمين؛ إذ استبدلوا العربية بعبريتهم وأصبحت لغة التعامل فيما بينهم.

- وأما النوع الثانى من الطلاب فهم **الطلاب المنتسبون** وأكثرهم من الطلاب الأشكيناز الذين يضطرون إلى الهجرة من أوطانهم الأصلية للحصول على هذه النوعية من التعليم، ويمكنهم الاستماع إلى محاضرات الهالاخاه دون الانتظام فيها. ونطبق ذلك على الطالب اليهودى "ديفيد" الذى تتلمذ على يد عوبيديا، كما أن عوبيديا نفسه ذكر لنا أن هناك طالبين من الأشكيناز الربانيين انتظما فى حضورهما معه للاستماع إلى محاضراته بعدما كانا يحضران على فترات متقطعة. وما لبثت مجموعة أخرى من الطلاب بعد بضع سنوات أن أتت أيضا لتلقى علم الهالاخاه على يديه[1].

ثانياً: الكنيس اليهودى (المعبد):

المعبد في اللغة العربية يطلق على مكان العبادة، والمعبد اليهودي مكان لاجتماع اليهود للعبادة، يُقال له بالعبرية "بيت هاكنيست" أي "بيت الاجتماع"، ويُسمَّى أيضاً "بيت هاتيفلاه"، أي "بيت الصلاة" أو "بيت هامبدراش"، أي "بيت الدراسة". وتعكس الأسماء الثلاثة بعض الوظائف التي كان المعبد يؤديها[2].

وقد ظهرت البدايات الأولى للمعبد بوصفه مكانا للصلاة بعد العودة من السبى البابلى الذى حدث عام (٥٨٦ق.م.)، ثم أصبح المعبد بعد ذلك مؤسسة دينية واجتماعية وتعليمية[3] فجمع بين جنباته مدرسة لتعليم الصبية الصغار (بيت سيفير) ومحكمة خاصة بالطائفة، ومدرسة للتثقيف الدينى (يشيفاه). وألحق بالمعبد بعد ذلك حجرات استراحة للمسافرين أو القادمين لتلقى العلم من الدول الأوروبية؛ وهذا ما تناوله عوبيديا فى وصفه للطلاب الذين تلقوا العلم على يديه حيث كان يريد أن يجمعهم مكان واحد ليكونوا قريبين ولا يتعطلوا عن دراسة التوراة ليل نهار.

---

(1) Obadia: A Student's Letter, p.87.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٦٢.

(٣) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية ودورها فى حياة اليهود، ص١٧.

كان تخطيط المعبد فى القديم بسيطا، عبارة عن مربع أو مستطيل تتوسطه صالة كبيرة تحتوى على الهيكل فى الحائط المتجه إلى بيت المقدس، والمنصة التى تقام عليها الصلاة فى الوسط، وقد ظهر هذا التخطيط للمعبد فى فلسطين منذ القرن الثانى الميلادى، ثم تطور تخطيط المعبد وأصبح يبنى على الطراز البازيليكى (طراز الكنائس) فى العصر الرومانى والبيزنطى الذى كان سائدا فى بلاد الشام، وهذا الطراز عبارة عن صفين من الأعمدة المرتفعة يحملان السقف ويقسمان الصالة إلى ثلاثة أقسام؛ يُعد القسم الأوسط فيها أكبر هذه الأقسام؛ لأنه يحتوى على الهيكل والمنصة، وتوجد شرفة للنساء عادة فى الطابق الثانى، وتحيط هذه الشرفة بالمعبد من جهاته الثلاث ما عدا الجهة الشرقية التى تعلو الهيكل [1]، أما الصالة الوسطى فتعلوها قبة ذات نوافذ للإضاءة والتهوية، وفى مدخل المعبد رمز للوصايا العشر بالعبرية على لوحين من الرخام واسم المعبد وتاريخ إنشائه ونجمة داود السداسية.

وتوجد في مقدمة المعبد فجوة تغطيها ستارة هي تابوت العهد [2] الذى يحتوى على لفائف الشريعة، وهي أكثر الأشياء قداسة في المعبد (وتقابل قدس الأقداس في الهيكل القديم) ويعرف هذا المكان عند اليهود الأشكيناز باسم (أرون هاقودش) وعند اليهود السفارد (هيكل)، ويقوم بكتابة هذه اللفائف التى يطلق عليها بالعبرية (السفريم) متخصصون فيكتبونها على جلد الماعز والغزال ويستخدم فى تحريك صفحاتها عصاة حتى لا تمسها الأيدى [3]. وقد قارن عوبيديا بين وضع لفائف الشريعة داخل تابوت العهد فى كل من إيطاليا والقدس فذكر أن اليهود فى باليرمو

---

(١) النبوى جبر سراج: المرجع السابق، ص٢١.

(٢) تابوت العهد: يُعد رمزًا دينيًا مقدسًا عند اليهود ويتألف من صندوق خشبى مطلى بالذهب يزعم اليهود أنه كان يحتوى على الألواح المكتوب عليها الوصايا العشر، ووعاء يحتوى على المَنّ الذى تغذى عليه اليهود فى التيه أثناء رحلتهم من مصر إلى فلسطين وعصا موسى. ولهذا الصندوق غطاء عبارة عن مقعد الإله "يهوه"، وجوانب الصندوق مزينة بصور الملائكة، ويقال إنه حفظ فى معبد القدس، وعند سقوط القدس فى يد نبوخذنصَّر وتدمير الهيكل اليهودى فقد تابوت العهد. المعجم العلمى للمعتقدات الدينية اليهودية، تعريب سعد الفيشاوى، ومراجعة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ م، ص٣٨.

(٣) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية، ص٢٩.

بإيطاليا يضعون لفائف الشريعة فى صناديق تحفظها بينما يضع اليهود فى بيت المقدس لفائف الشريعة على أرفف خشبية[1].

كما أن عوبيديا أشار إلى تسلط كبار اليهود الذى جعل كثيرا من علماء اليهود والربيين (جمع رابى) ينجون بحياتهم ويتركون القدس هربا من تسلط هؤلاء الذين لم يتورعوا عن بيع مخطوطات التوراة وكتب من التلمود لغير اليهود، ذاكرا أحد العلماء الألمان الذي فر هاربا من القدس ويدعى (موسى) وإقامته فى غزة[2] بسبب هذا الأمر، فيقول عوبيديا: "إنهم هؤلاء المجرمون ذوو الشعر الرمادى (يقصد كبار رجال الدين من اليهود) الذين تخطوا أقصى الحدود ببيع لفائف الشريعة مع أغلفتها والباروخيت[3] والنفائس والمقتنيات الثمينة بالقدس إلى من هم غير يهود، الذين قاموا بدورهم بتهريبها وتبديدها إلى أراضٍ غريبة، إنهم باعوا كتبا عديدة مثل التلمود والمخطوطات التى كانت أودعها بالقدس اليهود الأشكيناز حتى إنه لم يتبقَّ شيء ذو قيمة"[4].

وعادةً ما تُزَّين المعابد بزخارف ونقوش بارزة ومتنوعة ومتداخلة تمثل عنصرين رئيسيين: أحدهما عنصر زخرفى يهودى مثل: نجمة داود، ولوحي العهد، وشمعدان المينوراة الذى يرمز إلى النور الأزلى، وشجرة النخيل؛ والعنصر الآخر عبارة عن وحدات زخرفية تمثل الزخارف الإقليمية والبيئية السائدة فى المبانى الدينية، فوجد فى معبد اليهود بالقدس وحدات زخرفية مثل بعض أشجار الفاكهة وعناقيد العنب وشجر الكروم، وبعض عناصر من الزخارف الإسلامية مثل عنصر الأرابيسك إلى جانب بعض الكتابات العبرية[5]. وكثيرًا ما كان يتم تزويد المعبد بفناء صغير به بئر للطهارة وحمام للاغتسال

(1) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, p.65 .
(2)Adler, Elkan Nathan: Jewish Traveller, p. 232.
(٣) الباروخيت: ستائر من القطيفة أو من الحرير مطرزة بخيوط الفضة أو الذهب، عادة تقدم هبة لوضعها على التابوت المحتوى لأسفار التوراة داخل المعبد، وتكون مختومة باسم صاحب الهبة، وأعتقد أن هذا الأمر يقلد فيه اليهود المسلمين فى إرسالهم لكسوة الكعبة المشرفة التى اعتادت مصر على تقديمها طوال العصر المملوكى، فكانت ترسل مع المحمل إلى الأراضى الحجازية، عرفة عبده على: اليهود فى العالم العربى، ص٢٢١.
(4) Ibid, p.235.
(٥) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية، ص٢٢.

والوضوء، وغالبا يكون المعبد مبنيا من حجر الكِلْس، وقد وصف عوبيديا معبد القدس بأنه طويل وضيق ومظلم وقام على أعمدة قريبة ومتراصة لا يدخله الضوء إلا من خلال الباب[1]، ولم ترصد لنا المصادر العربية أكثر من كنيس واحد لليهود يقع بجوار حيهم الذى يعيشون فيه، بينما ذكر ميشلوم بن مناحم أنه زار معبدين، أحدهما يقع فوق تل رامة الخليل خارج القدس بما يزيد على ستة أميال؛ ومعبد النبى صموئيل الذى يؤمه اليهود للزيارة[2]، بينما ذكر (جوتهيل) أنه فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) كان بالقدس مجمعٌ للمعابد اليهودية يضم أربعة معابد؛ هى معبد إلياهو هانافى، ومعبد إستنبولى، ومعبد إمتشاى، ومعبد يوحنا بن ذكاى، الذى جاء مكملا لمعبد قديم أطلق عليه معبد مدنشاه رامبان، ولعله يقصد المعبد الذى بناه نحمانديس لأنه كان يعرف باسم رامبان.

كما ذكر جوتهيل أن هذه المعابد الأربعة وضح فيها التأثير الأندلسى فى المعمار، والباقى من هذه المعابد معبد يضم قاعة غربية للصلاة وغرفة للنساء وقاعة تؤدى إلى بابين يؤديان إلى ممرين: الأول يتجه لمعبد هانافى فى الجنوب؛ والثانى يؤدى إلى المعبدين إستنبولى وإمشتاى[3]. وهذا يفسر ما قاله عوبيديا من وصفه للمعبد الذى دخله بأنه مظلم وطويل ولا يصله الضوء إلا عن طريق الباب مما يرجح بقاء بقايا هذه المعابد متمثلة فى المعبد الذى دخله عوبيديا فى نهاية القرن الخامس عشر.

وعن هيئة جلوس اليهود داخل المعبد فقد كان اليهود يجلسون فى المعبد كلٌّ حسب انتمائه الاجتماعى أو الطبقى، وكانت المكانة الاجتماعية تقاس بمقدار القرب أو البعد عن الحائط الشرقى فى المعبد المواجه للهيكل فى زعمهم، فكان أعلى الناس مكانة يجلسون بالقرب منه. أما الحائط الغربى فيجلس إلى جواره الفقراء والشحاذون والمعوزون[4].

---

(1) Adler , Elkan Nathan: Jewish Traveller , p.٢٣٥.
(2) Ibid, 192 – 193.
(3) Gottheil , Richard Deutsch Gotthard and others: Jerusalem , an essay in Jewish Encyclopedia , vol. V, New York,1901 ,p.109.
(٤) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية، ص٢٣.

ولكنيس اليهود فى بيت المقدس واقعة[1] تعكس كذب وتدليس اليهود وسعيهم بالبرطلة لأخذ ما ليس لهم، وفى الوقت نفسه تعكس تسامح السلطة المملوكية مع أهل الذمة والعمل على تمتعهم بالحرية في ممارسة طقوس دينهم، كما توضح أن لقضاة المسلمين موقفا من أهل الذمة بما يقتضيه الشرع الإسلامى بعيدا عن التحيز؛ فقد كان فى حارة اليهود بالقدس الشريف مسجد للمسلمين عليه منارة، وهذا المسجد يلاصق كنيس اليهود من جهة القبلة، وبجوار المسجد من جهة الغرب دار من جملة أوقاف اليهود، فوقع المطر فى زمن الشتاء عام (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) فهدمت الدار فكشف باب المسجد من جهة الشارع فصار الدخول للمسجد من خلال الدار المتهدمة أقرب للمصلين من الطريق الذى اعتادوه فقصد المسلمون استرجاع الدار المنهدمة[2]، فاستاء اليهود من ذلك ورفعوا أمرهم للقضاة، وأظهروا مستندا يزعم ملكيتهم الدار المذكورة[3]، فنازعهم المسلمون وأوضحوا أن الدار المذكورة من جملة حقوق المسجد، ولكن قضاة القدس رفضوا

---

(١) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ٤٢٦ -٤٣٤، والواقعة مذكورة بالتفصيل .

(٢) يذكر الدكتور حسن ظاظا أن اليهود فى القدس كانت فيما بينهم تنظيمات داخلية تخضع للطائفة اليهودية التى تفرض عليها بعض الإتاوات والمفروضات المالية لصالح الطائفة .وفى عهد السلطان الأشرف قايتباى حدث أن رفض أحد اليهود الإتاوة، فوقع تحت التهديد والإرهاب وعذب من قبل الطائفة لدرجة أن الرجل آثر الدخول فى الإسلام هربا من العقوبة، كما أن أمه قد استاءت من قسوة زعماء الطائفة اليهودية وأسلمت هى أيضا وأوقفت بيتها الذى يقع فى الحى اليهودى بالقدس ليكون مسجدا للمسلمين نكاية فى اليهود، وكانت هذه الدار مجاورة للمعبد اليهودى، وفى عام (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) لجأ المسلمون إلى المحكمة الشرعية بالقدس يطلبون إجلاء اليهود من مجاورة المسجد الجديد وإزالة معبدهم وأصدرت المحكمة الشرعية الحكم لصالح المسلمين، وتبين أنه كى يكون الحكم ساريا لا بد أن تصدق عليه المحكمة الشرعية فى مصر. وأثناء ذلك قام المسلمون بهدم جزء من المعبد، وعندما جاء التصديق من القاهرة صدر مخالفا لحكم محكمة القدس الشرعية وأفتت بأنه لا خير بأن يقوم مسجد للمسلمين فى حارة اليهود وألزمت المسلمين بإعادة بناء الجزء الذى هدم على نفقة المسلمين.(حسن ظاظا: القدس مجلة الفيصل عدد٢٣٢ لسنة ١٩٩٦م، ص٣٦) ولا أدرى من أين أتى د. حسن بأصل قصة ملكية الدار التى أوقفت كمسجد. فلم يذكر مجير الدين الحنبلى (وهو بحق مؤرخ بيت المقدس والعليم بما حدث لأنه شاهد عيان على هذه الحادثة) أية تفاصيل عن ملكية الدار أو تبعيتها فى الأصل لهذه المرأة اليهودية.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٢٧.

اعتراض اليهود وقالوا إن كنيس اليهود محدث[1]، وإن الدار المذكورة من جملة حقوق المسجد، وهي بأيدى اليهود بدون وجه حق، مما جعل نجيد اليهود ويُدْعَى"يعقوب" يتطاول على قاضى القدس الذى أصدر القرار ويُدْعَى "شهاب الدين بن عبية"، ويهينه ويتلفظ بألفاظ توحى بعناد اليهود وأنهم سوف ينقضون حكمه بطريقتهم، فأثار هذا الفعل العامة من الناس وأرادوا الفتك بيعقوب، ولكن القاضى منعهم قائلا: "يا أمة التوحيد لا يعارضهم أحد فإنهم أهل ذمة الله وذمة رسول الله وذمة أمير المؤمنين"[2].

وعلى ذلك تحايل اليهود ولجئوا إلى السلطان المملوكى بمصر ورفعوا شكايتهم، فأقر قضاة مصر بأن رفع يد اليهود عن كنيسهم غير ملزم ومنعهم عنها غير ملزم أيضا، فسرَّ بذلك اليهود وتطاولوا على المسلمين بالقدس الشريف، مما جعل قاضى القدس يرفض تنفيذ هذا الحكم وبرر ذلك أنه لم يمنع اليهود من أحقيتهم للمكان بل منعهم من اتخاذها كنيسا تقام فيه صلواتهم، وعليه تم هدم الكنيس، فشكا اليهود للسلطان بمصر مرة ثانية فدعا إلى عقد مجلس قضاء آخر للنظر فى شكاية اليهود الجديدة فانقسم القضاة فريقين : أحدهما مقرٌّ بهدم الكنيس، والآخر معارض لهدم الكنيس ويوصى بإعادة بنائه.

---

(١) اعتمادا على المعلومات التى استخلصت من الوثائق العبرية والمصادر العبرية يكون قضاء القدس أصوب من ادعاء اليهود؛ حيث ذكرت المصادر العبرية أن الرابى نحمانديس أحيا اليشيفاه الفلسطينية وأسس لليهود كنيسًا تعتقد الباحثة أنه الكنيس المتنازع عليه فى الحادثة المذكورة، كما أن المعابد الأربعة السابق ذكرها قد أصابها الهدم نتيجة للكوارث التى تعرضت لها المنطقة من عدة هزات أرضية ذكرها مجير الدين فى كتابه الأنس الجليل وذكر أن عددًا كبيرا من البيوت والبنايات قد تهدم. ويمكن القول إن اليهود خلال فترة الدراسة لم يستطيعوا إعادة بناء هذه المعابد نظرا لأن إعادة البناء تتكلف الكثير من المال كما أن استخراج تصريح السلطات بالسماح بإعادة البناء مكلف أيضا، وبناء على ذلك يكون حكم القضاء الشرعى بأن الكنيس محدث فى الإسلام يستوجب معه هدم الكنيس، وهذا ما ذكرته المصادر العربية من أن المسلمين قصدوا هدم الكنيس بعد تطاول اليهود وسعيهم بالبرطلة عند السلطان ليلتووا على المسلمين ويعيدوا بناء الكنيس.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٢٧.

وكان من ضمن القضاة الذين أيدوا هذا الرأى القاضى المالكى شهاب الدين المغربى الذى أظهر التعصب لليهود، ولم يذكر مجير الدين سبب تعصب هذا القاضى لأحقية اليهود فى الكنيس وأحقيتهم فى إعادة بنائه؛ ولعل ذلك التعصب يرجع إلى كون القاضى قد نال مبلغا من المال من اليهود على سبيل الرشوة كما فعلوا مع داوادار السلطان الأمير يشبك، حيث سعوا لديه بمال كثير جعله يستصدر حكما من قضاة مصر بوجوب إعادة بناء الكنيس استنادا على رأى هذا القاضى[1]، مما يعكس فساد بعض القضاة فى فترة الدراسة. ويؤيد هذا الحكم ما ذكره مجير الدين نفسه من أن شهود بيت المقدس كلهم رفضوا كتابة مستند الإذن بإعادة بناء الكنيس وكتبه القاضى الحنفى خير الدين بن عمران فمقته العوام وأطلقوا عليه قاضى الكنيسة؛ فحاول أن يبرر فعله أمام القضاة وأمام الناس بقوله إنه لم يكتب الإذن لليهود بالإعمار على سبيل الحكم الشرعى الرافع للخلاف وإنما كتبه على سبيل الفتوى، ولم يقبل هذا التبرير منه وعزل عن القضاء نهائيا ومنع من أن يعمل شاهدا[2].

ولم نجد فى المصادر العربية أو العبرية ذكرا لوجود كنيس لليهود فى كل من الخليل والرملة، إلا أن طائفة السامرة كان لهم كنيس خاص بهم يقيمون فيه شعائرهم يقع على جبل جرزيم.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص٤٢٦ – ٤٣٩.
(٢) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص٤٣٩.

ثالثاً: النهضة العلمية عند اليهود:

شهدت أوائل العصر المملوكى نهضة علمية ونشاطا ملحوظا لليهود، وكان السبب فى ذلك قدوم أحد مشاهير المعلمين اليهود ويدعى موسى بن نحمان(١) الذى استقر فى فلسطين عام (٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، وأحيا طائفة اليهود فى القدس وبنى مركزا دينيا باسمه لتلقى التعاليم اليهودية، وأطلق عليه كنيس نحمان(٢). وقد أعاد نحمان تأسيس الأكاديمية اليهودية (اليشيفاه) فى القدس.

ومن أهم أسباب ازدهار الحركة العلمية عند اليهود بالقدس قيام جماعة اليهود بجمع التبرعات والأموال من المغرب العربى وإسبانيا للإنفاق على تلك الأكاديمية اليهودية في القدس(٣). وتأكيدا لهذا الأمر أشارت إحدى وثائق الجنيزة إلى التبرعات التى كان يرسلها كبار تجار اليهود فى المغرب وإسبانيا إلى مجالس الطائفة الدينية التى كانوا يتبعونها(٤)، إلا أنه من الملاحظ أن أغلب التبرعات كانت تذكر قيمتها ما عدا التبرعات التى كان يقدمها كبار التجار إلى مجلس الطائفة فى فلسطين (القدس) ؛ فقد كانت القيم تحدد لمختلف الأماكن وتتراوح بين عشرة دنانير ومائتى دينار.

---

(١) ويُعرف أيضًا باسمه اللاتيني "نحمانيدس" وباسم "رامبان". وهو أحد كبار حاخامات اليهود، وكان حاخام جيرونا في أراجون (إسبانيا). وكان يُعَد أكثر علماء اليهود اطلاعاً وثقافة في عصره، وقد كتب تعليقات على التلمود كما كتب دراسة قُبَّالية(صوفية يهودية) في مراسم الحداد. وعارض موسى بن نحمان دراسة الفلسفة، ولكنه طالب بعدم تحريم دراسة كتابات موسى بن ميمون. وقد استقر نحمانيدس في فلسطين حيث كتب تعليقًا على العهد القديم يعتمد أساساً على العقل، وإن لم يستبعد القبَّالاه (التصوف) تمامًا. وقد كان موسى بن نحمان أوائل المفكرين القبَّاليين الذين نادوا بتناسخ الأرواح، فأعطى الفكر القُبَّالي شرعية، وهو ما أسهم في ذيوعه وهيمنته فيما بعد على الفكر الدينى اليهودي .عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٢٧.

(2) Norman, S.Stillman: The Jews of Arab Lands, A History and Source Book, p. 301.

(٣) يوشع براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة، نشر دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤، ص١١٥؛ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص٢٣٠ – ٢٣١.

(4) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.174.

وقد ذكر أحد الخطابات الشخصية وهو غير محدد التاريخ إرسال مبلغ عشرة دينارات على سبيل التبرع لمجلس الطائفة فى فلسطين[1]، ومن المرجح أن هذا الخطاب من أحد كبار التجار؛ لأنه وزع مبلغ التبرع بين أعضاء مجلس الطائفة فى فلسطين والعراق. والقيمة المالية المحدودة التى تبرع بها تدل على قلة أعداد اليهود المستحقين للتبرعات فى مدينة القدس.

ومثل هذه الخطابات تعكس توافر الموارد المالية للأكاديمية اليهودية فى القدس مما كفل لها الاستمرار فى أداء رسالتها العلمية، حيث كان اليهود الربانيون الجوالون يقومون بجمع الأموال من مختلف البلدان من أبناء ملتهم، ثم أعيد إحياء الأكاديمية مرة أخرئ على يد الرابى عوبيديا فى القرن التاسع الهجرى؛ أى بعد قرنين من إحياء نحمانديس لليشيفاه فى فلسطين.

وقد احتلت الأكاديمية اليهودية في القدس مكانة عالية في المجتمع اليهودي ليس في فلسطين وحدها وإنما على المستوي العالمي، ويستدل على ذلك من الأسئلة المتعلقة بأمور العقيدة والمذهب التي كان يرفقها اليهود من البلدان النائية فى خطاباتهم المختلفة إلى رجال الدين اليهود، كما كانوا يرسلون الأمور القانونية والمدنية مما يحتاجون فيه لرأى الفقهاء اليهود المعتمدين في القدس، وكانت هذه المسائل بمثابة فتاوى أو آراء قانونية يلتزم بها وبتنفيذها أصحابها فى بلدانهم النائية[2].

ولتفسير هذا الأمر يجب أن نذكر أن عوبيديا - بإحيائه لليشيفاة فى القدس - صار بذلك رئيسا لهذه اليشيفاه ويطلق عليه اسم (جاءون)، وطبقا لذلك يصبح عوبيديا أعلى سلطة فى المجتمع اليهودى فى منطقة الدراسة، مما يؤهله للفتوى والإجابة عن أسئلة اليهود الشرعية والقانونية التى ترد إليه من مختلف البلدان.

ومن الطبيعى أن يكون كنيس اليهود هو محور الحياة التعليمية، ففيه العلماء وطلبة العلم، هذا مع أن عدد اليهود كان قليلا بالنسبة لغيرهم من السكان[3]، وذلك

---

(1) Obadiah: o.p. cit., p. 184.

(٢) محمد حبيب الخوجة: يهود المغرب العربى، نشر جامعة الدول العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٣، ص٣٣.

(3) Sason, Ben: Jewish Society Through The Ages, New York,1973, p.160.

حتى أواخر عصر المماليك، أما عن طرق التعليم لديهم فإن كثيرا من البالغين كانوا يأتون للدراسة في أيام العطلات وخاصة يوم السبت والإجازات الأخرى حيث يدرسون التوراة، وكان الهدف من هذه الدراسة التعود على السلوك الاجتماعي والديني السليم، حيث كانوا يتعلمون القراءة تمهيدا لتعليمهم الترجمة والتفسير للكتاب المقدس[1].

رابعًا: كتب اليهود الدينية ومؤلفاتهم:

التوراة

عند تناولنا للتعليم اليهودي أوضحنا المناهج الدينية التي يدرسها متعلمو اليهود منذ الصغر وهي التوراة والتلمود وأسفار موسى. ويطلق اليهود على التوراة الشريعة المكتوبة وهي كتاب اليهود المقدس الذي أنزل على موسى (عليه السلام)، وتعني في اللغة العبرية "وصايا". وتتكون التوراة من"خمسة أخماس" وينقسم كل خُمُس إلى سفرين، وينقسم السفر إلى عدة فراسات"أي سور"، وتنقسم كل فراسة إلى عدة أبسوقات "أي آيات"[2]. ويرى الدكتور أحمد شلبي أن تسمية التوراة لدى اليهود غير دقيقة والأفضل أن يطلق عليها العهد القديم[3]؛ لأنها لا تضم فقط التعاليم والأحكام الدينية، بل تشتمل على قواعد السلوك بين الناس وعلى مجموعة من القوانين والعادات والتقاليد وأنماط الحياة.

وليست التوراة التي في أيدي اليهود الآن هي توراة موسى، بل هي كتاب عزرا الذي كتبه من محفوظاته بعد تخريب نبوخذنصر للهيكل وقتله للهارونيين الذين حفظوا توراة موسى شفاهة، والجدير بالذكر أن باقي اليهود لم يحفظوا منها سوى نصف سورة تعرف باسم "هاآزينو"[4].

(1) Ibid, P. 151.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٢١٧.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ج١، ص ٧٥.

(٤) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٧، ص٣٨.

ويرى د. أحمد شلبى أن التوراة الموجودة بعيدة عن الدقة وبها الكثير من المتناقضات، وبعض الأسفار المكونة لها ليست فى الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها كُتَّاب التوراة ببعض الأنبياء والمتنبئين من اليهود[1]، وقد يكون ذلك هو ما دعا طائفة السامرة إلى عدم الاعتراف بالتوراة التى يؤمن بها الربانيون أو القراءُون، فهم لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة، ولا يرون غيرها كتابا مقدسا وقد يضيفون إليها سفرَىْ يوشع والقضاة[2].

وأسفار التوراة الخمسة هى التكوين، والخروج، والعدد، والتثنية، واللاويون وهى محل اختلاف بين اليهود بعضهم مع بعض من ناحية وبين اليهود والنصارى من ناحية أخرى. وهناك أسفار الأنبياء المتقدمين والمتأخرين وعدد هذه الأسفار قرابة ثلاثة وثلاثين سفرا[3]، مقسمة على ثلاثة أقسام أو خمسة أقسام عند النصارى، ومقسمة عند اليهود إلى أسفار تعليمية، وأسفار شعرية، وأسفار نبوية، وأسفار تاريخية.

التَّلْمود:

التلمود كلمة عبرية تعنى "التعليم". ويُعد التلمود الشريعة الشفوية لليهود، جمع فيه علماء اليهود جميع التعاليم التى وردت فى كل من المشناة والجماراة بالإضافة إلى الأدب الدينى لليهود حتى القرن الرابع الميلادى، وهناك نوعان من التلمود : التلمود الفلسطينى وقد كتب فى القرن الرابع بلهجة آرامية غربية، والتلمود البابلى وقد كتب فى القرن الخامس الميلادى بلهجة آرامية شرقية[4]. وقد مر التلمود بمراحل عديدة حتى أصبح بالصورة التى اعتمدها اليهود؛ ليكون مصدرا للتعاليم الشفوية والشريعة التى يمكن الرجوع إليها فى المسائل الفقهية المختلفة.

(١) أحمد شلبى: اليهودية، سلسلة مقارنة الأديان، ج١، ص ٨٢.

(٢) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، ص١٢٥.

(٣) هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر، ص١٥٦ -١٥٧.

(٤) محمود العابدى: مخطوطات البحر الميت، منشورات دائرة الثقافة، عمان، الأردن١٩٦٧م، ص٣٣.

المِشْنَاة:

اختلف المؤرخون فى تعريف المشناة، فقد عرَّفها المقريزى بأنها ما اسْتُخرِج من أحكام من النصوص الإلهية[1] (التوراة)، ويأخذ بهذا الرأى الأستاذ زكى شنودة ويرى أن المشناة مجموع الشروح والتفسيرات والتصنيفات التى سجلها فقهاء اليهود على التوراة[2]، بينما يرى الدكتور أحمد شلبى أن المشناة تكرار لما ورد فى التوراة[3]؛ متبنيا فى ذلك رأى الدكتور المسيرى الذى يعتقد أن المشناة معناها تكرار ما فى التوراة؛ لأن كلمة مشناة من الفعل العبرى "شانا" أى يثنى ويعاد مرتين[4]. ولا أعتقد هذا الأمر فليس هناك دائما علاقة وثيقة بين مسمى الشيء وما يحتويه.

وتميل الباحثة إلى الرأى الذى ذكره المقريزى، وعليه تكون المشناة كتابا يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التى جمعها التناميون (معلمو الشريعة) أمثال الحاخام يوشع بن نون، وأكملها بعده "شُمَاى و"هَلِيل" وماتا قبل استكمالها، فأكملها رجلان يهوديان من ذرية هليل هما عقبيا ومائير اللذان تناقلاها إقرارا وشفاهة بعد السبى البابلى[5]، ويذكر المقريزى أن الذى أكمل المشناة ثم دوَّنها كتابة الحاخام يهودا هاناشى[6] (١٨٩م). واستمر التدوين على مدى ستة أجيال، وتضم المشناة ستة أسفار، وتأتى فى المقام الثانى بعد التوراة، وهذه الأسفار هى:

- **سفر زراعيم:** ويهتم هذا السفر بالزراعة والحاصلات الزراعية.
- **سفر موعد:** ويهتم بالأعياد وأيام السبوت والأحكام الخاصة بها.
- **سفر ناشيم:** ويهتم بالنظم والأحكام الخاصة بالنساء والزواج والطلاق.

---

(١) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم، ص١١٧.

(٢) زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ٦٤.

(٣) د. أحمد شلبى : اليهودية، ج١، ص١٣٥.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص ٥٧؛ حمدى النوبانى: المشناة كتاب التلمود الأول، القدس ١٩٨٧م، ص٥.

(5) Isaacs , Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews , p.415.

(٦) المقريزى: تاريخ اليهود، ص١١٩؛ حمدى النوبانى: المشناة كتاب التلمود الأول، ص٦.

- **سفر نزيقين:** ويهتم بالأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش.
- **سفر قداشيم:** يهتم بالشرائع الخاصة بطقوس تقديم القرابين فى المعبد.
- **سفر طهاروت:** ويهتم بأحكام الطهارة والنجاسة.

هذه الأسفار جميعها تسمى (سداريم) وتنقسم إلى أقسام فرعية يسمى كل قسم منها (سيكتوت)، وهذا ينقسم بدوره إلى فصول يطلق عليها بالعبرية (براقيم)[1].

ويتضح من أسماء الأسفار المكونة للمشناة أن اللغة التى كتبت بها المشناة هى اللغة العبرية. ويقول المسيرى إنها ليست العبرية القديمة وإنما العبرية الحديثة التى تحتوى على صيغ لغوية يظهر فيها أثر للغة الآرامية[2].

الجماراة:

هى التعليقات والشروح والتفسيرات التى وضعها فقهاء اليهود المعروفون باسم (أمورائيم) (٢٢٠م -٥٠٠م) علـى آراء وأقـوال ووجهـات نظـر (التنـائيم)؛ أى معلمى الشريعة على مدى ثلاثة قرون[3]. والجماراة تُعد جزءًا من الشريعة الشفوية، وتعنى الجماراة عند اليهود " الإكمال" وتصحيح بعض ما جاء فى المشناة[4]. ويزيد المسيرى على ذلك بأن الجماراة لا تعنى الشروح والتعليقات فقط بل خضعت لبعض التعديلات حتى تتطابق مع ظروف حياة اليهود فى مختلف الأزمنة والأمكنة[5]. ولغة الجماراة هى اللغة الآرامية، وهناك مجموعتان من الجماراة ألّفت إحداهما فى بلاد ما بين النهرين (بابل) فيما بين عام (٢٠٠م) وعام (٥٠٠م)، والأخرى فى فلسطين ألفت فى نفس التاريخ تقريبا وانتهت قبل

(1) Hyam Isaacs: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews,P.324 -325.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٨٢ .

(٣) أحمد أيبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦ م، ص٨٧.

(4)Hyam Isaacs: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews, p.317.

(٥) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٨٥، واعتقد أن الدكتور المسيرى استند فى هذا التفسير إلى رأى حاييم إيزاك فى كتابه (الاحتفالات والعادات والطقوس والتقاليد عند اليهود)، صفحة رقم٣١٧.

عام (٥٠٠م)[1]. وتعد الجماراة البابلية أكثر شمولا فى محتواها من الجماراة الفلسطينية.

ومن كل من المشناة والجماراة تكوَّن التلمود فى شكله الأخير، ويذكر المقريزى رأيه فى نشأة التلمود فيقول:" وبعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنْهَدرين (وتعنى فى العبرية الأكابر)، وتصرفوا فى تفسير المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا، وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذى كتبوه بأيديهم، وضمنوه ما هو من رأيهم ينسبون ما فيه إلى الله تعالى"[2]؛ لذلك ذمهم الله فى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[3].

وبناء على ما سبق يُعد التلمود باحتوائه على المشناة والجماراة موسوعة تتضمن تعاليم الدين والشريعة والتاريخ والآداب وعلوم الطبيعة؛ بالإضافة إلى أقسام عن الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة والمهن والتجارة والربا إلى غير ذلك من جوانب تتناول حياة اليهود بكل تفاصيلها، ولذلك أصبح التلمود عند اليهود أكثر قداسة؛ لأنه يُعد الشريعة الشفوية التى ألقاها الله على موسى (عليه السلام). وقد نبه فقهاء اليهود وعلماؤهم الدينيون على ضرورة تقديس التلمود والإيمان المطلق به إذ يقول أحدهم فى وصاياه: "يابنى كن حريصا على مراعاة أقوال الكتبة مؤلفى التلمود أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحتوى الأوامر والنواهى، أما شرائع الكتبة فإن من ينتهك واحدة منها يجلب لنفسه عقوبة الرب"[4]، وقد صار الاعتراف بقداسة أى من التوراة والتلمود واعتبارهما

---

(١) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة رضى سلمان، قدم له إدوارد سعيد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان ١٩٩٧، ص٧٥.

(٢) المقريزى: تاريخ اليهود وآثارهم، ص١٢٧.

(٣) (البقرة: الآية ٧٩).

(٤) هويدا عبد العظيم رمضان: اليهود فى مصر الإسلامية، ص١٨٠.

مصادر للتشريع والأحكام مثار خلاف بين طوائف اليهود، وعليه ظهرت الطوائف المتعددة من قرائين وربانيين وسامرة. ويُعد التلمود البابلى أكثر شمولا وأفضل تنسيقا من التلمود الفلسطينى فهو يوضع فى مكانة أدنى كمرجع شرعى[1].

أما فى فترة الدراسة فلم نعلم مؤلفات دينية لليهود الموجودين فى منطقة الدراسة إلا مُؤلَف عوبيديا الدينى الذى جمع فيه تعاليم "رَشّى"[2] (Rashi)، وتعاليم "موسى بن ميمون" فى كتابه (Mishna Tora, Rambam) وكتبهما فى تعليق جمعه فى كتاب أطلق عليه اسم (مشناة البرتينورو) (Mishnah The Bertinoro)[3].

م مُؤلَف يوسف كارو "الشولحان عاروخ"[4] وهو مُصنَّف تلمودي فقهي أطلق عليه يهود منطقة الدراسة التلمود الأصغر. ونستطيع أيضا أن نستدل على أن بعض اليهود القلائل قاموا بنسخ هذه الكتب الدينية ليسهل على بقية بنى جلدتهم اقتناؤها أو الاطلاع عليها. ومرجعنا فى ذلك وثيقة الحرم القدسى التى تحصر إرث إسحق بن شموئيل اليهودى المتوفى فى عام (٧٩١هـ/١٣٨٨م)؛ حيث وجد عنده عشرة كتب منسوخة منحسة بعشر شمسات[5] يعتقد أنها نجمة داود التى يزين بها اليهود ملابسهم أو مقتنياتهم.

---

(١) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص٧٥.

(٢) رشى: هو الرابى شلومو بن يسحق، وُلِد وعاش فى فرنسا (٤٣١هـ - ٤٩٩هـ/١٠٤٠م - ١١٠٥م) من أشهر المعلقين والمفسرين الأشكيناز على التلمود، ترأس إحدى المدارس التلمودية واشتغل بتجارة الخمور وكان ملما بالمصادر الدينية اليهودية السابقة عليه، كتب تفسيرا لمعظم كتب العهد القديم وتفسيرا للتلمود وترجم أعمالا دينية وأدبية يهودية إلى اللغة العربية، وله أسلوب خاص فى رسم الخطوط يعرف باسمه.

- Encyclopedia Britanica ,1973 ,v18 , artRashi.

(٣) تم نشر الكتاب بالعبرية فى بروكلين تحت هذا العنوان العبرى

- Mishnah, MasekhetRosh HashanahImPerus ha – Rav Mi-Bartinurah ,puplished in Brooklen.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١١٠ .

(٥) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢، ص٤٢. ولم تذكر الوثيقة موضوعات هذه الكتب العشرة.

ويمكن تفسير قلة النتاج العلمى لدى يهود منطقة الدراسة بأن عددهم القليل وفقرهم الظاهر للعيان وانشغالهم بكسب قوت يومهم وعملهم فى حقير المهن، بعد بهم عن الانكباب على الدراسة والتعلم وصولا إلى الإبداع والتأليف، وهذا ما شهد به مؤرخو اليهود أنفسهم.

علماء اليهود:

من خلال الاطلاع على المصادر العربية المتاحة لم نجد ذكرا لأى من العلماء اليهود اللهم إلا ما ورد فى الموسوعة اليهودية، وأكثر هؤلاء العلماء لا يخرجون عن أحد فريقين : الفريق الأول:علماء كانوا فى فترة سابقة على الدراسة، ونذكر منهم موسى بن ميمون، وسعديا الفيومى وابن عزرا، وقد خرجت شهرتهم من مصر البلد التى اختاروها مكانا للاستقرار بعدما هجروا مواطنهم فى الأندلس. وهناك باحثون قد تناولوا أفكارهم ومؤلفاتهم بالدراسة، والفريق الثانى :علماء كانوا أيضا فى فترة سابقة على الدراسة ولكن أكثرهم لم يكونوا من نزلاء القدس بل كان معظمهم أوروبيين ظلوا فى بلادهم ونشروا أفكارهم.

إلا أنه من خلال الاطلاع على المصادر العبرية أمكن استخلاص بعض علماء اليهود الموسوعيين الذين برعوا فى العلوم الدينية والعلوم العقلية ولكنهم ليسوا بالكثير، مما يثبت أن النهضة العلمية لليهود خلال فترة الدراسة وفى منطقة الدراسة لم تكن على المستوى المطلوب، وهذا فى رأيى يرجع إلى :

١- قلة عدد اليهود فى منطقة الدراسة، وقد سبق إيضاح ذلك.

٢- انشغال الكثير من اليهود باكتساب الرزق من حرف كانوا يتقنونها نظرا لتدنى مستوى معيشتهم، وهذا ما تم إبرازه فى الفصل الاقتصادى من الدراسة.

٣- تراجع دور اليشيفاه اليهودية التى أسسها نحمانديس فى القرن الثالث عشر الميلادى حينما كان موجودا بالقدس.

عوبيديا الإيطالى

الرابى عوبيديا البِرْتِينورى من علماء اليهود فى علوم التوراة والمشناة، وأحد أبناء أسرة ابن تيبون الإيطالية[1] التى عمل أفرادها على الجمع بين ثقافة يهود أوروبا، وإخوانهم الشرقيين. وقد دأبت هذه العائلة على ترجمة التراث اليهودى العربى إلى العبرية أو اللاتينية والعكس. وقد ظل نشاط تلك العائلة واضحا فى حياة اليهود حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى)[2]، وتنسب إلي عوبيديا الأعمال العلمية والدينية لليهود والتى تأثر فيها بقراءاته لمؤلفات العلماء السابقين عليه، ومن أهم مؤلفاته تعليقه على المشناة - (Mishnah - The Bertinoro) والذى حرص فيه على تدوين ذلك التعليق باللغة العبرية، كما حرص على دمج تعاليم "رَشّى"، وشروح "موسى بن ميمون" التى دونها فى كتابه (مشناة توراة رامبام) ؛الأمر الذى جعل منه عالما دينيا مرموقا.

وينسب إلى عوبيديا أيضا إحياء اليشيفاة اليهودية فى فلسطين بعد قرنين من تلك الجهود التى قام بها نحمانديس فى إحيائها أيضا، وقد تم ذلك لعوبيديا عن طريق التبرعات التى كان يرسلها كبار اليهود فى مختلف دول أوروبا، كما يعزى لعوبيديا أيضا إحياء اللغة العبرية فى القدس بعدما هجرها أهلها واستبدلوا بها اللغة العربية، تمثل ذلك فى محاضراته التى كان يلقيها على طلابه فى بيت هاميدراش لدراسة التوراة لمدة ثلاث ساعات.

كما كان لعوبيديا دور اجتماعى ظاهر إذ كان يخرج كل يوم مع طلابه بعد إلقاء محاضراته لزيارة المرضى من اليهود، أو لتفقد أحوال الفقراء منهم لتقديم الإحسان إليهم[3]. ونتيجة لانشغالات عوبيديا بأحوال اليهود أصبح يلقى عليهم محاضرتين أو ثلاثا فى كل عام وخاصة فى المناسبات المهمة التى تخص اليهود، ويكفينا لإظهار قيمة عوبيديا العلمية والاجتماعية لدى اليهود أن نذكر رأى أحد طلابه فيه؛ إذ يقول عنه:"الحكيم قائد إسرائيل الحاخام عوبيديا، رجل عظيم جدا؛

(1) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim ,(in Hebrew),p.16.

(٢) على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص٢١٠-٢١١.

(3) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim ,p.70.

فهو صاحب نفوذ كبير لا يستطيع أحد من اليهود أن يرفع بنانه أمامه، ويأتى إليه اليهود من أقصى بلاد العالم، ويطيعونه فى كل كلمة يقولها وعندما يصدر قرارا يصبح قانونا لآخر مدى، وكل الناس تثنى عليه وتمتدحه"[1].

يوسف كارو (٨٩٤هـ - ٩٨٣هـ/١٤٨٨م - ١٥٧٥م)

أحد علماء الدين اليهود، ومن أهم فقهائهم، ويُعد من أصحاب الشروح الإضافية على التلمود. وُلد في إسبانيا، وطُرد منها مع من طُرد من اليهود والمسلمين عام (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، ثم استقر به المُقام في البلقان عام (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، ثم في فلسطين عام (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) حيث أسس مدرسة تلمودية في صفد. وقد ألّف - وهو لا يزال في البلقان- كتاب "بيت يوسف"، وهو تعليق تفصيلي على المشناه. وقد لاحظ "كارو" التناقض بين الممارسات الدينية ليهود الدولة العثمانية، نظرًا لتنوع انتماءاتهم؛ ولذا قرر أن يُعد كتابًا أصغر حجمًا من كتابه السابق، لا يضم الآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، وإنما يضم الأحكام الملزمة وحسب، حتى يوفر للدارسين والقضاة مرشدًا واضحًا وحاسمًا للشريعة.

وكان ثمرة جهده كتاب (שלחן ערוך) "الشولحان عاروخ"[2] وهو ما يعنى بالعربية "المائدة المنضودة" أو"المائدة المعدة"، وهو المرجع الفقهي والشرعي الأساسي لليهود[3] منذ تاريخ ظهوره عام (٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م)، والشولحان عاروخ مُصنَّف تلمودي فقهي يحتوي على سائر القواعد الدينية التقليدية للسلوك، ويُعَدُّ حتى يومنا هذا، المصنَّف المعوَّل عليه بلا منازع للشريعة والعرف اليهوديين، ويشار إليه باعتباره التلمود الأصغر. أعده يوسف كارو مستندًا إلى العهد القديم والتلمود، وآراء الحاخامات اليهود وفتاواهم وتفسيراتهم (الشريعة الشفوية)، كما ألف كتابَيْ "يورة دعت"، و"حشن همشباط" فى القبالاه (التصوف اليهودى)[4].

---

(1) Obaidiah: A Student's Letter ,pp. 86-87.

(٢) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١١٠ .

(٣) عبد الوهاب المسيرى: المرجع السابق، مج٥، ص١٢٨.

(4) Encyclopedia Britanica, 1973,v20, art Joseph Caro.

ومما هو جدير بالذكر أن حياة اليهود تكبلها العديد من الشعائر والقيود والتشريعات؛ الأمر الذي يضطرهم إلى البحث عن مصدر دائم للفتاوى. ولكن التوصل إلى إجابة عن أحد التساؤلات الدينية من خلال التلمود مسألة شاقة جدًا، إذ يتعيَّن على المتسائل أن يقرأ أربع أو خمس فقرات في مجلدات مختلفة من التلمود، ثم يبحث عن التعليقات المختلفة عُلى كل الفقرات، وهي تعليقات تحوي كل واحدة منها تفسيرات مختلفة ومتناقضة.ولتبسيط هذه العملية، لجأ مؤلف الشولحان عاروخ إلى إسقاط جميع المناقشات الفقهية الطويلة والآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، فلم يدوِّن إلا الأحكام الشرعية المستقرة التي تبيِّن ما هو حلال وما هو حرام، وأوردها في نص واحد.

وقد قابل الحاخامات الإشكيناز هذا المُصنَّف الديني بمعارضة شديدة في بادئ الأمر لاعتماده على التقاليد والآراء السفاردية وحسب، ولكن "الشولحان عاروخ" فرض نفسه مع هذا وصار الكتاب المعتمد لليهود جميعا، وخصوصاً بعد إضافة حواش إشكينازية إليه[1]. وكان كارو من المهتمين بالقبَّالاه، وكان يدَّعي أن ملاكاً يفضي إليه بالأسرار الدينية.

يعقوب كالمن، والمخضرم زكريا (القرن التاسع الهجرى)

من علماء اليهود الذين ذكرهم عوبيديا أثناء رحلته الرابى (يعقوب كالمن) وهو إيطالى تلقى تعليمه الدينى فى إيطاليا قبل مجيئه للقدس، ولم يذكر عوبيديا عنه سوى شذرات قليلة من المعلومات وقد يأتى ذكر عوبيديا له فى خطاباته نتيجة لتقديره إياه وحبه الشديد له؛ لكن لم يذكر عنه سوى أنه أحد أساتذته الذين تعلم على يدهم التوراة وهو لا يزال فى إيطاليا، وقد ورد أيضا ذكر للحاخام المخضرم زكريا الذى بلغ من السن قرابة ثمانين عاما، وكان قد هاجر إلى القدس من إسبانيا وتولى قراءة التوراة كل يوم لما يقرب من الساعة على جماعة اليهود[2]، ويُعدان من أساتذة عوبيديا حيث تعلم على أيديهما دراسة التوراة وفقهها.

(1) Encyclopedia Judaica, vol.9, Jerusalem, p.124.art Caro.
(2) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim ,(in Hebrew), P.80.

ابن شتياح (غير محدد التاريخ)

ممن ذكرهم عوبيديا باهتمام شديد فى خطاباته الرابى (ابن شتياح) وهو ألمانى الأصل. وقد وصفه بالورع والزهد حيث كان يعيش على القليل من الطعام حتى أنه لم يذُق الخبز من السبت إلى السبت لمدة ستة أشهر، وكان طعامه يقتصر على اللفت النئ وبقايا خبز القديس يوحنا المصنوع من الذرة، وكان يتكسب رزقه من العمل بالحياكة، وقد كان هذا العالم مرجعا للرابى عوبيديا فى الفتاوى الفقهية والأمور التى تتعلق بالعقيدة، حيث أرسل له بعض الاستفسارات عن المكان الذى يضم تابوت العهد بالهيكل[1]، ولم يبين عوبيديا ما إذا كان هؤلاء العلماء قد توفوا أثناء وجوده فى القدس أم ظلوا على قيد الحياة؛ إلا أنه من المؤكد أنهم كانوا معاصرين لعوبيديا.

عائلة إليشار (أواخر الفترة المملوكية وأوائل الفترة العثمانية)

تُعد عائلة إليشار أكبر عائلة علمية جاءت إلى القدس واستوطنت فيها فى أواخر الفترة المملوكية وأوائل الفترة العثمانية[2]، وأصول هذه العائلة تعود إلى موطنهم الأصلى فى مدينة "إيشار" على مقربة من قلعة أيوب فى منطقة أرغونيا بإسبانيا، وقد عاشت فروع من هذه العائلة فى تلك المدينة لمدة قرون طويلة وذاع صيتهم؛ لأنهم كانوا يمتلكون مطبعة مشهورة باسمهم فى أرغونيا لقرون طويلة[3].

استوطن أفراد من عائلة إليشار فى القدس عام (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) ثم تركوها وأقاموا فى صفد فترة ثم عادوا إلى القدس مرة أخرى فى نهاية القرن السادس

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro., p.239.

(٢) نبياهو: شهادة من الرعيل الأول من مطرودى إسبانيا فى صفد، نشر كتاب إسافت (بالعبرية) بدون تاريخ، ص١٠٩، وليم فهمى: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م، ص٨٠؛ ناثان أقرانى: نبذة عن تاريخ عائلة إليشار فى الفترة العثمانية، مقال ضمن كتاب "القدس دراسات فى تاريخ المدينة" لأمنون كوهين، ص٨٠.

(٣) أمنون كوهين: القدس دراسات فى تاريخ المدينة، ص٨١، وليم فهمى: المرجع السابق، ص١٨٩.

عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلادى، وذلك لثقة السلطة العثمانية فيهم، ومن بين أفراد العائلة نسمع عن الرابى يوسف إليشار أحد نجداء اليهود الذى كان سببا فى استجلاب عدد كبير من يهود إسبانيا للإقامة فى فلسطين، والدليل على ذلك توقيعه الموجود على إحدى وثائق الجنيزة المرسلة منه لأهل ملته بإسبانيا عقب طردهم منها، وهى مؤرخة بتاريخ (٩١٠هـ/١٥٠٤م) يوضح لهم فيها أن فلسطين باتت موطنا آمنا بعد تقلص سلطة الترك وقرب انهيار دولتهم[١]. ومن أبناء العائلة أيضا أبراهام إليشار وابنه حاييم اللذان انتقلا من القدس وأقاما فى الخليل واستقرا فيها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى[٢].

وقد أعطت السلطة العثمانية لهذه العائلة أهمية كبيرة عندما اختارت من بينهم (حاخام باشى) ليتولى شئون الطائفة اليهودية ويكون مسئولا أمامهم ويكون رئيسا للحاخاميين فى فلسطين ويكون مقره القدس، وقد ذكرت المصادر العبرية أن كثيرا من عائلة إليشار كانوا شعراء ولهم مؤلفات ومنهم الأديب يعقوب إليشار، ومن مؤلفاته الرسالة الفارسية، وكتاب أسئلة وإجابات ومجموعة من القصائد العبرية[٣].

ديفيد بن سلومون بن أبى زيمرا:

أحد الطلاب اليهود الذين أتوا إلى القدس ليتلقى تعليمه فيها فى بداية عام (٩٥٧هـ/١٥٥٠م) قادما من القاهرة، فأتقن علوم التوراة والفقه اليهودى وعُين نجيدا لليهود فأقام فى القدس لتعليم أبناء الطائفة اليهودية وخاصة الربانيين؛ إلا أن السلطات العثمانية اضطهدته وتعرض للعقاب أكثر من مرة وصودر ماله؛ ففضل أن يعمل ديَّانا فى محكمة اليهود الدينية (بيت الدين) ويساعد على فض المنازعات

(1) Moshe Ma'oz: Studies In Palestine During The Ottoman Period, Jerusalem, 1975, p.146.(An Essay About "Changes In The Position Of Jewish Communities Of Palestine and Syria in Mid-Nineteenth Century" .

(٢) وليم فهمى: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ص١٩٠.

(٣) نبياهو: شهادة من الرعيل الأول من مطرودى إسبانيا فى صفد، ص١٠٩ -١١٩؛ نبياهو : الرابى يعقوب إليشار ومؤلفه الرسالة الفارسية، (بالعبرية)، القدس، ١٩٧٥، ص١١٤؛ م.د.غاءون: اليهود الشرقيون فى فلسطين، القدس (بالعبرية)، بدون تاريخ، ص١٧٩ - ١٨١.

بينهم[١]، وقد كان هذا المعلم من اليهود الأشكيناز وصار معلما لليهود وعمره لا يتجاوز الثلاثين عاما، ويعرف بين الطائفة باسم (رادباز)[٢]، وهذه الكلمة يقال إنها اختصار لاسمه.

لابرت بن دوناش [٣] (أواخر القرن العاشر الهجرى)

من شعراء اليهود الذين ذكرتهم وثائق الجنيزة ولم ينتشر شعره فى بيت المقدس فقط بل شاع فى إسبانيا مسقط رأسه الذى عاد إليه مرة أخرى، بعدما ألحت عليه زوجته وابنه كى يعود للعيش معهم فيها ويترك المدينة المقدسة فلم تعد تصلح لإقامته هناك[٤]. وتشير المصادر العبرية إلى أن لابرت قد كتب عدة خطابات عبارة عن قصائد عبرية تفيض حبا ومشاعر شوق لزوجته وابنه وإحساسا بالاغتراب عن وطنه. وهذه الخطابات غير مؤرخة والمتاح لنا من هذه القصائد قصيدة واحدة أما باقى القصائد فمفقودة كما ذكر تايلور وشيختر. واعتمادنا على هذه القصيدة أنها تصلح لفترة الدراسة، يكمن فيما تشير إليه من ظلم السلطات المملوكية لليهود؛ مما جعل الشاعر يشكو إلى زوجته إحساسه بالشقاء فاقترحت عليه العودة سريعا إلى موطنه بإسبانيا.

وقد ذكر سيمون هوبكنز أنه تم العثور على إحدى وثائق الجنيزة فى القرن الثامن الهجرى، وهى تحتوى على بعض النصوص والأشعار الدينية باللغة العبرية التى تصلح للصلاة داخل المعبد فى مختلف المناسبات[٥]. وقد أكد هذا الأمر جوايتين فى كتابه مجتمع البحر المتوسط[٦]، إلا أن الكاتبين لم ينسبا تلك الأشعار لقائلها والواضح أنهما لم يستطيعا الاستدلال عليه.

---

(1) The Jewish Encyclopedia, vol. IV, p 469, Funk and Wagnall's company, New York and London, 1925.
(2) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam ,p.44.
(٣) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٢٨٥.
(4)Yareh ben Abraham, Obadiah: ha-Masa' le-Erets-Yiśra'el bi-shenat ramaz-ramaḥ, (in Hebrew), p.45.
(5) Hopkins, Simon: The Oldest Dated Document in the Genizah , An Essay In Studies in Judaism and Islam , Jerusalem ,1981 ,p.91.
(6) Goitein S.D.: A Mediterranean Socity , VIII , p204.

مجهول (مؤلف فى علم الطب والصيدلة)

لم تتوافر لدينا معلومات كثيرة عن وجود علماء يهود فى منطقة الدراسة برعوا فى الطب وعلومه، إلا أن مطالعتنا لبعض الوثائق العبرية كشفت عن وجود وثيقة تناولها (ريتشارد جوتهيل)[1] بالدراسة حينما كان فى مكتبة البودليان بأكسفورد حيث عثر على صورة لإحدى وثائق الجنيزة الطبية. والتى يتناول موضوعها كثيرا من المفردات الطبية من أعشاب تستخدم للعلاج فى حالات مرضية معينة، وعكف جوتهيل على ترجمتها إلا أنه أخطأ فى ترجمة بعض المفردات الطبية، والسبب فى ذلك أن جوتهيل لم يلتفت إلى اللغة التى كتبت بها هذه الوثيقة؛ فقد كتبت بالعربية ولكن بحروف عبرية بخط يدوى مربع يعرف بالخط السريانى الربَّانى (Syriac Rabbinic Character)[٢].

هذه الوثيقة تعكس شيئا مهما، ألا وهو أن بعض اليهود كانوا يدونون وصفات طبية تنفع فى علاج الأمراض المختلفة، خاصة إذا علمنا أن عملية التداوى بالأعشاب كانت شائعة نظرا لوجود حوانيت العطارين فى سوق خان السلطان، وهذا ما أشار إليه أمنون كوهين حينما ذكر أن مردخاى القَرَّائى أحد العطارين الموجودين بالقدس[٣]. وللعلم فإن الوثيقة العبرية التى درسها جوتهيل ليست مؤرخة أو محددة المكان، وقد نسبها الدكتور محمد الهوارى إلى القرن الثانى عشر الميلادى مستندا إلى ترجمة بعض الكلمات فى الوثيقة مرجحا أنها تدل على أرقام، وبجمع هذه الأرقام إلى بعضها البعض وطرح تاريخ دخول الإسكندر فلسطين منها يكون تاريخها هو ما أشار إليه إلا أن الوثيقة كثير من كلماتها مطموس وبها قطع، ومن الواضح أن تلك الوثيقة جزء من مؤلف طبى كبير يشتمل على عدد لا يقل عن مائة وأربع وعشرين صفحة، يعكس ذلك الأرقام العبرية الواردة فى الجزء الذى درسه جوتهيل وهو عبارة عن أربع صفحات تُبتدأ

(1) Gottheil , Richard: Fragments of a Short Medical Vocabulary From the Cairo Genizah, Art, In Jewish Quarterly Review, vol.26,1935, pp.7 -27.
(2) Meyerhof , Max: Medieval Jewish physicians in the Near East from Arabic sources, The St. Catherine Press L.T.D., Bruges, Belgique, 1996, vol .I , p.458
(3) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam ,p.172.

برقم רןקטר وهو يقابل الرقم (١١٥)، والصفحة التالية له رقم קט'ר وهو يقابل رقم (١١٦)، والصفحة الثالثة برقم חקיס وهو يقابل رقم (١١٩) والصفحة الرابعة برقم קנ وهو يقابل رقم (١٢٠)[١].

ومهما يكن، فإن الذى يهمنا هو محتوى الوثيقة التى تعكس معرفة اليهود بموضوعات الطب والصيدلة؛ فقد أتى فيها المؤلف اليهودى - الذى لم نستطع العثور على اسمه نظرا لفقدان جزء كبير من الوثيقة - بمفردات المواد والعقاقير والأدوية المستخدمة فى علاج الأمراض والأوجاع، واشتملت هذه الوثيقة على أسماء نباتات وأعشاب وأشجار وبذور وصموغ كان يشيع استخدامها فى التداوى فى فترة الدراسة، وتعرض المؤلف فى الوثيقة إلى صفات تلك العقاقير وخواصها وفائدتها ومضارها الجانبية وبدائلها إن وجدت، كما اتبع فى تصنيفه للعقاقير الترتيب الأبجدى للحروف العربية فجاء مؤلفه هذا أشبه بالمعاجم الطبية، وما يجعلنا نخمن أن تلك الوثيقة تنتمى لفترة الدراسة، وجود وثيقة مقدسية تحت رقم (١٢٨) تتحدث عن العقاقير والأعشاب التى كانت تمتلئ بها مدن النيابة والتى كان يستخدمها الأطباء فى تلك الفترة[٢].

وقد ذكر المقريزى خبر استقدام أحد أطباء اليهود بالقدس ليعالج مملوكا لفتح الله بن معتصم بن نفيس الإسرائيلى الداودارى العنانى كاتب السر بمصر عام (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) [٣]،وهناك شهادة نادرة لماكس مايرهوف ينفى فيها وجود شخصيات طبية مشهورة فى القدس فيقول: "فى القرن الخامس عشر الميلادى لم يكن هناك ذكر لأطباء يهود فى القدس، بل أكثرهم كان يتركز فى القاهرة وخصوصا من اتصلوا بالبلاط المملوكى أمثال خضر الطبيب الذى استطاع أن يعالج السلطان برسباى فى عام (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) بعدما عجز اثنان من الأطباء

---

(١) محمد الهوارى: مفردات طبية من الجنيزة القاهرية، قراءة جديدة لمخطوطة بودليان أكسفورد رقم((69 – Ms.Heb.e.74(fols.66)، دار الزهراء للنشر، القاهرة ١٩٩٤م، ص٥.

(٢) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص٢٨٨.

(٣) المقريزى: درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، تعليق وتحقيق محمود الجبيلى، نشر دار الغرب الإسلامى ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٦، ج١، ص٤٥٤.

غير اليهود فى ذلك"[1]، كما ورد فى بعض المكاتبات العربية ذكر رئيس المُجبرين اليهودى ويدعى فتح الدين صدقة اليهودى ويلقب بالصدر[2].

ومما سبق يتضح أن أكثر علماء اليهود فى الفترة محل الدراسة لم يكونوا من اليهود الشرقيين (السفارد)، ولكن كان أغلبهم من اليهود الأشكيناز (الغربيين) الذين أتى أغلبهم من إيطاليا وإسبانيا، كما أن أغلبهم نبغ فى الدراسات الدينية وما يتعلق بها من استفسارات مما جعل أكثر أنشطتهم العلمية تتمحور حول دراسة التوراة والشروح عليها أو دراسة التلمود ووضع الشروح عليه، بالإضافة إلى الأسئلة الفقهية التى كان يرسلها اليهود إلى أولئك العلماء فيجتهدون فى حل تلك المسائل الفقهية.

التصوف اليهودى (القبالاة)

القبالاة تعنى عند فلاسفة اليهود فلسفة القبول، وهى مذهب القائلين إن الإيمان هو قبول التراث، وأداء الشعائر، والتسليم لله والأمل فى أن يحظى اليهودى بالقبول عند الله طبقا لإجادته فى أداء الشرائع، ومن ثم يمكن اعتبار القباليين سلفيى اليهود، وهم يذهبون إلى أن للنصوص الدينية روحا هى التأويلات التى يستخرجها الواصلون، وتأويلاتهم تشكل مذهبا هو نقيض المذهب العقلى عند موسى بن ميمون[3].

ويمكن اعتبارها مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وتعنى بالعبرية التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية[4]، وهو

(1) Meyerhof , Max: Medieval Jewish physicians in the Near East from Arabic sources , vol .I , p.458.

(٢) ابن ناظر الجيش (تقى الدين بن محب الدين محمد التميمى الحلبى): تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودولف فسلى، المعهد العلمى الفرنسى ١٩٨٧م، ص٢٠٥.

(٣) عبد المنعم الحفنى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولى، بدون تاريخ، ص١٩٦.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٣٥.

اتجاه يسوى بين الإله والطبيعة، بحيث يصبح الإله هو الطبيعة، ويتركز الحلول الإلهي في الشعب اليهودى حسب معتقدات الصوفية اليهودية فى التجرد من الجسد والفناء فى الروح. فالقبَّالاة ترى الإله باعتباره عشر درجات أو عشرة تجليات نورانية منفصلة، ثم تصبح متصلة أعلاها (أعلى عِليين) أو الإله الذكَر (يهوه)، وأدناها الحضور أو ما يعرف (بالشخيناه)[1] أى حضور الرب مع الشعب المختار[2] وهو كنيست يسرائيل أي شعب إسرائيل، بحيث لا يوجد فارق بين الخالق والمخلوق، وكأن الخالق والمخلوق هما شيء واحد.

وحتى يصل القبالى (المتصوف اليهودى) لهذا الاتجاه عليه أن يمر بمقامات سبعة؛ هى (التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا) وهو بهذا يكون قد طهر النفس فيستحق أن تظهر عليه أحوال ثمانية، هى على الترتيب: (القرب، والمحبةِ، والمخافة، والرجاء، والشوق، والأنس، والمشاهدة، واليقين)[3]. ولما كان التصوف الإسلامى نموذجا يُحتذى فى أوساط القباليين من الطائفة اليهودية فإن نقاط التشابه لا تنعدم فى الأدبين الصوفيين اليهودى والإسلامى؛ بل نستطيع القول إن خطوط التبعية فى الأدب الصوفى اليهودى للتصوف الإسلامى تبدو واضحة فى طقوس العبادة اليومية مثل قيام الليل عند

---

(١) الشخيناه: تعنى "التجلي الأنثوي للإله" فى المفهوم الصوفى اليهودى، وهي كلمة عبرية تعني حرفيا "السكون"، أو "الهجوع". كما إنها تشير في الأدبيات الدينية اليهودية إلى الحضرة الإلهية، أو حلول الإله في الإنسان والعالم. ويقال إن الشخيناه . أصلا . إلهة كنعانية قديمة هي ملكة السماء وأن اليهود قاموا بعبادتها في المملكة الجنوبية قبل سقوط أورشليم، فقد جاء في العهد القديم : " إن الإله يسكن وسط شعبه" (سفر الخروج، إصحاح٨، آية ٢٥، سفر اللاويين، إصحاح١٦، آية١٦). ويؤكد التلمود أن الحضرة الإلهية لا توجد إلا في وسط الشعب. ولعل الشخيناه تحل أيضا في اليهودي حينما ينفذ التعاليم الإلهية. وهي تتحول إلى حقيقة فعلية، أي تتجسد في الأشخاص والأماكن والأشياء ذات القداسة، وخصوصا في ساعات الدروس الدينية والصلاة، عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، ج٧، ص٤٧٣.

(٢) عبد المنعم الحفنى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص١٧١.

(٣) محمد الغرايب: التصوف اليهودى بين العقيدة والتاريخ، مقال بمجلة المناهل، وزارة الثقافة المغربية، عدد٢٩، لسنة٢٠٠٧، ص٤٧٤.

اليهود، واللجوء إلى الخلوة تجنبا للقاء الخَلْق، فقد ورد في التلمود: "أتقياء الأزمنة القديمة للمشناة كانت عاداتهم انتظار ساعة من الزمن قبل الشروع في الصلاة حتى تنصب أذهانهم على أبيهم الذي في السماوات، وإذا ما انغمسوا في الصلاة وجاء مَلِك مُحَيِّيا إياهم ما ردوا تحيته حتى لا ينقطع حبل صلاتهم، أو إذا ما حدث وجاءت أفعى والْتَوت على عرقوبهم ما انتبهوا إليها"(١).

ودعاة القَبَّالاة يظنون أنهم يوحدون الرب بتلك التجليات النورانية، ولكنهم في واقع الأمر قد استعاضوا عن أقانيم المسيحية الثلاثة بعشرة تجليات، وهذا شرك، يظهر هذا في القَبَّالاة العملية التي تجعل الخلاص منوطا بالتوصل للصيغة السحرية الصحيحة أو ما يعرف بالغنوصية(٢). مما جعل التصوف اليهودي تصوفا حلوليًا غنوصيًا ليس الهدف منه فناء الذات والتقرب إلى الإله والتفاعل معه والزهد وإنما الالتصاق بالخالق والتوحد معه بحيث يصبح المؤمن تَجسُّد الإله، وإرادته هي إرادة خالقه، مما جعل التصوف اليهودى يتخذ شكل التفسيرات الباطنية وصنع التمائم والتعاويذ والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير على المتعبد وإيهامه بالتغيير في الإرادة الإلهية(٣).

---

(١) سفر العدد : إصحاح١٩، آية١٧-١٩، وقد ظهرت بداية هذا الأمر عند الغزالي في كتابه(ميزان العمل) طبعة القاهرة ١٩٢٣م، وقد عمد هنرى لاوست إلى الإشارة إليها ثانية فى تحليله لمذهب المتصوفة فى كتابه:

- La Politique d'Al Ghazali . Geuthner, Paris 1970, pp. 72 – 73.

(٢) الغنوصية: Gnosticism كلمة يونانية تنطق (غنوصيص) وتعنى الحكمة أو المعرفة، والغنوصية مذهب ظهر فى المسيحية الأولى يقول إن الخلاص فى العمل وليس بالإيمان وهو يتألف من ثنائية هى المادة والروح ومزج ذلك بشخص المسيح (عليه السلام) وعمله، وقد تقابل الغنوصية كلمة الكشف عند الصوفية المسلمين، والغنوصية اليهودية تعنى العلم بأسرار الحقائق الدينية والخصائص الإلهية، وبكل ما هو سرى وخفى (كالسحر والتنجيم والكيمياء)، كما ترى أن ثمة جوهرًا واحدًا يجمع بين كل الديانات، ولذا لا تُعد ديانة جديدة، بل كباطن للشريعة القائمة، ومهمة الغنوصى الكشف عن المغزى العميق للعقيدة اليهودية بواسطة معرفة باطنية وكاملة لأمور الدين. محمود العابدى: مخطوطات البحر الميت، ص ٢٥٣؛ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص٢١.

(٣) محمد الغرايب: التصوف اليهودى بين العقيدة والتاريخ، ص٤٧٨.

والقبالاة في بعض جوانبها ومظاهرها وطلاسمها تقارب السحر، ولها لغة رمزية شديدة التعقيد. فللحرف العبرى عندهم منطق باطنى، وللعلامة والشرطة والنقطة قيمة عددية، وتستخلص معانى العبارات القبالية بقراءتها عكسا لا طردا(١)، خاصة ما يعرف منها بالقبالاة التطبيقية وما يتصل بها من تركيبات مختلفة للحروف الهجائية العبرية وأسماء الملائكة وبعض علوم الفلك وعلوم السحر والتنجيم التى كان أحبار اليهود بارعين فيها ويستخدمونها دوما(٢).وقد أدَّى انتشار القبَّالاه إلى تزايد اشتغال اليهود بالسحر(٣)، وقد أقام القبَّاليون مركزا لهم في كل من صفد والقدس عام (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م).

ومن شيوخ الصوفية اليهودية موسى القرطبى (٩٢٩هـ/١٥٢٢م-٩٧٨هـ/١٥٧٠م) وله مؤلف كبير اسمه (باردز ريمونيم) أى (حديقة الرمان)، ناقش فيه أن اليهودى لا يستحق أن يرى النور فى حياته ولا يستحق أن يتذوق حلاوة التوراة إلا إذا اعتاد أعمال الصوفية(٤)، ويُعد موسى القرطبى أستاذا لإسحاق لوريا.

ومن الصوفيين اليهود إسحاق لوريا (ت ٩٣٨هـ/١٥٣٤م) ويُعرف لوريا أيضًا باسم "هاآري هاقدوش" أي "الأسد المقدَّس". ويشار إليه أيضاً باسم "الإشكينازي"، واختصار اسمه هو "آري". وُلد إسحاق لوريا في القدس لأب إشكينازي يعمل بالتجارة وأم سفاردية. درس في مصر التلمود واشتغل بالأعمال التجارية، لكن الدراسات القبَّالية استغرقته تمامًا. ويُقال إنه اعتكف في جزيرة الروضة في المنيل لمدة سبع سنوات حيث تأمل في الزوهار(٥) (كتاب الإشراق)،

(١) عبد المنعم الحفنى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص١٧٠.

(٢) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص١٩٨.

(٣) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٥.

(٤) آلان أنترمان: اليهود عقائهم الدينية وعباداتهم، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، ومراجعة أحمد شلبى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م، ص١٩٢.

(٥) الزوهار: كلمة عبرية تعنى الضياء ويطلق هذا الاسم على أهم كتب التراث القبَّالي الذى ألفه الرابى سيمون بن جوشى، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، والزوهار يقر بأن كنه الزهد والعبادة يتمثل فى السعى للانتصار لليمين (الخير)

وعاش حياة الرهبان عندما جاء إلى الأرض المقدسة. وفي عام (٩٧٧هـ/١٥٦٩)، استقر لوريا، هو وأسرته في صفد حيث تجمعت حوله مجموعة من الطلبة والحواريين والمريدين منهم يوسف بن طابول[١]، ومسعود أزولاى الأعمى[٢]، وأبو الهنا المغربى[٣]، ومات في هذه المدينة[٤]، ولم يترك لوريا أية نصوص مكتوبة إذ كانت الدروس التي ألقاها على تلاميذه شفهية، ثم ظهرت بعض تعاليم لوريا فى مذكرات كتبها أحد تلاميذه ويدعى حاييم فيتال كالابريس[٥] (٩٤٩هـ -

---

= ضد اليسار(الشر)، وإصلاح الظاهر(نيكلا) والباطن(نيستار) وهو شيء لا يتأتى إلا بالمجاهدة المستديمة.وتتحصل الرفعة عبر عمليتين متوازيتين هما ترويض النفس والجسد والاجتهاد، وقد ظهرت أولى طبعات الزوهار خلال الفترة من (١٥٥٨م إلى ١٥٦٠م) في مانتوا وكريمونا في إيطاليا. وظهرت طبعة كاملة له في القدس (١٩٤٥- ١٩٥٨) تقع في اثنين وعشرين مجلداً، وتحتوي على النص الآرامي يقابله النص العبري. وقد ظهرت ترجمات لاتينية لبعض أجزاء كتاب الزوهار (ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادى). كما تُرجم إلى الفرنسية في ستة أجزاء (١٩٠٦م- ١٩١١)، وإلى الإنجليزية في خمسة أجزاء عام ١٩٣١ م
-Isaacs, Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews, p.419.
حنان السقاط: التصوف والزهد اليهودى(القبالاة) فى المغرب، مقال بمجلة المناهل، عدد ٢٩، لسنة ٢٠٠٧، ص٤٦٧؛ عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٤٦-١٤٧.

(١) يوسف بن طابول: قبالي، من أهم تلاميذ إسحق لوريا. جاء من المغرب ولذا كان يقال له يوسف المغربي، انضم إلى حلقة لوريا في صفد (عام ١٥٧٠) حيث مكث بعد موت معلمه. ونشأت بينه وبين خاييم فيتال بعض المشاحنات، فذهب إلى مصر واستقر فيها بضع سنوات في شيخوخته. ويعد شرحه لأفكار لوريا من أهم مصادر القبالاه اللوريانية. عبد الوهاب المسيرى: المصدر السابق، مج٧، ص٤٩٩.

(٢) ذكره المسيرى فى موسوعته ولم أعثر له على ترجمة.

(٣) حاييم زعفرانى: ألف سنة من حياة اليهود، ص٢٠٠؛حنان السقاط: التصوف والزهد اليهودى، ص٤٦٥.

(٤) عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٥، ص١٥٢.

(٥) حاييم فيتال: يهودي من أصل إيطالي، وأحد أتباع إسحق لوريا في صفد في آخر سني حياته(١٥٧٠م-١٥٧٢م) وبعد موت لوريا، أعلن فيتال أنه هو وحده المحتفظ بتعاليمه. وقد كان فيتال يتفاخر أمام تلاميذه بأن روحه هي روح الماشيح بن يوسف، وأنها معصومة من خطيئة آدم. وقد نشرت مذكراته عن أسرار القبالاة اللوريانية، الأمر الذي أدى إلى ذيوعها،=

٩٦٨هـ/١٥٤٢م-١٦٢٠م) وضمها فى كتاب أطلق عليه (أتز شايم)، وهذا الكتاب يضم أكثر العناصر أهمية فى القبالاة اللوريانية وهى التشبع بالحنين إلى العودة إلى أرض الميعاد والخلاص(١).

الاهتمام باللغة العبرية:

كان لطبيعة التشتت التى عاشها اليهود فى مختلف الأقطار أكبر الأثر فى عاداتهم الاجتماعية والتراثية والحضارية لمجتمع بيت المقدس، فقد تحدثوا لغة هذا المجتمع واكتسبوا عاداته لدرجة أن عوبيديا نفسه انزعج عندما وجد اليهود الذين يحضرون جلساته العلمية ومواعظه السبتية لم تكن اللغة العبرية هى المتداولة بينهم، كما أنهم لم يفهموا محاضراته التى ألقاها بالعبرية فهما جيدا واكتفوا فقط بالإحساس بها وتذوقها دون التفاعل معها.

والسبب فى ذلك يرجع إلى أنهم استبدلوا بعبريتهم اللغة العربية لغة المجتمع الذى يعيشون فيه، كما أن النهضة العلمية للغة العبرية التى قام بها إلياس ليفي فى إيطاليا، والتى بدأت فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى بإحياء علوم اللغة العبرية(٢) لم تصل لليهود السفارد الموجودين بمنطقة النيابة قبل وصول عوبيديا إلى القدس؛ لذا أخذ عوبيديا على عاتقه مسئولية نشر استخدام اللغة العبرية إحياءً للتراث اليهودى الذى شارف على الانهيار، عن طريق تأليف كتاباته الدينية بالعبرية وإلقائه للمحاضرات الأسبوعية أيضا بنفس اللغة، بغرض الارتقاء بالمستوى الدينى والفكرى للجماعة اليهودية وإيجاد جيل يضطلع بالنهوض علميا وثقافيا بجماعة اليهود على أرض فلسطين، وقد آثر عوبيديا استخدام الخط العبرى المربع فى مؤلفاته.

= ولولاه لما أحرزت القبالاة اللوريانية هذا الانتشار، ذلك أن لوريا نفسه لم يترك أية نصوص مكتوبة إذ كانت الدروس التي يلقيها شفهية.عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٧، ص٤٩٩.

(١) آلان أنترمان: اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، ص١٩٣.

(٢) عونى عبد الرءوف: قواعد اللغة العبرية، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧١م، ص١٧.

وقد أشار عوبيديا فى رحلته إلى اختلاف عبرية اليهود السفارد، عن عبرية اليهود الأشكيناز، خاصة حينما كان يلقى عليهم دروسه؛ حيث طلب اليهود منه أن يلقيها بالعربية حتى يفهمها الجميع لاختلاف لغتهم[1]، وقد برر عوبيديا ذلك بأن يهود البلاد العربية سواء المحليون أم القادمون من الأندلس كانوا لا يتحدثون إلا العربية واقتصر استخدام العبرية عندهم على الأنشطة الدينية المتخصصة[2].

حدث نوع من التطور للغة العبرية على يد لُغَوِيِّي ونَحْوِيِّي اليهود القدامى. وقبل عرض التطور لا بد من معرفة المراحل التى مرت بها اللغة العبرية حتى وصلت إلى العبرية الخاصة بالطقوس الدينية والعبرية التى كتب بها اليهود وثائقهم، وإن كانت بعض هذه المراحل متداخلة يصعب الفصل بينها فى بعض الأحيان، مع ضرورة الإشارة إلى أن مجموعة من هذه الوثائق كتبت باللغة العربية ولكن بحروف عبرية وصولا لمعرفة أسباب ذلك؛ هذه المراحل؛ هى :

١- مرحلة عبرية العهد القديم وتمتد هذه المرحلة من القرن الثانى عشر قبل الميلاد إلى القرن الثانى قبل الميلاد.
٢- مرحلة عبرية المشناة (لغة الحكماء) وتمتد من القرن الثانى قبل الميلاد إلى بداية القرن السادس الميلادى.
٣- مرحلة عبرية العصور الوسطى وتمتد من القرن السادس الميلادى إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى.
٤- مرحلة العبرية الحديثة وتمتد من القرن الثامن عشر الميلادى وحتى الآن[3] (وهذه المرحلة لا تدخل ضمن فترة البحث).

المرحلة الأولى:

ويطلق عليها مرحلة عبرية العهد القديم الخالصة. بدأت هذه المرحلة في القرن الثانى عشر قبل الميلاد تقريبا، وظلت حتى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد، فكانت اللغة العبرية هي اللغة الشائعة في المناطق الجبلية في فلسطين، وكانت عبرية هذا العصر تتسم بالنقاء والبعد عن أي تأثيرات آرامية أو كنعانية، ودوّنت بها معظم

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.274.
(2) Ibid, p 274.
(3) Hutscher, Eduard Yecheikel: A History of The Hebrew Language, Jerusalem, 1982,p.12.

أسفار العهد القديم والأعمال الأدبية الأخرى، وعدد من النقوش الأثرية على الصخور والأحجار، وذلك الأمر يفسر لماذا أبقى اليهود السامرة الموجودون فى منطقة الدراسة على استخدام العبرية القديمة باعتبارها اللغة المقدسة التى ترتبط بممارسة الطقوس الدينية، وهذا ما أوضحه عوبيديا بعبارته: "وطريقة كتابتهم تختلف عن طريقة كتابتنا، وهى الكتابة المقدسة لديهم"(١)، وأضاف ميشلوم بن مناحم قوله: "إن أبجدية اللغة العبرية التى يستخدمها السامرة تنقص أربعة أحرف عن الأبجدية التى يستخدمها سائر اليهود، كما أنه ليس بها نظام للحركات(٢)، بينما تتميز الأبجدية العبرية السامرية بانقسامها إلى خمسة أقسام طبقا لأداء الحديث؛ وهى الحروف الحلقية، والحروف الشفوية، والحروف المفخمة، وحروف الصفير(٣).

المرحلة الثانية:

بدأت هذه المرحلة فى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد؛ وهى الفترة التى عرفت باسم فترة السبى البابلى؛ حيث بدأت اللغة العبرية فى التدهور نتيجة لتأثرها باللغات المنتشرة فى العراق مثل اللغة البابلية والآرامية والفارسية بعدما احتل الفرس العراق. وعلى الرغم من محاولة رجال الدين اليهود الحفاظ عليها فإن هذه المحاولات لم تنجح واقتصرت على الأنشطة الدينية فى المعبد اليهودى(٤)، فعرفت العبرية فى تلك الفترة بعبرية المشناة (لغة الحكماء).

وفى فترة الشتات الرومانى انقسم اليهود إلى شطرين: أحدهما استقر فى شمال أوروبا وهم من عُرِفوا باليهود الأشكيناز، وجزء من جنوب أوروبا (الأندلس)؛ والآخر فى شمال إفريقيا (المغرب) وهم من عرفوا باليهود السفارد، فظهر لكل شطر منهم تلاوة دينية لها صوتيات مميزة عرفت بعد ذلك باسم النطق الأشكينازى الشمالى والنطق السفاردى الجنوبى(٥).

---

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah ofBerteanouro , p.207.
(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Traveller,p.171.
(٣) سيد فرج راشد: السامريون واليهود، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧م، ص١٩٨ -٢٠٠.
(4) Hoffman, Joel M.: A Short History of the Hebrew Language , New York press, 1987, p.45.
(5) Ibid.,p.80.

المرحلة الثالثة:

هذه المرحلة هى التى يهمنا التركيز عليها وذلك لأن لغة الوثائق التى اعتمد عليها البحث تنتمى إلى هذه الفترة؛ مما يجعلنا نرصد تطور استخدام اللغة عند يهود فترة الدراسة لنعرف لماذا تخلى يهود منطقة الدراسة عن عبريتهم واستخدموا العربية بدلا منها، الأمر الذى جعل الرابى عوبيديا يكرس نشاطه فى إعادة استخدام اليهود لها مرة أخرى.

وللإنصاف نقف على تقسيم الدكتورة ليلى أبو المجد[1] لهذه المرحلة إلى مراحل ثانوية هى أكثر دقة فى تحليل التطور الذى حدث للغة واستخدام اليهود لها؛ وهذه المراحل هى:

- مرحلة عبرية ما بعد التلمود وهى اللغة التى كتبت بها وثائق الجنيزة فى القرن السادس الميلادى إلى أواخر القرن التاسع الميلادى ويغلب على اللغة فيها طابع العبرية المشنوية.
- مرحلة عبرية العصر الذهبى والعبرية اليهودية وقد ازدهرت فيها العبرية بعد الفتح العربى لبلاد الأندلس، وازدهار الدراسات اللغوية والنحوية العبرية، تأثرا بجهود اللغويين والنحويين العرب؛ ففى مطلع القرن الثالث الهجرى مرورا بالقرن الرابع الهجري اتسعت جهود يهود الأندلس فى الاهتمام بإحياء اللغة العبرية مرة أخرى فى ظل تسامح الدين الإسلامى الذى سمح لليهود بحرية العقيدة وحرية الثقافة، وخاصة عندما انتقل بعض علماء اليهود من الأندلس للاستقرار فى مصر؛ فظهرت جهود كل من سعديا الفيومى[2] وموسى بن ميمون[1] فى التأليف وزاد النتاج اللغوى والأدبى العبرى.

---

(١) قدمت الدكتورة ليلى أبو المجد دراسة مستفيضة للغة وثائق الجنيزة فى رسالتها للدكتوراه وعنوانها(الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط الجنيزة القاهرية دراسة لغوية) كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٧م وقد أفادتنا الدراسة كثيرا.

(٢) سعديا الفيومى: هو سعدى بن يوسف الفيومى؛ ولد فى الفيوم من أعمال الصعيد وتعلم فى أكاديمية سورا بالعراق، وتولى منصب جاؤون أكاديمية سورا عام (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) ويعد من فلاسفة اليهود ومفسريهم وله مؤلفات فى العقائد والمذاهب كما قام بأول ترجمة عربية للتوراة

كما ظهرت فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) جهود كل من أبى زكريا يحيى بن داود حيوج النحوى اليهودى، ومناحم بن سروق، ودونش بن لبرط، ويهودا بن قريش، ومروان بن جناح القرطبى، وديفيد بن قمحى، فى ضبط اللغة العبرية متأثرين فى ذلك بنظام النحو العربى عند سيبويه وابن جنى وأمثالهما[٢]؛ مما جعل تركيب الجملة العربية يتسرب إلى تركيب الجملة العبرية ومال كثير من أدباء اليهود فى القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) إلى تقليد العرب فى التأليف الأدبى؛ فظهر عندهم مقامات الحريزى[٣] على غرار

= مع إضافة بعض الشروح والتعليقات حتى يسهل على عامة اليهود فهمها، ومن مؤلفاته كتاب الشرائع وكتاب تفسير أشعياء وكتاب تفسير التوراة، وكتاب الأمانات والاعتقاد وقد ألفه بالعربية ويتضح فى الكتاب التأثر بآراء أصحاب المدرسة الكلامية عند المعتزلة، وفلسفة أرسطو، وكان يقيم تأويلاته وتفسيراته على التفكير العقلى وبذلك استطاع التوفيق بين معطيات التنزيل ومذاهب التأويل العقلى دون صدام عنيف بينهما. عبد المنعم الحفنى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص١٣٢.

(١) موسى بن ميمون: هو أبو عمران موسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي ت (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) المشهور بالرمبم واشتهر عند العرب بلقب الرئيس موسى. وُلد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة (٥٥٤هـ / ١١٥٩م) إلى مدينة فاس المغربية؛ حيث درس هناك وفى عام (٥٦١هـ/ ١١٦٥ م) جاء إلى فلسطين، واستقر في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى وفاته. عمل في مصر نجيدا للطائفة اليهودية بمصر، وطبيبًا لبلاط الوزير الفاضل عبد الرحيم البيسانى، والسلطان صلاح الدين الأيوبى وكذلك ولده الملك الأفضل على. كان أوحد زمانه في صناعة الطب ومتفننًا في العلوم، وله معرفة جيدة بعلم الفلسفة ومن أهم مؤلفاته (مشناة توراة، دلالة الحائرين، واختصار الكتب الستة عشر لجالينوس ومقالة فى البواسير وعلاجها، وكتاب شرح العقار). الزركلى: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م، ج٧، ص٤٢٠ ؛عبد المنعم الحنفى: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص٣٩؛ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، القاهرة ١٩٣٦ م، ص٢٦.

(٢) سيد فرج راشد: اللغة العبرية قواعد ونصوص، دار المريخ للنشر، السعودية، بدون تاريخ، ص١٢.

(٣) سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص١٩، ومقامات الحريزى كتبها يهوذا الحريزى ت(٥١٦هـ/١١٢٢م).

مقامات الحريرى، وفى القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) قام يعقوب بن أليعازر بترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى العبرية مع الاحتفاظ بنسخة مكتوبة بالعربية[1] محفوظة فى جامعة كمبردج.

مما سبق يتضح جهود بعض علماء اليهود فى الاهتمام باللغة العبرية ومحاولة كتابة مؤلفاتهم بها، ومن تلك الجهود اقتصار كتابة الشعر اليهودى على اللغة العبرية فقط ولم نتمكن من الاطلاع على قصائد لشعراء يهود فى القرون السابقة لفترة الدراسة أو بعدها مكتوبة بلغة غير العبرية، وعلى الرغم من ذلك تطالعنا وثائق الجنيزة المكتوبة فى فترة الدراسة بحقيقة أن اليهود دونوها بثلاث طرق: فهناك الوثائق المكتوبة باللغة العبرية، وهناك المكتوبة باللغة العربية وهناك المكتوبة بالعربية ولكن بحروف عبرية، كما يلاحظ خلط يهود مدن الجليل بين صوتى الهمزة والعين أو إبدالهما فى الوثائق العبرية المكتوبة[2].

وقد أوضحت الدكتورة ليلى أبو المجد أن عبرية العصر الذهبى تأثرت تأثرا كبيرا باللغة العربية، وأوافقها فى هذا الأمر؛ حيث تطلعنا وثيقة جنيزة مكتوبة بالعربية اليهودية (عربية بحروف عبرية)، هى عبارة عن صفحة من كتاب "أصول اللغة العبرانية" لمؤلفه أبو كثير بن يحيى بن زكريا[3] يقول فيها: "ففى فلسطين بدأت اللغة العربية تحل محل الآرامية الغربية كلغة تخاطب بين اليهود فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين"، وقد أكد المؤلف كلامه مستشهدا بما كان يفعله بين اليهود فقال:" كنت أطيل الجلوس بطبرية وشوارعها أستمع إلى كلام السوقة والعامة وأبحث عن اللغة وأصولها وفيما نطق بها من العبرانى والسريانى وأنواعه فإنه مجانس للعربية"[4].

---

(1) Walzer , Sofie: An Illustrated Leaf from a Lost Mamlūk Kalīlah Wa-Dimnah Manuscript, Published by: Freer Gallery of Art, The Smithsonian Institution and Department of the History of Art, University of Michigan, ArtsOrientalis, vol. 2 (1957), pp. 503-505.

(2) Segal, M.H : A Grammer of Mishnaic Hebrew, Oxford ,1970,p.12.

(٣) أبو كثير يحيى بن زكريا أديب من طبرية عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى وأوائل القرن العاشر الميلادى تتلمذ على يديه سعديا جاءون. نقلا عن د. ليلى أبو المجد: الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط، ص٢٥.

(4) T.S. box 321, Li 17. Cambridge University.

الوثيقة ناقشتها د. ليلى أبو المجد فى رسالتها للدكتوراه ص٨٨.

وبناء على ذلك نستطيع القول إن اللغة العبرية قد تراجعت فى منطقة الدراسة وحلت محلها اللغة العربية كلغة تحدث وتدوين للمؤلفات اليهودية المختلفة، وهذا يفسر تراجع استخدام يهود المنطقة للغة العبرية وإيثارهم استخدام اللغة العربية التى يتحدثها مجتمع إسلامى سمح لهم بالعيش سلما وتسامحا بين ظهرانيه.

****

وخلاصة ما انتهينا إليه فى هذا الفصل يشمل النقاط التالية :

١ - إن الحياة الثقافية لدى اليهود فى نيابة القدس فى فترة الدراسة لم تكن من الأهمية بمكان؛ ذلك أن أغلب اليهود الذين وجدوا فى هذه الفترة انشغلوا بالمهن وكسب العيش أكثر من انشغالهم بالعلم والإنتاج الفكرى، وإن كنا لا نستطيع إنكار حرص بعض اليهود على تعليم أبنائهم فى مراحل التعليم الأولى واقتصار هذا التعليم على نوعين من التعليم: التعليم الدينى، والتعليم المدنى.

٢- مَثَّل الكنيس اليهودى محور الحياة التعليمية والحياة التَّعَبُّدية الدينية لدى اليهود، ففيه العلماء وطلبة العلم، على الرغم من أن عدد اليهود كان قليلا بالنسبة لغيرهم من السكان(١)، وذلك حتى أواخر عصر المماليك، أما عن طريقة التعليم لديهم فإن كثيرا من البالغين كانوا يأتون للدراسة فى أيام العطلات وخاصة يوم السبت والإجازات الأخرى حيث يدرسون التوراة، وكان الهدف من هذه الدراسة التعود على السلوك الاجتماعى والدينى السليم، حيث كانوا يتعلمون القراءة تمهيدا لتعليمهم الترجمة والتفسير للكتاب المقدس.

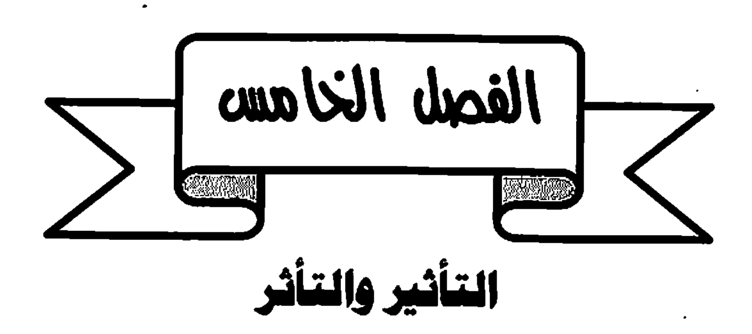
٣ - لم تتضح معالم النهضة العلمية لدى اليهود فى فترة الدراسة؛ وذلك لأن أعداد اليهود الموجودين فى منطقة الدراسة قليلة، بالإضافة إلى أن أكثر اليهود تركوا منطقة الدراسة ورحلوا إلى صفد.

(1) Sason, Ben: Jewish Society Through The Ages, New York,1973, p.160.

٤- انصبَّ اهتمام اليهود فى هذه الفترة على التَّمَهُّن وكسب العيش، إلا أنه بوصول الرابى عوبيديا إلى القدس عكف على إحياء الأكاديمية اليهودية (اليشيفاه) فأحيا العلوم الدينية من تفسير للتوراة وكتابة شروح عليها، وليس معنى هذا أن ظهرت علومٌ جديدة أو ازدهرت علومٌ أخرى لدى اليهود، بل الأكثر من ذلك أننا لم نسمع عن علماء يهود فى مختلف فروع المعرفة سوى الرابى عوبيديا، ويوسف كارو وتلامذتهم القليلين.

٥- إن النتاج العلمى يتبع بالضرورة النهضة العلمية وما دام أنه ليس هناك نهضة علمية بالمعنى المفهوم لها فسيترتب على ذلك قلة النتاج العلمى وهذا ما أثبتته الدراسة فلم نجد مؤلفات فى مختلف العلوم لدى اليهود فى فترة الدراسة سوى بعض الشروح الدينية على التوراة كمؤلَّف عوبيديا (مشناة البرتينورى)، ومؤلف يوسف كارو فى التصوف اليهودى (الشولحان عاروخ).

٦- بالنسبة للغة العبرية أوضحت الدراسة تراجع استخدام هذه اللغة عند اليهود ولجوئهم لاستخدام اللغة العربية بدلا من العبرية كوسيلة للتواصل فى المجتمع الذى يعيشون فيه، واقتصر استخدام العبرية على الطقوس الدينية.



الفصل الخامس

التأثير والتأثر

بين اليهود و سكان القدس

ويشتمل على :

- تحول اليهود للإسلام
- علاقة اليهود بباقى طوائف المجتمع
- نفوذ اليهود لدى السلطات المملوكية
- العلاقة بين اليهود والنصارى
- علاقة اليهود ببعضهم البعض؛
- دار القضاء عند اليهود (بيت دين)
- التاثير والتاثر بين اليهود والمسلمين

لقد كان للأمة الإسلامية من الجماعات اليهودية موقف يتسم بالتحضر والتسامح؛ فى حين أن الجماعات اليهودية لم يكن لها نفس الموقف الإنسانى والحضارى. إن حياة اليهود فى الدولة الإسلامية وصلت إلى درجة من الازدهار والتقدم دفعت بعض المؤرخين اليهود إلى اعتبار حياتهم فى الدولة الإسلامية تمثل العصر الذهبى فى التاريخ اليهودى؛ ففى ظل التسامح الإسلامى تمتع اليهود بكل الحقوق الدينية والمدنية وحققوا مكانة اجتماعية واقتصادية عظيمة، وتولوا المناصب المهمة، وبزغ من بين رجالهم علماء وأطباء وفلاسفة وفقهاء تعلموا على يد المسلمين، وارتقوا بشأن قومهم وأداروا شئون حياتهم فى ظل رعاية إسلامية شرعية باعتبارهم أهل ذمة، كما أن التأثير والتأثر بين اليهود المقيمين فى البلدان الإسلامية وشعوب هذه البلاد صبغ حياة اليهود بصبغة إسلامية ظهرت آثارها فى عاداتهم وتقاليدهم وفى بعض طقوسهم الدينية ولغتهم التى تحدثوا بها وسط المجتمع الإسلامى.

لقد اكتسب اليهود منذ ظهور الإسلام أمانا كبيرا؛ فقد كانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب خاصة فى أوروبا، فحالهم دائما يعتمد على البقاء غير المستمر، فهم جماعات مشتتة تهاجر من مكان إلى مكان وهم بذلك آخر من يأتى للمكان وأول من يغادره إلى مكان آخر ؛لأى سبب يُعد اليهودى ضرورة ملحة لتركه مثل حلول وباء أو طاعون أو نزول مجاعة أو هجوم من مغير مستعمر، وأنقذهم من ذلك الإسلام. فاتصال اليهود بالمسلمين فى الأقاليم الإسلامية كان سببا فى فى حمايتهم والدفاع عنهم، وأسهم فى نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها فى تاريخ الآداب العبرية زمنا طويلا [1].

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، ص١٠.

تحول اليهود للإسلام:

لما جاء الإسلام أبطل الإكره فى الدين، ولم يقبل من الناس إلا من يدخل فيه طواعية واختيارا، وكان فى الدولة الإسلامية ما يضمن لكل ديانة من ديانات أهل الذمة كيانها الخاص. وقد أظهرت وثائق الجنيزة أن قضايا اليهود المدنية كانت تُنْظَر أمام قضاة اليهود، وأن اليهود أنفسهم كانوا يستأنفون بعض أحكام القضاة اليهود أمام قضاة الإسلام(١). كما أن وثائق الجنيزة شهدت بمدى تسامح المسلمين وعدالة حكمهم وحفاظهم على حقوق الإنسان أيا كانت ديانته(٢).

وتشير بعض الدراسات إلى أن كثيرا من اليهود دخلوا الإسلام مضطرين بسبب المراسيم والفرمانات التى كان السلاطين يصدرونها ضد أهل الذمة، من تقييد فى اللباس والهيئة وعدم تولى المناصب الإدارية منذ الدولة الفاطمية كمراسيم عامَىْ (٣٩٨هـ/١٠٠٧م، ٤٠٨هـ/١٠١٧م)(٣)، ويعرض هذا الرأى أيضا كل من ديفيد أيلون وجيرار دى جورج وميشلوم بن مناحم والأب سوريانو؛ حيث إنهم ينصاعون وراء الآراء المتسرعة التى وصفت السلطة المملوكية بالتشدد مع أهل الذمة؛ مستندين فى ذلك إلى المراسيم السلطانية(٤) أو تصرفات النواب كالنائب دقماق وما فعله مع اليهود من جمع الأموال الطائلة وفرض الضرائب الباهظة وعدم مراعاة فقر اليهود الظاهر للعيان نتيجة لامتهانهم حقير المهن.

(1) Goitein, S.D.: Studies in Islamic History and Institutions, Leiden1967,p.283.
(2) Cahen, Clode: Economy, Society and Institutions, Cambridge History of Islam, vol.2, Cambridge 1970, p.524.
(٣) حسن إبراهيم: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٤من ص٢٠٩.
(٤) للاستزادة ومعرفة نصوص هذه المراسيم يمكن الرجوع إلى: (ابن النقاش: المذمة فى استعمال أهل الذمة، ص٢١ -٢٢؛ مرسوم أحد ملوك الصلاحية بإلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤، ص٨؛ ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، ج٢، ص١٩٨؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، ص٣٩٥- ٣٩٦؛ بيبرس المنصورى: التحفة الملوكية فى الدولة التركية، ص١٦١؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٩٠٩ - ٩١٢).

وهذه المراسيم نوعان:

- مراسيم تتشدد فى توظيف أهل الذمة وتنهى النواب عن استخدامهم فى الوظائف المختلفة، كالمراسيم التى صدرت أعوام (٦٨٩هـ، ٧٠٠هـ، ٧٥٥هـ، ٨٢٢هـ، ٨٢٥هـ، ٨٦٧هـ).
- مراسيم تشدد عليهم فى الالتزام بلباس معين وعدم ركوب الدواب وعدم دخول حمامات المسلمين والتزام ما يقتضيه الشرع، وهذه المراسيم صدرت فى أعوام (٧٠٠هـ، ٧٥٤هـ، ٨٥٧هـ، ٨٨٦هـ).

ومن أشهر هذه المراسيم مرسوم السلطان قلاوون (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) الذى كان يجدده باقى سلاطين المماليك فى السنوات التالية كلٌّ حسب رؤيته؛ ولكن مضمون المرسوم لا يخرج عما حدده السلطان قلاوون؛ فالمرسوم ينص على "إلزام أهل الذمة بالشام المحروس بشروط عقد الذمة[1]، ويرتدى النصارى الأزرق، واليهود الأصفر، والسامرة الأحمر"[2]، بالإضافة إلى إلزام جميع الأمراء بأن لا يستخدم أحد منهم فى الجهات السلطانية ولا عند الأمراء، "وأن تغير عمائمهم فيلبس النصارى العمائم الزرق، وتشد فى أوساطهم الزنانير[3]، ويلبس اليهود العمائم الصفر وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل، ويجعلون مقدمات النعال مثنية، بالإضافة إلى عدم دخول نسائهم الحمامات إلا وفى رقابهن أجراس وألزم الرجال بلبس الغيار". ومخالفة هذا الأمر يؤدى إلى حدوث غضب من السلطة المملوكية والمسلمين نظرا لعدم التزام أهل الذمة بذلك، مما يجعل إعادة فرض المرسوم فى سنوات تالية أمرا منطقيا.

وتحليلا لأسباب إصدار هذه المراسيم يمكن توضيح الآتى:

١- لم يكن سلاطين المماليك يسعون لإصدار مثل هذه المراسيم إلا عندما يتأكد لديهم ممارسة أهل الذمة للشغب أو التجسس لصالح الأعداء، خاصة أن الدولة المملوكية لم تكن سياستها الخارجية مستقرة؛ فقد مُنيت بعدة أحداث

---

(١) المرسوم يشير إلى الشروط العمرية التى وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى معاملة أهل الذمة بعد فتحه لبيت المقدس .الماوردى: الأحكام السلطانية، ص١٨٤ – ١٨٥، ويذكر الماوردى أن شروط عقد الذمة تنقسم إلى شروط مستحقة، وشروط مستحبة.

(٢) مرسوم أحد ملوك الصلاحية بإلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية، ص٨.

(٣) الزنار حزام يشده النصرانى على وسطه؛ المعجم الوسيط، ص٤١٧، مادة زنر.

ومعارك سواء مع الجانب الصليبى، أو المغولى، أو مع الإمارات التركمانية التى تكونت على حدود الدولة. وإصدار المراسيم فى هذه الحالات إجراء وقائى لا بد منه للسيطرة على الأمور وعدم تفلتها، خاصة أن نيابة بيت المقدس كانت تستقبل الحجاج النصارى واليهود على السواء بالإضافة إلى مرور التجار على مناطق النيابة بغرض تسويق بضائعهم فى موسم الحج. وفى فترة الحكم العثمانى لم تقع بين أيدينا مراسيم بهذا الشكل، وإن كنت أظن أن العثمانيين قد ساروا على نهج سابقيهم.

٢- لو اعتبرنا أن هذه المراسيم تمثل سياسة متشددة مع أهل الذمة، فالإنصاف لم يفلتَ المسلمون القاطنون فى مناطق النيابة من تلك السياسة المتشددة؛ خاصة فيما يتعلق بفرض الضرائب والمكوس وسياسة الطرح والرمى التى برع فيها نواب وسلاطين المماليك.

٣- لو نظرنا إلى موضوع التشدد فى إلزام أهل الذمة بزى معين لم نجد أيضا أن هذا الأمر كان يخص أهل الذمة فقط، فقد كانت هناك مراسيم تشدد على سكان النيابة من المسلمين الالتزام بشكل معين فى اللباس وخصوصا النساء؛ فقد ألزمن بعدم ارتداء أزياء واسعة الأكمام أو عمامات كبيرة أو التزين بالحلى والصياغات الذهبية، ومن تخالف ذلك تتعرض للعقوبة[1]، كما أن السلطان قلاوون لم يطبق مرسومه على كل أهل الذمة؛ فقد أعفى نصارى الكَرَك والشَّوْبك من الالتزام بزى معين لما لهم من مكانة لدى السلطان؛ لأنهم ساندوه فى ثورته بالكرك، وقدموا له مائة ألف دينار لينفقها فى إعداد القوات العسكرية، فظل نصارى الكرك والشوبك يرتدون عمامات بيضاء أسوة بالمسلمين[2].

على أية حال، لو أن أهل الذمة ومنهم اليهود قد التزموا بتنفيذ المراسيم لما احتاج سلاطين المماليك إلى تجديدها على مدار السنوات السابق ذكرها، والأدعى للدهشة أن العثمانيين استهلوا حكمهم بإصدار مرسوم ضد اليهود يتطابق فى موضوعه مع المراسيم المملوكية؛ حيث رصد لنا ابن طولون فى عام (٩٢٣هـ/١٥١٧م) مرسوما عثمانيا بذم اليهود "وألاَّ يركب نصرانى ولا يهودى

(١) ابن طولون: رسائل تاريخية، مطبعة الترقى، دمشق١٩٤٨م، ص٥ .

(٢) المقريزى: السلوك، ج١، ق٣، ص٩١٢ ..

ولا سامرى ولا إفرنجى فرسا ولا حمارا فى مجامع الناس"[١] على الرغم من القول إن اليهود نعموا بحرية فى عصر العثمانيين وها هو العصر العثمانى يبدأ بمراسيم المنع لأهل الذمة، إذن تكرار تلك المراسيم هو دليل قاطع على أن أهل الذمة ومنهم اليهود " لم يراعوا حقا لسلاطينهم ونوابهم"[٢]، وهذا ما رصده لنا المؤرخ ابن طوق فى كتابه "التعليق" بصورة دقيقة.

وعلى الرغم من ذلك لم ينكر مؤرخو اليهود التسامح الدينى الذى عاشوا فيه، بل إن وثائق الجنيزة نفسها لم تنكر هذا الأمر؛ فقد وردت رسالة من أحد التجار اليهود فى الإسكندرية يذكر فيها فرحته التامة بمعاملة السلطان لليهود وإنقاصه للمكوس المفروضة على التجار اليهود[٣]، وقد أعز الله عددا من اليهود بتحولهم إلى الإسلام والمساهمة فى أعمال البر؛ ومن هؤلاء صفى الدين أبو النصر بن الرشيد " كان يهوديا سامريا وأسلم، واشترى مِلْكا أوقفه على من يقرأ المصحف فى المسجد بعد صلاة الصبح، وكان يتصدق كثيرا على الفقراء من كل ملة - مسلمين ونصارى ويهودا وسامرة - وكان عفيفا متواضعا لين الجانب قاضيا حوائج الناس"[٤].

وحتى التجار كان منهم من يعتنق الإسلام، ومن أمثلة ذلك اعتناق عطار يهودى الإسلام؛ يدعى عبد الحق فى عام (٨٩٤هـ/١٤٨٩م)[٥]، وكان من بلاد

---

(١) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج٢، ص٦٦ .

(٢) ابن طوق: التعليق (يوميات شهاب الدين بن طوق)، ج٣، ص ١٨٩.

(3) Goitein, S.D.: The Cairo Genizah as a Source for The History of the Muslim Civilization, Studia Islamica, No. 3. Paris, 1995, p. 85.

هذه الوثيقة ضمن مجموعة الوثائق التى كان يحتفظ بها جوايتين، كما أنه ذكر فى مقاله السابق أنه أوضح مضمون الوثيقة، ولكنه لم يقم بنشرها ولعل فى عدم النشر أسباب كان جوايتين يحتفظ بها لنفسه لا نعلم عنها شيئا.

(٤) بدر الدين العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، ج٢٤، ص ١٩٧.

(5) Cohen, Amnon: A Jewish Life under Islam, p.74.

أشار كوهين إلى أن اليهود المهتدين (المتحولين للإسلام) كى يعترف بإسلامهم لا بد من نطق الشهادتين أمام القاضى المسلم، وقد يتطلب إسلامهم أن يتخلوا عن أسمائهم اليهودية ويتسموا بأسماء إسلامية .

الفرنج.وقد جرت العادة بأن يقام احتفال كبير لمن يشهر إسلامه[1]. وقد أشار كوهين أيضا إلى إسلام خمسة عشر يهوديا وسيدتين فى القدس من خلال تفريغه للسجلات العثمانية التى كان يدرسها وقد سجلوا فيها تحت مسمى المهتدين[2]؛ هذا وقد رصدت الموسوعة اليهودية إسلام سبعمائة يهودى[3] مشيرة إلى أن السبب الرئيس فى إسلامهم هو تعاليم الإسلام السمحة، والمعاملة الحسنة التى لاقوها من المسلمين فى المجتمع المقدسى سواء كان ذلك من عامة المسلمين أو الحكام أنفسهم، وقد أكد كوهين على أن اليهود فى بدايات الفترة العثمانية كانوا يتمتعون بمعاملة طيبة من السلاطين العثمانيين، أدت هذه المعاملة إلى إسلام العدد الذى سبق ذكره[4].

ويُرجع مندلسون أسباب اعتناق اليهود للإسلام إلى معاملة السلطان سليم الأول الممتازة لليهود؛ نافيا زعم الكثير من أن اليهود كان لهم دور فى إنجاح حملة سليم الأول على سوريا فى عام (٩٢٢هـ /١٥١٦م)، بالإضافة إلى ذكره أن إسحاق كوهين شولال نجيد اليهود فى القدس طُلِب منه أن يبقى فى القدس لزيادة الوازع الدينى لديهم نظرا "لأنهم مهاجرون جدد"[5]. ولكن بدأت هذه المعاملة فى التغير خصوصا مع تدهور أحوال الدولة العثمانية مما انعكس بالضرورة على سنجق القدس، وتزامن مع هذا الأمر تسلط الحكام والمسئولين على اليهود فبدءُوا فى جباية الأموال منهم بظلم وتعسف وأصبح الهم الأول للحكام الأتراك هو ملء جيوبهم بالمال دون الاهتمام بمصالح ومرافق المدينة؛ بل إن الحامية العثمانية التى كانت تعسكر فى أورشليم (سنجق القدس) بدأت تستغل الناس والتجار مستخدمة سلطتها العسكرية؛ مما أدى إلى نزوح السكان وتضاؤل الحى اليهودى[6]، إلا أن هذا الأمر لم يؤثر بالضرورة على اعتناق اليهود للإسلام بل كان أدعى إلى بقاء من أسلم على إسلامه وسعى الآخرين لاعتناق الإسلام.

(١) ابن شاهين: نيل الأمل فى نيل الدول، ص١٥٩؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج٢، ص١٠؛ أحمد دراج: المماليك والفرنج، ص١١٢؛ أحمد دراج: وثائق دير صهيون، ص١٠١.

(2) Cohen, Amnon: A Jewish Life under Islam, p.74.

(3) Encyclopedia Judaica, vol.4, p.87.

(4) Cohen, Amnon: o.p. cit, p.74.

(5) Mendelssohn, Sidney: Jews o f Asia, p.55.

(6) Cohen, Amnon: o.p. cit., p.25.

ويرصد كوهين عريضة مقدمة من أعيان اليهود مرفوعة إلى الباب العالى من قِبل سكان القدس كافة، يرجون السلطان العثمانى فيها أن يمد فترة حكم سليمان خان[1] حاكم القدس وفلسطين لعدله ونزاهته واستتباب الأمن على يديه وحرصه على رفاهية سكان القدس، فى مقابل ما حاق بسكان القدس فى عصر سنان باشا العثمانى (٩٥٢هـ -٩٥٣هـ /١٥٤٥م - ١٥٤٦م) والذى أسهم بشكل ملحوظ فى تدهور أحوال السنجق وسكانه سواء مسلمين أم أهل ذمة، وذلك من واقع المظالم والشكاوى التى رفعت إلى الباب العالى[2]. وكثيرا ما كان اليهود يلجئون إلى رفع الشكوى مباشرة إلى الباب العالى إذا حاق بهم ظلم أو إلى قاضى المحكمة الشرعية؛ ذلك لأن سلطة القضاء كانت منفصلة عن السلطة الإدارية العسكرية؛ حيث كان القضاة يُعينون مباشرة من قبل الباب العالى وكثيرا ما أصدروا أحكاما ضد الإدارة الحكومية لصالح اليهود.

وكان اليهود يعيشون فى هناءة تحت مظلة الشريعة الإسلامية التى كانت تحميهم بوصفهم أهل ذمة. ويرى كوهين أنه من واقع الوثائق العبرية وسجلات المحكمة الشرعية كان اليهود يفضلون رفع قضاياهم أمام المحكمة الشرعية الإسلامية متجاهلين محكمة الديَّان اليهودية (بيت دين)، ويرى أن اليهود على

(١) سليمان خان بن سليم خان بن بايزيد خان الثاني بن محمد خان بن مراد الثانى بن محمد الأول جلبي بن بايزيد الأول بن مراد بك بن أردخان بن على بن سليمان بن عثمان بن أرطغل عاشر سلاطين الدولة العثمانية وصاحب أطول فترة حكم من سنة (١٥٢٠م) حتى وفاته في سنة (١٥٦٦م) خلفا لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثانى. وعرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الإمبراطورية العثمانية العسكرية والسياسية والاقتصادية .قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلجراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا في عام (١٥٢٩م). ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال إفريقيا حتى الجزائر تحت حكمه.ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق١، ص ٣٣٩، محمد فريد بك المحامى: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٩٨١م.

(2) Cohen, Amnon: A Jewish Life under Islam, p.227.

الرغم من أنهم كانوا معزولين اجتماعيا فى السجلات، فإن الإسلام قدم لهم الحماية الكاملة وسط المجتمع المسلم مما فتح الطريق أمام بعضهم لاعتناق الإسلام[١].

ويذكر كوهين فى مكان آخر من كتابه مفندا آراء أستاذه برنارد لويس الذى كان يرى أن اليهود كانوا فى القدس يعانون القيود المالية والعزل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى[٢]، فيرد عليه كوهين - على طريقة وشهد شاهد من أهلها - ويؤكد من واقع سجلات المحكمة الشرعية التركية التى قام بدراستها أن اليهود كانوا منسجمين مع المسلمين العرب فهم يتكلمون لغة واحدة هى العربية ويسكنون متجاورين بل أحيانا فى بيت واحد ويتزاورون، كما كانوا يلبسون نفس الثياب مثل المسلمين ويسمون بأسماء مشتركة مع المسلمين مثل: عبد الكريم، وعبد الله، وزكريا، ويحيى، ويوسف، وسليمان. ويختم المؤلف شهادته بقوله: "كانت حياة اليهود مستقلة ومستقرة فى القدس العثمانية تحت مظلة الشريعة الإسلامية، بل منذ ظهور الإسلام وإذا كان اليهود منغلقين على أنفسهم إلا أنهم كانوا منفتحين على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى القدس العثمانية ولعبوا دورا حيويا؛ صحيح أنهم كانوا أهل ذمة ونظريا أقل درجة من المسلمين إلا أنهم حولوا هذه الصفة لتفادى أى توتر فى علاقاتهم مع المسلمين وحققوا عن طريقها الاستقرار والوئام مما ضمن لهم أن يعيشوا ويطوروا أنفسهم ويحققوا الرخاء والازدهار داخل المجتمع الإسلامى وتحت مظلة الإسلام وعدالة الشريعة الإسلامية"[٣].

---

(1) Ibid, p.76.
(2) Lewis , Bernard: Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century ,Princeton,1978,p.98.
(3) Cohen , Amnon: A Jewish Life under Islam, p.6.

هذه شهادة مؤرخ معتدل نحن فى أشد الحاجة إليها فى وقت يتحكم فيه المتطرفون اليهود الأشكيناز فى مصير القدس ويسومون العرب المسلمين والمسيحيين سوء العذاب، فهو يشهد بعروبة القدس فى العصر الحديث وعدالة الشريعة الإسلامية التى لم تفرق بين سكان المدينة المقدسة أو تحابى أحدا، وهذه الشهادة تتفق مع ما شهد به أوليرى بقوله: "إن النظام الإدارى للدولة الاسلامية قد أمد بعض أهل الذمة بفرص أظهروا فيها مدى ما انطوت عليه نفوسهم من الظلم والخيانة وهى تلك الأخلاق التى لم يستطيعوا كبح جماحها".

كما شهدت مدينة القدس انتقال عناصر يهودية من الداخل ومن الخارج للإقامة فيها، وأظهر ذلك دفتر الإحصاء السكانى؛ حيث يُسَجّل فيه الطارئون من أهل الذمة سواء أكانوا نصارى أم يهودا ويطلق على النفر منهم مسمى "غريب"[١]. ولعل هذه التسمية التى أطلقت عليهم فى دفاتر الإحصاء السكانى هى تسمية دقيقة واقعية تعكس حالهم بالضبط، فهم ليسوا من أصل أهل القدس بل طارئين عليها.

لذا؛ نجد عوبيديا يخرج علينا بقوله إنه أثناء وجوده فى مدينة خليل الرحمن وجد عشرين أسرة يهودية كلهم من الربانيين، ونصفهم كان من سلالة يهود المارانو الإسبان الذين أجبروا على الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية، فلما جاءوا إلى مدينة خليل الرحمن عادوا إلى دينهم مرة أخرى[٢]. وهذا دليل آخر على تسامح الإسلام وتقبله للآخر الدينى، حيث انعكست أخلاقيات المجتمع الإسلامى فى نيابة القدس على يهود الخليل فذكر عوبيديا رأيه فى يهود الخليل قائلا:" إن إقامتى فى هذه البلدة محببة إلى قلبى أكثر من إقامتى فى القدس، إذ إن أعداد اليهود فى الخليل قليلة كما أنهم طيبون، وهم ليسوا سيئين مثل أولئك الذين بالقدس، ويوجد هناك قرابة عشرين أسرة يهودية يقيمون جميعا فى فناء مقصور عليهم ولا يندس فيما بينهم أى من حثالة الناس"[٣].

وعبارة عوبيديا يجب الوقوف عندها لتحليلها، فإن تواجد اليهود فى مدينة خليل الرحمن تحت السلطة المملوكية جعلهم يشعرون بالأمن ويمارسون حريتهم الدينية والاجتماعية بعد زوال السبب الذى جعلهم يرتَدُّون عن ديانتهم، وثمة أمر آخر يمكن ذكره تمتعت به السلطة المملوكية فى القدس ألا وهو الاستقرار؛ فلم يكن الحال كذلك فى كل من مصر وبلاد الشام حيث كثرت الحركات الانفصالية والانشقاقات على السلطة مثل حركة علم الدين سنجر الجاولى وحركة خاير بك، وحركة جان بردى الغزالى، إذ كانت القدس بمنأى عن تلك الحركات فساعد ذلك

---

(١) محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D.1015)، ج٣، ص١١ .

(2) Obadiah Bertinoro: Me-Iţalyah li-Yerushalayim ,p.42.

(3) Ibid. ,p.42.

ويقصد عوبيديا بعبارة حثالة الناس اليهود المقيمين فى القدس؛ حيث ذكر فى شهادته أنهم سيئو الأخلاق.

على استقرار حالة اليهود فى المجتمع المقدسى. وتدعيما لهذا الرأى نورد رأى صمويل أتنجر فى هذا الصدد حيث يقول: "إن استقرار اليهود فى أى مكان يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى استقرار السلطة وبمدى تأثير رجال الدين وبمدى قرب اليهود من السلطة الحاكمة"(١).

كما أن انتماء يهود الخليل إلى طائفة واحدة من اليهود وهى طائفة الربانيين جعلهم مجتمعا متجانسا لا يوجد بينهم اختلافات، وهذا ما جعلهم يحظون بحب وتقدير الرابى عوبيديا باعتباره ربانيا وتفضيله إياهم على يهود القدس، ويدل أيضا على تقبل المسلمين لهم.

ويمكن أن نفرق بين معاملة شيوخ اليهود لجاليتهم ومعاملة السلطات المملوكية؛ إذ نجد أن شيوخ اليهود كانوا أقسى على بنى جلدتهم فى المعاملة مما جعلهم يفرضون ضرائب كل أسبوع على كل يهودى ويجمعونها بالإجبار(٢) متعللين بوجود عجز في ميزانيتهم المخصصة للصرف على فقراء اليهود فى القدس بينما أمر السلطان جقمق بجباية الجزية من كل فرد على حدة، وهذا جعل اليهود يشعرون بالأمن ويعودون إلى القدس(٣). كما أصدر السلطان خشقدم مرسوما بإعفاء سكان دير صهيون من النصارى واليهود(٤) من أى رسوم أو مكوس ونُقِش بذلك رخامتان أُلصقتا بحائط المسجد الأقصى من جهة الغرب عام (٨٧٢هـ/١٤٦٧م). ويورد البصروى نص المرسوم فيقول:" وإنه إذا حدث طلب بالقدس الشريف على النصارى واليهود بسبب تكسير أو غير ذلك لا يُلْزم رئيس دير صهيون بشيء من ذلك وأن يُعْفَوا من سائر المغارم والمظالم" (٥).

---

(١) صموئيل أتنجر: اليهود فى البلدان الإسلامية، ترجمة جمال الدين الرفاعى، ورشا عبد الله الشامى، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٧ لسنة ١٩٩٥م، ص٤٥.

(2) Adler , Elkan Nathan: : Jewish Travellers , pp.229,230 ,242 ,247 ,248.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٧٢ .

(4) Adler , Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.247.

(٥) البصروى: تاريخ البصروى، ص٥٤؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص١٧٥؛ كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج١، ص١٩١؛ فتحى نصار: وثائق فلسطين من العهدة العمرية إلى وعد بلفور، ص١١.

كما كان اليهود يتمتعون بحماية السلطان المملوكى لهم، وكثيرًا ما كان يُنَادى فى أرجاء النيابة على لسان السلطان بأنه من ظُلِم من اليهود فعليه بالأبواب الشريفة، وطلب أيضا أخذ الجزية منهم بالمعروف وبدون إجحاف[١]. وهذا الأمر شجع عددا كبيرا من اليهود على إعلان إسلامهم طواعية[٢] فى عام (٨٩٤هـ/١٤٨٩م).

ويرصد ماكس ميرهوف (Max Meyerhof) حالات لاعتناق أطباء يهود الإسلام أمثال ابن كمونة، وسديد الذى كان طبيبا للسلطان الناصر محمد بن قلاوون[٣] ولقبه بالرئيس، وقد جرت العادة أن يقام احتفال كبير لمن يشهر إسلامه من أهل الذمة[٤].

ويذكر "كحالة" أن أحد اليهود المعتنقين للإسلام ويدعى عبد الحق بن سعيد بن محمد، الذى أُطْلِق عليه لقب الإسلامى المالكى بعد اعتناقه الإسلام، وهو من رجال الدين اليهود الذين ولدوا فى سبتة، ثم انتقل إلى مكناسة، ثم استقر به المقام فى الأرض المقدسة، قد صنف رسالة فى الرد على افتراءات اليهود على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الدين الإسلامى، والرسالة بعنوان "الحسام المحدود فى الرد على اليهود"، بينما أوردها "الزركلى" تحت عنوان "السيف الممدود فى الرد على اليهود"[٥].

كما أن السلطان خشقدم أوصى النجيد فى القدس بعدم تحميل اليهود فوق طاقاتهم عند تحصيل ضريبة الرأس عن اليهود القادمين للتجارة وتقدر بثلاث دوكيات للفرد[٦]. أيضا حرصت السلطة المملوكية متمثلة فى سلاطين المماليك

(١) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، ق١، ص ١٦، ص١٩٨.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل فى ذيل الدول، ج٨، ص ١١٤.

(3) Mayerhof, Max : Medieval Jewish Physicians in the Near East. p. 442.

(٤) ابن طولون الصالحى: مفاكهة الخلان، ق١، ص٣٣٧؛ أكرم حسن العلبى: دمشق عصر المماليك، ص٨٧ .

(٥) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ص١٨٣، وقد ذكر أن المؤلف صنف رسالته بعد عام(٧٦١هـ/١٣٥٩م)؛ الزركلى: الأعلام، ج٤، ص١١٠.

(6) Norman, A. Stillman: The Jews of Arab Lands, A History and Source Book, Book, P.264.

ونوابهم فى القدس على تمتع اليهود بحرياتهم وحقوقهم الدينية فى ممارسة طقوسهم وترميم كنائسهم وبيوتهم.

ولم تنسَ السلطة الحاكمة أن تقدم العديد من أوجه الرِّعاية الاجتماعيَّة المهمَّة في منطقة الدراسة؛ يستوى في الانتفاع منها كل من المسلمين وأهل الذمة مِن النصارى واليهود، مثال ذلك توفير الماء العَذب، فقد كانت المياه بالنِّسبة لأهل القُدس نِعمة، يُمنح مَن يوفرها لهم كلّ الفضْل، وتعد من مآثره، وهم الذين عانوا كثيرًا قلَّة الماء بسبب قلَّة سقوط الأمطار، وعدم وجود أنهار ببلدهم؛ لذا فقد أوْلى سلاطين وأمراء المماليك مسألةَ توفير الماء العذب جُلَّ اهتمامهم، فالوثيقة رقم ٣١١ من وثائق الحرم القدسى والمؤرَّخة في ٢٥ صفر سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) - تذكر أنَّ الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار قد "أوقفَ قريةً مجدل فضيل من عمل مدينة الخليل على إعمار قناة السبيل، وعلى مرْضى المسلمين وأهل الذمة الفقراء والمساكين"[1]. وهى نفس القناة التى ورد ذكرها فى إحدى الوثائق المقدسية، عندما حكم بأن يدفع ثلاثة من اليهود غرامة مقدارها عشرة آلاف دينار تستخدم لعمارة قناة السبيل إذا أخلوا بشروط مهنة الجزارة[2].

(١) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص١٨٣ – ١٨٦ .
(٢) كامل جميل العسلى: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٦.

علاقة اليهود بطوائف المجتمع

لم تكن علاقة اليهود مع من حولهم من سكان النيابة تسير على وتيرة واحدة؛ بل يمكن وصف هذه العلاقة بالمتوترة أحيانا والمستقرة أحيانا أخرى، مما جعل متطرفى اليهود من المؤرخين يصفون العلاقة بين اليهود والمسلمين فى مجتمع النيابة بأنها علاقة اضطهاد من قِبل المسلمين لليهود؛ فهذا ميشلوم بن مناحم يقول: "إن اليهود فى القدس لا يعاملون معاملة حسنة من قبل السلطة أو العامة من الناس حتى إن اليهودى لا يستطيع أن يشير بإصبعه إلى مسلم وإلا قطعت يده، كما أنه ممنوع على اليهود أن يدخلوا إلى مساجد المسلمين"(١)، وأيد الرحالة سوريانو قول ميشلوم فذكر: "أن أكثر اليهود يعانون الفقر والذل وأكثرهم يعملون بمهن حقيرة وشحاذون ويذلون أنفسهم للمسلمين حتى إنه يحق للمسلم أن يضرب اليهودى بالحذاء على فمه إذا سبه"(٢).

فى حين نجد المصادر العربية تؤكد على معاملة أهل الذمة بكل تسامح بما يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامى؛ فهى تشير إلى حسن العلاقة بين اليهود وغيرهم من طوائف المجتمع (مسلمين ومسيحيّين) ؛ ففى عام (٧١٧هـ/١٣١٧م) حينما توقفت الأمطار لفترة طويلة وشاع القحط " قام المسلمون بأداء صلاة استسقاء وشاركهم فيها النصارى واليهود بالدعاء لإزالة هذه الغمة"(٣).

ويقول ابن دقماق عن هذه الواقعة: "وفيها نشفت آبار القدس الشريف ولم يبق لأهلها مستسقى إلا عين سلوان حتى إن جميع القاطنين به من المسلمين والنصارى واليهود خرجوا إلى الفضاء وسألوا الله تعالى واستسقوا فسقوا فى اليوم الثالث "(٤).

---

(1) Norman A. Stillman: The Jews of Arab Lands ,A History and Source Book, pp. 265 -267, Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.190.
(2) Norman A. Stillman: op.cit. ,p.273, Adler, Elkan Nathan: o.p. cit., p.230.
(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٧.
(٤) ابن دقماق: نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام، ص٥٣.

وعندما هجم الزعر[1] على الأسواق في عام (٧٩١هـ/١٣٨٩م) ونهبوا الحوانيت قام اليهود وباقى التجار بمنعهم وشاع بين الناس أن بعض اليهود رمى الزعر بالنُّشَّاب وقتل من عامة الناس أربعة أنفس فقبض بقية العامة على اليهود وأرادوا قتلهم فمنعهم الوالى، ودافع عن اليهود قائلا:" إنهم لا ذنب لهم لأنهم قصدوا دفع الزعر عن أموالهم وحوانيتهم، فتلطف بهم وأطلقهم"[2].

وفى عام (٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، شارك اليهودُ المسلمين فى مناسباتهم الرسمية حيث خرج اليهود لاستقبال السلطان الظاهر برقوق (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) رافعين التوراة، واجتمع اليهود والنصارى ومعهم الشموع الموقدة ودعوا له أثناء زيارته للقدس[3].

كما كان التفاعل بين المسلمين وأهل الذمة ومنهم اليهود على جميع المستويات بين الجانبين، ونتج عن هذا الموقف أن مارس اليهود حياتهم باعتبارهم من رعايا الدولة، لا باعتبارهم غرباء، بحيث استطاع علماؤهم أن ينتجوا الفكر الديني الذي أعاد الحيوية إلى الديانة اليهودية بعد طول ركود، وبالشكل الذي جعل المتخصصين يطلقون على الفترة الإسلامية التى عاش اليهود فى كنفها وأبدعوا خلالها فى مجال الفكر الديني اليهودي الفترة المزدهرة[4].

غير أننا لا نستطيع أخذ المعلومات من المصادر اليهودية إلا على حذر شديد؛ خوفا من طمس الحقائق الذى تعودنا عليه مع هذه الطائفة فكيف بكتّابها ومؤرخيها.

---

(١) الزعر: لفظ أطلق على شريحة من المجتمع فى العصر المملوكى، والزعر فئات شعبية غير مرغوب فيها من الحكام والشعب على حد سواء، وهم أنواع منهم العوانية والبلاصية والغوغاء وعرفاء الحارات ومشياخها، كونوا عصابات منظمة مارست أعمال السلب والنهب فى المجتمع وقد استشرى دورهم الإجرامى منذ أواخر القرن التاسع الهجري، وأوائل القرن العاشر الهجرى.

Thoumain, Martel: Voleurs et Assassins a Dames et au Caire (Fin Ixe/xve – debutxe /xvie siècle), Annals Islamologiques, Tom 35, 2001 p. 209.

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص٩٠.

(٣)المصدر السابق نفسه، ج٩ نص٢٩٥.

(٤) عبد الرازق قنديل: أثر الشعر العربي فى الأدب العبرى الأندلسى، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢١-٢٢.

وعلى الرغم من ذلك نجد بعض القلائل المنصفين الذين يذكرون الحقائق دون مراوغة أو كذب؛ فعند تناول الرحالة اليهود طبيعة العلاقة بين المسلمين واليهود وجدنا من يقول: "يبدو أن العلاقات بين اليهود والمسلمين كانت علاقات إنسانية حسنة"(١). ويقول الرحالة إسحاق شلو الذى زار القدس فى القرن الثامن الهجرى: "توجد طوائف يهودية مكونة من آباء وعائلات جاءوا من بلاد عديدة وخاصة من فرنسا ومنهم زعماء للطوائف اليهودية حاخامات وهم يعيشون فى سعادة وهناءة واطمئنان كل حسب وضعه وموارده لأن السلطة الحاكمة عادلة وتراعى حقوق اليهود مما أدى إلى زيادة عددهم عما كان عليه من قبل"(٢).

وليس أدل على حسن معاملة المسلمين لطائفة اليهود من أنهم سمحوا لهم أن يسكنوا فى نفس محيط مساكنهم وتجاورت حوانيتهم فى سوق خان السلطان، وبقية أسواق النيابة مع حوانيت المسلمين دون تمييز، بل احتكر اليهود بعض الصناعات التى برعوا فيها ومنها صباغة الملابس؛ هذه الصناعة التى كان أكثر أهلها من اليهود حتى إن بعض المؤرخين اعتبروها وقفا على اليهود فقط وذكر أن لهم حوانيت للصباغة فى القدس مؤجرة وكانوا يدفعون أجرتها للسلطة الحاكمة سنويا(٣)، ومع مرور الزمن لم يوجد من أهل الصنعة سوى صباغ واحد يدعى الرابى أبراهام الصباغ مما يؤكد تناقص أعداد اليهود فى منطقة الدراسة، ويسمح بتواجد ممارسين آخرين للمهنة من المسلمين والنصارى.

ويجدر بنا أن نقف أيضا على أوجه الرعاية الصحية التى كانت تقدم لليهود فى منطقة الدراسة، حيث ذكرت المصادر المسيحية أن بيت المقدس كان يضم مستشفى كبيرًا يطلق عليه مستشفى جماعة الرهبان الفرسان التى أسسها القديس يوحنا فى القرن الحادى عشر الميلادى، و يُعد أحد المعاهد الطبية فى بيت المقدس(٤)، وكان يقدم خدماته الصحية لكل من المسلمين واليهود على السواء ويسمح لهم بتلقى العلاج فيه، بل الأكثر من ذلك أن وُصِفت دقائق هذه الخدمة

---

(1) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.141.
(2) Ibid, p.149.
(٣) أدريان جى بوس: مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية، ص٢٨٥.
(٤) كامل جميل العسلى: بيت المقدس فى التاريخ، لندن ١٩٩٧م، ص١٨٠.

حيث يمر الأطباء على المرضى ويأخذون عينات البول ويقيسون ضغط الدم ويشخصون الأمراض، ويعدون العلاج اللازم، ويُمنَح المريض أيضا سريرا مناسبا عليه ملاءة ووسائد نظيفة، ويُصرَف للمريض عباءة من الصوف وغطاء للرأس من الصوف أيضا وقبقاب لاستخدامه عند دخول الحمام، بالإضافة إلى الوجبات المناسبة التى كانت تُصرَف للمرضى ثلاث مرات أسبوعيا ولا بد من أن تشتمل على اللحم الطازج بكل أنواعه من لحم الضأن أو الدجاج، يستوى فى ذلك المسلمون وأهل الذمة[١].

ليس هذا فحسب، بل إنَّ الوثيقة رقم ٣٢٥ بتاريخ العشر الأوسط[٢] مِن شهر ذي القعدة سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ـ تُفيد أنَّ أهل الذِّمَّة كانوا كثيرًا ما يلجئون إلى كِبار مشايخ المسلمين؛ للتوسُّط لهم لَدَى السلطات الحاكمة، أو لرفْع أيِّ ظلم قد يقع عليهم، فهذه الوثيقة عبارةٌ عن شكوى رَفَعَها شيخُ المغاربة محمد بن عبدالوارث المالكي إلى نائب السلطنة في دمشق، وملخَّصُها: أنَّ يهوديًّا مات في مدينة القدس فسارع الوالي، وهو المسئول عن الشُّرطة، إلى الخَتْم على بيته؛ (أي الحجز)، تمهيدًا لنقل موجودات بيته مِن تَرِكته إلى بيت المال غير مهتم بوصية الرجل كما يقضى الشرع، أو البحْث عن ورثته. وعندَ ذلك جاء اليهودُ إلى شيخ المغاربة علَّه ينجح في رفْع ختم الوالي؛ لأنَّ اليهوديَّ الميِّت تَرَك وصية شرعيَّة، ولكنَّهم لا يستطيعون إثباتها؛ لأنَّ المستحقَّ لإرثه كان في السِّجن عندما مات اليهودي، ويتعذَّر معه إثبات الوصية.

ولما لم يستجب الوالي لذلك، حرَّر شيخ المغاربة رسالة إلى نائب السلطنة في دمشق؛ وطلب إليه أن يصدر أوامرَه بمرسومين إلى القاضي الشرعي في القُدس الشريف، وإلى نائِب السَّلْطنة بالقدس؛ لينظرَا هذه الشكوى، ويُنصِفَا اليهودي، وتدلنا هذه الوثيقة على مدى الحرص الذي كانتْ تُوليه الدولة كذلك لتحقيق العدالة، وحماية أهل الذِّمَّة[٣].

---

(١) سوسان إوتجتون: الرعاية الطبية فى مستشفى بيت المقدس، مقال ضمن كتاب هيلين نيكولسن (فرق الرهبان العسكرية) ج٢، ألدرشوت دهامبشير، ١٩٩٨ م، ص٣٢.

(٢) العبارة مذكورة هكذا فى الوثيقة والمراد من التاريخ منتصف ذى القعدة.

(٣) محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى، ص٧٧ -٨٣.

وأكبر الظن أن نفس الأمر حدث مرة ثانية فى عام (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) ؛ وهذا ما جعل السلطان الظاهر جقمق (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م) يأمر بجمع اليهود من مراكزهم، فاجتمعوا عنده في الحوش فشرط عليهم مشافهة :" أن لا يؤخروا عندهم طلاق امرأة ولا صداقها بل يدفع لها في الحال، وأن لا يشهدوا على يهودي ولا نصراني في مرض مخوّف بوقف ولا وصية إلا بإذن من القاضي والناظر على المواريث"(١). وتحليلا لهذا النص نجد أن الظاهر جقمق كان من السلاطين الذين نعم اليهود فى عهدهم بالأمان باعتبارهم أهل ذمة؛ وكون السلطان يصدر مثل هذا القرار نتيجة طبيعية لأفعال اليهود غير المسئولة والتى تشيع الفتنة وتثير القلاقل. فالنص يتحدث عن عدم تأخير صداق امرأة، ومن الواضح أن المرأة قد لجأت لاستصدار قرار طلاقها من القاضى اليهودى ولكنه لم يعطها صداقها مما جعلها تشتكى إلى السلطان فاستوجب ذلك هذا القرار من السلطان. ومن الدوافع إلى هذا القرار أيضا كثرة شهادة الزور التى اعتاد عليها اليهود بشأن ميراث بعض اليهود المتوفين بسبب مرض، أو من ماتوا تاركين وصية لذويهم(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّه منذ سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) في عهْد السلطان الناصر محمد بن قلاوون- خَضَع اليهود والنصارى والسامرة في بيْت المقدِس لديوان المواريث الحشريَّة، مثلهم مثل المسلمين تمامًا(٣).

وعلى الصَّعيد الاجتماعي فقد شارك اليهودُ والمسيحيُّون المسلمين في القُدس حياتِهم، سواء من حيث العادات والتقاليد والقِيم والمُثل، التي كانت تحكم مجتمعَ بيت المقدس في ذلك العصْر، أو مِن حيث مساهمتُهم في النشاط الاجتماعي(٤).

إننا نجد المؤرخ المنصف مارك كوهين يدحض مزاعم بعض مؤرخى اليهود، فى أن السلطات المملوكية فى القرن الخامس عشر الميلادى غيرت سياستها تجاه المنشآت الدينية اليهودية ولم تسمح بترميمها أو إعادة بنائها، بل الأكثر من ذلك

---

(١) ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر، ج٤، ص١٤٢ .

(2) Cohen , Amnon: Jewish Life under Islam , p.75

(٣) محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسى، ص١٩١.

(٤) كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية، ج٢، ص٤٢.

كان يتم تحويل هذه المنشآت الدينية إلى مساجد[1]، مستشهدا بحادث وقع فى القاهرة عام (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م). والحقيقة أن تلك الحادثة تتعلق بنجيد اليهود الذى كتب فيه يهود مصر العديد من الشكاوى نتيجة؛ لأنه يعبث بأوقاف اليهود ولا يصرف ريعها على تجديد المنشآت الدينية، بل وقام ببيع بعض تلك الممتلكات فاشتراها مسلمون فسارع اليهود بشكايته للسلطات المملوكية. ولم يتم حصر حالات أخرى لتحويل المعابد الدينية اليهودية إلى مساجد فى منطقة الدراسة ولا فى غيرها.

وأظن أن مارك كوهين فى رصده لذلك المثال لا يتخذه دليلا على تعسف السلطات المملوكية فى معاملة اليهود بل إنه يطلب من كثير من مؤرخى اليهود ألاَّ يعمموا الحكم فإن كانت السلطات المملوكية اتخذت إجراءات صارمة تجاه عدد من اليهود شاركوا فى بلبلة وحاكوا مؤامرات و ساندوا خلافا دار بين أمراء المماليك وبثوا نار الفرقة بين المسلمين، فإن تلك السياسة لم تكن عامة مع كل اليهود وعليهم أن يمارسوا قدرا من الحذر عند التعميم فى الحديث عن وضع اليهود فى السياسة المملوكية[2]، فثمة دليل على مدى نفوذ اليهود واستجابة السلطات المملوكية وإنصافها لليهود من حادث كنيسهم الذى كان فى القدس.

ففى عام (٨٧٨هـ / ١٤٧٣م)، حدث نزاع بين اليهود والمسلمين حول كنيس اليهود الذى يقع فى حارتهم، فقد ثبت لدى القضاة أن الكنيس محدث فى دار الإسلام، فأغلقوه ومنعوا اليهود من التعبد فيه[3]. لكن اليهود بزعامة نجيدهم يعقوب رفعوا أمرهم للسلطان فى القاهرة، فأمر السلطان قايتباى علماء القاهرة بالنظر فى هذا الأمر، ووقع خلاف بين علماء القاهرة وقاضى الشافعية فى القدس الذى منع اليهود من كنيسهم، إلا أن السلطان أرسل مرسوما فى عام (٨٧٩هـ/

(1) Cohen, Mark R.: Jews in Mamluk Environment, The Crisis of 1442 (A Geniza Study), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. 47, No. 3 (1984), p. 446.
(2) Cohen, Mark R.: Jews in Mamluk Environment, The Crisis of 1442 (A Geniza Study),. p. 446.
(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٢ .

١٤٧٤م) إلى ناظر الحرمين [١] ناصر الدين بن النشاشيبى بتمكين اليهود من كنيسهم وعدم معارضتهم فمُكنوا منه[٢].

وقد أشيع فى القدس أن اليهود قد بذلوا أموالا كثيرة للخزائن الشريفة (أى قدموا رُشًا للسلطان) حتى يُمكّنوا من كنيسهم، ولما ورد ذلك إلى مسامع السلطان أمر بإعادة النظر فى الأمر والتحقق من القضية فعقد مجلسا بالمدرسة التنكزية، وكان للقاضى المالكى كمال الدين بن أبى الشريف رأى فى أنه لا وجه لمنع اليهود من كنيسهم بغير مسوغ شرعى، وأن من شهد بأن الكنيس محدث فى دار الإسلام عليه أن يثبت ذلك بسند شرعى[٣].

إلا أن قاضى القدس الشافعى أثبت ذلك بالشهود، ومنع اليهود من كنيسهم مرة أخرى. والأكثر من ذلك أن جماعة من علماء المسلمين خرجوا لهدم الكنيس فهدموا غالبه، فسارع اليهود إلى القاهرة بالشكوى للسلطان، فأرسل السلطان قايتباى مرسوما إلى القدس باعتقال القاضى الشافعى ومن معه من العلماء الذين هدموا الكنيس وقيدوا بالحديد وأهانهم السلطان، وأمر الأمير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير بعقد مجلس آخر للقضاء بحضور القضاة الأربعة وبعض العلماء. ووصف مجير الدين هذا اليوم بأنه: "كان يوما مهولا بنصرة اليهود على المسلمين"[٤].

---

(١) كانت وظيفة ناظر الحرمين الشريفين من أقدم الوظائف فى القدس وأهمها، وكان على الناظر الإشراف على حَرَمَى القدس والخليل. كانت هذه الوظيفة تسند إلى نائب القدس عندما تحولت القدس إلى نيابة مستقلة وتشمل هذه الوظيفة العناية بالحرمين من جميع الجوانب لاسيما ما ارتبط بترميم الأبنية وإصلاحها اعتمادا على الأوقاف الكثيرة ومواردها المخصصة لهذا الغرض، وفى أواخر العصر المملوكى أصبح يتولى نظارة الحرمين الشريفين أحد العلماء الأجلاء بمرسوم من السلطان وفى هذا الوقت كان لناظر الحرمين الشريفين حق الإشراف على الحرمين فى مكة والمدينة. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١١٩؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٢٣؛ نافذ أبو حسنة: بيت المقدس، نشر المركز الفلسطينى للإعلام، القدس ٢٠٠٢م، ص٧٤.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٧.

(٤) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٧.

وقد قام الأمير يشبك بإرهاب الحضور ومنع العلماء من التحدث، وأمر القاضي الشافعي في الديار المصرية بإصدار فتوى بعدم جواز المنع الصادر من القدس لفساده، ومنع قضاة القدس من السكنى فيها، وأفتى بعض العلماء بجواز إعادة بناء الكنيس، وسعى اليهود عند الأمير يشبك الدوادار بمال طائل لاستصدار مرسوم بإعادة بناء الكنيس وتم لهم ذلك وأعيد بناء الكنيس في عام (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، وأطلق اليهود على هذا اليوم عيد النصر[١].

وسَعْي اليهود بهذه الصورة هو دليل قاطع على مدى النفوذ الكبير الذى تمتعوا به لدى أصحاب النفوس الضعيفة من السلطة المملوكية، وهو دليل آخر على تمتع اليهود في النيابة بأموال طائلة وثروات كثيرة، ولكنهم كان يبدون فقرهم أمام الناس، حتى يتهربوا من دفع الجزية كما سبق أن أشار إلى ذلك "كوهين" و"عوبيديا".

ولكن العلاقات بين اليهود والمسلمين لم تكن تسير على هذه الشاكلة دائما؛ ففي كثير من الأحيان تكون العلاقة سيئة، ومن ذلك ما قام به اليهود من محو لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم من كتبهم الدينية قصدا[٢]، فنتج عن ذلك صراع فكري وثقافي وديني لزم معه أن ينبرى علماء المسلمين وفقهاؤهم للرد على ذلك العمل وإثبات تحريف اليهود لتوراتهم. وما حدث من صراع بين اليهود والمسلمين بسبب كنيس اليهود في القدس في عام (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)[٣] شاهد ودليل على أن اليهود إذا سمحت لهم الفرصة في إثارة الفتنة لا يفوتونها.

وعندما اعتلى العثمانيون سُدَّة الحكم عملوا أيضا على حماية المقدسيين من استغلال اليهود، فنُبه على السقائين الذين كانوا يجلبون الماء في البيوت من الآبار والعيون المنتشرة في القدس بعدم جلب الماء لليهود والنصارى لأنهم استحوذوا عليه، فقد ذهب جماعة من المسلمين للقاضي الشرعي بشكوى ضد جماعة السقائين الذين نزحوا الماء من الآبار وباعوها للطواحين واليهود والنصارى[٤]

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١٣.

(٢) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى من اليهود والنصارى، ص٤٧.

(٣) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠٥.

(٤) سجلات المحكمة الشرعية: سجل رقم ١٠٧، حجة رقم١، ص ٢٦.

ولم يبق من الآبار سوى بئر الرمانة التى بصحن الصخرة الشريفة وبه ماء يصلح للوضوء وسقاية اليتامى والأرامل، والسقاءون يأخذون ماءها فنبه القاضى على جميع السقائين بعدم ملء الماء لليهود والنصارى[1].

ولم يكتف اليهود بمثل هذه الأفعال بل امتد استغلالهم لبنى جلدتهم إلى فترة ما بعد الدراسة؛ حيث سجلت وثائق المحكمة الشرعية شكوى أحد اليهود الأساكفة فى عام (١٠٠٩هـ/ ١٦٠٣م) شيخهم ويدعى موسى بن إبراهيم البرادعى لظلمه أحدهم ويدعى ناصر بن سعادة اليهودى؛ حيث فرض عليه إتاوة الحدادين وكانت أعلى قيمة من إتاوة الإسكافية؛ زاعما أن هذا اليهودى حداد وليس إسكافيا على الرغم من شهادة الإسكافيين بأن زميلهم إسكافي وليس حدادا وقد تكررت هذه الشكوى مرارا[2].

نفوذ اليهود لدى السلطات المملوكية:

لقد أمدتنا خطابات عوبيديا لأهله فى إيطاليا بكنز من المعلومات عن طريقة معاملة سلاطين المماليك فى بيت المقدس لليهود المقيمين فيه؛ إذ سعى عوبيديا عند السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٢هـ - ٩٠١هـ / ١٤٦٧م - ١٤٩٥م) إلى استصدار مرسوم سارى الصلاحية بأنه على اليهود المقيمين فى نيابة القدس من الآن وصاعدا دفع ضريبة الرأس (الجزية) المفروضة عليهم فقط، حيث كان على السكان اليهود فيما مضى أن يدفعوا الضريبة ومقدارها أربعمائة دوكة سنويا مجتمعين بغض النظر عن أعدادهم، أما حاليا فإن كل فرد عليه أن يدفع ضريبة الرأس المقررة عن نفسه فقط، وهو غير مكلف بأن يدفع عن الآخرين، بالإضافة إلى إعفاء النساء والعجزة من دفع هذه الجزية. هذه الضريبة المناسبة لليهود ووضعيتهم الاجتماعية الفقيرة تدفع مباشرة للحكومة وبدون تدخل من مباشر الجوالى والموظفين الحكوميين اليهود القائمين على جمعها الذين كثيرا ما مارسوا الظلم على بنى جماعتهم عند جمع الجزية منهم[3]. وقد ذكر عوبيديا أن مرسوما

---

(١) محمود على عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية، ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) محمود على عطا الله: السابق، ص9 .

(3) Obadiah Bertinoro: Me-Iṭalyah li-Yerushalayim, p.55.

كهذا لم يصدر مرسوم مماثل له فى القدس منذ خمسين عاما(١). والثابت فى هذا المرسوم أنه أبطل الزيادة التى كانت تقدر بالضعف على قيمة الجزية التى كان يدفعها أهل الذمة عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) بسبب الاضطرابات التى تعرضت لها الدولة المملوكية وتزامنت مع اعتلاء السلطان المؤيد شيخ عرش السلطنة المملوكية فى عام (٨١٥هـ/١٤١٢م -٨٢٥هـ/١٤٢١م)(٢).

وفى اعتقادى أنه لولا مكانة عوبيديا الدينية الكبيرة بين جماعته بوصفه نجيدا لليهود فى القدس لما استطاع استصدار هذا المرسوم المتسامح، وهذا دليل آخر على مدى التسامح والعطف والأمن الذى أولته السلطة المملوكية لليهود حيث أعطتهم هذا المرسوم ووفرته لهم بوصفهم أهل ذمة.

العلاقة بين اليهود والنصارى:

كان فى حادثة قبر النبى داود التى نشبت بين اليهود والنصارى دليل على مدى توتر العلاقة بين اليهود والنصارى؛ فقد دار صراع منذ (٦١٦هـ، وحتى سقوط الدولة المملوكية وقيام الدولة العثمانية) بين اليهود والنصارى حول ملكية ما يعرف بقبر النبى داود الواقع داخل مبنى دير الرهبان الفرنسيسكان فوق جبل صهيون، فقد سمحت السلطات الأيوبية للرهبان الفرنسيسكان ببناء دير لهم فوق جبل صهيون ينقطعون فيه للعبادة عام (٦١٦هـ/ ١٢١٩م). ونتيجة لتسامح

(1) Ibid , p. 56.

لم يكن الأمر هكذا فحسب فلقد سمح الإسلام بحرية الرأى والتعبير، وحقق لليهود مناخا فكريا حرا، وهذا ساعد اليهود على إثراء الإنتاج الفكرى لديهم، وظهر على إثر ذلك أول المؤلفات اليهودية التى ألفها جوداه هاليفى باللغة العربية وكان كتابا بعنوان"كوزارى" وموضوعه إظهار تفوق الديانة اليهودية على النصرانية والإسلام، ولعل حرية الفكر التى أتاحها الإسلام لليهود هى ما دعت دار نشر يهودية فى إسرائيل أن تطبع عددا كبيرا من كتب العصر الوسيط النادرة الوجود تحت عنوان "كنوز الفكر اليهودى" تعيد فيها نشر مؤلفات "باهيا بن باكودا (ت٤٥٢هـ/١٠٦٠م - ٥١٤هـ/١١٢٠م)، وجوداه هاليفى (ت ٤٧٣هـ/١٠٨٠م)، وموسى بن ميمون (ت٥٣٠هـ/١١٣٥م - ٦٠١هـ/١٢٠٤م)، ويوسف أبون (ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م - ٨٥١هـ/١٤٤٧م) . حسن الزين: الأوضاع القانونية للنصارى واليهود فى الديار الإسلامية حتى الفتح العثمانى، ص٤٨.

(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ق١، ص٢٩٠.

السلطات الإسلامية مع هؤلاء الرهبان أعطتهم حق رعاية الأماكن المقدسة فوق الجبل وخاصة المنطقة التى تعرف بعلية صهيون، وقاعة الحوراريين[1]؛ حيث كان السيد المسيح (عليه السلام) يجتمع بحوارييه.

وقد بنى الرهبان الفرنسيسكان قبوا على هذا المكان ليدفنوا فيه موتاهم، وظل الأمر هكذا حتى أوائل القرن الخامس عشر، فأشاع اليهود بين الناس أن هذا القبو قد بنى فوق قبر النبى داود، وأنهم أحق برعايته وتملكه، فرفع الأمر للقضاء الإسلامى فأسند حق الإشراف على المكان ورعايته للمسلمين ذلك لأن المكان به قبر سيدنا داود وقد بنى المسلمون به محرابا[2]. وظل الأمر كذلك حتى عهد السلطان جقمق، وفى عام (٨٥٦هـ/١٤٥٢م) عاود اليهود مجددا صراعهم حول ملكية هذا المكان، إلا أن الرهبان الفرنسيسكان ذكروا أحقيتهم بتلك الرعاية نظرا لوجود القبو والكنيسة، فرفع السلطان الأمر مرة ثانية للقضاء الإسلامى الذى حكم بهدم القبو وهدم الكنيسة لأنها محدثة فى الإسلام[3]، وعدم أحقية اليهود فيما يدعون.

كما كان اليهود الأشكيناز يفضلون الأدلاء المسلمين أو اليهود على الأدلاء المسيحيين فى رحلاتهم المختلفة[4]؛ فقد أوضح الطالب اليهودى هذا الأمر.ولعل السبب راجع إلى توتر علاقة اليهود بالمسيحيين بسبب واقعة مقبرة الملوك[5].

---

(١) علية صهيون : هى المنطقة التى تقع فوق التل الجنوبى لجبل صهيون؛ حيث كانت تقام مدينة داود القديمة، وأقيم بها علية والد القديس مرقص أحد حواريي السيد المسيح، ويوجد بهذه المنطقة مقابر لعديد من الرسل والأنبياء. محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٦٠١.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٤٧٤؛أحمد دراج: وثائق دير صهيون، ص٩- ٣٩؛الموسوعة الفلسطينية، مج٢، ص٥٩.

(٣) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ص٤٧٦ – ٤٨٠.

(4) Obadiah : A Student's Letter, p.71.

(٥) مقبرة الملوك أو كما تسميها بعض المصادر العربية مقبرة النارن هى مقبرة تضم رفات خمسة ملوك حكموا مملكة بيت المقدس أيام الحروب الصليبية؛ وهم بلدوين الثالث (Baldwin III) (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م- ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)، وبلدوين الأول(Baldwin I) (٤٧٣هـ/ ١١٠٠م- ٥١٢هـ/ ١١١٨م)، وجودفرى أف بوايلون (Godefrey of Bouillon) (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م- ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) وفولك أف أنجوا (Foulk of Anjou)(٥٢٥هـ/ =

وعلى الرغم من ذلك نجد كوهين يرصد لنا حالة دفاع عن اليهود من النصارى؛ ففي عام (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) اشتكت إحدى اليهوديات القرّائيات أحد المسلمين أنه رماها بحجر في طريق عودتها لبيتها بعدما غسلت ثيابها في قناة السبيل، وحاول أحد النصارى أن يدافع عنها فنهره المسلم فذهبت للقاضي بشكايتها فأنصفها القاضي وطلب إلى المسلم أن يقر بذنبه ويعتذر للمرأة، وللنصراني[١].

علاقة اليهود بعضهم ببعض:

لم تسر علاقة اليهود بعضهم ببعض على وتيرة واحدة؛ فقد كان يسودها الود والوئام في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كان يسودها الاضطراب، فقد عاش اليهود في جماعات داخل حي خاص بهم لالتماس القوة والحماية على الرغم من ذلك لم تكن العلاقات بينهم جيدة؛ فكثيرا ما كان اليهود يعانون تسلط كبار رجالهم أو من شيخ اليهود نفسه، خاصة عند جمع الجزية، وغالبا ما كان الحي عبارة عن وحدة اجتماعية متجانسة ومرتبطة بأحكام تبحث عن الراحة والحماية والأمن لأعضائها، في عالم لم يكن المرء فيه يشعر بالأمان الحقيقي إلا بوجود أقربائه وجيرانه وأنسابه.

وقد قامت بعض الأحياء على أساس المطابقة الدينية فقد كان لليهود أحياء خاصة بهم في القدس مثل حي الريشة، وحي المسلخ، وحي الشرف، ومع ذلك فإن وجود بعض الأخبار التي تحدثت عن نزاعات حول بعض الأماكن المقدسة المتجاورة أو حول ارتفاع ببعض المنازل يظهر أن الأقليات اليهودية قد توزعت فيما بين مجموع السكان أي أنهم عاشوا في مناطق منفصلة لكنها مجاورة لمناطق المسلمين وفي أحيان قليلة تكون تلك المناطق داخل الأحياء التي يعيش فيها المسلمون ومن هنا يمكن القول إنه لو وجد الفصل بين الأفراد من قبل الوحدة الاجتماعية لم توجد المجتمعات المشابهة لأحياء اليهود المعروفة بالجيتو[٢] في أوروبا مثلا.

= ١١٣١م- ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) والملك الخامس بلدوين الثاني (Baldwin II) (٥١٢هـ/ ١١١٨م- ٥٢٥هـ/ ١١٣١م). ثيودوريتس: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين(القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري) ترجمة وتحقيق ودراسة: سعيد البيشاوي ورياض شاهين، دار الشروق، رام الله ٢٠٠٣م، ص٧٢ - ٧٣.

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam ,p. 128.

(٢) ايرامارفين لابيدوس: مدن الشام في العصر المملوكي، ص١٤٢ - ١٤٣.

إن الحفاظ على الجالية اليهودية كجماعة تعيش وسط المجتمع المقدسي لا بد من أن يتم التعرف عليه بصورة واضحة؛ فلم يكن لليهود نظام واحد فى التعامل مع الآخرين، بل كان هناك نظامان: أحدهما داخلى (داخل الجماعة اليهودية) ينظم العلاقة المتبادلة بين اليهود وبعضهم البعض فى إطار من العادات والعرف اليهودى.

والآخر مجموعة من الموظفين القائمين على الحفاظ على هذا التنظيم فى إدارة العلاقات بين اليهود والعالم الخارجى المحيط بهم (علاقاتهم بالسلطة والمجتمع الذى يعيشون فيه)، وهؤلاء الموظفون هم النجيد والديان.

وقد رصدت إحدى الوثائق العبرية خلافات بين رؤساء الطوائف اليهودية القرائين والربانيين، حيث أوضحت الوثيقة أن رئيس الطائفة الربانية استطاع أن يخلع "شوخيت" رئيس الطائفة القرائية فى القدس[١].

وعن علاقة اليهود بعضهم ببعض نجد الرابى عوبيديا يصف اليهود بقوله: "وكثيرا ما نجد أن اليهود اعتادوا أن يقدموا أنفسهم على أنهم من الفقراء فى البلاد العربية، ويُبدون أنفسهم صعاليك ومتسولين وهم يتنقلون بين العرب فى حين أنهم لا يبدون الشفقة والإحسان كل حيال الآخر"[٢]، كما أنهم جشعون وعباد للمال ويسعون إليه بكل حيلة، ويتصفون بالرياء والنفاق والحرص على التقرب لذوى السلطان لنيل أغراضهم ولا يتورعون من التآمر عليه[٣].

كما نجد عوبيديا يذكر أنه رأى اليهود الأشكيناز فى القدس لا يتناولون اللحم أو أى طعام يدخل فيه اللحم إلا إذا كان معدا تحت إشراف حاخامات أشكيناز. وإذا دعا أحد اليهود السفارد أشكينازيًا لتناول الطعام فى بيته فإن الأخير يمتنع عن تناول اللحم فى بيت اليهودى السفاردى، بالإضافة إلى أنه وجد اليهود السفارد ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يتفوقون على غيرهم من اليهود بصفتهم من سلالة نقية عملت بكل العقائد الدينية اليهودية البابلية دون غيرهم من اليهود الآخرين،

(1) B. Hoenig, Sidney: Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls.,p.120 – 124, Journal of Biblical Literature,The Society of Biblical Literature, vol. 83, No. 2, p. 125.
(2) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.228.
(٣) زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص٣٢٣ وما بعدها.

لذلك رفض معظم اليهود السفارد الزواج من الأشكيناز؛ بل الأكثر من ذلك أنهم يشمئزون من التواجد مع اليهود الأشكيناز في مكان واحد(١).

ومما سبق يتضح لي أنه لم يكن هناك وفاق دائم بين جماعات اليهود وبعضها البعض (اليهود المستعربة(٢) والسفارد والأشكيناز)؛ إذ كانت كل مجموعة منهم تنظر إلى نفسها على أنها الأفضل وتتعاون فيما بينها ضد الجماعات الأخرى، كما كانت هذه الجماعات يشي بعضها ببعض لدى السلطات. فعلى سبيل المثال، حدث شجار في القدس بين اليهود المستعربة والسفارد حول عمق الحمام الطقوسي، فوجَّه اليهود المستعربة بعض الاتهامات الظالمة إلى السفارد أمام السلطات التي قبضت على بعض منهم وأودعتهم السجن(٣).

وكان السفارد يشيرون إلى اليهود المستعربة بأنهم "التوشافيم"، أي "السكان الأصليون"، كما كانوا يشيرون إليهم بلفظ "الجريجوس" وهي تسمية كانت ذات دلالات سلبية؛ إذ توحي بتدنيهم وابتعادهم عن الالتزام الديني الذي نصت عليه التوراة. وكان اليهود المستعربة يشيرون بدورهم إلى السفارد باعتبارهم "مجوراشيم" أي "المطرودين" أو "المنبوذين". وكانت هناك أقلية صغيرة أشكينازية، وأخرى قرّانية، وذلك بخلاف الأقليات الهامشية مثل السامريين، ولكن مع هذا، تمت عملية الامتزاج بينها بالتدريج(٤). وأعتقد أن الذي ساعد على مزج اليهود في نهاية فترة الدراسة صدور الشولحان عاروخ الذي قبلته الجماعات اليهودية كافة باعتباره المرجع الأساسي للشريعة.

---

(1) Obadiah: The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanouro, p.240.

(٢) اليهود المستعربة هم يهود البلاد العربية الذين اكتسبوا خصائص الحضارة العربية فأصبحوا عرباً، وهم أغلبية يهود العالم العربي، ولا سيما قبل دخول الاستعمار الغربي الذي فرّنج عددًا منهم. وهم يُسمَّون خطأ (السفارد) والواقع أن كثيرًا منهم يتبع المنهاج السفاردي في العبادة، ولكن هذا لا يجعلهم من السفارد بالمعنى الإثني، الذي لا ينطبق إلا على اليهود الذين خرجوا من إسبانيا والذين ينتمون إلى أولئك الذين كانوا يتحدثون اللادينو ومنهم المارانو (أو البرتغاليون). واليهود المستعربة جزء ممن نُطلق عليهم الآن مصطلح (يهود الشرق).
عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص٣٠٧.

(٣) عبد الوهاب المسيري: المصدر السابق، مج٤، ص ١٩٣.

(4) Norman, A.Stillman: The Jews of Arab Lands, A History and Source Book, p.275.

دار القضاء عند اليهود (بيت دين)

دار القضاء هي الترجمة العربية لكلمة "بيت دين" العبرية، والتي تعني أيضًا "دار الحكم"؛ وهي محكمة يهودية كانت تعمل بهدي الشريعة اليهودية، تجبي الضرائب وتتولى القضاء وتُصدر القرارات الخاصة بكل الأمور الدينية والمدنية، وبالطعام ما هو حلال وما هو حرام. وكانت توجد ثلاثة أنواع من المحاكم (مدنية، وجنائية، وشرعية)، تتفاوت فيما بينها فى المكانة، فأدناها المحكمة المُشكّلة من ثلاثة قضاة وسلطتها الحكم في القضايا المدنية[1]. وكانت هناك سلطة قضائية أعلى تحكم في القضايا الجنائية وهي ما كان يُطلَق عليه "السنهدرين الصغير"[2] وعدد قضاته ثلاثة وعشرون. أما أعلى سلطة قضائية فهى "بيت دين جادول"؛ أي "دار القضاء الأكبر" أو "المجلس الدينى الأعلى لليهود"[3].

(1) Isaacs, Hyam: Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews, p. 426.
(2) Ibid, p. 427.
(٣) "السنهدرين": صيغة عبرية للكلمة اليونانية "سندريون" وتعني "مجلس". وقد أُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين. وكان السنهدرين بمنزلة المحكمة (بيت دين). ولذا، فإنه يُطلَق عليه بالعبرية اسم "بيت دين جادول" أي "المحكمة العليا"، وهي محكمة تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقًا للشريعة اليهودية في ذلك الوقت، وتشريع القوانين الخاصة بالعبادات ومحاكمة من ينتهك هذه القوانين، وكذلك الإشراف على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد، بالإضافة إلى الإشراف على المحاكم الصغرى، وكان السنهدرين يقوم أيضًا بوظيفة محكمة الاستئناف. ويُعد السنهدرين أعلى سلطة قضائية لليهود وله الرأي النهائي في تفسير القوانين وإصدارها، وقد كانت أحكامه تَصدُر بموافقة أغلبية الأعضاء، كما كان من صلاحياته تعيين القضاة في المحاكم الدنيا سواء في محاكم السنهدرين الأصغر أو في غيرها، وله الحق فى الحق في محاكمة كبار الموظفين، مثل الكاهن الأعظم .وقد كان السنهدرين هو المجلس الذي جمع الحقائق وقدمها للحاكم الروماني حين اتهم اليهود المسيح (عيسى ابن مريم) بأنه ليس المشياح المنتظر، وقد حكم المجلس بصلبه وكان يترأس السنهدرين، في مرحلة من المراحل، الكاهن الأعظم، ولكنه في مرحلة أخرى كان يترأسه ما يعرف بالزوجوت، أي رئيسان أحدهما يحمل لقب "ناسي" (أمير اليهود)، ويحمل الثاني لقب "آب بيت دين" (رئيس المحكمة). ومن الرؤساء المشهورين للسنهدرين الكبير، شمعون بن شطح (قرابة عام ١٠٠ ق.م.) وهليل (قرابة ٣٠ ق.م.). وتختلف آراء الباحثين فيما يتعلق بتاريخ ظهور السنهدرين:

وفى فترة الدراسة عُرفت دار القضاء عند اليهود باسم المحاكم الملية على اعتبار أن أهل الذمة جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامى، ووظيفتها النظر فى كل القضايا التى تخص أهل الذمة، إلا أنه كان من حقهم أن يلجئوا إلى المحاكم الإسلامية للفصل فى قضاياهم الخاصة مفضلين إياها على محاكمهم الملية؛ وذلك للثقة فى عدالة ونزاهة القضاء الإسلامى(١).

وتأكيدا على هذا الأمر نرصد حادثة الفتنة الداخلية التى وقعت داخل مجتمع اليهود فى بيت المقدس، فقد حدث عام (٩٦٥هـ/١٥٥٧م) أن وجد اليهود جثة نجيدهم يعقوب ين يوسف بن عبد الكريم ملقاة فى الطريق، ولم يعرفوا قاتله، وعندما ذهبوا إلى قاضى القدس لمعرفة الجانى اشْتُبه فى ابن نجيد اليهود السابق أن يكون هو من قام بقتله، وعندما استدعى القاضى اليهود للتحقيق فى الأمر

= ١- فيذهب بعض الباحثى إلى أن السنهدرين استمرار للمجمع الكبير. وهو هيئة تشريعية لا نعرف عنها الكثير، ولا حتى متى ظهرت، ويرى البعض أنه ظهر أثناء حكم السلوقيين عام (٣٠٠ ق.م.).

٢- وثمة نظرية تذهب إلى أنه ظهر أثناء حكم الحشمونيين حين تم فصل المجال السياسي عن المجال الديني وفصل الطقوس الكهنوتية والتفسير الديني عن الحكم المطلق للدولة. وبالتالي، فإن تاريخ ظهور السنهدرين – حسب هذه النظرية – يعود إلى حكم شمعون الحشموني عام ١٤٢ ق.م. فيكون هو الذي أسس السنهدرين لتفسير الشريعة.

وتناقض هذه النظرية تمامًا وقائع التاريخ فالملوك الحشمونيون كانوا ملوكاً كهنة، وبذلك يكون السنهدرين هو التعبير عن السلطتين الدينية والدنيوية لا الفصل بينهما، وهكذا تختلط النظريات بشأن تاريخ السنهدرين ووظيفته. وكان السنهدرين يتكون من واحد وسبعين عضوًا وكان مقرُّه القدس، وكان يجتمع في القاعة العظمى أو في قاعة الحجارة المنحوتة (بالعبرية: لشكت هجازيت)، ويُقال لها أيضًا "قاعة القرارات" .وباضمحلال أهمية الجماعة اليهودية فى فلسطين، بدأ السنهدرين يفقد أهميته، واختفى، وحلت محله فى فترة الدراسة ما يعرف بالمحكمة الملية الخاصة لكل أقلية دينية بل لكل جماعة حرفية، كما هو الحال مع المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية في أيام الخلافة العثمانية. وقد انحسرت مهمة المحاكم اليهودية وأصبحت مقصورة على المسائل الخاصة بالطقوس الدينية وبأمور الأحوال الشخصية التي لا يحقُّ لأي محكمة أن تنظرها وكان يرأسها "ديان اليهود" . عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية، مج٤، ص ٦٥ – ٦٦ .

(1) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.53.

عرف أن جميع اليهود القاطنين فى محلة اليهود يكرهونه لتسلطه عليهم وارتكابه فى حقهم أفعالا شائنة، منها فرض مقرر على عقود الزواج كما أنه حرم إحدى سيدات اليهود من ميراث ابنها المتوفى واستولى هو عليه، كما أنه كان يفرض أموالا على تجار التوابل المارين بالأرض المقدسة، ولم تكن علاقاته حسنة مع بنى جلدته طوال خمسة عشر عاما قضاها فى منصب نجيد اليهود. وبعد شهادة كثير من الشهود اكتشف القاضى أن نجيد اليهود أشاع بين بنى ملته محاولته قتل نفسه حتى لا يكتشف أمره؛ خاصة أن القاضى كان قد أصدر حكما بنفى يعقوب وعائلته من القدس عام (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) وتغريمه مائة سلطانى وذلك بسبب تسلطه على بضائع تجار التوابل القادمين إلى القدس واستيلائه عليها، وجعل ابنيه شمويل وأهارون يبيعان تلك البضائع لحساب أبيهم[١].

ومن المفارقة العجيبة أن أحد اليهود ويدعى أهارون بن إيليا قد طمع فى ممتلكات يعقوب هذا بعد نفيه هو وعائلته؛ مما جعله يشترى الغرفة التى تقيم فيها زوجة يعقوب الثانية، وفرنه ونصف البيت الذى يمتلكه، بل ويطلب من اليهود المقيمين فى القدس أن ينصبوه نجيدا عليهم بدلا من يعقوب، وفى عام (٩٥٢هـ/١٥٤٥م) عاد يعقوب وابنه إلى القدس مرة أخرى مغيرين نشاطهما؛ حيث عمل يعقوب فى التجارة وعمل ابنه عطارا، وحقق يعقوب أموالا طائلة، وأساء معاملة اليهود فتكررت الشكوى منه لقاضى القدس مما جعل يعقوب يفكر فى قتل نفسه بالفعل، وبعد موته، أنفق جميع المال الذى اكتسبه فى تسديد الديون التى عليه لجيرانه من المسلمين[٢].

وفى عام (٩٦٥هـ/١٥٥٧م)، جاءت اليهودية مريم بنت موسى إلى قاضى القدس ولم تذهب إلى "بيت دين" تشكو زوجها الذى كسر ذراعها أثناء مشاجرة بينهما، فلما حكم القاضى على زوجها بالحبس تراجعت عن شكواها وادعت أنها كذبت فيما تقدم وأنها وقعت فكسرت ذراعها[٣].

---

(1) Ibid. p.56.
(2) Ibid. pp. 54 -55.
(3) Ibid. p.129.

وفى عام (٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، استمع قاضى القدس لشكوى شيخ اليهود من تدخل ثلاثة من اليهود وتسلطهم على صنع وتجارة الجبن واحتكار توزيعها فى القدس والمناطق الفرعية المحيطة بها وحرمان تجار المسلمين من ذلك، وعندما استمع القاضى لشهود العيان أقروا أن اليهود الثلاثة يفعلون ذلك بمساعدة الجنود الإنكشارية؛ مما جعل القاضى يصدر حكمه ضدهم بمنعهم من تجارة الجبن خارج القدس وبيعه داخلها فقط مع الالتزام بشروط البيع[١]. وعليه، يمكن قبول رأى مارك كوهين فى أن قاضى الإسلام كان يقبل إقرار اليهود بشهادتهم فى القضايا المختلفة الخاصة بهم. ويجعلهم يوقعون فى نهاية سجل القضية تحت ما يسمى شهود الحال.

وفى كثير من سجلات المحكمة الشرعية وجدنا وثائق تنتهى بعبارة شهود الحال ويذكر اسمين فقط. من ذلك إحدى القضايا التى شهد عليها كل من يعقوب ابن موسى اليهودى، وإسحاق بن هارون اليهودى.

وفى عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م)، حدث نزاع كبير بين كبير اليهود (يعقوب بن حاييم فالاك) وبين كبار الشخصيات اليهودية فاعتقد أنهم سوف يبحثون عن طريقة للانتقام منه، وكان السبب فى ذلك هو معاملة يعقوب لأهل ملته معاملة سيئة وفرضه عليهم أموالا غير الجزية التى يدفعونها للسلطات العثمانية، لذلك بادر يعقوب إلى ترك ورقة يعترف فيها : "أنه سمَّ نفسه حتى لا تتطور الخلافات بينه وبين اليهود فيحدث نتيجة لهذا مشكلات كثيرة قد تؤثر على أمن البلاد، ومؤثرا أن تجرى العدالة فى مسيرتها ولا يتهم أحد ظلما إن مات من أثر السم"[٢]، وقد أعطى اليهود هذا الخطاب لقاضى قضاة القدس حتى يقوا مجتمع اليهود وبالتالى المجتمع الإسلامى من الفتنة.

لقد كان لدى اليهود استعداد كامل لتقبل أحكام القضاء الإسلامى دون نقاش؛ ففى عام (٩٤٨هـ/١٥٤١م) ذهبت كبار الشخصيات اليهودية إلى قاضى القدس يشكون الحاخام الأكبر ويدعى دانيال، وذلك لأنه أصيب بالجنون وصار يعامل

(1) Ibid., p.114 – 115.
(2) Ibid., p.8.

اليهود بعنف شديد، فطلبوا من القاضى حصر جميع ممتلكاته ووضعها تحت الحراسة لحين إيداعه مستشفى لتلقى العلاج والعودة إلى رشده[١].

وعندما تولى القاضى شمس الدين العمرى العليمى الحنبلى قضاء القدس الشريف فى أواخر دولة الملك الأشرف برسباى (٨٤١هـ/١٤٣٧م) وحتى دولة الظاهر جقمق (٨٥٣هـ/١٤٤٩م) ظل يحكم بإسلام أطفال من يموت من أهل الذمة على قاعدة المذهب حتى انبرى له أحد قضاة الشافعية وحكم لجماعة من أهل الذمة ببقاء أطفالهم على دينهم فتعارض الحكمان، فرفع الأمر للظاهر جقمق فجمع علماء وقضاة مصر فاتفقوا على صحة الحكم بالإسلام وأنه هو المعمول به[٢]، ولم يشْتَكِ أحد من أهل الذمة من هذا الحكم.

وقد استمر لجوء اليهود إلى القضاء الإسلامى[٣] - إلى فترة ما بعد الدراسة - للحصول على حقوقهم المهدرة من قبل نجدانهم، أو كبار الشخصيات لديهم، من ذلك ما حدث عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) حيث تقدم شيخ اليهود نفسه بشكوى لقاضى المسلمين يشكو فيها من أحد اليهود القادمين من صفد لأنه يزعج جيرانه ويقوم بأفعال لا يتقبلها أحد، وقد نصحه شيخ اليهود بالكف عن تلك الأفعال التى يضايق بها جيرانه أو يترك القدس ويعود من حيث أتى، إلا أن هذا اليهودى لم يستجب لنصيحة شيخ اليهود وضرب بها عرض الحائط. وعندما نظر الشكوى قاضى المسلمين حكم عليه بمغادرة القدس والعودة إلى صفد فاستجاب اليهودى[٤] وترك المدينة.

---

(1) Ibid., p.9.

(٢) مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٨٨.

(٣) أعطى حكام الدولة العثمانية القاضى المسلم كافة الصلاحيات فى دراسة القضايا التى تعرض عليه وكذلك كيفية تنفيذ الأحكام الصادرة عنه، وعليه يُعد القاضى المسلم هو السلطة التنفيذية التى لديها القدرة على تنفيذ الأحكام، بينما كان الديان اليهودى لا يمتلك مثل هذه السلطة وهذا يفسر أسباب لجوء اليهود للقضاء الإسلامى وليس القضاء اليهودى لأنهم يعلمون علم اليقين أن القاضى المسلم أمره نافذ.

(4) Ibid., p.10.

ولم يقف الأمر عند لجوء رجال اليهود إلى القضاء الإسلامي للحصول على حقوقهم، بل إن المرأة اليهودية كانت هي الأخرى تفعل نفس الشيء وتدافع عن وضعها القانوني، وتبحث عن العدل في الأحكام فكانت لا تلجأ إلى المحاكم الملية بل تسارع إلى القضاء الإسلامي ثقة فيه وفي عدالته.

ويعترف مؤرخو اليهود القدماء والمحدثون[1] بأن المرأة اليهودية في الفترة المملوكية وبدايات الفترة العثمانية كانت تتمتع بوضع اقتصادي، اجتماعي، تعليمي متدنٍ للغاية فلم تشارك في الحياة الاقتصادية بصورة كبيرة بل كانت تعمل في مهن حقيرة منها مهنة الدلالة والغزل، حيث وجدنا في سجلات المحكمة الشرعية وثائق عبارة عن (كفالة إحضار) لمن تخل بشروط تلك المهن.

كما أن المرأة اليهودية لم تشارك في الحياة الدينية بل كانت تتلقى تعليما دينيا بسيطا ولا تتلقى أي نوع من التعليم الرسمي باستثناء بعض الحالات النادرة، وكان وضعها الاجتماعي أشد سوءا؛ حيث تعدد الزوجات وحقوق باتت للرجل اليهودي على زوجته بشأن الطلاق أو زواجها زواج اليبوم دون أخذ موافقتها، أو حتى إعلامها؛ لذلك لجأت نساء اليهود للقضاء الإسلامي لتحصل على حقوقها التي حرمها منها القضاء اليهودي.

مما سبق يتضح أن يهود القدس وضعوا ثقتهم في القضاء الإسلامي[2] وعدالته في وقت غابت فيه عدالة المحاكم الملية لديهم نتيجة لتسلط زعماء الطائفة اليهودية، وخضوعهم للأهواء الشخصية.

(١) صموئيل أتنجر: اليهود في البلدان الإسلامية، ص٦٦ .

(٢) للدكتور حسن الزين في كتابه : " الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية"، ص١٣٠ رأي في هذا الموضوع مقتضاه " أنه ليس من صلاحيات القاضي المسلم أن ينظر قضايا أهل الكتاب إلا عندما يكون أحد المسلمين متورطا في النزاع؛ ساعتها يحق لقاضي المسلمين أن يقضي في هذا النزاع بصلاحية مطلقة استنادا للمبدأ القائل : "الإسلام يعلو ولا يعلى عليه" وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء/الآية ١٤١). ولنا تعليق على هذا الرأي حيث قصر الدكتور الزين النظر في القضايا على أن يكون أحد طرفي النزاع مسلما؛ ولكن ما سجله الرحالة ومؤرخو اليهود يوضح لنا أن لجوء اليهود إلى القاضي المسلم كان يتم أحيانا دون أن يكون أحد أطراف النزاع مسلمين؛ فمن خلال رصد =

التأثير والتأثر بين اليهود والمسلمين:

كان لاحتكاك اليهود بالمسلمين أثر كبير في تأثرهم بالثقافة الإسلامية، فقد اندمج اليهود فى المجتمع الإسلامى وتأثروا بالحضارة الإسلامية فى ظل حكم عربى إسلامى احترم أهل الكتاب وعَدَّهم أهل ذمة مع المسلمين ووفر لهم الحماية والرعاية والأمن الدينى والاجتماعى والرفاهية الاقتصادية، وأصبح لليهود فى النيابة خصائص كثيرة مشتركة مع المسلمين، فى العادات والتقاليد وطرق المعيشة اليومية من مأكل وملبس وغيره، نتيجة لعدة عوامل منها الأخوَّة فى الأصل واللغة والتقارب فى الطباع والتوحيد الشريف لله، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى التأثر بالمسلمين إلى الطقوس الدينية لدى اليهود؛ وفى ذلك يقول نفتالى فيدر: "إن الديانة اليهودية تأثرت تأثرا عظيما بالبيئة الإسلامية، فقد أدت التيارات الروحية التى غمرت هذه البيئة طوال مئات السنين إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود المقيمين فى الأصقاع العربية.. وقد عظم هذا التأثير فى ميدان الفكر الدينى والنظر الفلسفى"(١).

= اليهود أنفسهم كان ذلك يحدث أحيانا عندما يكون النزاع بين اليهود بعضهم مع بعض أو بين اليهود والنصارى، كما أن الكاتب نفسه فى موضع آخر من كتابه يذكر هذه المقولة: "إن حالات الخضوع الاختيارى للقوانين الإسلامية كانت كثيرة الظهور على أرض الواقع، ولكن الأسباب التى دفعت بالكثيرين من أهل الذمة إلى تفضيل الخضوع لأحكام القانون الإسلامى بقيت مجهولة ". ولهذا يمكن ترجيح الرأى الذى سقناه وهو ثقة اليهود فى عدالة القضاء الإسلامى فى وقت غابت فيه عدالة القضاء اليهودى.

(1) Wieder, Naphtali: Islamic Influences on the Jewish Worship ,Oxford 1947, p. 4.

جرت العادة بين الباحثين والمستشرقين اليهود وغيرهم عند التصدى لبحث فكرة تأثير اليهودية على الإسلام إلى الاقتناع التام بأن الأسبق فى الظهور هو من يؤثر فى اللاحق فمادامت اليهودية أسبق من الإسلام فى الظهور على مسرح التاريخ؛ فإنه لا مفر من أن يؤثر السابق فى اللاحق .وفى كتاب نفتالى فيدر إثبات لخطأ هذا الزعم.

فالكاتب يتناول جزئيات قد لا تعبر عن تأثير جذرى للإسلام على اليهودية ؛لكنه يقرر أن التأثير فى هذه الجزئيات لم يكن إلا عرضا مظهريا لتأثر قادة اليهود وزعمائهم فى الدولة الإسلامية بروح الإسلام وفلسفته، واتجاهات مبادئه إلى النظافة والنظام فى المظهر، وإلى =

ومن أهم مظاهر تأثر اليهود بالمسلمين ظهور عادة غسل القدمين قبل صلاة الصبح (شحاريت) والاصطفاف فى الصلاة والجلوس على الركبتين كهيئة البارك، وهذه العادات ليس لها أساس فى الشريعة التلمودية، فلم تذكرها المصادر الدينية اليهودية، وما ذكر فى المصادر الدينية اليهودية هو غسل اليدين إلى الزندين(١)، كما أنها انتشرت بين اليهود الذين يعيشون فى الأقطار الإسلامية فقط ولم نجدها عند اليهود الذين يعيشون فى أوروبا(٢). أيضا انتشرت عادة خلع النعل عند دخول المعبد، حتى ولو كان دخوله بغرض الزيارة فقط، وفى هذا تأثر بسلوك المسلمين عند دخولهم المسجد خاصة إن عرفنا أن اليهود الربانيين كانوا يدخلون معابدهم بالحذاء(٣) بينما لا يفعل ذلك القراءُون، مما أثار الرابى عوبيديا وجعله يسجل ذلك فى رحلته.

هذا، وقد تأثر اليهود بالمسلمين في ملابسهم ولم يفرقها عنهم سوى الالتزام بلون معين للعمامة حسب انتماء اليهود إلى فرقة دينية معينة وتحلية هذه الملابس بالشعارات اليهودية، كما أنهم يتكلمون لغة واحدة هى العربية ويسكنون متجاورين بل أحيانا فى بيت واحد ويتزاورون، كذلك كانوا يلبسون نفس الثياب مثل المسلمين ويسمُّون بأسماء مشتركة مع المسلمين مثل: عبد الكريم، وعبد الله، وزكريا، ويحيى، ويوسف، وسليمان(٤).

وقد لاحظ ميشلوم بن مناحم تشبُّه اليهود بالمسلمين فى أسلوب الطعام؛ حيث اعتادوا تناوله بأصابعهم مشتركين فى طبق واحد، كما أنهم لا يستخدمون فوط المائدة ومع ذلك فملابسهم نظيفة(٥)؛ بينما وصف عوبيديا شكل المائدة؛ حيث

= الزهد والإخلاص فى النفس بل إنه كثيرا ما يسمى التأثير الإسلامى الذى أدخله قادة اليهودية .

(١) إبراهيم بن موسى بن ميمون: كفاية العابدين، ترجمة نسيم دانا، جامعة بر إيلان، تل أبيب ١٩٨٩، ج٢، ص٥٩.

(2) Wieder, Naphtali: Islamic Influences on the Jewish Worship, p.21.
(3) Adler, Elkan Nathan: Jewish Travellers, p.159.
(4) Cohen, Amnon: Jewish Life under Islam, p.76.
(5) Adler, Elkan Nathan: o.p. cit., p. 159.

لا يختلف كثيرا عن مائدة المسلمين؛ خاصة فيما يتعلق بالجلوس على الأرض وترؤس رب البيت المائدة وتبادل الكلمات الطيبة على الطعام(١).

وهناك دليل آخر على مدى تأثر اليهود بالمسلمين وهو استخدامهم للغة العربية بدلا من العبرية سواء أكان ذلك للتعامل فيما بينهم، أم للتواصل مع المجتمع المقدسي، وأصبح استخدامهم للغة العبرية مقصورا على ممارسة الطقوس الدينية بوصفها لغة طقوسية (liturgical language) للديانة اليهودية، وقد أشار عوبيديا في رحلته إلى اختلاف عبرية اليهود السفارد، عن عبرية اليهود الأشكيناز، وقد برر ذلك بأن يهود البلاد العربية سواء المحليون أم القادمون من الأندلس كانوا لا يتحدثون إلا العربية، واقتصر استخدام العبرية عندهم على الأنشطة الدينية المتخصصة(٢).

(1) Obadiah: Travel Letters of Rabbi Obadiah of Berteanuoro, p. 224.

(٢) على أحمد محمد السيد: يهود شرق البحر المتوسط، ص١٩٨.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة نود أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها :

١- بعد استقراء جهود المؤرخين من العرب والأوروبيين فى أسباب تحويل منطقة القدس إلى نيابة مستقلة، انتهى البحث إلى أن تحويل القدس إلى نيابة مستقلة وانفصالها عن تبعيتها الإدارية لنيابة دمشق خلال العصر المملوكى كان له بُعد إدارى محض، وذلك لإسباغ الاستقلالية الإدارية على هذا الإقليم، من أجل حمايته من الأخطار الاستعمارية سواء أكانت صليبية أم تترية، بالإضافة إلى محاولة إضعاف نواب دمشق الذين قاموا بحركات تمرد انفصالية عن السلطة المملوكية المركزية فى القاهرة. وبانتهاء العصر المملوكى عادت نيابة القدس مرة أخرى فى العصر العثمانى لتبعيتها إداريا للواء دمشق.

٢- لم يكن لليهود مملكة بالقدس إلا فى عهد شاؤول وداود وسليمان قبل الميلاد. وهذه المملكة لم تستمر، بل تم تدميرها وحُكِم على اليهود بعدها بالشتات. كما أوضحت الدراسة أن الوجود العربى فى مملكة القدس يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد؛ أى أنه أسبق من الوجود اليهودى فيها وذلك من خلال الاعتماد على نصوص التوراة.

٣- إن قضية تقدير أعداد اليهود فى فترة الدراسة تتباين فيها الأرقام بين تقديرات الرحالة والإحصاءات الرسمية، بل إن الإحصاءات الرسمية نفسها تتباين فيما بينها بشكل كبير خاصة فيما يتعلق بأعداد اليهود، كما تباينت دفاتر الإحصاء الرسمية تباينا كبيرا من عام إلى عام ومن منطقة إلى منطقة وهذا راجع إلى عدم دقة تسجيل بيانات الإحصاء فى تلك الدفاتر، كما أثبتت الدراسة أن الأعداد التى شاعت فى أقوال الرحالة اليهود الذين زاروا المنطقة لم تخْلُ من المبالغات.

٤- لم تعط الوثائق العبرية تقديرا لأعداد اليهود فى الفترة المملوكية، كما أنها لم تتفق والوثائق العربية فى تقدير أعدادهم فى الفترة العثمانية التى دخلت ضمن نطاق الدراسة، وقد اتسمت هذه الوثائق بالعمومية، حيث شهدت المنطقة ازدياد عدد اليهود فى الفترة العثمانية. وقد توصلت الباحثة إلى أن الزيادة المُتَحدَّث عنها كانت فى الفترة الوسطى والمتأخرة من العصر العثمانى وليس فى بدايته. وقد أيدت هذا الاستنتاج الوثائق العربية؛ وخاصة وثائق المحكمة الشرعية بالقدس فى بداية الفترة العثمانية.

٥- من خلال البحث تأكد لدينا أن عدد اليهود المقيمين فى نيابة القدس بولاياتها الثلاث: نابلس والخليل والرملة، كان ضئيلا إذا قيس ببقية سكان النيابة من المسلمين والنصارى، إلا أن الوثائق العبرية قد أظهرت أن هناك يهودا طارئين على النيابة يأتون إليها بغرض الحج أو زيارة أرض الميعاد، ثم يستقر أغلبهم فى النيابة تدعيما للفكر الاستيطانى الذى سيطر على يهود تلك الفترة، ولكنهم لم يستطيعوا التأثير فى العدد الكلى لليهود وذلك لأسباب أوضحتها الدراسة؛ وهى:

- أن هناك عددا منهم دخل الإسلام طواعية.
- الكوارث والأوبئة التى مُنيت بها منطقة النيابة خلال فترة الدراسة أسهمت بصورة أو بأخرىَ فى نقص أعداد اليهود فى المنطقة.

٦- لم يشارك اليهود فى النظام الإدارى للدولة المملوكية بنيابة القدس بصورة كبيرة واقتصرت الوظائف التى تقلدوها على الوظائف الدينية خلال العصر المملوكى، إلا أنه خلال العصر العثمانى اتسعت دائرة الاستعانة باليهود فى الوظائف الإدارية، ووجدنا من اليهود من يتولى وظيفة وكيل الخاص السلطانى، مما يشير إلى إتاحة الدولة العثمانية الفرصة لليهود للمشاركة فى وظائف الدولة الإدارية.

٧- لم يكن لليهود أثر اقتصادى ملحوظ فى منطقة الدراسة، بل يكاد يكون هذا الأثر معدوما خاصة فى العصر المملوكى، وذلك لأسباب منها:

- إن اليهود الموجودين فى منطقة الدراسة عددهم قليل، والأعمال التى كانوا يقومون بها كانت من حقير المهن وفقيرها، إذ لم تؤثر بشكل أو بآخر فى الاقتصاد ومعدله.
- كان لدى عدد قليل من اليهود الثروة والمال، إلا أن أثر هؤلاء لم يظهر فى الفترة المملوكية وإنما ظهر فى الفترة العثمانية؛ وذلك لقبول ممثلى السلطة العثمانية الرُّشَا من هؤلاء اليهود حتى يستطيعوا البقاء على حالهم من التسلط على بنى جلدتهم ولولا ذلك لما كان لهم وجود.
- أكثر اليهود الموسرين قد تركوا منطقة الدراسة وعادوا من حيث أتوا، ولم يبقَ فى المنطقة سوى نفر قليل منهم يعيش على الكفاف حتى اضطروا للاستدانة ولم يستطيعوا سداد ما عليهم.

٨- من خلال الوثائق العبرية والعربية استطعنا تحديد عدد الحرف والصناعات التى امتهنها اليهود، وقد وصلت إلى قرابة اثنتى عشرة مهنة، كما حدد البحث أماكن تمركز الصناعات الحرفية بالأسواق المنتشرة فى منطقة النيابة، مثل: سوق الصياغ، وخان الصرافة، وحارة المسلخ.. وسوق الإسكافية، بالإضافة لبعض المنتجات التى كان يتاجر فيها صغار تجار اليهود.

٩- آمنت السلطة المملوكية بفكرة الاقتصاد الحر، والحرية المهنية، فيما عدا استثناءات طفيفة ارتبطت ببعض النواحى الشرعية كتحريم بيع الخمر ولحم الخنزير للمسلمين؛ فلم توضع قيود من السلطة الحاكمة تلزم أشخاصا بأعينهم باحتراف مهنة معينة، وظهر هذا واضحا من خلال وثائق الحرم القدسى وسجلات المحاكم الشرعية.

١٠- لم تُشِرْ وثائق الجنيزة لا من قريب أو بعيد إلى احتراف اليهود للمهن الحقيرة التى تم رصدها فى الدراسة من خلال وثائق الحرم القدسى ووثائق المحكمة الشرعية بالقدس. وبهذا تكمل هذه الوثائق النقص فى وثائق الجنيزة.

١١- اتفقت الوثائق العربية والمصادر العربية على ربط اليهود فى عملهم بحقير المهن التى مارسوها، سواء فى الفترة المملوكية أو بدايات الفترة العثمانية

وحتى نهاية فترة الدراسة وما بعدها، ولم تعثر الباحثة على وثيقة عبرية تشير لهذا الأمر، إلا أن مؤرخي اليهود المنصفين أمثال أمنون كوهين قد سجل شهادته على ذلك الأمر من واقع سجلات المحاكم الشرعية بالقدس والسجلات العثمانية التى رجع إليها.

١٢- تعددت عناصر اليهود السكانية فى مناطق النيابة؛ فكان منهم المغاربة، وكان منهم الإيطاليون والفرنسيون، ومنهم من جاء من طرابلس وطرسوس وكردستان والأندلس، وإسبانيا والبرتغال ومالطة، ألمانيا، لذا اصطلح الباحثون على تقسيم اليهود بحسب عناصرهم السكانية إلى نوعين :اليهود السفارد (يهود الشرق)، واليهود الأشكيناز (يهود الغرب)، كما أنه لم يكن لعناصر يهود نيابة القدس أثر واضح فى الحياة السياسية بل اعتبرهم سلاطين المماليك أحقر شأنا من أن يستعينوا بهم فى بعض المهام السياسية، وفضلوا الاستعانة ببعض اليهود المغاربة خصوصا فى أعمال الترجمة أو السفارة السياسية.

١٣- انقسم اليهود حسب انتماءاتهم الدينية إلى ثلاث فرق؛ هى: القراءُون، والربانيون، والسامرة، وكان بين تلك الفرق خلافات واسعة حول تعاليم التوراة وبعض الأحكام التشريعية والشرعية لديهم.

١٤- كان لليهود عاداتهم الاجتماعية التى ظهر فيها التأثر بعادات وتقاليد المسلمين، سواء أكان ذلك فى الطعام والشراب أم فى الصلاة والملبس، كما كان لليهود مناسباتهم وأعيادهم التى يحتفلون بها.

١٥- جرى الاعتقاد أن عادة تعدد الزوجات لم تنتشر بين اليهود حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى؛ بينما ثبت من خلال البحث حالات تعدد الزوجات فى الفترة محل الدراسة وقبلها، كما رصد البحث من خلال وثائق الجنيزة وصفا لحفلات الزواج عند اليهود فى ذلك الوقت، ومراسم الطلاق، وغيرها من العادات الاجتماعية التى بات التأثر بالعادات الاجتماعية الإسلامية واضحا فيها بشكل كبير، مع الاحتفاظ بالعادات الاجتماعية المرتبطة بالديانة اليهودية بشكلها الأساسى لدى اليهود.

١٦- كشفت وثائق الجنيزة عن شيء مهم، ألا وهو تسجيل كل يهودى مُتوفَّى لوصيته قبل وفاته حتى يضمن أن لا تصل أمواله لديوان المواريث الحشرية إن لم يكن له وارث، بل إن بعضهم كان يعمد إلى التزوير وإظهار نفسه مدينا لأقربائه أو لأى شخص حتى يحفظ أمواله.

١٧- شاركت المرأة اليهودية فى المهن المختلفة وإن كانت شهرتها فى مهنة الدلالة أكبر، حيث رصدت وثائق المحاكم الشرعية بالقدس أسماء اليهوديات اللائى عملن بهذه المهنة، كما إنها لم تقصِّر فى أداء الواجبات الاجتماعية طِبقا لما توافر لدينا من معلومات من خلال وثائق الجنيزة وسجلات المحاكم الشرعية.

١٨- مَثَّل الكنيس اليهودى محور الحياة الثقافية والتعليمية التَّعَبُّدية لدى اليهود، ففيه العلماء وطلبة العلم، على الرغم من أن عدد اليهود كان قليلا بالنسبة لغيرهم من السكان، ولم يرصد البحث سوى وجود كنيس واحد لليهود ورد ذكره فى كل من الوثائق العبرية والعربية والمصادر العربية أيضا.

١٩- إن إحياء الرابى عوبيديا الأكاديمية اليهودية (اليشيفاه) فى القدس لم يكن إلا تدعيما للفكر الاستيطانى الذى تبناه اليهود فى أرض الميعاد، وهذا العمل يجعلنا نخرج بنتيجة أخرى مفادها أن مهمة الرابى عوبيديا بوصفه نجيدا لليهود فى القدس لم تكن دينية فقط؛ بل كان لها بعد سياسى وضحت معالمه فى دعواته المستمرة لليهود كى يقدموا إلى القدس.

٢٠- لم تتضح معالم النهضة العلمية لدى اليهود فى فترة الدراسة وذلك لأن أعداد اليهود الموجودين فى منطقة الدراسة قليلة، بالإضافة إلى أن أكثر اليهود تركوا منطقة الدراسة ورحلوا إلى صفد. كما أن الحياة الثقافية لدى اليهود فى نيابة القدس فى فترة الدراسة لم تكن من الأهمية بمكان ذلك أن أغلب اليهود الذين وجِدوا فى هذه الفترة انشغلوا بالمهن وكسب العيش أكثر من انشغالهم بالعلم والإنتاج الفكرى، ويتبع ذلك فقر فى الإنتاج العلمى، لذا لم نجد لدى اليهود نهضة علمية بالمعنى المفهوم، وانحصرت نهضتهم العلمية فى بعض المؤلفات البسيطة التى ظهرت خلال فترة الدراسة على شروح التوراة وتفسيرها، كمؤلف عوبيديا (مشناة البرتينورى) ومؤلف يوسف كارو فى التصوف اليهودى (الشولحان عاروخ).

٢١- أوضحت الدراسة تراجع استخدام اللغة العبرية عند اليهود ولجوءهم لاستخدام اللغة العربية لتكون وسيلة للتواصل فى المجتمع الذى يعيشون فيه، واقتصر استخدام العبرية على الطقوس الدينية.

٢٢- من خلال مقارنة الوثائق المختلفة محل البحث تم التوصل لنتائج مهمة من خلال رصد عدد من الوقائع الواردة فى الوثائق؛ ففى بعض الأحيان تتفق الوثائق العبرية والوثائق العربية فى رصد حالة من حالات مخالفة اليهود للقواعد التى تضعها السلطة سواء المملوكية أو العثمانية، وقد اتضح هذا فى مسألة إخلال اليهود بشروط الذبح الشرعية للمسلمين؛ حيث سجلت ذلك وثائق الحرم القدسى باعتبار الشكوى موثّقة فى مجلس القضاء القدسى وعليها شهود حال، وفى وثائق الجنيزة نجد خطابات اليهود المتبادلة بينهم ترصد مثل هذه الواقعة من باب الاطمئنان على أحوال اليهود فى ظل السلطة المملوكية، فى حين نجد المصادر العربية تُغفل ذكر مثل هذه الواقعة لاحتقارها لشأن اليهود وما يتصل بهم من قضايا داخلية قد لا تؤثر فى الأوضاع السياسية، وإن كان لا يخفى أنها قد تؤثر فى الأوضاع الاقتصادية.

٢٣- عندما نقف عند وصف عوبيديا لمجتمع اليهود فى بيت المقدس نجده - بوصفه شاهد عيان- يلتزم الصدق فى وصف أحوال اليهود التى عاشوها من فقر وعوز ومرض، فى حين نجد وصفه للمدينة لا يلتزم فيه الصدق من منطلق نزعته الدينية التى تسيطر عليه - بوصفه رجل دين- ورغبته فى تصديق زعم اليهود القائل إن إعمار المدينة المقدسة سيكون على يد بنى إسرائيل. بينما فى كتابات اللاحقين لعوبيديا من اليهود نجد الأمر عندهم يختلف؛ فأكثر كتاباتهم عن أحوال اليهود فى أواخر الفترة المملوكية والفترة العثمانية تتحدث عن الرخاء الذى عاش فيه اليهود رغم قلة عددهم فى منطقة الدراسة؛ فهذه الأعداد لم تصل إلى حد الزيادة إلا فى أواسط وأواخر الفترة العثمانية.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

الملاحق

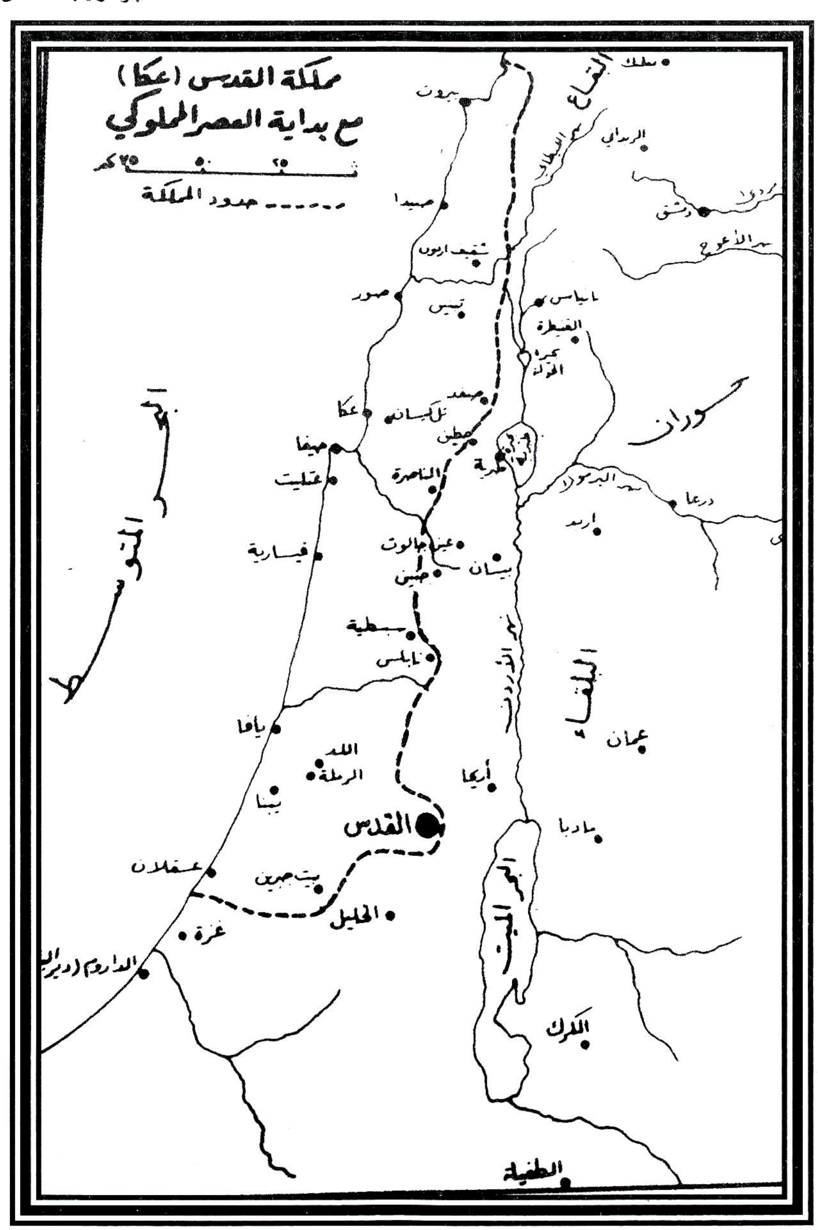
الخرائط:



خارطة رقم (١)
فلسطين فى العهد المملوكي
www.Islamonline.net



خارطة رقم (٢)
فلسطين فى بداية العهد العثمانى
www.Islamonline.net



خارطة رقم (٣)
مملكة القدس فى بداية العصر المملوكى
محمد محمد شراب : معجم بلدان فلسطين،ص٣٨٥.



خريطة رقم (٤)



خريطة رقم (٥)
مدينة نابلس
محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين

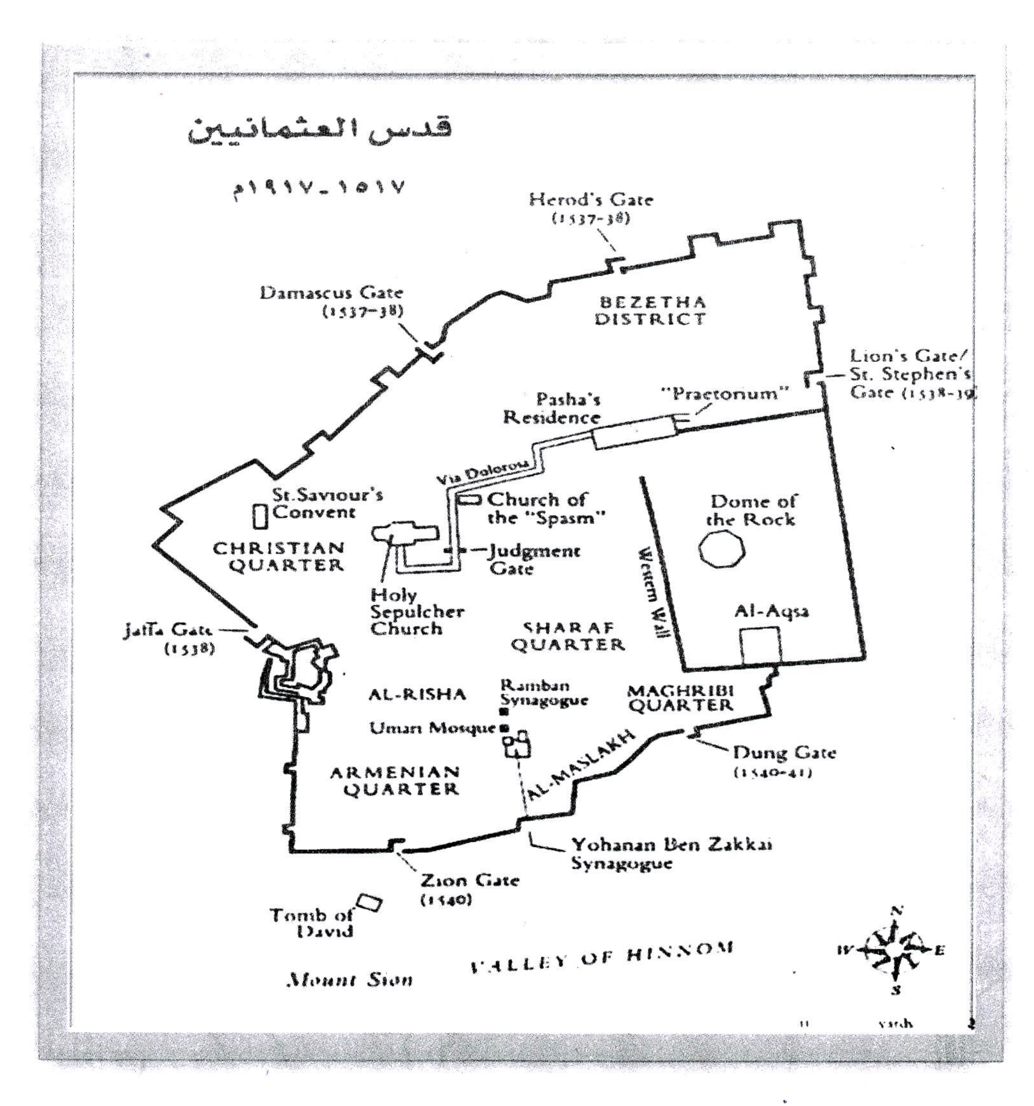


خريطة رقم(٦)
القدس العثمانية
د خليل عثامنة: فلسطين فى العهدين المملوكى والعثمانى

المخططات:



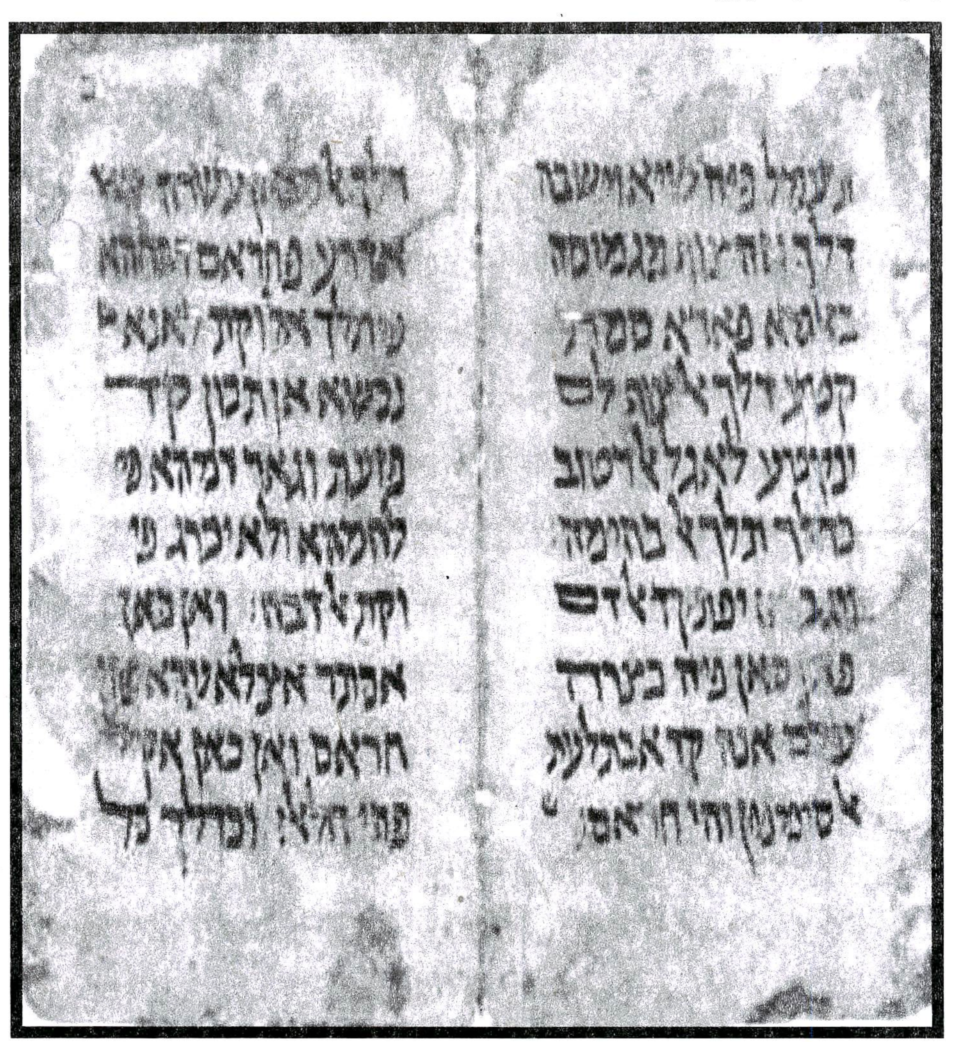
شكل رقم (١)
مخطط يوضح سور القدس وأبوابه وحارات القدس
محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين



شكل رقم (٢)

مخطط موضح عليه أماكن تمركز اليهود فى مدينة القدس
فى الفترة المملوكية والعثمانية
كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث

الوثائق العبرية:



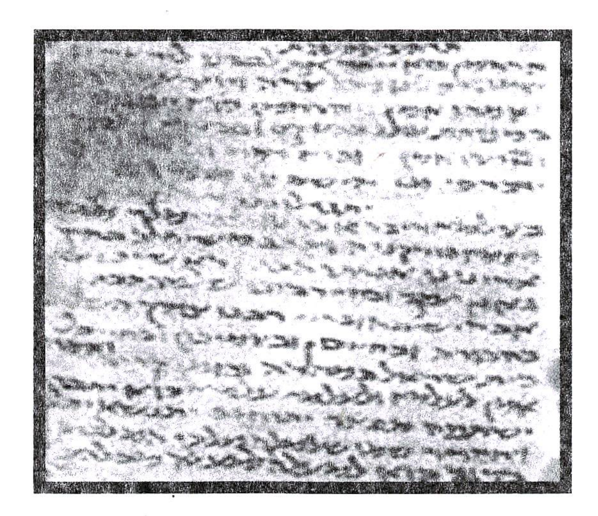
وثيقة رقم (١)

وثيقة فيها ذكر للحالوقاه المفروضة على طائفة اليهود

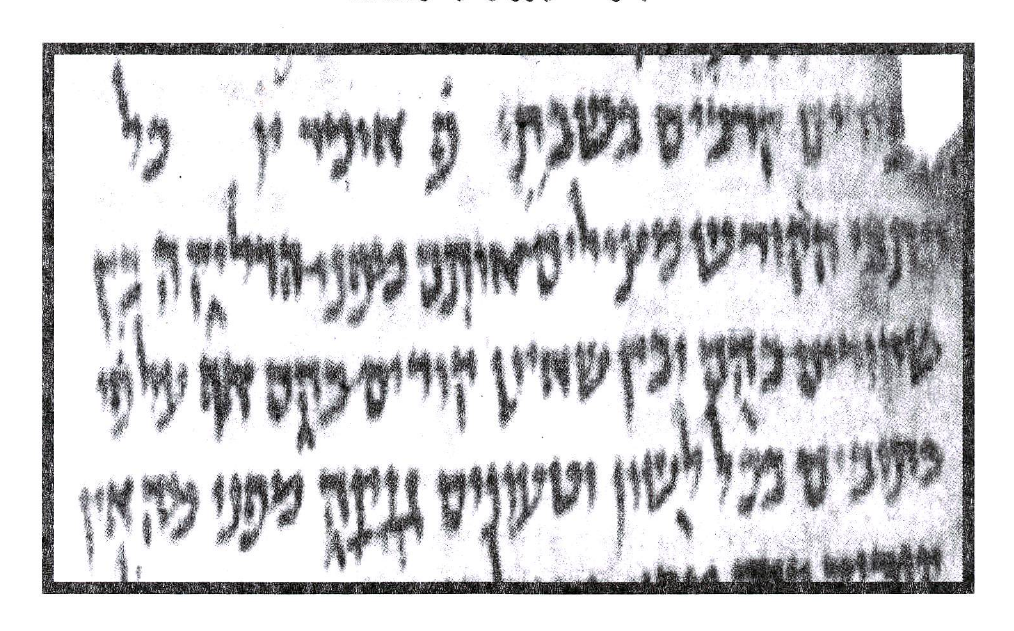
Ms – Mosseri- 10005.1 genizah @lib.cam.ac.uk

Genizah Research Unit,

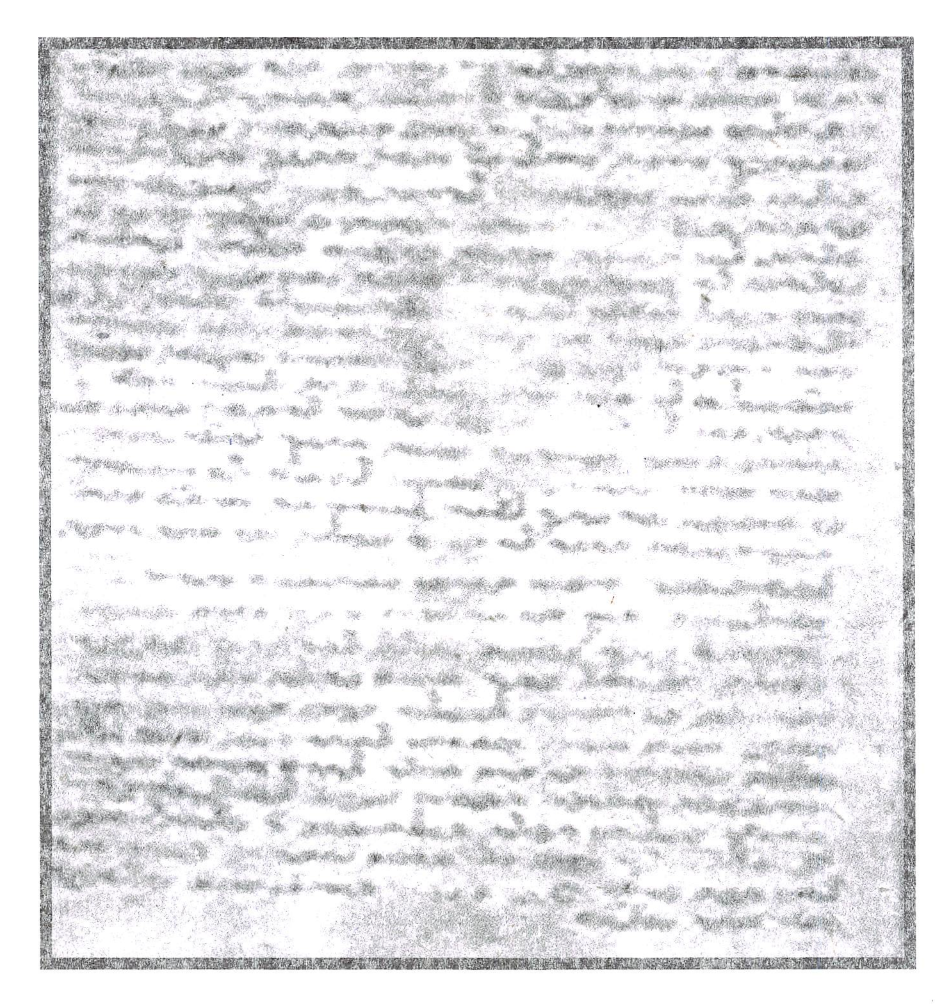
CambridgeUniversity Library



وثيقة رقم (٢)
صلاة القاديش ودعائها
مجموعة تايلور وشيختر6h6.6



وثيقة رقم (٣)
صورة لقطعة من وثيقة جنيزة بها دعاء السبت المذكور فى المشناة
مجموعة تايلور وشيختر رقم E1.43



وثيقة رقم (٤)
شكوى زوجة للديان اليهودى من غياب زوجها
مجموعة تايلور وشيختر رقم 13.21.10

T-S. A.S. 205.53.

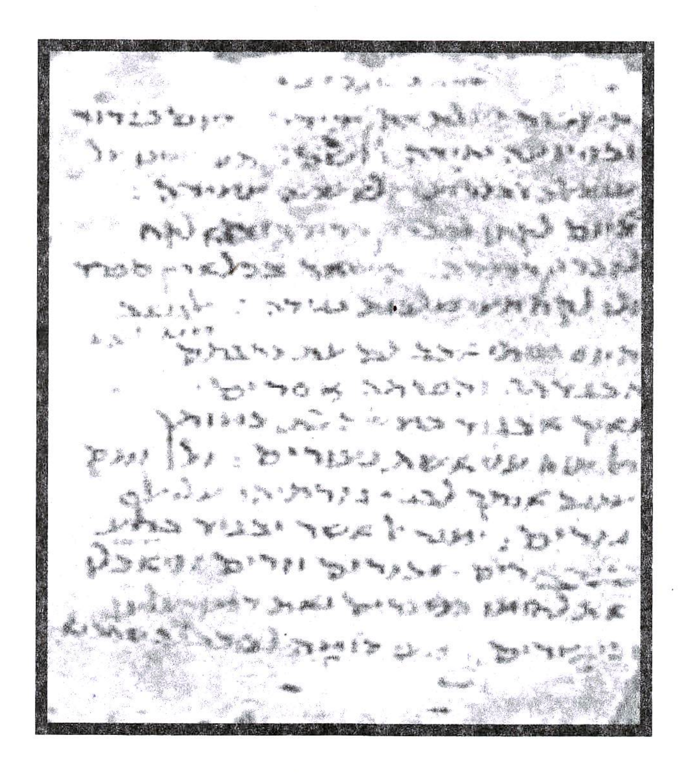
وثيقة رقم (٥)

صورة لخطاب السيدة راشيل تشكو فيه ابنها للقاضي يعقوب كاتز

T-S AS 205.53:

The Newsletter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, CambridgeUniversity Library No. 58 October 2009

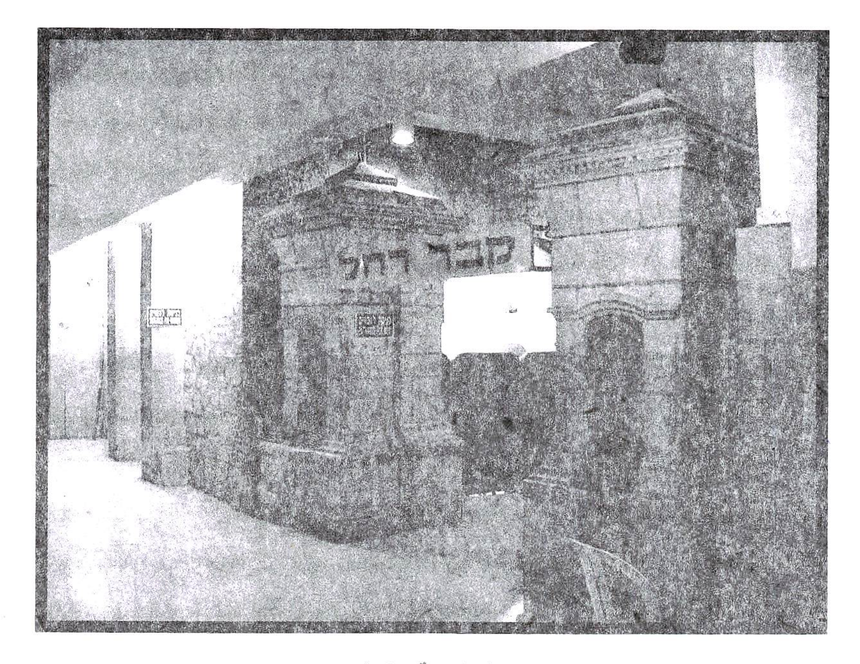
وثيقة رقم (٦)
وثيقة عن الزواج ومستلزماته
T.S. 13J 14. 18



شكل رقم (٧)
قصيدة لابرت بن دوناش لزوجته
مجموعة تايلور وشيختر NS.143.46



وثيقة رقم (٨)
كتاب كليلة ودمنة بخط يعقوب بن أليعاز
النسخة العربية - مكتبة جامعة كمبردج



شكل رقم (٩)
قبر السيدة راحيل بالقدس
أحد المزارات الدينية اليهودية



شكل رقم (١٠)
بعض الزخارف التي تزين بعض الوثائق العبرية
في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي

وثائق الحرم القدسي:

(السجل ٥٥ ص ٢٠٧ في ١٩ جمادى سنة ٩٨٠)

(جدا ١) دفتر مبرور تحريره بمجلس الشرع الشريف بالقدس المنيف أجله الله تعالى بمعرفة المذكور في هذا الخصوص من جانب قدوة القضاة الاسلام زبدة ولاة الأنام افندي عبد القادر دام فضله وعلاء بشمس الدين خليفة وافتخار الاكارم علي بك سيرالاي بلوا قدس شريف وأمين الخراج باللوا المزبور زيد مجده بحضور ضبط أسماء طائفة اليهود المستوطنين بمدينة القدس الشريف الموجودين بها الآن لكون [illegible] وتقاضوا لحضرة الدولة أرباب الاقبال مولانا دفتردار افندي بولاية الشام دام عزه وانهوا لديه أن كاتب الولاية القدسية حرر أسمائهم بالدفتر حين التحرير . قيد عليهم بذلك تسعين نفراً للخاص الشريف ولحرم القدس الشريف خمسة وستين نفراً وكان عندهم جماعة من المسافرين . وبعد التحرير توجه المسافرون الى محل أوطانهم وهلك جماعة من اليهود وأن علي بك المشار اليه ومتولي الحرم يطالبانهم بالقيد عليهم فبرزت التذكرة الشريفة بتحرير أسمائهم فتحرر أسماؤهم الموجودين الآن انفار ١١٥ بعد التفتيش الشافي والتحرير الكافي منها لجهة الخاص انفار عدة ٦٠ ولجهة القدس الشريف انفار عدة ٥٥ فتحصيله عدة الانفار مائة وخمسة عشر نفراً

سالم بن	شمويل بن	ياسف بن	يهودا	موسى بن
نسيم	ياسف	يهودا	البرادعي	يهودا
ابراهيم بن	مخلوف			
النجار	مغربي			
يعقوب بن				
مائير				

(الى آخر الاسماء المائة والخمسة عشر) .

تتمة جملة عدة أسماء طائفة اليهود المزبورين أعلاه مائة نفر وخمسة عشر نفراً منها لجهة الخاص الشريف .... ولجهة وقف حرم القدس الشريف انفار بعد التحرير الشافي والتفتيش الكافي بموجب التذكرة المزبورة وذلك بعد أن توجه علي بك أمين الخراج المزبور أعلاه بنفسه وصحبته شمس الدين خليفة (المزبور) أعلاه الى كنيسة اليهود على غفلة منهم وكشفوا على اليهود وضبطوا أسماءهم الموجودها مطابقة المرة بعد الأخرى مراراً متعددة فلم يظهر ؟ عليهم ازيد من الانفار المزبورين أعلاه وعلى ذلك سجل بحمد الله وحرر في تاسع عشري جمادى الاول سنة ٩٨٠ .

شـــــهـــــود الـــحـــــال

كاتبه   مولانا القاضي شرف الدين   مولانا القاضي عماد الدين   محمد بن موسى   مولانا القاضي ....

شكل رقم(١)

وثيقة توضح عدد اليهود بسنجق القدس الشريف عام ٩٨٠هـ

كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية،ج٣

الوثيقة ١١٥

سجل ٨٧	
ص ١٠٢	عدد النصارى واليهود في القدس سنة ١٠١٥
سنة ١٠١٥	

سبب تحرير الحروف بمجلس الشرع الأنور بالقدس الشريف المطهر أجله الله تعالى هو أنه لما حضر لدى مولانا المختار قضاة الاسلام سند الموالي العظام صدر أساطين العلما الأعلام معدن العلم والفضل والكلام وارث علوم الأنبيا الكرام خادم شريعة سيد الأنام عليه السلام الحاكم الشرعي المولى مولانا مصطفى أفندي الموقع خطه الكريم اعلاه نظيره دام فضله فخر الأماثل والاقران مصطفى باشا الجحري بالشام وأبرز من يده مكتوباً من جانب امير الأمرا الكرام كبير الكبرا الفخام صاحب العز والمجد والاحتشام محمد باشا دمشق الشام دامت معاليه إلى يوم القيام ومن قدوة أرباب الأقبال عمدة أصحاب الاجلال محمد جودي أفندي الدفتردار بولاية الشام دام عزه على الدوام من مضمون ذلك أنه ورد الينا أمر شريف سلطاني بأن يجمع لجهة ميري محصول الجزية وتداخلها عن مدة ثلاث سنين تقدمت على تاريخه من النصارى واليهود بولاية الشام ونواحيها وقد عينا مصطفى باشه لجميع (لجمع) تداخل الجزية عن مدة ثلاثة سنين تقدمت على تاريخه من النصارى واليهود القاطنين بمدينة القدس الشريف وتوابعها وقدروا على كل نفر ماية عثماني فامتثل مولانا الحاكم المشار إليه ذلك بالسمع والطاعة وأحضر كل واحد من خلف إبن ذيب دنديل شيخ النصارى القاطنين بالقدس الشريف وخليل بن ميخائيل الضبان ترجمان طايفة نصارى الروم بالقدس الشريف وابراهيم بن كريم السرياني المتكلم على طايفة السريان بالقدس الشريف وهارون بن موسى الصايغ اليهودي المتكلم على طايفة اليهود القاطنين بالقدس الشريف وسيلوا عن ذلك فأجابوا أن جملة ما عندهم في القدس الشريف ماية نفر وأربعة خمسون نفراً كما سيبين فيه فأمر مولانا الحاكم المشار إليه كلاً منهم بأن يدفع ما على طايفته فدفع خلف وخليل المزبورين عن ثمانية وستين نفراً من نصارى الروم عن كل نفر ماية عثماني ودفع ابراهيم المتكلم على طايفة نصارى السريان عن أربعة عشر نفراً من نصارى السريان عن كل نفر ماية عثماني ودفع ميخاييل ترجمان القبط عن اثني عشر نفراً من نصارى القبط عن كل نفر ماية عثماني ودفع هارون بن موسى اليهودي المتكلم على طايفة اليهود عن ستين نفراً من اليهود عن كل نفر منهم ماية عثماني فقبض مصطفى باشه المذكور جميع ذلك من المذكورين اعلاه بيده بالحضرة والمعاينة القبض الشرعي وبموجب ذلك بريت ذمة المذكورين وطوايفهم من ذلك البراة الشرعية بالطريق الشرعي وعلى ما هو الواقع سطر بالطلب لذلك بتاريخ أواسط شهر شوال المبارك من شهور سنة خمس عشرة وألف.

شهود الحال

مولانا القاضي أبو . . . الشافعي	مولانا الشيخ عشم	مولانا الشيخ محمد العربي	مولانا القاضي حسن الحنبلي

كاتبه القاضي

شكل رقم (٢)

وثيقة مقدسية عثمانية توضح عدد اليهود والنصارى فى عام ١٠١٥هـ.

كامل جميل العسلى:وثائق مقدسية تاريخية، ج٣.

شكل رقم (٣)

وثيقة إشهاد على ثلاثة من اليهود يتعهدون فيها بعدم ذبح الذبائح للمسلمين

كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢.

وجه الورقة

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - حضر إلى شهوده يوم تاريخه كل واحد من هلال بن موسى بن سعيد وذكري بن ياروح

٣ - ابن سليمان وداود بن اشموئيل بن موسى اليهود بمدينة القدس الشريف وأشهدوا

٤ - على أنفسهم في صحة منهم وسلامة وجواز أمر من غير إكراه ولا إجبار أنهم أقسموا

٥ - بالله تعالى جلت قدرته ثم بنعمة على مولانا السلطان خلد الله ملكه وأدام اقتداره

٦ - أنهم من يوم تاريخه وما بعده أن يذبحوا الذبائح لأنفسهم ولا يذبحوا لمسلم ولا يبيعوا شيء من ذبائحهم

٧ - من الضأن والمعز[١] والبقر والجمال وغير ذلك عن حكم ما أفتى به علماء

٨ - الإسلام وأئمة الأعلام أعاد الله تعالى على المسلمين من بركاتهم وذلك لما رأوه

٩ - من المصلحة لأنفسهم وللمسلمين ومتى والعياذ بالله تعالى اعتمدوا خلاف

١٠ - ذلك كانوا تحت الدرك[٢] والقسامة الشريفة السلطانية[٣] خلد الله تعالى

١١ - ملك مالكها وكانوا تحت غضب الله تعالى وسخطه[٤] ولاة الأمور وكان

١٢ - عليهم بطريق النذر الشرعي عشرة آلاف درهم لعمارة قناة المسلمين

١٣ - السارية إلى الحرم الشريف[٥] وبه شهد عليهم في سادس عشرين شهر

١٤ - جمادى الأول من شهور سنة ست وتسعين وسبعمائة

١٥ - شهد عليهم بذلك — وذلك بما فيه صحيح عن [illegible] — شهد عليهم بذلك

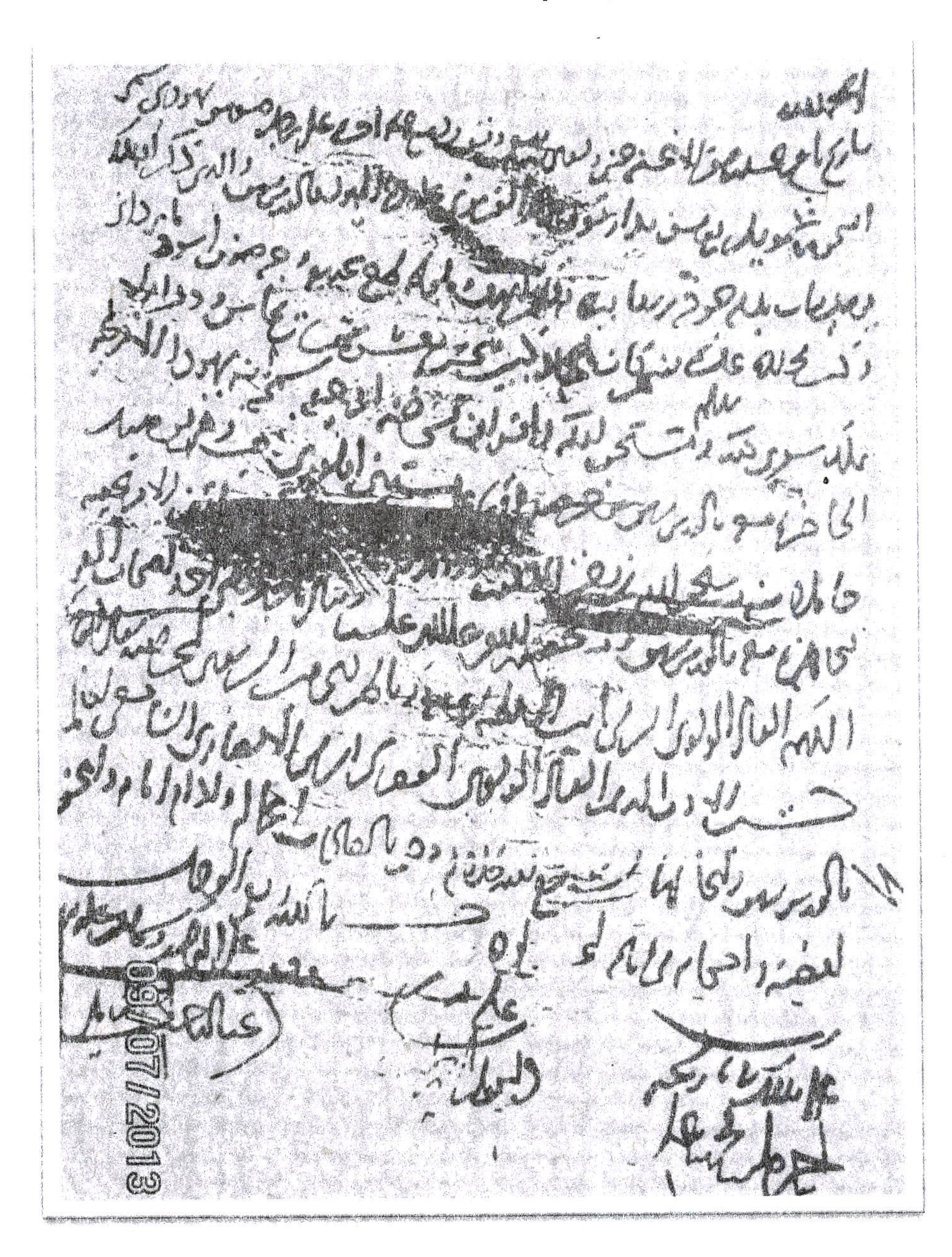
١٦ - أحمد بن عبد الله العالم — كتبه أحمد بن عبد الله القائم[٦] — (توقيع)

ظهر الورقة محضر ذبائح اليهود

تابع شكل رقم (٣)

وثيقة إشهاد على ثلاثة من اليهود يتعهدون فيها بعدم ذبح الذبائح للمسلمين

كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢.



شكل رقم (٤)
وثيقة حصر إرث ليهودى فى القدس الشريف
كامل جميل العسلى:وثائق مقدسية تاريخية، ج٢.

- الحمد لله

٢ - بتاريخ تاسع وعشرين صفر الاغر سنة خمس وتسعين وسبعماية وقف من يضع خطه أخره على رجل

ضعيف يهودي يسمى

٣ - اسحق بن شموئيل بن يوسف بدار تعرف بدار القرموني بحارة اليهود بالقدس الشريف والذي ذكر انه يملكه

٤ - يومئذ ثياب بدنه جوخه زرقا ببطانة قلم ازرق وملوطه[١] طرح[٢] عتيقة وجبة صوف اسود ودراهم[٣]

٥ - وكتب مجلدة عدة منهم كتاب بجلد كبير مخمس بعشر شمسات نحاس وذكر انه لا

٦ - يملك سوى ذلك ومستحق ارثه وأقر ان فرضه لزوجته صمحه ابنة يهوديا الافرنجية

٧ - الحاضرة معه بالقدس الشريف مؤخر صداقها عليه ستين افلوري[٤] ذهب وهي يومئذ

٨ - حاملاً منه ومستحق ارثه زوجته المذكورة ووالدته دوسا بنت سلفين الافرنجية

٩ - الحاضرة معه بالقدس الشريف وذلك بحضور الأمير علاي الدين علي وشمس الدين ؟ ماجد الحلبي أحد

اصحاب القر

١ - الكريم العالي المولوي الشرفي[٥] نايب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين اعز الله تعالى انصا

١ - حسب الاذن الكريم العالي المولوي القضايي الشرفي الانصاري الشافعي الحاكم

١ - بالقدس الشريف واعمالها اسبغ الله ظلاله وختم بالصالحات اعماله وادام ايامه واعز

١ - القضيته واحكامه في تاريخه اعلاه حسبنا الله ونعم الوكيل

١ - شهدت شهدت عليه ذلك وقفت على المذكور وشهدت عليه بذلك

١ - على ذلك في تاريخه كتبه .. أحمد .. كتبه عبد الرحمن احمد النابلسي

كتبه ... بن محمد بن علي

تابع شكل رقم (٤)
وثيقة حصر إرث ليهودى بالقدس الشريف
كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٢.

شكل رقم (٥)
وثيقة توضح طلب أحد اليهود الفقراء ويدعى يعقوب صدقة
من القاضي المسلم لأنه اضطر للاستدانة
كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج٣.

الوثيقة ١٢٦

سجل ٧٧
ص ٣٨٧
سنة ١٠٠٤

ديوان اليهود في القدس

سبب تحرير الحروف بمجلس الشرع الأنور بالقدس الشريف المطهر أجله الله تعالى هو أنه حضر
لدى مولانا قدوة القضاة والحكام ومعدن القضايا والأحكام بن محمد أفندي الموقع خطه الكريم أعلا ظهيره
تام علاء جماعة من الملة اليهود القاطنين بالقدس الشريف منهم الخواجه مايير ولد ابراهام والخواجه
يامنطوب بن صموئيل بن يعقوب بن [illegible] ودانيال بن يحوذا وأخوه [illegible] وابراهام ولد صموئيل وابراهيم بن
موسى المغربي وذكروا للحاكم المومى اليه أن من عادتهم أن كل اليهود القاطنين بالقدس الشريف
يقسطون على جميع طائفة اليهود بالقدس الشريف على الوسط ليتعاطوا صرفه فيما يحتاجون إليه من
المصاريف في التكاليف العرفية والأمور العادية وأن الآن منهم ومن جملة طائفة اليهود على الوسط تخبر
كثير الناس [illegible] بسواهم [illegible] اختاروا أداه أولا بأول والمساوي في أدائه وأن موسى
ولد ابراهيم اليهودي اختص منهم بالمجلس المشار اليه يمتنع الآن من المساواة مع طائفة اليهود في أداء
ما عليهم من الديون وطلبوا من الحاكم المومى إليه أن يلزمه بمساواتهم في أداء ما عليهم من الدين فسأله
الحاكم المومى إليه عن سبب امتناعه عن مساواتهم في أداء الديون فأجاب بأنه ليس من جملة اليهود
[illegible] كراهم بتوله على الوسط من جملة طائفة اليهود وطلب منهم أن يبرهنوا على ذلك فأحضروا
كل واحد من الشيخ عبد القادر بن محمد نايب الناظر والحاج عبد القادر بن موسى الخياط وأبي العون
بن يوسف بن موسى [illegible] والحاج ابراهيم بن أحمد بن سراج وشهدوا بأن من عادة اليهود القاطنين بالقدس
الشريف أن يقسطون على جميع طائفة اليهود بالقدس الشريف على الوسط ليتعاطوا صرفه فيما
يحتاجون إليه من المصاريف في التكاليف العرفية والأمور العادية بوجه موسى المذكور منهم [illegible] ما يلزمه
قبلت شهاداتهم بذلك قبولا شرعيا ولما قامت البينة بذلك لدى الحاكم المومى اليه ألزم موسى المذكور
بمساواة جماعة اليهود في أداء ما عليهم من الدين وأمر بتساوي جماعة اليهود جميعا في وفاء الديون التي
عليهم جميعا إلزاما وأمرا شرعيا بالطريق الشرعي وعلى ما هو الواقع سجل وجرى ذلك وحرر في عاشر
شوال سنة أربعة وألف.

شكل رقم (٦)
وثيقة مقدسية عثمانية توضح مقدار ديون اليهود بالقدس الشريف
كامل جميل العسلى: وثائق مقدسية تاريخية، ج٣.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق بيروت،١٩٨٩م.

ثالثًا: الوثائق.

١- **وثائق الجنيزة:** بعضها نشر في كتاب آشتور إلياهو "تاريخ اليهود في مصر وسوريا وفلسطين" بالعبرية، نشر تل أبيب، ١٩٧٠م.

٢- **وثائق الحرم القدسي:** جمعها ونشرها بدون تحقيق د/كامل جميل العسلي، عمان، ١٩٨٣م، ثلاثة أجزاء.

٣- **وثائق سجلات المحكمة الشرعية بإسطنبول:** قام بنشر بعضها آمنون كوهين في كتابه "حياة اليهود تحت الحكم الإسلامي". وهناك نسخة كاملة للسجلات مسجلة على ميكروفيلم لدى أسرة المرحوم الدكتور محمود على عطا الله.

٤- **وثائق المتحف الإسلامي بالقدس:** وتبلغ ٧٥٠ وثيقة من العصر المملوكي يحتفظ بها المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى بالقدس، نشر بعضها د.يوسف درويش غوانمة في كتابه تاريخ نيابة بيت المقدس، عمان ١٩٨٦م.

رابعًا: المخطوطات

١- **الباكوى:** عبد الرشيد بن صالح بن نورى(٩٠٦هـ/١٥٠٣م):

- تلخيص الآثار في عجائب الأقطار، مخطوط رقم٢٠٤٤ (عام)، دار الكتب المصرية.

٢- **البقاعى:** إبراهيم بن عمر(ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

- إظهار العصر لأسرار أهل العصر، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، نسخة مصورة عن الأصل.

٣- **الخالدى**: بهاء الدين محمد بن لطف الله العمرى(ت٩٣٧هـ/١٥٣٠م):
- المقصد الرفيع المنشا، مخطوط بالمكتبة المركزية جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٤٥.

٤- **ابن علوان** (على بن عطية بن علوان الحموى، ت ٩٢٠هـ/ ١٤١٥م):
- النصائح المهمة، مخطوط رقم٢١٥٨ ب أدب، مكتبة الأسد، نسخة مصورة عن الأصل.

٥- **العينى**: بدر الدين أبو محمد بن أحمد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م):
- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان،ج٢٤، مخطوط رقم٨٢٠٣ح، ميكروفيلم رقم١٥٤٨، بدار الكتب المصرية.
- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ج٢٥، مخطوط رقم١٥٤٨ح بدار الكتب المصرية، نسخة مصورة عن الأصل.

٦- **ابن المبرد**: يوسف بن عبد الهادى (٩٠٩هـ/١٥٠٣م):
- نزهة الرفاق فى شرح حال الأسواق، مخطوط رقم ٢٤٤٥ عام، مكتبة الأسد، دمشق.

٧- **مؤلف مجهول**:
- كتاب فى التاريخ، مخطوط رقم ٥٦٣١ تاريخ، ميكروفيلم رقم ١٤٦١٨، بدار الكتب المصرية.

خامساً: المصادر العربية المطبوعة:

١- **ابن الأثير**: عز الدين بن أبو الحسن على بن عبد الواحد الجزرى(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
- الكامل فى التاريخ، طبعة دار صادر بيروت، ١٩٨٣م.

٢- **ابن الإخوة**: ضياء الدين محمد بن محمد بن الإخوة (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م):
- معالم القربة فى أحكام الحسبة، عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى، مطبعة دار الفنون ،كمبردج ١٩٣٧م.

٣- **الإدريسي**: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، الجزء الخاص ببلاد الشام، بون ١٨٨٥م.

٤- **ابن إياس** : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م):
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج٢، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف ١٩٥١م ونسخة أخرى، تحقيق محمد مصطفى زيادة، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة والإرشاد القومى، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثانية ١٩٨٤م.

٥- **البصروى**: علاء الدين على بن يوسف بن أحمد الدمشقى البصروى الشافعى ت(٩٠٥هـ/١٤٩٩م):
- تاريخ البصروى، تحقيق أكرم حسن العلبى، دار المأمون للتراث ١٩٩٨م.

٦- **ابن بطوطة**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):
- تحفة النظار فى عجائب الأسفار وعجائب الأقطار(رحلة ابن بطوطة)، ج١، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٢م طبعة ثانية.

٧- **البغدادى**: صفي الدين أبو الفضايل عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ):
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تخقيق على محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م،ج١.

٨- **بنيامين التطيلى**: بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م):
- رحلة بنيامين التطيلى،دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافى، أبو ظبى، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٢م.

٩- **ابن تغرى بردى**: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدين تغرى بردى(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٩، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،١٩٩٢م.
- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ج٢، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٠- **التمرتاشي**: صالح بن أحمد التمرتاشي (ت١٠٦٠ه/١٦٥٠مـ):

- الخبر التام في ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضي الشام، دراسة وتحقيق أحمد إبراهيم محمد الترك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ١٩٩٨م.

١١- **ابن تيمية**: تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحرانى (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):

- العصيان المسلح أو قتال أهل البغى فى دولة الإسلام وموقف الحاكم منه، تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.
- مجموع الفتاوى، ج٤، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلى، مطبعة النور الإسلامية ١٩٩٠م.

١٢- **الجوبرى**: زين الدين عبد الرحمن بن عمر بن أبى بكر الدمشقى (ت ق٨هـ)

- المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق عصام شبارو، دار التضامن للطباعة والنشر، مصر ١٣٠٢م.

١٣- **ابن الجيعان**: أبو البقاء محمد بن يحيى القبطي المصرى (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف قايتباى، تحقيق د/محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر ٢٠٠٦م.

١٤- **ابن حبيب** : الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبى (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- المنتقى من درة الأسلاك فى دولة ملك الأتراك فى تاريخ حلب الشهباء، تحقيق عبد الجبار زكار وتقديم سهيل زكار، دار الملاح سوريا ١٩٩٩م.

١٥- **ابن حجر العسقلاني**: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكنان العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق د/حسن حبشي، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٧١م،١٩٩٨م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة القاهرة (د.ت).

١٦- **ابن حزم**: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الظاهرى(ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٨٥، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، مكتبات عكاظ للنشر، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢.

١٧- **الحمصى**: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحمصى (ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م):

- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ،تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٩٩م.

١٨- **الحموى**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

- المشترك وضعا والمفترق صقعا، عالم الكتب، طبعة ثانية ١٩٨٦م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٩٥٧م.

١٩- **الحميرى**: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى(ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م):

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت ١٩٨٠م.

٢٠- **ابن خرداذبة**: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت٣١٠هـ/٩١٢م):

- المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت).

٢١- **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد الحضرمى الأشبيلى (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافى، مكتبة الأسرة، سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

٢٢- **ابن دقماق:** صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى(ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م):
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، والسيد أحمد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامى، جامعة أم القرى (د.ت).

٢٣- **ابن زنبل الرمال:** الشيخ أحمد الرمال (ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م):
- آخرة المماليك ،تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب ٢٠٠٢م.

٢٤- **السبكى:** تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين بن على السبكى ت (٧٧١هـ /١٣٦٩م):
- معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار وآخران، مطبعة الخانجى، القاهرة ١٩٩٣م.

٢٥- **السخاوى:** شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك، تحقيق نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة٢٠٠٢م.

٢٦- **ابن شاهين:** زين الدين بن عبد الباسط بن خليل الظاهرى الحنفى (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م):
- نيل الأمل فى ذيل الدول، ج٨، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى،المكتبة العصرية، بيروت٢٠٠٣م.

٢٧- **ابن شاهين الظاهرى :** غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى(٨٧٣هـ/١٤٦٨م):
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، دار العرب للبستانى،مصر١٩٨٨م

٢٨- **ابن شداد :** عز الدين محمد بن إبراهيم الحلبى(ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م):
- الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٣، تحقيق سامى الدهان، المعهد الفرنسى للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٦م.

٢٩- **شرف الدين الخليلى**: شمس الدين بن محمد(ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م):
- تاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٤م.

٣٠- **شيخ الربوة**: شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م):
- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، اعتنى بنشره م. فرين ثم أغسطس مهرن، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، والجغرافيا الإسلامية.

٣١- **ابن الصيرفى**: على بن داود الجوهرى(ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م):
- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشى، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.

٣٢- **ابن طوق** : شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى(ت٩١٥هـ/١٥٠٩م):
- التعليق (يوميات شهاب الدين بن طوق) ،تحقيق جعفر المهاجر، نشر المعهد الفرنسى للدراسات العربية ،دمشق،٢٠٠٤ – ٢٠٠٧ م،ج٣ ،ج٤.

٣٣- **ابن طولون الصالحى**: شمس الدين محمد بن طولون الصالحى (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م):
- إعلام الورى بمن ولى نائبا بدمشق الشام الكبرى، تحقيق عبد العظيم حامد، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٣م.
- حوادث دمشق اليومية، تحقيق أحمد أبيش، دار الأوائل دمشق ٢٠٠٢م.
- رسائل تاريخية، مطبعة الترقى،دمشق١٩٤٨م.
- فص الخواتم فيما قيل فى الولائم، تحقيق نزار أباظة، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣م.
- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٣٤- **ابن العبرى**: جريجوريوس الملطى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):
- تاريخ مختصر الدول، نشر الأب أنطون صالحانى اليسوعى، بيروت، ١٩٥٨م.

٣٥- **العمرى:** شهاب الدين بن فضل الله العمرى(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):
- التعريف بالمصلح الشريف، مطبعة العاصمة ،١٣١٢م.

٣٦- **مسالك الأبصار**، تحقيق أحمد زكى باشا ومحمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث التاريخى،٢٠٠١م، ج١، ج٨ تحقيق أيمن فؤاد سيد ،نشر المعهد العلمى الفرنسى، ١٩٨٥م.

٣٧- **العيدروسى:** عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨هـ/ ١٦٧٢م):
- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد ١٩٣٤م.

٣٨- **الغزى** :نجم الدين أبو المكارم محمد الغزى(ت١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م):
- الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة ،ج١.، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، بيروت لبنان،(د.ت).

٣٩- **أبو الفداء** : إسماعيل بن على بن محمود (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
- تقويم البلدان، عنى بتحقيقه وطبعه رينوه وماك كوكين ديسلان، دار صادر بيروت.

٤٠- **ابن الفرات:** ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م):
- تاريخ ابن الفرات، تحقيق د/قسطنطين زيق، المطبعة الأمريكانية، بيروت١٩٣٦م.

٤١- **ابن قاضى شهبة:** تقى الدين أبو بكر بن أحمد الأسدى (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م):
- تاريخ ابن قاضى شهبة، تحقيق عدنان درويش، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٤، ج١.

٤٢- **القلقشندى:** أبو العباس أحمد بن على القلقشندى (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
- صبح الأعشى فى صناعة فن الإنشا، ج٤، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم١٣٣، لسنة ٢٠٠٤م.
- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، ١٩٨٢م.

٤٣- **ابن قيم الجوزية**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبو بكر (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م):
- أحكام أهل الذمة فى الإسلام، ص١٤٦،تحقيق صبحى الصالح، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٩م.

٤٤- **ابن كثير**: أبو الفداء عماد الدين بن كثير (ت٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م):
- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق هانى الحاج، المكتبة التوفيقية القاهرة،(د.ت).

٤٥- **ابن كنان**: محمد بن عيسى بن كنان الدمشقى (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م):
- جداول الياسمين فى ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت١٩٩١م.

٤٦- **اللقيمى**: مصطفى بن أحمد بن محمد بن سلامة الدمياطى, الدمشقى الشافعى (ت١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م):
- لطائف الأنس الجليل فى تحائف القدس والخليل، دراسة وتحقيق خالد عبدالكريم الهمشرى، نابلس٢٠٠٠م.

٤٧- **الماوردى**: أبو الحسن على بن محمد الشافعى (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابى، القاهرة ١٩٦٠م.

٤٨- **مجير الدين الحنبلى**: أبو اليمن عبد الحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلى العليمى (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م):
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، الأردن عمان ١٩٩٩م:

٤٩- **مرتضى الزبيدى**: محمد مرتضى الحسينى الزبيدى (ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م):
- تاج العروس من جواهر القاموس ،ج٣، تحقيق مصطفى حجازى، راجعه عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربى،الكويت،١٩٩٣ -٢٠٠١م.

٥٠- **المقدسى**: أبو حامد محب الدين محمد بن خليل المقدسى الشافعى (ت٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م):
- دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية فى جلب طائفة الأتراك المصرية، تحقيق صبحى لبيب وأولريش هامان، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ،ط أولى ١٩٩٧م.

٥١- **المقدسى:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ،طبعة ليدن ١٨٧٧م.

٥٢- **المقريزى:** تقى الدين أبى العباس بن أحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
- المواعظ والاعتبار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٢م ج٢.
- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق وتعليق د/ محمود الجبيلى، نشر دار الغرب الإسلامى ٢٠٠٢م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان١٩٩٧م سبعة أجزاء، وطبعة أخرى تحقيق محمد مصطفى زيادة، ود سعيد عبد الفتاح عاشور، طبعة دار الكتب ١٩٧٣.
- تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة.

٥٣- **ابن مماتى** : شرف الدين أبو المكارم الأسعد بن المهذب (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):
- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولى، ١٩٩١م.

٥٤- **النويرى** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٤م.

٥٥- **ابن ناظر الجيش:** تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد التميمى الحلبى (توفى القرن العاشر الهجرى):
- تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلبى، المعهد العلمى الفرنسى ١٩٨٧م.

٥٦- **النعيمى:** عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى(ت٩٧٢هـ/١٥٦٤م):
- الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، طبعة دمشق١٩٤٨م، ج٢.

٥٧- **النووى:** محيى الدين يحيى بن شرف بن مرى (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م):

- منهاج الطالبين وعمدة المفتين فى الفقه، طبعة بولاق ١٣١٤هـ.

٥٨- **ابن هلال المقدسى:** جمال الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م):

- مثير الغرام بفضائل القدس والشام، مكتبة الطاهر إخوان، يافا بدون تاريخ.

٥٩- **ابن واصل:** جمال الدين محمد بن سالم(ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج٤، تحقيق حسنين ربيع، القاهرة ١٩٧٢م.

٦٠- **ابن الوردى:** زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

- تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في تاريخ البشر)، تحقيق أحمد رفعت البدراوى، دار المعرفة، لبنان١٩٥٠م.

٦١- **الونشريسى:** أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٥١٤هـ/ ١١٢٠م):

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج٧، ص٤٣٨ ،نشر وتحقيق محمد حجى وآخرين، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨١م.

٦٢- **ابن يوسف الأنصارى:** شرف الدين موسى بن يوسف الأنصارى (ت٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م):

- نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق عدنان محمد إبراهيم، د/عدنان درويش، وزارة الثقافة وإحياء التراث العربى،دمشق١٩٩١م.

٦٣- **أبو يوسف:** يحيى بن آدم القرشى (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م):

- كتاب الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار المعرفة بيروت ١٩٧٩.

٦٤- **اليونينى:** قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونينى (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م):

- ذيل مرآة الزمان، ج٢ ،طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٠م.

سادسًا : المصادر العبرية : Eliyahu, Ashtor

תולדות היהודים במצרים וסוריה תחת שלטון הממלוכים / מאת א. שטראוס.

ירושלים : מוסד הרב קוק، [1944-1970] 730-70

T oldot ha-Yehudim be-Mitsrayim ve-Suryah tahat shilton ha-Mamlukim me-et E. Shtraus,.Yerushalayim, "Mosad ha-Rav Kok", 1970 ,٣vol.

- **Obadiah Beartinouro :**

מאיטליה לירושלים

Me- Italyah li- Yerushalayim, Puplished: Hotsa'at Proyekt Yerushalayim shel ha-C.G. Foundation, ha-Mahlakah li-limude Erets-Yiśra'el, Universitat Bar-Ilan 1997.

- ابن شوشان :

معجم ابن شوشان، دار كيريات سيفر، القدس، طبعة ٨.

سابعًا : المراجع العربية

١- أبو سريع محمد :

- فقه السجون والمعتقلات، طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

٢- أحمد دراج :

- وثائق دير صهيون، القاهرة ١٩٦٨م، ص١٤.

٣- أحمد عبد الرزاق قنديل:

- المواريث فى الديانة اليهودية، مركز الدراسات الشرقية ٢٠٠١م.

٤- أحمد عثمان:

- تاريخ اليهود، ج٣، مكتبة الشروق، ١٩٨٩م.

٥- أحمد على مرسى، فاروق جودى:

- الفلكلور والإسرائيليات، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٦- إسحق موسى الحسينى:

- عروبة بيت المقدس، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت.

٧- أمين مسعود أبو بكر :

- قضاء الخليل، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٤م.

٨- البيومى إسماعيل:

- النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١١٨)عام ١٩٩٨م.

٩- حسن الباشا:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٦م، ج٢.

١٠- حمدى النوبانى:

- المشناة كتاب التلمود الأول، القدس ١٩٨٧م.

١١- حسن إبراهيم :

- الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٢- **خليل عثامنة:**
o فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٦م.

١٣- **رئيسة عبد الفتاح طلب العزة :**
• نابلس في العصر المملوكي، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس فلسطين ١٩٩٩م.

١٤- **رشاد الشامي :**
• موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ٢٠٠١م.

١٥- **زبيدة عطا:**
o عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية ١٩٩٩م.

١٦- **زكي شنودة:**
• المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٧- **سامي سعيد الأحمد :**
• تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد ١٩٧٩م.

١٨- **سلام شافعي محمود:**
• أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

١٩- **سليم عرفات المبيض:**
• النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

٢٠- **سمير شما :**
• النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، ١٩٨٠م.

٢١- **سوزان السعيد يوسف:**
• المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥م.

٢٢- السيد عاشور:
- الختان فى الشرائع السماوية والوضعية، القاهرة بدون تاريخ.

٢٣- سيد فرج راشد :
- السامريون واليهود، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية،١٩٨٧م.
- اللغة العبرية قواعد ونصوص، دار المريخ للنشر، السعودية (د.ت).

٢٤- طلفاح خير الله:
- القدس عبر عصورها التاريخية، بغداد ،طبعة١٩٨١م، ص١٦.

٢٥- عارف العارف :
- تاريخ القدس، طبعة دار المعارف ١٩٦١م.

٢٦- عبد الحكيم العفيفى:
- موسوعة ألف مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر ٢٠٠٠م.

٢٧- عبد الحميد زايد :
- القدس الخالدة، دار الكتب المصرية ١٩٧٤م.

٢٨- عبد الرازق أحمد قنديل:
- المواريث فى اليهودية والإسلام دراسة مقارنة، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠١م.

٢٩- عبد الكريم رافق:
- العرب والعثمانيون(١٥١٦م – ١٩١٦م)، دمشق ١٩٧٤م.

٣٠- عبد الله يوسف الغنيم :
- أحداث الزلازل وآثارها فى المصادر العربية، الكويت، ٢٠٠٢م.

٣١- عبد المنعم الحفنى:
- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولى، بدون تاريخ.

٣٢- عبد الوهاب المسيرى:
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، طبعة دار الشروق ١٩٩٩م، ثمانية مجلدات.

٣٣- عثمان على عطا :
- الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م.

٣٤- عرفة عبده على :
• يهود مصر منذ عهد الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين ٢٠٠٠م.
٣٥- عطا على محمد أبو رية:
• اليهود فى المغرب الأقصى، مكتبة الرشد، الرياض ٢٠٠٦م.
• اليهود فى ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع ٢٠٠٥.
٣٦- علاء طه رزق:
• السجن والعقوبات فى عصر المماليك، طبعة القاهرة ١٩٩٦م.
٣٧- على أحمد محمد السيد:
• يهود شرق البحر المتوسط، دار عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٦م.
٣٨- على السيد على :
• القدس فى العصر المملوكى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣٩- عونى عبد الرءوف:
• قواعد اللغة العبرية، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧١م.
٤٠- غازي السعدى:
• الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٤م.
٤١- فتحى نصار:
• وثائق فلسطين، من العهدة العمرية إلى وعد بلفور، الدار الثقافية للنشر ٢٠٠٣م.
٤٢- قاسم عبده قاسم:
• اليهود فى مصر منذ الفتح العربى وحتى الغزو العثمانى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٨٧م.

٤٣- كامل جميل العسلى:
- من آثارنا فى بيت المقدس، طبعة دمشق، بدون تاريخ.
- وثائق مقدسية تاريخية،ج١، عمان ١٩٨٣م، ج٢،عمان١٩٨٥،ج٣ عمان١٩٨٦.
- سجل أراضى لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ بتاريخ (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، الأردن، عمان١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٤- محمد أحمد دهمان :
- ولاة دمشق فى عهد المماليك، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤ طبعة ثانية.

٤٥- محمد أيشرلى، ومحمد محمود التميمى:
- دفتر تحرير عثمانى رقم ٥٢٢ (أوقاف لواء القدس ونابلس وغزة وصفد وعجلون فى القرن العاشر الهجرى)، إسطنبول، ١٩٨٢م.

٤٦- محمد جلاء إدريس:
- التأثير الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى دراسة نقدية مقارنة لطائفة القرائين، أبحاث ندوة التأثيرات العربية فى اللغة العبرية والفكر الدينى والأدب العبرى عبر العصور، كلية الآداب – جامعة عين شمس، دار الزهراء للنشر ١٩٩٢.

٤٧- محمد حبيب الخوجة:
- يهود المغرب العربى، نشر جامعة الدول العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٣م.

٤٨- محمد حسن آل ياسين :
- معجم النبات والزراعة، ج٢، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٩م.

٤٩- محمد خليفة حسن :
- زراعيم (الزروع) ترجمة من التلمود - المشنا - القسم الأول، تحقيق مصطفى عبد المعبود ،مكتبة النافذة، سلسلة ترجمة من التلمود، ٢٠٠٨م.

٥٠- محمد سعيد القاسمى :
- قاموس الصناعات الشامية، ج١، دار طلاس للطبع والنشر والترجمة ١٩٨٨م.

٥١- محمد عبد الوهاب خلاف :
- وثائق فى أحكام أهل الذمة، القاهرة ١٩٨٠م.

٥٢- محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية:
- لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D. 427) دراسة تحليلية للنص العثمانى ،طبع عمان، ٢٠٠٥م، ،ج١،ج٣ طبع عمان٢٠٠٧.

٥٣- محمد فريد بك المحامى:
- تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٩٨١م.

٥٤- محمد كرد على:
- خطط الشام، مكتبة النورى ،دمشق ١٩٦٤م، ج٦.

٥٥- محمد محمد أمين، وليلى إبراهيم:
- المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة١٩٩٠م.

٥٦- محمد محمد شراب :
- موسوعة بيت المقدس والمسجد الاقصى، عمان ٢٠٠٣م، ثلاثة أجزاء.
- معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م.

٥٧- محمد الهوارى:
- الاختلافات بين الربانيين والقرائين فى ضوء وثائق الجنيزا، القاهرة ١٩٩٤م.

٥٨- محمود العابدى:
- مخطوطات البحر الميت، منشورات دائرة الثقافة، عمان، الأردن١٩٦٧م.

٥٩- محمود على عطا الله :
- وثائق الطوائف الحرفية، ج١، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، نابلس ١٩٩١م.

٦٠- محمود مطيع الحافظ :
- نصوص غير منشورة عن الزلازل من سنة (٩١٤ هـ - ١١٢٤هـ/١٥٠٨م - ١٧١٢م) الكويت ١٩٨٢.

٦١- مصطفى مراد الدباغ :
- بلادنا فلسطين (الجزء التاسع ،القسم الثانى فى بيت المقدس)، طبعة دار الطليعة، بيروت ١٩٨٨.

٦٢- النبوى جبر سراج:
- المعابد اليهودية ودورها فى حياة اليهود بمصر، شركة الإسلام مصر للطباعة، (د.ت).

٦٣- نظير حسان السعداوى:
- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى، القاهرة ١٩٦١م.
- صور ومظالم عصر المماليك ،القاهرة ١٩٦٦م.

٦٤- هويدا عبد العظيم رمضان:
- اليهود فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبى، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م.

٦٥- وليم فهمى:
- الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، منشورات جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

٦٦- يوسف الدبس:
- تاريخ سورية، المطبعة العمومية، بيروت١٩٠٢م.

٦٧- يوسف غوانمة :
- تاريخ نيابة بيت المقدس فى العصر المملوكى، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ١٩٨٢م.
- الزلازل فى بلاد الشام فى العصر الإسلامى وأثرها على المعالم العمرانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٠م.
- تاريخ شرق الأردن، القسم الحضارى، عمان، الأردن، بدون تاريخ.

ثامنًا: المراجع المعربة

١- أدريان بوس:

• مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية، ترجمة على السيد على، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، المشروع القومى للترجمة، الكتاب رقم ١٦٠٢، لسنة ٢٠١٠م.

٢- إسرائيل شاحاك:

• الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة رضى سلمان، قدم له إدوارد سعيد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان ١٩٩٧م.

٣- إسرائيل شاحاك، ونورتون متسفينسكى :

• الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة ناصر عفيف، الكتاب الذهبى، روزاليوسف، ٢٠٠١م.

٤- أ.س. ترتون :

• أهل الذمة فى الإسلام، ترجمة حسن حبشى، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

٥- إسرائيل ولفنسون :

• تاريخ اليهود فى بلاد العرب، مطبعة الاعتماد (حسن الأكبر)، مصر ١٩٢٧م.

• موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م.

٦- أكمل الدين إحسان أوغلى:

• الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، نقله إلى العربية صالح سعداوى، اسطنبول ١٩٩٩م.

٧- أمنون كوهين:

• القدس دراسات فى تاريخ المدينة، ترجمة سلمان مصالحة، نشر ياد يتسحاق بن تسفى، القدس ١٩٩٠م.

• المشاريع التطويرية فى القدس فى مستهل الحكم العثمانى، ص ١٣٢، ترجمة سلمان مصالحة، نشر ياد يتسحاق بن تسفى، القدس١٩٩٠م.

٨- إيرامارفين لابيدوس :
• مدن الشام في العصر المملوكي، ص١٣٨، ترجمة سهيل زكار، دار إحسان للطباعة والنشر ١٩٨٥م.
٩- ج.د. هايد :
• تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، مراجعة وتقديم عزالدين فودة، عربه أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
١٠- جان دى بفلى:
• الأحكام العبرية، ترجمة محمد حافظ، القاهرة، ١٩٠٢م.
١١- جوايتاين ،س.ت:
• دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصى، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.
١٢- حاى بن شمعون :
• الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة روبن مسكوفيتش، القاهرة ١٩١٩م، مادة ٥٢.
١٣- حاييم زعفرانى:
• ألف سنة من حياة اليهود، ترجمة أحمد شحلان، وعبد الغنى أبو العزم، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٧م.
١٤- روجيه جارودى:
• فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة التراث، القاهرة ١٩٨٦م.
١٥- رينهارت دوزى:
• المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، نشر وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد بدون تاريخ.
١٦- كارين أرمسترونج :
• القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر، محمد عنانى، القاهرة ١٩٩٨م.
١٧- لوتسيك هارفى:
• عادات وتقاليد اليهود، تعريب مصطفى الرز، دار سلمى للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٨- لى سترانج :
• فلسطين فى العهد الإسلامى، ص٢٥٧، ترجمة محمود عمايرة، عمان ١٩٧٠م.
١٩- ليونا كسيل:
• التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، دار الجندى، دمشق، ١٩٩٤م.
٢٠- مارك كوهين :
• المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ترجمة نسرين مرار، وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران وساسون سوميخ، مكتبة لقاء، المعهد اليهودى العربى، جامعة تل أبيب، ١٩٨٧م.
٢١- موشيه مردخاي تسوكر:
• التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة، ترجمة أحمد محمود هويدي، مراجعة محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٢- موشيه معوذ:
• القدس فى الحقبة التاريخية الحديثة: التغيرات السياسية والاجتماعية.
٢٣- ناصرى خسرو:
• سفر نامة، ص٧٣، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت ١٩٧٠م.
٢٤- نفتالي فيدر:
• التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ترجمة محمد سالم الجرح، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ٢٠٠١م.
٢٥- هاملتون جب وهارولد بوين:
• المجتمع الإسلامى والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سلسلة تاريخ المصريين، ١٩٩٠م.

تاسعًا : المقالات والدوريات العربية

١- جورجى زيدان :

- فلسطين تاريخها وآثارها، مجلة الهلال، السنة ٢٢، ج٤، أكتوبر، ١٩١٤م.

٢- جوزيف نسيم يوسف :

- علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى (بحث مقدم فى الندوة التى أعدت عن أبى العباس القلقشندى)، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣- حنان السقاط:

- التصوف والزهد اليهودى(القبالاة) فى المغرب، مقال بمجلة المناهل، العدد ٢٩، لسنة ٢٠٠٧.

٤- رأفت محمد محمد النبراوى:

- الدوكات البندقية المحفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية، مقال بمجلة الدارة، العدد ٤، السنة ١٧، الرياض ١٤١٢هـ.

٥- سعيد عبد الفتاح عاشور :

- بعض أضواء جديدة على مدينة القدس، بحث مقدم للمؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام، إبريل ١٩٨٠ م.

٦- صابر دياب:

- دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٤، لسنة ١٩٧٧م.

٧- عبد القادر المغربى:

- عن يهود الشام منذ مائة عام، مجلة المجمع العلمى العربى، ج٢، العدد ١٩٥٤م.

٨- عبد الكريم رافق :

- مظاهر التنظيم الحرفى فى بلاد الشام، مقال بمجلة دراسات تاريخية، العدد أبريل ١٩٨١م.

٩- فتحى عثمان :

• مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة فى القدس فيما بين القرن (٥– ١٣هـ) بحث مقدم ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م.

١٠- ليلى أبو المجد:

• عقد الزواج عند اليهود (كتوبا) وتأثره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى، حوليات كلية الآداب، القاهرة، مج٢٤، لسنة ١٩٩٥/ ١٩٩٦م.

١١- محمد عيسى صالحية :

• من وثائق الحرم القدسى، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الكويت، مجلد ٦، العدد ٢٦، لسنة ١٩٨٥.

١٢- محمد الغرايب:

• التصوف اليهودى بين العقيدة والتاريخ، مقال بمجلة المناهل، وزارة الثقافة المغربية،عدد٢٩، لسنة٢٠٠٧م.

١٣- محمد مصطفى زيادة:

• نهاية المماليك فى مصر، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة، ج٤، ١٩٥١م.

١٤- نتان أقرانى:

• نبذة عن تاريخ عائلة إليشار فى الفترة العثمانية، مقال ضمن كتاب "القدس دراسات فى تاريخ المدينة" لأمنون كوهين.

١٥- نيقولا زيادة :

• فيلكس فابرى فى فلسطين من خلال رحلة دى لايروكييه ١٤٣٢م، بحث نشر فى مجلة المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٨٠.

١٦- هنرى لامنس :

• أماكن تمركز اليهود فى القدس، مقال بمجلة المشرق، العدد ٢٣، لسنة ١٨٩٩م.

١٧- يوسف دروري:

• القدس فى عصر المماليك، مقال ضمن دراسات فى تاريخ مدينة القدس، ترجمة سلمان مصالحة مراجعة د. إسحاق حسون، نشر ياد يتسحاق بن تسفى، القدس ١٩٩٠.

عاشراً: الرسائل العلمية

١- فرح فضل الفرزلى:

- صورة غير الإسلاميين فى كتاب صبح الأعشى ،رسالة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة الروح القدس، ١٩٨٣م.

٢- لبيبة إبراهيم مصطفى:

- الفتن والقلاقل الداخلية فى عصر سلاطين المماليك، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣- ليلى أبو المجد:

- الوثائق اليهودية فى مصر فى العصر الوسيط، دكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٧م.

٤- محاسن الوقاد:

- اليهود فى مصر المملوكية من خلال وثائق الجنيزا، رسالة دكتوراه، آداب عين شمس١٩٩٥م.

حادى عشر: الموسوعات

١- الموسوعة الفلسطينية،طبعة١٩٨٤،مج٣.

٢- موسوعة علماء المسلمين فى تاريخ لبنان الإسلامى، طبعة بيروت ٢٠٠٥ م، ج٤،ق١.

٣- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية "رؤية نقدية"، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة ١٩٧٥م.

٤- المعجم العلمى للمعتقدات الدينية اليهودية، تعريب سعد الفيشاوى ومراجعة عبد الرحمن الشيخ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ م.

ثاني عشر: المراجع الأجنبية

1- Adler, Elkan Nathan :
- Jewish Travellers, London, 1930.

2- Amiry (M.A.) :
- Jerusalem, Arab Origin and Heritage, London, 1948.

3- Al-Bakhit ,M. :
- The Ottoman Province of Damascus in The Sixteenth Century ,Librariedu Liban, Beirut,1982.

4- Berchem, Max Van :
- Courpus Inscirptionum, Jerusalem , 1982.

5- Belloc, Hilaire :
- The Jews, London, Bombay Study , 1932.

6- Buetin D. :
- Etudes Orientales, Damas, Tomes xxxii- xxxiii ,1980 -1981, 1982.

7- B. Hoenig, Sidney :
- Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls., Journal of Biblical Literature, The Society of Biblical Literature, vol. 83.

8- Cohen, Amnon:
- Jewish Life under Islam, Cambridge,1984

9- Cohen, Amnon and Lewis, Bernard :
- Population and Revenue in the Towens of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton Universty Prees ,1978.
- The Guilds of Ottoman Jerusalem, Brill, Leiden. Boston. koln, 2001.

10- Cahen ,Clode:
- Economy, Society and Institutions , Cambridge History of Islam, vol.2, Cambridge 1970.

11- Cohen , Dov :

- Remnants of Lost Ladino Books ,Genizah Fragment,Sects and the City, The Newsletter of the Taylor- Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No. 58 October 2009.

12- Cohen , Mark R. :

- Jewes In Mamluk Environment, The Crisis of 1442 (A Geniza Study), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. 47, No. 3 (1984).

13- Dembitz , Lewis N. :

- Jewish Services In Synagogue And Home ,published in The Jewish Puplication Society in American,1898.

14- Drory, J:

- Jerusalem During the Mamluk Period, an essay in Muslim Literature in the Praise of Jerusalem, Jeruslaem, 1981.

15- Eliayhu, Ashtor:

- Saladin and The Jews, Hebrew Union College Annual, vxxvll, Jerusalem, 1956.
- History of the Jews in Egypt, Syria under the rule of the Mamluks Geniza Document, vol 3(III), Jerusalem, 1970.
- The Jewish In The Mediterranean Trade In The Later middle Ages, Hebrew Union Collge Annual, IV,1984
- The Jews of Moslem Spain , Philadelphia.1973.

16- Esther-Miriam Wagner :

- Genizah Fragments, “Rachel's Missing Letters? The Newsletter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No.58, October 2009.

17- Fabri , Felix :

- Jerusalem Journey Pilgrimage To The Holy Land In The Fifteenth Century. London. 1954.
- The Wandering Of Brother Felix Fabri (circa 1480 -1483 A.D.), Translate by Aubrey Stewart. London1892, vol.1

18- Frank, Danial:

- The Jews of Medieval Islam, Leiden, New York, 1995,
- The Shoshanim of Tenth Century Jerusalem Karaite Execesis, Prayer and Communal Identity, Leiden, New York, 1995.

19- Frank , Daniel and Brill ,E.J. :

- The Jews of Medieval Islam, Leiden, NewYork,1995.

20- Feldman , Rabbi Irwin:

- Do Ashkenazi Jews have a Higher than expected Cancer Burden?, Israel Medical Association Journal, vol. 3, 2001.

21- Frescobaldi, Gucci and Sigoli :

- A Visit to the Holy Places Trans from the Italian by The Ophilus Bellorini, Jerusalem 1948.

22- Geoffrey Wigoder :

- Art. Karaites , In The Encyclopedia of Judaism.,The Jerusalem Publishing House ,1989.

23- Goitein S.D. :

- A Mediterranean Socity, New York 1967,vol.3., Another publishing, Universty of California Press, Berkeley, los Angles, London,1978.
- Letters of Medieval Jewish Traders, Princeton university, U.S.A. 1975.
- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden1967.
- Dispositions in Contemplation of Death: A Geniza Study, Proceedings of the American Academy for Jewish Research, vol. 46/47, Jubilee Volume (1928-29 / 1978-79) [Part 1] (1979 - 1980), American Academy for Jewish Research.
- The Cairo Genizah as a Source for The History of the Muslim Civilization, Studia Islamica, No. 3. Paris, 1995.
- The Social Services of The Jewish Community as Reflected in The Cairo Genizah Record , Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 1 (Jan., 1964), Indiana University Press.

24- **Goldberg, Harveye.:**

- Anthropology and the Study of Traditional Jewish Societies, (A.J.S.) Review(Cambridge University Press and Association for Jewish Studies), vol. 15, No. 1 (Spring, 1990)

25- **Gottheil, Richard:**

- Fragments of a Short Medical Vocabulary From the Cairo Genizah, Art, In Jewish Quarterly Review ,vol.26,1935

26- **Gottheil, Richard Deutsch Gotthard and others:**

- Jerusalem, an essay in Jewish Encyclopedia, vol. V, New York,1901

27- **Hirschberg , H.Z.(J.W):**

- A History of the Jews in North Africa, Leiden 1974, vol. 1.

28- **Hirschberg, J.W.:**

- Ottoman Rule in Jerusalem In the Lights of Firmans and Sharia Documents-Israel Exploration Fund Journal, vol.2, 1952.

29- **Hoffman, Joel M. :**

- A Short History of the Hebrew Language, New York press, 1987.

30- **Hopkins, Simon :**

- The Oldest Dated Document in the Genizah, An Essay In Studies in Judaism and Islam, Jerusalem, 1981.

31- **Hutscher ,Eduard Yecheikel:**

- A History of The Hebrew Language, Jerusalem, 1982

32- **Hutteroth , Wolf-Dieter and Kamal Abdul Fattah:**

- Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late Sixteenth Century, Erlangen,1977.

33- **Isaacs, Hyam :**

- Ceremonies, Customs, Rites and Traditions of the Jews ,published by Holds worth ,Amen Corner, second edition, London, 1836.

34- **Imad Ali, Mohammed:**

- Geniza The Unfolding Truth in the Mirror of History, were the Earlier Generations Smarter or are we?, 66th IFLA Council and General Conference, Jerusalem, Israel, 13-18 August, 2005.

35- Jay Rovner :

- An Early Passover Haggadah According to the Palestinian Rite, The Jewish Quarterly Review, New Series, Vol. 90, No. 3/4 (Jan. - Apr., 2000), University of Pennsylvania Press.

36- Johnson , Paul:

- A History of the Jews, Blackstone Audio books, 1997, part 1.

37- Khan, Geoffrey:

- Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge university Press, 1993.

38- Le Strange, Guy:

- Palestine under The Moslems(A Description Of Syria And The Holy Land From 650 A.D. To 1500 , Published by Cosimo Classics in 2010.

39- Lewis, N. Dembitz :

- Jewish Services In Synagogue and Home ,published in The Jewish Puplication Society in American,1898.

40- Li Qou :

- Early Mamluk Syrian Historiography.Vol.2, Brill,Boston,1998.

41- Lutfi , Huda:

- A study of Al-quds during the late fourteenth century based primarily on the haram inventories and related documents, Brlin,1985.

42- M.Gater:

- Samaritans, Encyclopedia de le Islam.vol.4,

43- Mann,Jacob :

- Texts and Studies in Jewish History and Literature, New York, 1972, vol.1.

- The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, New York, 1970, vol.1

44- Marmorasch :

- Old and New Places in Palestine, Syria, and Lebonon, Jerusalem 1946.

45- Max, Alexander :

- Studies In Jewish History and Booklore, New York, 1944.

46- Ma'oz, Moshe:

- Studies In Palestine During The Ottoman Period, Jursalem, 1975, P.146(An Essay About "Changes In The Position Of Jewish Communities Of Palestin and Syria in Mid-Ninteenth Century"

47- Mendlessohn, Sidney :

- Jews Of Asia, London1995.

48- Metzger, Therese- Metzger , Mendel:

- Jewish life in the Middle Ages: Illuminated Hebrew Manuscripts of the Thirteenth to the Sixteenth Centuries, Alpine Fine Arts Collection, New York, 1982.

49- Meyerhof , Max :

- Medieval Jewish physicians in the Near East from Arabic sources, The St. Catherine Press L.T.D., Bruges, Belgique, 1996, vol.I

50- Mordechai A. Friedman:

- Jewish marriage in Palestine, a Cairo genizah study, Tel-Aviv University, Chaim Rosenberg School of Jewish Studies,1980
- The Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Fragment, T S,13J16_18(http://www.lib.cam.ac.uk/TaylorSchechter/fotm/september-2011/index.html
- The Minimum Mohar Payment as Reflected In The Genizah Documents: Marriage Gift or Endowment Pledge.

- Genizah Fragments, "The India Book comes of age" The News letter of the Taylor-Schechter Genizah Research Unit, Cambridge University Library, No.60, October2010

51- Norman, A. Stillman :

- The Jews of Arab Lands, A History and Source Book, Philadelphia, 1979.

52- Obadiah:

- A student's Letter. written in 1495 (A,D)(ed.) Marmorostein, Rabbi Avroham, in :Pathway to Jerusalem, The Travel Letters of Rabbi Obadiah of Bartenura, written between 1488 and 1490, during his journey to the holy land, translated by Shulman, Y. D., Jerusalem 1992.
- The Travel Letters of Rabbi Ovadiah of Bertinoro ,Wrtten between (1488 -1490) during his journey to the Holy Land Pathway to Jerusalem, Jerusalem,1992.

53- C. Reif, Stefan :

- A Jewish Archive From Old Cairo, Curzon Press, Richmond ,Surrey, 2000.

54- Roden, Claudia :

- Jewish Food in the Midddle East, (A Taste of Thyme – Culinary Cultures of the Middle East), London-New York, 1989.

55- Rovner, Jay :

- An Early Passover Haggadah According to the Palestinian Rite, The Jewish Quarterly Review, New Series, vol. 90, No. 3/4 (Jan. - Apr., 2000), University of Pennsylvania Press.

56- Sason, Ben :

- Jewish Society Through the Ages, New York,1973.

57- Scheiber, Alexander :

- Genizah Studies, Collection XVII, New York,1981.

58- Schlanger, Judith Olszowy:

- Karaite Marriage Contracts from the Cairo Geniza: Legal Traditions and Community Life in Mediaeval Egypt and Palestine, Brill. Hardback, United Kingdom,1997, vol.2.

59- Schoessinger, Max :

- The Ritual of Elded Ha-Dani , Reconstructed, and Edited from Manuscript and a Genizah Fragment with Notes and Introduction and an Appendix on the Elded Legends, Leipzig New York1908.

60- Segal, M.H :

- A Grammer of Mishnaic Hebrew, Oxford,1970.

61- Shulman, Yaakov, David:

- The Travel Letters of Rabbi Ovadiah of Beartinouro ,Wrtten between (1488 -1490) during his journey to the Holy Land Pathway to Jerusalem, Jerusalem, 1992.

62- Sidney, B. Hoenig :

- Dorsht Halakot In The Pesher Nahum Scrolls.,p.120 – 124, Journal of Biblical Literature, The Society of Biblical Literature, vol. 83, No. 2 (Jun., 1964)

63- Silverman, Eric :

- A Cultural History of Jewish Dress (Dress, Body, Culture), Breg Puplisher ,2010

64- Simon, Rabbi Abraham :

- The Principal Jewish Education in The Past, Wachington, 1909.

65- Souriano, Francesco:

- Treatise on the Holy Land trans. From the Italian. by Fr. Theophilus Bellorini, Jerusalem 1948.

66- Slouschz, Nahum:

- Travels In North Africa, The Jewish Publication Society of America,1927.

67- Stephen J. Binz:

- Jerusalem the Holy City, London, 2005.

68- S. Schechter, M.A. Littd:

- Documents of Jewish Sectaries, Cambridge, at the University Press,1910.

69- Thoumain, Martel:

- Voleurs et Assassins a Dames et au Caire (Fin Ixe/xve – debutxe /xvie siècle), Annals Islamologiques, Tom 35, 2001.

70- Walzer, Sofie:

- An Illustrated Leaf from a Lost Mamlūk Kalīlah Wa-Dimnah Manuscript, Published by: Freer Gallery of Art, The Smithsonian Institution and Department of the History of Art, University of Michigan, Arts Orientalis, vol. 2 (1957).

71- Wright, Thomas :

- Early Travels in Palestine ,London 1889.

72- Wolf-Dieter Hutteroth and Kamal Abdul Fattah:

- Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late Sixteenth Century, Erlangen,1977

73- Yellin , Abinoam :

- Genizah Fragments In The Jewish National Library, Journal of the Palestine Society, Jerusalem ,2005.

74- Yerasimos ,Stephan :

- Voyageurs Curope´ens en Palestine Ottomane au xvle sie´cle (1517-1600), Revued'Etudes Palestinienne, No.11, Printenps, 1984

75- The Jewish Encyclopedia :

- Art. Jerusalem, vol. vii, Funk and Wagnalls company, new york and London.

الفهرس

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤

٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢